

الأثر في البيان

في

محبة الرعية

جمع وشريف

سيد بن حسين العفاني



مكتبة رعايا جيل

الأثر في البيان

في
محبة الرعية

جمع وشريف
سيد بن حسين العفاني

مكتبة
رعايا جيل

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

رقم الايداع

٢٠٠٠/٣٤٠١

الناشر
مكتبة حفاف بن جليل

ت: ١٤٦٢٤٧ - ١ - جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

القاهرة: ت: ٥٧١٩٥٧٨

بني سويف: ت: ٠٨٢/٣١٧٣٤٤

توزيع

دار ابن الجوزي

المملكة العربية السعودية: الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣،
ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - ت: ٤٢٦٦٣٣٩ - الإحصاء - الهاتف
- شارع الجملة - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٥١٦٥٤٩ - ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
- فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٢٥٦١٤٧٣
البريد الإلكتروني: www.jwzi.com - aljawzi@hotmail.com

مُقَدِّمَةٌ

بقلم الأستاذ الدكتور

عبد الحميد هندأوي

أستاذ البلاغة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، وبعد:

إنه لمن دواعي الشرف أن أقدم لهذا الكتاب الذي حوى من كنوز الأدب دُررًا وجواهر، ومن بساتين الفصاحة أقاحي وأزاهر، فصار بما حواه كأنه البحر الزاخر، وصار لانسجام ما فيه كَوْشِي فاخر.

ووالله إن ما به من عيون أشعار الزهاد والعابدين، ودرر كلام الناصحين والمتقين، لما يسيل السخائم، ويحلّ العقد، ويسخي الشحيح، ويشجع الجبان، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، فلله در جامع من عالم نحسه من بقية السلف الأوائل ولا نزكي على الله أحداً، والله حسيبه وحسينا ونعم الوكيل.

دكتور عبد الحميد هندأوي

مُقَدِّمَةٌ

بقلم الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن إبراهيم فودة

أستاذ البلاغة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على رسول الله محمد أفصح من نطق وأبان، وبعد:

فقد تفضّل أخي الحبيب دكتور سيد حسين بإهدائي كتابه النفيس وطلب إليّ أن أقدم له وهذا من حسن ظنه بي، وإنه لأمر أعتزّ به كثيراً، وأحسب أن فيه شرفاً كبيراً لي وفضلاً عظيماً منه.

لقد أجمل القرآن الكريم فائدة الشعر وقيّمته في سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوْنُ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۚ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۚ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۚ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧].

ولا يخفى أن النبي ﷺ عرف قيمة الشعر وتأثيره على النفوس فقال عليه السلام: «إن من البيان لسحر، وإن من الشعر لحكمة» وكان عليه السلام يستنشد حسان بن ثابت، ويقول: «أصدق بيت قالته العرب قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»، كما كان ينشد لأمية بن أبي الصلت.

والشعر يلهب حماس الأمم لما له من تأثير في نفوس السامعين والمتلقين، وقد حفظ التاريخ قصائد بلّغ أصحابها ولم تبل القصائد، ولا يزال الناس يرددون أقوالهم التي أخذت بالألباب.

وعلى سبيل المثال، القصيدة التي فجّرت ثورة، وهي لأبي إسحاق الإلبيري الذي توجه بها إلى بربر صنهاجة ببلاد الأندلس؛ لأن أحد أمراء عصره في غرناطة تخيّر وزيرًا كافرًا أدى إلى اعتزاز اليهود وزهوهم، ومعه حققوا كل مآربهم، فراح الشاعر يستحث مسلمي غرناطة الذين يعيشون في صنهاجة:

ألا قل لصنهاجة أجمعين بدور الندى وأسد العرين
لقد زلّ سيدكم زلة تقرّ بها أعين الشامتين
تخيّر كاتبه كافرًا ولو شاء كان من المسلمين
فعزّ اليهود به وانتخوا وتاهوا وكانوا من الأرذلين

أثارت هذه القصيدة عاصفة من الحماسة بين البربر فأقسموا على القضاء على ذلك الوزير اليهودي، وحملت الريح أبيات أبي إسحاق إلى كل أرجاء المدينة وعكف عليها الناس ينسخونها وينشدونها ويترنمون بها ويتحينون الفرصة ليجعلوا من أفكارها واقعًا وجاءت اللحظة المنتظرة، وقضوا على ذلك الوزير اليهودي.

فللشعر إذا تأثيره في واقع الناس.

وما أحوجنا في هذه الآونة التي فشا فيها الشعر الساقط المرذول وانتشر دعائه وكثر المدافعون عنه والمروّجون له، فلا أفكار ولا أوزان ولا تفعيلات، ويتولى نشر هذه التوافه صحف صفراء ومجلات رديئة وهيئات تدعمها ماديًا.. أقول ما أحوجنا في هذه الآونة إلى مثل هذا السفر النفيس الذي بين أيدينا بما حوى من أشعار في الإلهيات وغيرها من قصائد رائعة تجذب الناس ناحية السمو الروحي والوجداني، وتنأى بهم عن وحل الرذيلة والإخلاق إلى الأرض والشهوات، وذلك أننا نعيش زمن الغربة الأدبية حيث تسلّط على منابر الثقافة والأدب شرذمة لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة، لا همّ لهم إلا الانتقاص من شريعة الله سبحانه ومن الأنبياء والمرسلين، ومن جميع

الثواب المقررة في شريعة الله وعزاؤنا ما قاله الدكتور الطناحي رحمه الله:

«وقد رأينا كثيرًا ممن تطاولوا على الدين وهزءوا به وسخروا منه في مجالسهم أو في أعمالهم الأدبية - شعراً أو نثراً - قد انتهى أمرهم إلى خسارٍ وبوار، بل إن منهم من رأى فقره بين عينيه، ورأى عافيته تتفَلَّت من بين يديه، مع ما تراه من ظلام في وجوههم ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]»^(١).

لقد جمع أخونا الحبيب الدكتور سيد باقة من ألمع شعراء الإسلام المعاصرين يتقدمهم عمر بهاء الأميري مع زمرة من الشعراء الأوائل، وقد عهدنا من أحنينا رهافة حسه وسلامة ذوقه شاعرًا أو مختارًا لقصائد من الشعر، ومن ثم أجدني أقول لأخي سيد:

جزاك الله ثم جزاك خيرًا، أختًا داعية مصنفًا جامعًا، صاحب همة عالية ونفس وثابة نحو العلا، نفع الله بك وبكتبك ورزقنا وإياك الإخلاص وحسن العمل وحسن الخاتمة وجعلنا وإياك من الذاين عن شريعة وسنة نبيه محمد ﷺ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن إبراهيم فودة

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

٢٢ شعبان ١٤٢١ هـ

١٨ نوفمبر ٢٠٠٠ م

(١) من تقديمه رحمه الله لكتاب (العلم الأعجمي في القرآن مفسرًا بالقرآن) تأليف رءوف أبو سعدة ج١/١٥ وما زالت المحاولات الخبيثة تتابع، وكان منها (وليمة أعشاب البحر) التي تسفل فيها كاتبها وتدنى وأساء إلى الذات العلية وإلى القرآن الكريم، والله تعالى ينتقم من أهل الفساد والإفساد ويريح منهم البلاد والعباد.

تقديم

بقلم الدكتور

فتحي جمعة

الأستاذ بكلية دار العلوم

والخير بمجمع اللغة العربية

إن الحمد لله، نحمده ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضللّ فلا هادي له.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

● وبعد

فقد كانت الكلمة الجميلة القوية دائماً، سلاحاً من أسلحة الدعوة الإسلامية، ولهذا تبقى الحاجة ماسة في كل العصور إلى أدب إسلامي رائق لمؤازرة الدعوة، والمجادلة عنها، والمجاهدة فيها .. ولا شك أن الشعر في مقدمة هذا الأدب، وعلى الدرجة العليا منه.

وحين نزلت آية الشعراء في ذم طائفة من أصحاب القريض، تزيف الباطل وتلبس به

الحق، وتعتمد في شعرها على التخيل والتهويم والادعاء، جاء استثناء المؤمنين العاملين، طمأنة لقلوب المخلصين وتسكيناً لأنفس المجاهدين:

قال - تعالى :- ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْنَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۝﴾.

لقد ذهب عبد الله بن رواحة - وهو الشاعر المطبوع، والقائد المجاهد المقدم - يضع خوفه بعد نزول هذه الآية، بين يدي النبي ﷺ، أن يكون أحد هؤلاء المتبوعين بالغاوين، فواساه صلوات الله وسلامه عليه بأن شعره جهاده باللسان، إذ المؤمن يجاهد الكفار باللسان كما يجاهدكم بسيفه.

بل كان رسول الله ﷺ يقول لحسان رضي الله عنه مشجعاً: إن روح القدس يؤيدك، أو إن جبريل معك، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

إن للكلمة الجميلة أثراً عميقاً في تحريك، واستثارة النخوة وحفز العزائم.. وقد كان الأبطال المغاوير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين - يتدبرون بحماسي الشعر ضد الضعف، ويدافعون به مشاعر الخور أو أحاسيس الانهزام أن تملكهم أو تستحوذ عليهم، وقد ضربوا في ذلك أروع الأمثلة وأجلها وأبهاها:

في يوم مؤتة كان البأس شديداً على المسلمين، وقد قُتل حامل الراية الأول زيد بن حارثة رضي الله عنه، فتقدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذ الراية، ثم اندفع إلى القتال بقوة وبسالة نادرة وهو يقول في رجز جميل، يقوّي النفس، ويشد العزم، ويجزّي على الموت، ويرغب في الشهادة، ويغري بالجنة:

يا حبذا الجنة واقتربها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذ لاقيتها، ضرابها

ثم قاتل حتى قُتِلَ ﷺ.

وأخذ الراية من بعده عبد الله بن رواحة، الذي اندفع بفرسه إلى ساحة الوغى قوياً
باسلاً يرحب بموت الشهادة، ويُقبل عليه سعيداً راضياً. فيرتجز بهذه الكلمة الرائعة:

أقسمت يا نفس لتزلن لتزلن أو لشكرهنة
إن أجلب الناس وشدوا الرنة ما لي أراك تكرهين الجنة
قد طالما كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنة
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت

إنها بسالة وإقدام يستعين بالكلمة الشاعرة في مطاردة مشاعر الضعف والخور أو
الهزيمة الداخلة أن تملك النفس أو تتمكن من القلب.

كذلك يكون للشعر أثره في تخذيل القوى المتجمعة ضد فريق الإيمان، كما كان
من أمر معبد الخزاعي إذ نظم شعراً خاطب به أبا سفيان بن حرب ومن معه من قريش،
فخوفهم من الكثر على المسلمين؛ لقد نجح «معبد» في تجسيد قوة الجيش الإسلامي
وتنظيمه لصفوفه وعزمه على الثأر والانتقام، وقال:

كادت تُهَدَّ من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجُزْدِ الأبابيل
تردى بأسدٍ كرامٍ، لا تنابلية عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم إذا تغطمطت البطحاء بالجيل

أما حسان بن ثابت ﷺ، فقد قارن بين اليومين: بدرٍ وأُحُد، ووازن بين الموقفين
موقف النبي ﷺ وصحبه - رضوان الله عليهم -، وموقف الكافرين إذ قال:

سُقْتُمْ كنانة جهلاً من سفاهتكم إلى الرسول؛ فجنّد الله مُخزِئها

أوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها، والقتل لاقية
 جمعتهم أحاييئاً بلا حَسَب أئمة الكفر غرتكم طواغيها
 ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت أهل القلب ومن القِيئة فيها
 كم من أسير فككناه بلا ثَمَنِ وجَزَّ ناصية كنا مواليتها

* * *

تلك أمثلة قليلة للأثر الذي يُحدثه البيان الجميل والشعر في حياة الأمة لدى المواقف العظيمة، والأحداث الجسيمة، والمعارك الفاصلة.

ولا شك أن هذا الأثر ثابت أيضاً في عرض الدعوة والانتصار لها والجدال عنها. ولعنا الآن أخرج ما نكون إلى رائع البيان، وقوي الشعر؛ يجلو به غبار الأباطيل، وندفع به تُهم الضلال عن الوجه المشرق المنير للإسلام.

نعم نحن في حاجة إلى شعراء يحسّون نبض الأمة ويشعرون بآلامها فيحيونَ في همومها، فيعبرون عن ذلك أجمل تعبير، ويصورونه أصدق تصوير.

استمع إلى عبد الرحمن العشماوي وهو يخاطب دعاة القومية:

تنمو عُصون الوحدة الك كُبْرَى، على جذع هزيل
 جذع، هو القومية الـ غَمِياء عن درب الرحيل
 أنا لست أقطف يا رفاقي زهرة النسب الأصيل
 لكنها قومية بلغت حدود المستحيل
 هل ألفت أشتاتكم يا قوم من قبل الرسول

قد يختفي في روعة الك عنوان، تضليل الفصول
هذي صروح فخاركم هُدمتْ فلوذوا بالطلول
وابكوا عليها مثلما يبكي الخليل على الخليل
فلعل إسرائيل تنظر بعد هذا في الحلول

ثم استمع إليه وهو يتحدث بين يدي الملك خالد في موسم الحج سنة سَبْعٍ وتسعين
وثلاثمائة وألف من هجرة سيد المرسلين ﷺ؛ فيقول من قصيدته الرائعة «العبد
الحزين»:

عيدُ، ما هذا الخطأ العجلاً؟
كيف تُطوى أمامك السنوات؟
عيد، هل جئت بالجديد المُهنا؟
أم أعيد بَعُودك الحسرات
عُدتْ يا عيدُ والجراح جراح
لم تُحقّق لأمتي الأمنيات

ثم يقول محدداً قيمة الشعر في إيقاظ الشعور، وبعث الأمة، والدعوة إلى التقوى
بالتوحد والتآخي^(١):

قد تضيق الألفاظ عن حمل قصدي رُبَّ صوت تخونه النبرات
هو شِعْرُ، فإن فقدنا التآخي فماذا تفيدنا الأبيات

(١) ديوان «إلى أمتي» شعر عبد الرحمن صالح العشماوي، ص ٩٥ قصيدة «إلى دعاة القومية».

واجب أن أذيب في الحق صفوي في حياة يدب فيها الممات
 خلُق الشعر ناصحاً، فحرّي أن تُفَيّق القصائد الناصحات
 ثم يلتفت إلى الملك خالد بن عبد العزيز عاھل المملكة العربية السعودية في ذلك
 الوقت، فيخاطبه بأبيات قوية مؤثرة معبرة، ومنها هذه القطعة التالية:

يا ابن عبد العزيز قد يبعث الشُّعْرُ جراحى فتكثر الآهات
 لا تلمني، فذاك فيض شعوري ومن الشعر للشعور أداة
 إن في صورة اجتماعك هذا صورة الحشر تفتح الصفحات
 هاهنا فرحة وساعات أنس ونشيد يثني عليه الرواة
 وهناك السؤال، ماذا علمتم ويموت من ذاتنا إثبات
 كل أعضائنا شهود علينا ويموت الإلحاد والأبْهات

* * *

يا ابن عبد العزيز تصفو المعاني حين تغلي في شعري الكلمات
 كُنْ مع الله فالحياة نضال رُبَّ صوتٍ تجيبه أصواتُ
 أنت أدرى فقد تحمّلت عبأً والمعالي في دَرْبها صدمات
 وبعد أن ينهي خطابه القوي إلى الملك، يلتفت إلى الأمة، فيقول:

يا رفاقي وفي ضمير القوافي خسرات، وخاطر حسرات
 هو عيد لكن حملت فؤاداً فيه من غيرة الأبى سمات

* * *

كيف يشدو، ولليتامى الحيارى تحت ظلم من العدا أنات
 كيف يشدو ومسجد القدس يشكو وبلادي أعيادها ويَلاتُ
 فتذكرت في فلسطين ثكلى تمضغ البؤس، والأعادي قُساءُ
 نحن نشدو وهم يقيمون مُلكاً في بلادي، ومُلْكُهُم عِشرات
 كيف يبنون في بلادي ظُلماً ومن الظلم تقشعر الرفاةُ

* * *

عيدُ إن كنت تستطيع فَبُعْداً كيف تأتي وأمتي أشتاتُ
 كيف تأتي يا عيد تطلب شدواً وبلادي يعيث فيها الطغاةُ
 لست بالراهب الذي يكره الشدو ولكن لفرحتي ميقاتُ
 أيها العيد لست عيدي؛ فَمَهْلاً إن عيدي أن تُزَفَعَ الراياتُ^(١)

نحن هنا أمام شاعر شاب قوي الشعور صادق الشعور؛ يختلج كيانه كله بآلام أُمته وهمومها، وإنه ليتخذ من المناسبة الدينية الجليلة^(٢) وسيلة للتنفيس عن ذاته والإفشاء بشعوره بين يَدَيِّ ملك بلاده في شجاعة أدبية، وبسالة نادرة.

تلك «قَبَسَات» من ضياء الأدب الإسلامي، و«قَطَفَات» من زمان الإسلام - ماضيه البعيد، وحاضره القريب - أن قَدْ كان للشعر دوماً أثره العميق الفعّال في حركة الأمة ومسيرتها الطويلة، التي تفرقت بها الشُّبُل في منعطفات التاريخ.

(١) ديوان «إلى أمتي»، قصيدة العيد الحزين، ص ٧٦ - ٨٣.

(٢) أُلقيت القصيدة في الحفل السنوي الذي أقيم بمني في موسم الحج عام ١٣٩٧هـ.

ومن أجل ذلك يكون لعمل أخينا الكريم الدكتور / سيد حسين العفاني - جزاه الله أحسن الجزاء - قيمته الكبيرة في إحياء هذا النمط من التأليف أو التصنيف، في جانب من جوانبه نحتاج إليه حاجة مستمرة متجددة؛ إذ يرمي هذا النوع من التصنيف إلى هدف جليل وغرض نبيل، وهو ترقيق القلوب وتهذيب النفوس، والسمو بالأرواح على الانغماس في مطالب المادة والاستغراق في شهوات الأبدان

نَعَمْ!

فما أحوجنا إلى الارتباط بالملا الأعلى، تسامياً على الحيوانية، وارتقاء فوق البهيمية الكامنة في داخلنا، والمركوزة في طبائعنا.

نحن في حاجة دائمة إلى تغذية شعور الحب الأسمى في قلوبنا: حب الله - تعالى - وحب رسوله ﷺ. ونحن كذلك في حاجة ضرورية لازمة إلى أن تثبت في قلوبنا عقيدة اليوم الآخر، ويتراءى لنا، ويأخذ بأيدينا إلى ما هو خير بإذن الله.

ولقد كان هذا بحق بعض غايات أخينا العزيز الدكتور/ سيد حسين العفاني في مصنفه الكبير، الذي جمع فيه باقة جميلة ندية بليلة نبيلة من أفانين الشعر الديني وأزاهيره.

وقد استطاع - جزاه الله خيراً وزاده علماً وصدقاً - أن يجعلها مختلفة الألوان مُنَوَّعة الشمار:

فتارة نرتشف من رحيق الحب العلوي. . وأخرى نطوّف في رياض الشاء على الجليل - جلّ وعلاً - وثالثة نحلق في آفاق التسبيح والتحميد. . ورابعة مع الافتقار والتذلل والضراعة. . وخامسة في تأمل الكون ومطالعة آيات القدرة. . وسادسة في الاعتبار بالخلق. . وسابعة في التوبة والاستغفار. . وثامنة في الدعاء والخوف والرجاء. وتاسعة في الطمأنينة بذكر الله - تعالى - لأن ذكره - سبحانه - عيشُ المحبين.

ولا ريب أنه يستوجب كل حمْدٍ وثناء جميل؛ لما بذله مَنْ جهد صَبَرَ فيه نفسه على القراءة والبحث والنظر بدأبٍ لا يمل وعزم لا يكل؛ حتى استقام له مصنّفٌ كبير في بضع مئتين من الصفحات.

غير أن هذا العمل الكبير المشكور، يحتاج - في رأينا - إلى أمرين، ليكون أتم وأنفع وأدنى إلى الكمال والإحكام: أحدهما: أن التصنيف ينبغي أن يسلك أحد طريقتين:

(١) التصنيف على أسماء الأعلام من الشعراء والأدباء مرتين تاريخياً أو أبجدياً، مع ترجمة موجزة لكل واحد منهم، وتحت كل اسم يورد ما يختاره من شعره في المناسبات أو المعاني الدينية المختلفة، على حسب ما يراه صاحب التصنيف من دواعي الاختيار.

(٢) التصنيف الموضوعي.

أي تقسم الأغراض والمعاني الدينية التي تناولها الشعراء والأدباء المسلمون في مختلف العصور إلى أبواب رئيسية تبدأ من العقيدة، وتنتهي بالمعاملات والأخلاق. وتحت كل باب، يورد طائفة مختارة من الشعر الإسلامي تمثل جميع العصور ومتعاقب الأجيال^(١).

أما الأمر الآخر الذي نرى حاجة هذا العمل الكبير إليه: فهو كلمة تقديم بين يدي كل قصيدة، وكلمة تعليق بعدها.

كلمة التقديم تشرح الفكرة، وتهبئ نفس القارئ وعقله لتقبّل ما يقرأ وتمثله والتفاعل معه.

(١) يقول الفقير إلى رحمة ربه سيد العفاني: لقد اخترت التصنيف الموضوعي، وبدأت بكتابي هذا في الثناء على الله ومحبهه والافتقار إليه، وذكر أسمائه وصفاته، وبديع مخلوقاته، ثم نشئي في كتاب آخر بالثناء على رسوله ﷺ واتباع سنته... إلخ.

وكلمة التعقيب تبين موقف المؤلف من الشاعر في هذا الشعر المختار؛ موافقة له أو خلافاً معه.

ولأن هذا جهد كبير، ينبغي طرح البيت والبيتين والثلاثة والأربعة، والاختصار في الاختيار على القصائد الكاملة أو المقطوعات الكبيرة التي يمكن أن نتعرف منها على منهج الشاعر وعقيدته ومذهبه^(١).

وبعد

فتلك «ملاحظ» يسيرة، لا تنقص من قيمة هذا العمل الكبير ولا تنزل به عما يستحقه من مكانة التقدير ومنزلة التكريم. كلا! بل هي - فيما يرى صاحبها - من وسائل الاكتمال ومظاهر الإتيان والإحكام.

وفق الله أخانا الدكتور/ سيد حسين العفاني وسدد خطاه وفتح عليه ونفع به، وزاده علماً وفضلاً، وإخلاصاً وصدقاً آمين.

وكتبه

دكتور/ فتحي محمد جمعة

كلية دار العلوم جامعة القاهرة

خبير بمجمع اللغة العربية

(١) جرى الله خيراً الدكتور فتحي جمعة على هذه الملاحظة.. وما تركتها إلا خوفاً من طول الكتاب في عصر ضعفت فيه الهمم، فجزاه الله من شيخ ناصح خيراً.

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(١)، [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

سبحان من رفع شأن البيان والكتابة، فقال - تعالى -: ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ يَسْمَعُ وَأَنَّ الْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، [القلم: ١]، والقسم بها، تعظيم لقيمتها، وتوجيه إليها، لتقوم بنقل هذه العقيدة وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض، ثم لتنهض بقيادة البشرية قيادةً رشيدةً، وكان هذا حلقة من المنهج الإلهي لتربية هذه الأمة، وإعدادها للقيام الكوني الضخم الذي قدره لها علمه المكنون.

(١) خطبة الحاجة وهي التي كان رسول الله ﷺ يبدأ بها خطبه، وقد جمع طرف أحاديثها محدث ديار الشام الشيخ الألباني رحمه الله في رسالة قصيرة.

مَجَّدَ اللهُ قِيَمَةَ الْقَلَمِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ هَذِهِ الْإِشَارَةُ فِي أَوَّلِ لِحْظَةٍ مِنْ لِحْظَاتِ الرِّسَالَةِ الْآخِرَةِ لِلْبَشَرِيَّةِ؛ فِي أَوَّلِ سُورَةٍ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ وقال - تعالى -: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، [العلق: ١ - ٥]، وَاَمَنَّ اللهُ عَلَى الْإِنْسَانِ فَقَالَ - تعالى -: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، [الرحمن: ٤]، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ هَذَا الْبَيَانُ أَرْقَى الْبَيَانِ مَعْنًى وَلَفْظًا؟! وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً»^(١).

يَقُولُ الرَّافِعِيُّ عَنِ الْبَيَانِ: «أَيُّ بَيَانٍ فِي خُصْرَةِ الرَّبِيعِ عِنْدَ الْحَيَوَانِ مِنْ آكِلِ الْعُشْبِ، إِلَّا بَيَانُ الصُّورَةِ الْوَاحِدَةِ فِي مَعْدَتِهِ، غَيْرَ أَنْ صُورَ الرَّبِيعِ فِي الْبَيَانِ الْإِنْسَانِي عَلَى اخْتِلَافِ الْأَرْضِ وَالْأُمَمِ، تَكَادُ تَكُونُ بَعْدَ أَزَاهِرِهِ، وَيَكَادُ النَّدَى يُنْضِرُّهَا حُسْنًا كَمَا يُنْضِرُّهُ؛ وَلِهَذَا سَتَبَقَى كُلُّ حَقِيقَةٍ مِنَ الْحَقَائِقِ الْكُبْرَى؛ كَالْإِيمَانِ، وَالْجَمَالِ، وَالْحُبِّ، وَالْخَيْرِ، وَالْحَقِّ، سَتَبَقَى مُحْتَاجَةً فِي كُلِّ عَصْرِ إِلَى كِتَابَةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ أَذْهَانٍ جَدِيدَةٍ».

وَنَقُلْ حَقَائِقَ الدُّنْيَا نَقْلًا صَحِيحًا إِلَى الْكِتَابَةِ أَوْ الشَّعْرِ، هُوَ انْتِزَاعُهَا مِنَ الْحَيَاةِ فِي أَسْلُوبٍ، وَإِظْهَارُهَا لِلْحَيَاةِ فِي أَسْلُوبٍ آخَرَ يَكُونُ أَوْفَى وَأَذَقُّ وَأَجْمَلُ؛ لَوْضَعِهِ كُلِّ شَيْءٍ فِي خَاصٍّ مَعْنَاهُ، وَكَشْفِهِ حَقَائِقَ الدُّنْيَا تَحْتَ ظَاهِرِهَا الْمُلْتَبَسِ، وَتِلْكَ هِيَ الصَّنَاعَةُ الْفَنِيَّةُ الْكَامِلَةُ، تَسْتَدْرِكُ النِّقْصَ فَتُتِمُّهُ، وَتَتَنَاوَلُ السَّرَّ فَتُعْلِنَهُ، وَتَلْمَسُ الْمَقْيَدَ فَتُطْلِقَهُ، وَتَأْخُذُ الْمُطْلَقَ فَتُجِدُّهُ، وَتَكْشِفُ الْجَمَالَ فَتُظْهِرُهُ، وَتَرْفَعُ الْحَيَاةَ دَرَجَةً فِي الْمَعْنَى، وَتَجْعَلُ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ وَجَدَ لِنَفْسِهِ عَقْلًا يَعْيشُ بِهِ.

فَالْكَاتِبُ الْحَقُّ لَا يَكْتُبُ لِيَكْتُبَ، وَلَكِنَّهُ أَدَاةٌ فِي يَدِ الْقُوَّةِ الْمُصَوِّرَةِ لِهَذَا الْوُجُودِ، تُصَوِّرُ بِهِ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهَا فَنَّا مِنَ التَّصْوِيرِ.

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ خَرَّابٍ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهَ، عَنْ أَبِيٍّ، وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَطَبْرَانِيِّ فِي «الْكَبِيرِ» عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَالْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ عَنْ عَائِشَةَ وَحُسَيْنَ بْنِ ثَابِتٍ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَمْرِو.

لا يُخلَق الأديبُ أبدًا إلَّا وفيه أعصابُهُ الكهربائيَّة، وله في قلبه الرقيق مواضع مُهيَّأة للاحتراق، تنفُذ إليها الأشعةُ الروحانيَّة، وتتساقط منها بالمعاني...

ويُلقي فيها مثل السِّر الذي يُلقى في الشجرة لإخراج ثمرها.

رَبِّما عابوا السُّمُوَّ الأدبيَّ بأنَّه قليل، ولكنَّ الخير كذلك، وبأنَّه مخالف، ولكن الحقَّ كذلك، وبأنَّه محيِّر، ولكنَّ الحُسْنَ كذلك، وبأنَّه كثير التكاليف، ولكنَّ الحرِّيَّة كذلك.

إن لم يكن البحرُ، فلا تنتظر اللؤلؤَ، وإن لم يكن النجمُ، فلا تنتظر الشعاعَ، وإن لم تكن شجرةُ الورد، فلا تنتظر الورد، وإن لم يكن الأديبُ أو الشاعرُ الإسلامي، فلا تنتظر الأدب»^(١).

لله ما أحلاه من أدب «حين تستقرُّ الرُّوح على منهج الإسلام، وتنضح بتأثيراتها الإسلاميَّة شعراً وفتناً، وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع، ولا تكتفي بخلق عوالم وهميَّة تعيش فيها، وتدع واقع الحياة كما هو مشوّهاً قبيحاً، حين يكون للروح منهج ثابت يَهْدِف إلى غايةٍ إسلامية، وحين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الإسلام، في ضوء الإسلام، ثم تُعبِّر عن هذا كلّهُ شعراً وفتناً.

لقد وجَّه القرآن القلوب والعقول إلى بدائع هذا الكون، وإلى خفايا النُّفس البشريَّة، وهذه وتلك هي مادَّة الشعر والفنِّ، وفي القرآن وقفاتٌ أمام بدائع الخلق والنفس، لم يُلغِ إليها شعراً قطُّ في الشفافية والنفاذ والاحتفال بتلك البدائع وذلك الجمال، ومن ثمَّ يستثني القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾، [الشعراء: ٢٢٧] فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام، هؤلاء آمنوا فامتلاَّت قلوبُهم بعقيدة، واستقامت حياتهم على منهج،

(١) بتصرف من «وحي القلم»، ١٥/١ - ١٧.

وعملوا الصالحات فَأَتَجَهَّتْ طاقاتهم إِلَى العمل الخَيْر الجميل، ولم يكتفُوا بالتصورات والأحلام، وانتصروا من بعد ما ظَلَمُوا، فكان لهم كفاح يَنْقُثُونَ فيه طاقاتهم، ليصلوا إِلَى نُصْرَةِ الحقّ الذي اعتنقوه.

ومن هؤلاء الشعراء الذين نافحوا عن العقيدة وصاحبها، فِي إِبَّانِ المعركة مع الشرك والمشرّكين، عَلَى عهد رسول الله ﷺ: حَسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله ابن رواحة - رضي الله عنهم -، من شعراء الأنصار ومنهم: عبد الله بن الزُّبَيْري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

والصُّورُ التي يتحقَّق بها الشُّعر الإسلامي والفنّ الإسلامي كثيرةٌ غير هذه الصورة التي وُجِدَتْ وَفَقَ مقتضياتها. وَحَسْبُ الشعر أو الفنّ أَنْ يَنْتُجَ من تصوّر إسلامي للحياة، فِي أيّ جانبٍ من جوانبها؛ ليكون شعراً أو فنّاً يَرْضاه الإسلام، وليس من الضروري أَنْ يكون دفاعاً ولا دفعاً، ولا أَنْ يكون دعوةً مباشرةً للإسلام، ولا تمجيداً له، أو لأيام الإسلام ورجاله.

وإنَّ نظراً إِلَى سَرَيان الليل، وتنفّس الصُّبح ممزوجةً بشعور المسلم الذي يربط هذه المشاهد بالله فِي حِسِّه؛ لَهِيَ الشعر الإسلامي فِي صميمه، وإن لحظةً إشراقٍ واتِّصالٍ بالله، أو بهذا الوجود الذي أبدعَهُ الله؛ لكفيلةٌ أَنْ تُنشِئَ شعراً يَرْضاه الإسلام.

ومَفَرِّق الطريق، أَنْ للإسلام تصوّراً خاصّاً للحياة كلّها، وللعلاقات والروابط فيها، فأَيُّما شعر نشأ من هذا التصوّر؛ فهو الشعر الذي يَرْضاه الإسلام». انتهى من «الظلال» (٢٦٢٢/٥).

الشُّعْرُ فِي السَّنَةِ الْمُطَهَّرَةِ

- عن ابن عمر، قال: قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجِبَ الناسُ لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا »^(١).

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمَةٌ »^(٢).

- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: « أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ »^(٣).

- عن عمرو بن الشَّريد عن أبيه، قال: رَدِفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: « هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةِ بْنِ الصَّلْتِ شَيْءٌ؟ » قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: « هَيْهَ »، فَأَنْشَدْتُهُ يَتًّا فَقَالَ: « هَيْهَ »، حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِئَةَ يَتٍ^(٤).

- عن البراء، قال: قال النبي ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ: « اهْجُ الْمَشْرِكِينَ؛ فَإِنَّ جَبْرِيلَ مَعَكَ ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: « أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيَّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ »^(٥).

- عن عائشة - رضي الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِحَسَّانَ: « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ». وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) متفق عليه.

«هَجَّاهُمْ حَسَّانَ فَشَفَى وَاشْتَفَى»^(١).

- عن كعب بن مالك، أنه قال للنبي ﷺ : إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ أَنْزَلَ فِي الشَّعْرِ مَا أَنْزَلَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ الْمُؤْمَنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنَّمَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحَ النَّبْلِ »^(٢).

وفي « الاستيعاب » لابن عبد البر، أنه قال: يا رسول الله، ماذا ترى في الشعر؟ فقال: « إِنَّ الْمُؤْمَنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ ».

- عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يضعُ حَسَّانَ منبرًا في المسجدِ يقومُ عليه قائمًا، يُفَاخِرُ عن رسولِ الله ﷺ، أو يُنَافِخُ، ويقولُ رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بَرُوحِ الْقُدْسِ مَا نَافِخٌ أَوْ فَاخِرٌ عن رسولِ الله ﷺ »^(٣).

- عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ذُكِرَ عند رسولِ الله ﷺ الشَّعْرُ فقال رسولُ الله ﷺ : « هُوَ كَلَامٌ، فَحَسَنُهُ حَسَنٌ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ »^(٤).

رحم الله الشافعي ولله دَرَّةٌ إذ يقول: « من قال الشعر رَقَّ طبعه ».

إن أحسن وشي رقمته الأقلام، وأبهى زهر تفتحت عنه الآكام، شعْرُ يفوح بعبير الإسلام نفحه، ويشرق في سماء الطروس صبحه، كزهر الروض، أو نفحة الصبا سارية على الزند والبان.

* نريد شعراً يغرد تغريداً على دوحة الإسلام لا ينقُ نقيق الضفادع.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البغوي في «شرح السنة»، ورواه أحمد وغيره بإسناد صحيح، كما قال الألباني في «تخريج المشكاة» (١٣٥٢/٣) ح ٤٧٩٥.

(٣) رواه البخاري.

(٤) إسناده حسن: رواه الدارقطني، وقال الألباني في «تخريج المشكاة» ح ٤٨٠٧: «إسناده حسن».

لولا النفوس التي تدرك قيمة الجمال ما وجدت عَلَى الأرض نفوس تدرك قيمة الخير، وهل هذا الخير كل قصيدة منه كأنها زهرة تفوح، أو نجم يلوح، تظهر فيه صفات الجمال والخير ينطق بأبلغ ما تفهمه النفوس من المعاني، يفيض الجمال عَلَى نفسه، فيصبح قطعة من هذا الجمال.

* أما الأجلاف من غلاظ الأكباد؛ فإنهم يرون الطبيعة - وهي خلق الله - مبتذلة، يجدون لها غلظة في أنفاسهم؛ كأنهم ينظرون إليها من أكبادهم كأنهم يريدون أن يتنشقوا ريح الزهرة من طينها، كل ما في خلق الله جميل غير أن الإنسان لا يتسع في درس علم الجمال إِلَّا بمقدار فهمه للإسلام وجماله،

* نريد شعراً راقياً طاهراً؛ كالرياض المنورة بأزهارها، وكالطيور المغردة بألحانها؛ وكالأشجار المصنفة بأغصانها، وكالنجوم المتلألئة بالنور الدائم.

هذه مظاهر للجمال شتى لكننا نريدها جميعاً في قصيد واحد، يعرف لنور النهار عذوبة؛ كعذوبة الماء عَلَى الظمأ، ويظهر الليل؛ كأنه معرض جواهر أقيم للحوار العين في السموات، ويبدو الفجر بألوانه، وأنواره، ونسماته؛ كأنه جنة سابحة في الهواء.

نريد شعراً يرى الجمال والطهر ضرورة من ضرورات الخليفة، ومن لم يرزق الذوق والرقعة من دوحة الإسلام والشعر لم ير الأشياء إِلَّا في أسمائها، دون حقائقها ومعانيها.

* أشواق النفس هي مادة الشعر، فليس يكون شعراً إِلَّا إذا وضع المعنى في الحياة التي ليس لها معنى، فكيف إذا جاء الشعر ليتكلم عن الإسلام، ويرحم الله الرافعي حين يقول:

«لو أردت أن تعرف الأديب من هو؛ لما وجدت أجمع ولا أدق في معناه من أن تسميه «الإنسان الكوني»، وغيره هو إنسان فقط، ومن ذلك ما يبلغ من عمق تأثره بجمال الأشياء ومعانيها، ثم ما يقع من اتصال الموجودات به بآلامها وأفراحها؛ إذ

كانت فيه مع خاصية الإنسان خاصية الكون الشامل، فالطبيعة تثبت بجمال فنه البديع أنه منها، وتدل السماء بما في صناعته من الوحي والأسرار أنه كذلك منها، وتبرهن الحياة بفلسفته وآرائه أنه هو أيضًا منها؛ وهذا وذاك وذلك هو الشمول الذي لا حد له، والاتساع الذي كل آخر فيه لشيء، أول فيه لشيء.

* وهو إنسان يُدلهُ الجمال على نفسه ليدلَّ غيره عليه، وبذلك زيد على معناه معنى، وأضيفَ إليه في إحساسه قوّة إنشاء الإحساس في غيره؛ فأساس عمله دائمًا أن يزيد على كل فكرة صورة لها، ويزيد على كل صورة فكرة فيها، فهو يُدع المعاني للأشكال الجامدة فيوجد الحياة فيها، ويدع الأشكال للمعاني المجردة فيوجد لها هي في الحياة، فكأنه خلّق ليتلقى الحقيقة، ويعطيها للناس ويزيدهم فيها الشعور بجمالها الفني؛ وبالأدباء والعلماء تنمو معاني الحياة؛ كأنما أوجدتهم الحكمة لتنقل بهم الدنيا من حالة إلى حالة؛ وكأن هذا الكون العظيم يمرُّ في أدمغتهم ليحقق نفسه.

* نريد الأدب الذي يأتي بعظمة الأداء صورة لعظمة الأخلاق، وبرقة البيان صورة لركة النفس، وبدقته المتناهية في العمق صورة لدقة النظرة إلى الحياة؛ ويُريك أن الكلام أمة من الألفاظ عاملة في حياة أمة من الناس، ضابطة لها المقاييس التاريخية، مُحكمة لها الأوضاع الإنسانية، مشترطة فيها المثل الأعلى حاملة النور الإلهي على الأرض..

.... وإذا أردت الأدب الذي يُنشئ الأمة إنشاءً ساميًا، ويدفعها إلى المعالي دفعًا، ويردّها عن سَفَاسف الحياة، ويوجّجها بدقّة الإبرة المغناطيسية إلى الآفاق الواسعة، ويسدّدّها في أغراضها التاريخية العالية تسديد القنبلة خرجت من مدفعا الضخم الحُرّ المحكم، ويملأ سرائرها يقينًا ونفوسها حزمًا، وأبصارها نظرًا وعقولها حكمة، وينفدُ بها من مظاهر الكون إلى أسرار الألوهية.

* إن الشاعر هو مَنْ كان لأُمته ولُغتها في مواهب قلمه لقبٌ من ألقاب التاريخ.

* إن الجمال يستعلن في كلام شعراء الإسلام، والخيال يظهر في تعبيرهم والحكمة تهبط إلى الدنيا في تفكيرهم، والمثل الأعلى هم الداعون إليه، والأشواق العليا هم موقظوها.

* الشاعر الإسلامي؛ كأنه إنسان من الفلك يُخزن الأشعة ويُريقها، وفي يده الأنوار والظلال يعمل بها عمل الفجر كلما أظلمت على الناس معاني الحياة، ولا تزال الحكمة تُلقى إليه الفكرة الجميلة؛ ليعطيها هو صورة فكرتها، وتوحي إليه معنى الحق ليؤتيها هو معنى جمال الحق، هو أبداً وراء ما لا ينتهي من جمال، أوله في نفسه وآخره في الجمال الأقدس الذي مسح على هذه النفس الجميلة السامية، فما دام فيه طهر الإسلام وشفافيته ورقة الذوق، فهو دائم يعمل ممزقاً حياته في سُبحات النور تمزيقاً يجتمع منه أدبه، ويجتمع منه شعره، وما شعره إلا صورة حياته. إ. هـ.

الشُّعْرُ الْإِسْلَامِيُّ

● ولله درّ العشماوي حيث يقول:

جَوَادُ شِعْرِكَ فِي الْمِيدَانِ مُنْطَلِقُ	وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ مِنْ إِصْرَارِهِ أَلْقُ
صَهِيلُهُ نَعْمَ يُضْغِي الزَّمَانَ لَهُ	وَنَقَعُهُ لِحِجَابِ الشَّمْسِ يَخْتَرِقُ
وَسِرْجُهُ كَلِمَاتٌ لَا يُخَالِطُهَا	زَيْفٌ وَلَا يَزْتَمِي فِي حُضْنِهَا نَزَقُ
تَشْدُو حَوَافِرُهُ لَحْنًا يَهْشُ لَهُ	قَلْبُ الثَّرَابِ وَتَشْتَخِي لَهُ الطَّرْقُ
جَوَادُ شِعْرِكَ يَجْرِي الثُّورُ فِي دَمِهِ	وَتَشْرَبُ إِلَى غَارَاتِهِ الْعُنُقُ

مُسَافِرٌ وَالْأَمَانِي الْبَيْضُ لَاهِثَةٌ وَرَاءَهُ وَبِحَارِ الشَّوْقِ تَصْطَفِقُ
 إِذَا تَلَفَّتْ غَنَى فَجَرُ غُرَّتِهِ لَحْنُ الضِّيَاءِ وَأَرْخَى طَرْفَهُ الْغَسَقُ
 وَسَافِرَ اللَّيْلِ مَبْهُورًا وَأَعْقَبَهُ فَجَرٌ تَحَفَّزَ لَاسْتِقْبَالِهِ الْأَفُقُ
 كَتَائِبُ الْأَحْرِفِ الْبَيْضَاءِ قَادِمَةٌ يَرْفُهَا قَلَمٌ يَزْهُو بِهِ وَرَقُ
 يَاعَازِفَ الْحَرْفِ مَا كُلُّ الشُّدَاةِ شَدَّوْا وَلَا جَمِيعُ الْقَوَافِي رِيحُهَا عَبَقُ
 كَمْ شَاعِرٍ جَعَلَ الْإِلْحَادَ مِنْهَجَهُ تَوَاتَبُوا نَحْوَهُ بِالشَّوْقِ وَأَعْتَنُقُوا
 سَارُوا فِي دَرْبِهِمْ وَخَلَّ فَإِنْ وَقَفُوا غَاصُوا وَإِنْ حَرَّكَوا أَقْدَامَهُمْ زَلُّوا
 أَبْنَاءُ جِلْدَتَنَا لَكِنَّهُمْ هَجَرُوا وَأَهْلُ مِلَّتِنَا لَكِنَّهُمْ مَرَقُوا^(١)

شِعْرُ التَّائِهِينَ

أَدَبُ التَّائِهِينَ لَيْلٌ وَخَمَرٌ بَيْنَ كَأْسٍ مُحَطَّمٍ أَوْ غِيدِ
 حِينَ يَغْفُو الْقَصِيدُ فِي حَذَرِ الشُّكِّ بِرِ لُخْصِرٍ مُهْفَهَفٍ وَنُهُودِ
 أَدَبٌ ذَلٌّ فِي الْفُجُورِ وَنَامَتْ بَيْنَ أَحْضَانِهِ جُفُونُ الْعَبِيدِ
 يَتَوَارَوْنَ خَلْفَ سَحْرِ شَعَارِ كَاذِبٍ أَوْ زَخَارِفِ وَوُعُودِ
 سَمٌّ مَا شُئْتُ مِنْ مِثَالٍ فَهَذَا أَدَبُ الصَّائِعِ الشَّقِيِّ الْجَحُودِ

(١) جولة مع جواد الشعر من ديوان «شموخ في زمن الانكسار» لعبد الرحمن العشماوي، ص ٥١ - ٥٦، مكتبة الأديب.

سَوْفَ يَفْتَى مَعَ الزَّمَانِ وَيَبْقَى أَدَبُ الْحَقِّ شُعْلَةٌ فِي الْوُجُودِ^(١)

هَلْ يَسْتَوِي الشُّعْرَانِ؟

شِعْرٌ يَمُوتُ وَآخَرُ يَتَسَكَّعُ هَذَا يَمُتُّ عَلَى السَّحَابِ جَنَاحُهُ
وَسِوَاهُ فِي حِمَا الرِّزِيلَةِ يَرْتَعُ هَلْ يَسْتَوِي الشُّعْرَانِ شِعْرٌ مُؤَمَّنُ
وَمُدْجَجٌ بِالْكَفْرِ لَا يَتَوَرَّعُ؟! هَلْ يَسْتَوِي السِّيفُ الَّذِي هَتَكَ الدُّجَى
وَالْآخَرُ الْمُتَزَلِّفُ الْمُتَصَنَّعُ؟ هَلْ يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا مَأْوُهُ
عَذَبٌ وَذَاكَ الْآسُنُ الْمُسْتَنْقَعُ؟ وَمَنْ الْغَرَائِبِ أَنَّ هَذَا رَائِجُ
تَغْدُو بِهِ صَحْفُ الزَّمَانِ وَتَرْجِعُ وَلَهُ مِنَ الْعُشَاقِ أَلْفُ قَبِيلَةٍ
وَلَهُ مِنَ الْأَبْوَابِ جَيْشٌ مُفْزِعُ يَجْثُو بِأَحْضَانِ الْكِبَارِ مُؤَرَّبًا
وَإِذَا مَشَوْا أَوَمَّتْ إِلَيْهِ الْأَصْبُعُ إِنْ شَرَّقُوا فَالْشَّرْقُ أَقْدَسُ قِبْلَةٍ
أَوْ غَرَّبُوا فَالْغَرْبُ نِعَمَ الْمَوْضِعُ يَجْرِي مَعَ التِّيَارِ يَعْرِفُ طَبْعُهُ
وَعَلَى لُحُونِ الْعَازِفِينَ يُوقَعُ يَمْضِي إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ مَلْبِيًّا
وَيَوْمٌ حَانَتِ الْمَسَاءُ وَيَكْرَعُ مَا أَكْثَرَ الرِّيَاطِ فِي أَغْرَاسِهِ
فَلِكُلِّ عُرْسٍ رَايَةٌ تَتَطَوَّعُ

(١) لعدنان النحوي.

والشَّعْرُ مِرَاةُ الشُّعُوبِ فَإِنْ سَمَتْ
 وَإِذَا أَضَاعَتْ فِي الْوُحُولِ جَبِينَهَا
 وَالشَّعْرُ قَنَدِيلُ الْهَدَايَةِ تَارَةً
 لَكِنَّا نَأْبَى الْقَصِيدَةَ حُرَّةً
 وَنَوْدُهَا فِي الْقَصْرِ جَارِيَةً إِذَا
 إِنَّ الْقَصَائِدَ كَالرِّجَالِ فبَعْضُهُمْ
 وَلَقَدْ تَمُوتُ إِذَا تَمُوتُ شَهِيدَةً
 وَقَصَائِدُ مِثْلُ الْعَرَائِسِ مَهْرُهَا
 فَوْقَ النُّجُومِ تَعِيشُ بَعْضُ قَصَائِدِ
 وَأَجْلُهُنَّ قَصِيدَةُ عَرَبِيَّةً
 تَأْبَى عَلَى أَهْلِ الْغُرُورِ غُرُورَهُمْ
 وَتُثَوِّرُ فِي وَجْهِ الطُّغَاةِ وَتُنْبِرِي
 وَإِذَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مَصِيبَةٌ
 وَهِيَ الَّتِي تَأْسُو الْجِرَاحَ بِلَيْلِهِمْ
 وَهِيَ الَّتِي تَنْهَلُ فِي صَحْرَائِهِمْ
 فَالشَّعْرُ أَسْمَى مَا يُقَالُ وَيُدْعَى
 فَالشَّعْرُ مِنْهَا عِنْدَ ذَلِكَ أَضْيَعُ
 وَالشَّعْرُ إِغْصَارٌ يَهْزُ وَيَضْرَعُ
 وَنَوْدُهَا حَمَلًا يُطِيعُ وَيَسْمَعُ
 دُعَيْتَ فَلَا تَأْبَى وَلَا تَتَمَنَّعُ!
 شُمُّ الْأَنْثُوفِ وَبَعْضُهُمْ مُتَمَنِّعُ
 وَيَزُورُهَا الْمَطَرُ الْحَنُونُ فَتَمْرَعُ^(١)
 غَالٍ وَأُخْرَى لَيْسَ فِيهَا مَطْمَعُ
 وَالْبَعْضُ فِي عَفَنِ الْقِمَامَةِ يَقْبَعُ
 فِيهَا مِنَ الْإِسْلَامِ شَمْسٌ تَسْطَعُ
 وَتَشُدُّ مِنْ أَرِ الضَّعِيفِ وَتَمْنَعُ
 لِلظَّالِمِينَ تَوُزُّهُمْ وَتُزْعِرُ
 فَهِيَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهِمْ تَتَوَجَّعُ
 وَالْفَجْرُ مِنْ جَرْحِ الْقَصِيدَةِ يَطْلُعُ
 مَطَرًا وَتَحْفِرُ فِي الصُّخُورِ وَتَزْرَعُ

(١) مِرْعَ الْمَكَانِ وَالْوَادِي يَمْرَعُ: أَخْصَبَ مِنْ كَثْرَةِ الْكَلَاءِ.

حَسْبُ الْقَصَائِدِ أَنَّهَا لَا تَنْحِنِي إِلَّا لَجَبَّارِ السَّمَاءِ وَتَرْكَعُ^(١)

* * * * *

الشعر - «مع الله»

شَرَفَ الْقَوْلِ كُلُّهُ مِنْ هُدَى الْحَقِّ قِ وَسِحْرُ الْبَيَانِ بِالتَّوْحِيدِ
أَدَبٌ يَرْتَوِي الْبَيَانُ لَدَيْهِ مِنْ حَدِيثٍ مِنَ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ
رَفَّ بِالطَّيِّبِ عُودُهُ فَتَمَنَّى كُلُّ رَوْضٍ نَدَاوَةً مِنْ عُودِ
يَنْثُرُ الْجَوْهَرَ الْكَرِيمَ عَلَى الدَّهْرِ رِ غَنِيًّا بِاللُّؤْلُؤِ الْمُنْضُودِ
فَأَتَى الشَّاعِرُ الْمَدْلُ عَلَيْهِ صَاغَهُ مِنْ أَسَاوِرٍ وَعُقُودِ

* * * * *

هُوَ رَفُّ النَّدى عَلَى الْوَرَقِ أَلْيَا بِسِ يَهْتَرُ فِي ربيعٍ جَدِيدِ
هُوَ خَفَقُ الْأَوْتَارِ بِالنَّعْمِ الْحَا نِي عَلَى بَهْجَةٍ وَفَرْحَةٍ عِيدِ
هُوَ زَهْوُ الصَّبَا التَّقِيَّ وَشَوْقُ مِنْ عَفَافٍ وَزِينَةٍ فِي بُرُودِ
هُوَ فِي الْكُونِ آيَةٌ حَوْمِ الْحَجِّ دُ عَلَيْهَا رَوَائِعًا مِنْ نَشِيدِ

* * * * *

(١) محمود مفلح، ديوان «إنها الصحو»، إنها الصحو» ط: ١، دار الوفاء ص ٨.

رَفَرَفَ الشَّوْقُ ، فانتَقَى أدبُ الإِسْدِ لَامٍ مِنْهُ قُمْرِيَّةَ التَّغْرِيدِ
 وَهَبَ الحُبُّ عِنْدَهُ الآيَةَ الكُبْرَى رَى وَأَغْنَى قُدْسِيَّةَ التَّرْدِيدِ
 فَهُوَ اللّٰهُ لَا إِلَهَ سِوَاهُ هِيَ أَعْلَى هَوَى وَأَحْلَى نَشِيدِ
 رَجَّعِي يَا دُنَا جَلَالَ هَوَانَا وَاسْجُدِي وَانْعَمِي بِهِذَا السُّجُودِ
 أَنَا عَبْدٌ لِلّٰهِ مَا أعْظَمَ الحُبَّ بَ وَأَغْنَاهُ بِالْيَقِينِ الشَّدِيدِ
 يَا أَهَازِيحُ يَا نَشِيدَ اللَّيَالِي رَجَّعِي اللَّحْنَ أَوْ أَعِيدِي قَصِيدِي
 أَنَا بِالْحُبِّ نَشُوَّةٌ فِي فَمِ الدَّهْرِ رِ وَلَحْنٌ مِنْ الهَوَى الْمُنْشُودِ

خُلِقَ القلبُ أديباً

عشت مع الأدب الإسلامي عمري كله، وأبكتني أبياته، وتمنيت أن أتفرغ له،
 ولكن شاءت إرادة الله أن يتمنى والدي - رحمه الله - حصولي على بكالوريوس الطب
 فأتتمته براً به، وكان الخير في طاعته، ثم عرفت قدر هذا العلم الذي قال فيه الشافعي:
 «إنما ضيع المسلمون ثلث العلم بتضييعهم للطب، وتركه لليهود والنصارى»

وشاءت إرادة الله أن أتفرغ بعد ذلك للتأليف والدعوة إلى الله.

ولله الحمد والمنة أولاً وأخيراً.

□ ولله در القائل:

خُلِقَ القلبُ أديباً لَمْ يَكُنْ يوماً طبيباً
 غَيْرَ أَنَّ اللّٰهَ لَمَّا قَسَمَ الطَّبَّ نَصيباً

أَبْصَرَ الْقُدْرَةَ فِيهِ وَرَأَى الْخَلْقَ الْعَجِيبَا
 إِنْ أَكُنْ عِشْتُ طَبِيبَا فَأَنَا أَحْيَا أَدِيبَا
 عَشِقَ الشَّعْرَ فُؤَادِي فَاكْتَوَى النَّارَ لَهِيْبَا
 ثُمَّ أَعْطَى اللَّهَ عَهْدًا عَنْ هُدَاهُ لَنْ يَثُوبَا
 وَتَرَاهُ وَالْهُدَى أَلْ بَسَهُ بُرْدًا قَشِيبَا
 يَحْمَدُ الطَّبَّ وَلَكِنْ يَعَشِقُ الشُّغْرَ الْحَبِيبَا
 وَيَغْنِي لِهْدَى الْإِسْلَامِ خُفْرًا وَوَجِيبَا

* * * * *

مع الله

وما أجمل أن يكون الشعر ترانيلًا للغد الآتي.... وأجمل منه أن تكون باكورتته «مع الله»، وأن يكون بدء جمعنا في الشعر الإسلامي تحت هذا العنوان: «مع الله»...

* نعم «مع الله» ... والله در القائل: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ»

□ مع الله:

وقفت عَلَى نَجْوَى الْإِلَهِ جَوَانِحِي
 لذلك قلبي منزل كله ذكر
 ففي صحوتي شوق وفي غفوتي هوى
 وفي مشيتي علم وفي وقفتي سر

□ مع الله:

وأخليت قلبي عن مناجاة غيره
فأصبح طوداً لا يزلزله الغير
أسارع مشتاقاً وأسكت هائماً
وأنطق إجلالاً وما عاقني سير

□ مع الله:

إنا محبوه آثرنا الحياة له
فلا نلام عَلَى إحياء تقواه
إن كان حبي جنوناً بئسما زعموا
يارب زدني جنوناً أنت منحاه
قالوا اتخذْ لكْ جاهًا تستعينْ به
قلت اتخذت فكفوا حسبي الله

جمعه حامداً شاكراً مصلياً راجئاً محبة الله، وأن يكون «مع الله»

سيد بن حسين العفاني

مَعَ اللَّهِ

إِلَيْكَ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرِّكَائِبُ
 وَمِنْكَ وَإِلَّا فَالْمُؤْمَلُ خَائِبُ
 وَفِيكَ وَإِلَّا فَالْغَرَامُ مُضَيِّعُ
 وَعَنْكَ وَإِلَّا فَاتَّخَذْتُ كَاذِبُ

مَعَشَرَ الْمُتَوَجِّهِينَ إِلَى اللَّهِ

□ مَعَشَرَ الْمُتَوَجِّهِينَ إِلَى اللَّهِ: بِحُبِّكُمْ مَا ضَرَّكُمْ مَا فَاتَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا
كَانَ اللَّهُ لَكُمْ حَظًّا، وَمَا ضَرَّكُمْ مِنْ عَادَاتِكُمْ إِذَا كَانَ اللَّهُ لَكُمْ سَلَامًا:
هَنِيئًا لِمَنْ أَضْحَى ^(١) وَأَنْتَ حَبِيبُهُ وَلَوْ أَنَّ لَوَعَاتِ الْغَرَامِ تُذِيبُهُ
وَطُوبَى لِمَنْ لَصَبَّ ^(٢) أَنْتَ سَاكِنُ سِرِّهِ وَلَوْ بَانَ عَنْهُ إِلْفُهُ وَقَرِيبُهُ
وَمَا ضَرَّ صَبًّا أَنْ يَبِيتَ وَمَا لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ نَصِيبُهُ
وَمَنْ تَكُ رَاضٍ عَنْهُ فِي طَيِّ غَيْبِهِ فَمَا ضَرَّهُ فِي النَّاسِ مَنْ يَسْتَغِيبُهُ
فَيَا عِلَّةً فِي الصُّدْرِ أَنْتَ شِفَاؤُهَا وَيَا مَرَضًا فِي الْقَلْبِ أَنْتَ طَبِيبُهُ
عَبِيدُكَ فِي بَابِ الرَّجَا مُتَضَرِّعُ إِذَا لَمْ تُجِبْهُ أَنْتَ مَنْ ذَا يُجِيبُهُ
بَعِيدٌ عَنِ الْأَوْطَانِ يَبْكِي بِذِلَّةٍ وَهَلْ ذَاقَ طَعْمَ الذُّلِّ إِلَّا غَرِيبُهُ
تَصَدَّقَ عَلَى مَنْ ضَاعَ مِنْهُ زَمَانُهُ وَلَمْ يَدْرِ حَتَّى لَاحَ مِنْهُ مَشِيبُهُ
غَدَا خَاسِرًا فَالْعَارُ يَكْفِيهِ وَالْعَنَا وَقَدْ آنَ مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ مَغِيبُهُ ^(٣)

(١) وفي رواية: أَمْسَى.

(٢) الصَّبَابَةُ: رقة الشوق، والصَّبُّ: المُشْتَاق.

(٣) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس.. لابن رجب الحنبلي ص ١٣٩ - طبع
المكتب الإسلامي - دار الخاني، الرياض.

● وَلِلَّهِ دَرْ الْقَائِل:

إِلَيْكَ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرِّكَائِبُ وَمِنْكَ وَإِلَّا فَالْمُؤْمَلُ خَائِبُ
وَفِيكَ وَإِلَّا فَالْغَرَامُ مُضَيِّعٌ وَعَنْكَ وَإِلَّا فَالْمُحَدَّثُ كَاذِبُ^(١)

* * * * *

مَعَ اللَّهِ فِي سَبَحَاتِ الْفِكْرِ مَعَ اللَّهِ فِي لَحَاتِ الْبَصْرِ
مَعَ اللَّهِ فِي زَفَرَاتِ الْحَشَا مَعَ اللَّهِ فِي نَبْضَاتِ الْبَهْرِ
مَعَ اللَّهِ فِي رَعَشَاتِ الْهَوَى مَعَ اللَّهِ فِي خَلَجَاتِ الْأُخْرِ

* * * * *

مَعَ اللَّهِ فِي مُطْمَئِنَّ الْكَرَى مَعَ اللَّهِ عِنْدَ أَمْتِدَادِ السَّهْرِ
مَعَ اللَّهِ أَنْ اجْتِلَاءِ السَّنَا وَنَيْلِ الْمُنَى وَالْهَنَاءِ الْأَغْرِ
مَعَ اللَّهِ حَالَ اتِّقَادِ الْأَسَى وَوَقْعِ الْأَذَى وَاحْتِدَامِ الْخَطَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي حَمَلِ عِبَاءِ الضَّنَى مَعَ اللَّهِ بِالصَّبْرِ فِيمَنْ صَبَرَ
مَعَ اللَّهِ وَالْقَلْبُ فِي نَشْوَةِ مَعَ اللَّهِ وَالنَّفْسُ تَشْكُو الضَّجْرَ
مَعَ اللَّهِ فِي كُلِّ بُؤْسَى وَنُغْمَى مَعَ اللَّهِ فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍ

* * * * *

(١) النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ محمد إسماعيل المقدم ص ١١ - دار الإيمان.

مَعَ اللَّهِ فِي أَمْسِي الْمُنْقِضِي مَعَ اللَّهِ فِي غَدِي الْمُنْتَظَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي غُنْفُوانِ الصُّبَا مَعَ اللَّهِ فِي الضَّعْفِ عِنْدَ الْكِبَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي الْجِسْمِ وَالرُّوحِ وَالشُّعُورِ وَخَفَقِ الرُّؤْيِ وَالْفِكْرِ
مَعَ اللَّهِ قَبْلَ حَيَاتِي وَفِيهَا وَمَا بَعْدَهَا ، عِنْدَ سُكْنَى الْحُفْرِ
مَعَ اللَّهِ فِي النَّشْرِ وَالْحَشْرِ وَالْـ حِسَابِ عَلَى الْعَمَلِ الْمُدَّخَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي فِيءٍ فِرْدَوْسِهِ مَعَ اللَّهِ فِي عَوْدِنَا مِنْ سَقَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي نَبْدِ مَا قَدْ نَهَى مَعَ اللَّهِ بِالسَّمْعِ فِيمَا أَمَرَ
مَعَ اللَّهِ فِي الْجِدِّ مِنْ أَمْرِنَا مَعَ اللَّهِ فِي جَلَسَاتِ السَّمَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي خَلَوَاتِ اللَّيَالِي مَعَ اللَّهِ فِي الرَّهْطِ وَالْمُؤْتَمَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي حُبِّ أَهْلِ الثَّقَى مَعَ اللَّهِ فِي كُرْهِ مَنْ قَدْ فَجَرَ
مَعَ اللَّهِ فِي مُذَلَّهِمِ الدُّجَى مَعَ اللَّهِ عِنْدَ انْبِلَاجِ السَّحَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي لَأَلَاتِ النُّجُومِ وَحَبْلِكَ الْغُيُومِ ، وَضَوْءِ الْقَمَرِ
مَعَ اللَّهِ وَالشَّمْسِ تَكْشُو الدُّنَى مَعَ اللَّهِ وَالشَّهْبُ كَرٌّ وَفَرْ
مَعَ اللَّهِ عِنْدَ هَزِيمِ الرُّغُودِ وَلَمَعِ الْبُرُوقِ وَدَفَقِ الْمَطَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي الْفَلَكَ الْمُسْتَطِيرِ وَفِي الشَّمْسِ تَجْرِي إِلَى مُسْتَقَرِّ
مَعَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فِي سَهْلِهَا وَأَوْدَائِهَا وَالرَّوَاسِي الْكُبَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي الْبَحْرِ مِلْحِ أَجَاكِ مَعَ اللَّهِ فِي سَلْسِيلِ النَّهَرِ

مَعَ اللَّهِ فِي نَأْمَاتِ الْوُجُودِ مَعَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَا قَدْ فَطَرُ
 مَعَ اللَّهِ فِي سَكَنَاتِ الْحَيَاةِ مَعَ اللَّهِ فِي حَرَكَاتِ الْحَجَرِ
 مَعَ اللَّهِ فِي نَسَمَاتِ الرِّيحِ اللُّوَاحِ تَخْطُرُ بَيْنَ الشَّجَرِ
 مَعَ اللَّهِ فِي نَفَحَاتِ الشَّدَا مَعَ اللَّهِ مِلءُ ثُغُورِ الزَّهَرِ
 مَعَ اللَّهِ فِي الْحَقْلِ حُلُوِّ الْجَنَى مَعَ اللَّهِ فِي الرَّوْضِ ذَانِي الثَّمَرِ

* * * * *

مَعَ اللَّهِ سَامِعِ صَوْتِ الدَّيْبِ مِنَ النَّمْلِ أَنَّى وَأَيَّانَ مَرَوْ
 مَعَ اللَّهِ وَالتَّحُلُ يَحْسُو الرَّحِيقَ وَيَحْمِي جَنَاهُ بِوَحْزِ الْإِبْرِ
 مَعَ اللَّهِ فِي رَفْرَفَاتِ الْفَرَاشِ تَلَامَعُ فِي الشَّمْسِ مِثْلَ الدَّرَرْ
 مَعَ اللَّهِ وَالطَّيْرُ تَعْدُو حِمَاصًا وَتَنْعَمُ بِالرِّزْقِ مُنْذُ الْبُكَرِ
 مَعَ اللَّهِ فِي سَيْرِ وَخْشِ الْفَلَاةِ بِهِدِي الْغَرَائِزِ تَقْضِي الْوَطَرْ

* * * * *

مَعَ اللَّهِ يَنْفُخُ مِنْ رُوحِهِ عَلَى حَمَأٍ فَيَكُونُ الْبَشَرِ
 مَعَ اللَّهِ مَا اخْتَلَجَتْ نُطْفَةٌ بِرُوحِ خَفِيٍّ وَمَا دَرَّ دَرْ
 مَعَ اللَّهِ فِيمَا سَيَذَرُّ مِنْ نُفُوسٍ وَفِيمَا مَضَى وَانْدَثَرْ
 مَعَ اللَّهِ مَا اخْتَلَفَتْ فِي الْأَنَامِ طَبَائِعُ أَنْشَاهُمْ وَالذِّكْرِ

مَعَ اللَّهِ مَا افْتَرَقَتْ فِي الْوَرَى لُغَاهُمْ وَأَلْوَانُهُمْ وَالصُّورُ
مَعَ اللَّهِ نَوَّعَ أَشْكَالَهُمْ وَخَصَّ أَنْامِلَهُمْ بِالْأَثَرِ
مَعَ اللَّهِ مَيَّزَ أَذْوَاقَهُمْ فَكُلُّ لَهُ فِي هَوَاهُ نَظَرُ

* * * * *

مَعَ اللَّهِ فِي سَبْرِ كُنْهِ الْوُجُودِ وَرُوحِ الْحَيَاةِ وَسِرِّ الْقَدَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي عَالَمِ الْمَذْرَكَاتِ وَفِي الْغَيْبِ مِنْ كَائِنَاتٍ أُخْرُ
مَعَ اللَّهِ فِيمَا بَدَا وَانْتَشَرَ مَعَ اللَّهِ فِيمَا انْطَوَى وَاسْتَتَرَ
مَعَ اللَّهِ وَفَقَ نَوَامِيْسِهِ مَعَ اللَّهِ رَهْنِ الْقَضَا وَالْقَدَرِ

* * * * *

مَعَ اللَّهِ فِي بَعْثِهِ الْمُرْسَلِينَ هُدَاةَ دُعَاةٍ إِلَى مَا أَمُرُ
مَعَ اللَّهِ فِي وَحْيِ قُرْآنِهِ مَعَ اللَّهِ فِي آيِهِ وَالشُّورِ
مَعَ اللَّهِ فِي قَصَصِ الْأَوَّلِينَ وَفِي قَصَصِ الْأَوَّلِينَ الْعِبرِ
مَعَ اللَّهِ طَوْعًا مَعَ اللَّهِ سَوْقًا فَمَا مِنْ مَلَاذٍ وَلَا مِنْ وَرَزِ
مَعَ اللَّهِ وَالْفَيْضُ مِنْ قُدْسِهِ يُنِيرُ بَصِيرَتَنَا وَالْبَصَرِ
وَيَذْفَعُ أَغْمَاقَ إِيمَانِنَا فِرَارًا إِلَيْهِ وَنِعْمَ الْمَفْرِ
فَنُبْصِرُهُ جَلَّ مِنْ خَالِقِ بِآلَائِهِ الْبَارِعَاتِ الْغُرَرِ

وَنَحْيَا بِهِ ثُمَّ نَحْيَا بِهِ وَنَحْيَا وَنَحْيَا وَنَحْيَا الدَّهْرُ^(١)

● وَلِلَّهِ دَرُّ الْأَمِيرِيِّ حِينَ يَقُولُ:

مَا يَنْ تَسْبِيحِ ضَوْءِ الْبَدْرِ مُؤْتَلَقًا وَيَنْ تَسْبِيحِ مَوْجِ الْبَحْرِ هَدَّارًا
وَقَفْتُ فِي رَكَعَاتِ الْفَجْرِ مُنْتَشِيًا أَسْبَحُ اللَّهَ تَكَرَّرًا وَتَكَرَّرًا
وَرَحْمَةُ اللَّهِ فِي نَفْسِي لَوَامِعُهَا تَمْحُو ذُنُوبِي جَلَّ اللَّهُ غَفَّارًا
وَالْقَلْبُ يَذْكُرُ فِي خَفْقِ تَسَارُعِهِ يَزْدَادُ يَغْمُرُنِي سَعْدًا وَأَنْوَارًا
حَتَّى شَعَرْتُ بِفَيْضِ الذَّاتِ وَانْبَلَجَتْ رُوحِي، وَرُحْتُ مَعَ الْأَفْلَاكِ دَوَّارًا

● وَلِلَّهِ دَرُّهُ حِينَ يَقُولُ:

يَلُوحُ لِأَعْوَارِي بِأَقْبَاسِ فَيْضِهِ فَتَهْتَرُ أَعْوَارِي بِأَقْبَاسِهِ هَرًّا
وَتَبْدُو لِي الْأَكْوَانُ فِي دَوْرَانِهَا حِكَايَاتِ إِبْدَاعٍ وَبَارِئُهَا مَغْزَى

(١) قصيدة «مع الله» لعمر بهاء الدين الأميري من ديوان «مع الله».

□ «مَنْ دُرِّرَ زَيْدٌ بِنِ عَمْرٍو بِنِ نُفَيْلٍ»

«إِلَى اللَّهِ أَهْدِي مِذْحَتِي وَثَنَائِيَا»

● يَا طِيبَ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ الرُّضِيَّةِ وَالشَّاءِ الْعَطِرِ، مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ وَلِسَانٍ حَنِيفٍ ذَاكِرٍ، أَصَابَ الْحَقُّ قَبْلَ الْبُعْثَةِ النَّبَوِّيةِ حِينَ صَلَّتْ عَنْهُ عُقُولُ قَوْمٍ بَعْدَهَا.

إِلَى اللَّهِ أَهْدِي مِذْحَتِي وَثَنَائِيَا	وَقَوْلًا رَضِيًّا لَا يَبْنِي الدَّهْرَ بَاقِيَا
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ	إِلَهُ وَلَا رَبُّ يَكُونُ مُدَانِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنِّيكَ وَالرَّدى	فَإِنَّكَ لَا تُخْفِي مِنَ اللَّهِ خَافِيَا
وإِيَّاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ	فَإِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا
حَنَانِيكَ ^(١) إِنَّ الْجِنَّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ	وَأَنْتَ إِلَهِي رَبَّنَا وَرَجَائِيَا
رَضِيْتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا فَلَنْ أُرَى	أَدِينُ إِلَهًا غَيْرَكَ اللَّهُ ثَانِيَا
وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مِنْ وَرَحْمَةٍ	بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَا
فَقُلْتَ لَهُ اذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوا	إِلَى اللَّهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا
وَقَوْلًا لَهُ أَنْتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ	بَلَا وَتَدِ حَتَّى اطْمَأْنَنْتَ كَمَا هِيَا
وَقَوْلًا لَهُ أَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ	بَلَا عَمَدٍ أَرْفَعُ إِذَا بِكَ بَانِيَا

(١) حَنَانِيكَ: يُرِيدُ: حناناً بعد حنان. ويجوز أن يريد: حناناً في الدنيا، وحناناً في الآخرة.

وَقُولَا لَهُ أَأَنْتَ سَوَّيْتَ وَسَطَها
وَقُولَا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غَدَوَةً
وَقُولَا لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الْحَبَّ فِي الثَّرَى
وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُءُوسِهِ
وَأَنْتَ بِفَضْلِ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُسَا
وَأَنْبَتَ يَقْطِينَا^(٢) عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ
وَلِيَّنِّي لَوْ سَبَّحْتُ بِأَسْمِكَ رَبَّنَا
فَرَبَّ الْعِبَادِ أَلْقَى سَيِّئَا^(٥) وَرَحْمَةً
مُنِيرَا إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا
فَيُضْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضَاحِيَا
فَيُضْبِحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَآيَا
وَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا
وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافٍ^(١) حُوتٍ لَيَالِيَا
مِنَ اللَّهِ لَوْلَا ذَاكَ أَصْبَحَ ضَاحِيَا^(٣)
لَاكْثَرَ إِلَّا مَا غَفَرْتَ خَطَائِيَا^(٤)
عَلَيَّ وَبَارِكْ فِي بَنِيَّ وَمَالِيَا^(٦)

□ وما أعطرَ كلامه حين يقول:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقَالَا

(١) أَضْعَافُ حُوتٍ: جوف الحوت.

(٢) الْيَقْطِينُ: كل شيء ذهب بسطاً في الأرض، ومنه القرع.

(٣) ضاحياً: عارياً بارزاً للشمس.

(٤) معناه: لا أعتمد - وإن صليت - إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي، و«ما» بعد «إلا»

زائدة، و«لو سبَّحْتُ» اعتراض بين اسم إن وخبرها.

(٥) السَّيِّئُ: العطاء.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٣٢/١)، وقد قيل: إن هذه الآيات لأمية بن أبي الصلت، ومن

الآيات التي ذكرها أبو الفرج لزيد:

أَدِينُ إِلَها يُسْتَجَارُ وَلَا أَرَى

أَدِينُ لِمَنْ لَمْ يَسْمَعْ الدُّهْرَ دَاعِيَا

دَحَاَهَا فَلَمَّا رَأَاهَا أُسْتَوَتْ عَلَى الْمَاءِ أَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمُنُّ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالَا
إِذَا هِيَ سَيَقَتْ إِلَى بَلَدَةٍ أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالَا

* * * * *

الإمام محمد بن إبراهيم الوزير إمام اليمن من سادات المحبين

● قرأ رحمه الله هذا البيت:

مَنْ فَاتَهُ مِنْكَ وَقْتُ حَظُّهُ النَّدَمُ وَمَنْ تَكُنْ هَمُّهُ تَسْمُو بِهِ الْهِمَمُ^(١)

● فنسج على منواله:

وَنَاطِرٌ فِي سِوَى مَرَاكٍ حَقٌّ لَهُ
يَفِيضُ مَدْمَعُهُ بِالْدَّمْعِ وَهُوَ دَمٌ
نَسِيتُ كُلَّ طَرِيقٍ كُنْتُ أَعْرِفُهُ
إِلَّا طَرِيقًا يُؤَدِّينِي لِبَابِكُمْ^(٢)
فَسَلَّنِي كُلَّ حَالٍ كُنْتُ آلَفُهُ
فِي وَصْلِهِ الْقَطْعُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ^(٣)

(١) الوقت في اصطلاح الخواص زمن الإقبال عَلَى الله. والندم التوبة عن فوان وقت المراقبة. ومن يكن الله همه وغاية مرامه القرب منه؛ فلا تزال همته تدنيه من مولاه، وتسمو به إلى المناجاة. ففي الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به».

(٢) كان بعض السلف يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ الآية.

(٣) سأل الله أن يسلبه عن وصل كل قاطع عنه وعن القرب من رضوانه، فالقواطع عن الله كثيرة أعظمها الدنيا.

وَأَجْعَلُهُ لِي غَيْرَ مَفْتُونٍ بِهِ أَبَدًا
 حَتَّى يُوفِّيَ لِي حَظِّي بِفَضْلِكُمْ^(١)
 أَدْعُو وَأَرْجُو مَعَ التَّفْوِيزِ مُرْتَضِيًا
 لِمَا قَضَيْتُمْ بِهِ طَوْعًا لِأَمْرِكُمْ
 وَذَاكَ لِي قُرْبَةً مِنْكُمْ بِفَضْلِكُمْ
 وَلَنْ أَحِيبَ وَأَشْقَى فِي دُعَائِكُمْ
 وَلِي بِكُمْ عِوَضٌ عَنْ كُلِّ مُفْتَقِدٍ
 وَلَا تُسَاوِي الْأَمَانِي لِحَظِّ طَيْفِكُمْ^(٢)
 وَإِنَّ تَقْطِيعَ قَلْبِي فِي وِفَاقِكُمْ
 خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَعِيمٍ فِي فِرَاقِكُمْ
 لَكِنَّ عَفْوَكُمْ وَالْفَضْلَ أَوْسَعُ لِي
 فَلَا تُطْفُوا بِعَظِيمِ الْفَضْلِ عَبْدَكُمْ

* * * * *

مُحِبِّ خَلَا بِالْحُبِّ خَلْوَةً وَاحِدٍ خَلَا بِحَبِيبٍ وَالظَّلَامُ لَهُ سِتْرُ
 يَقُولُ بَذَلْتُ الْحُبَّ يَا مُنْتَهَى الْمُنَى وَيَا نُورَ قَلْبِي أَنْتَ لِي سَيِّدِي دُخْرُ

(١) سأله أن يجعل الحال الذي ألفه غير فاتن له، أو لا يكون هو مفتونًا بالحال الذي كان عليه ومشغولاً به عن الله - تعالى - كما سأل الله أن يوفي حظه حتى الممات.

(٢) إن في الله عوضاً عن كل هالك وخلفاً من كل فائت، وإن رؤية من يحبه في منامه أحب إليه من نيل كل أمنية.

فَلَا تُخْزِنِي يَا رَبُّ وَأَرْحَمْ تَضَرُّعِي
وَقَدْ خِيفْتُ مِنْ يَوْمِ الْمَعَادِ مَخَافَةً
بِفَضْلِكَ زِدْنِي مِنْكَ قُرْبًا وَأَذْنِي
شِفَائِي مَقَامِي فِي الْهَوَى وَهُوَ قَاتِلِي
وَفِي كِبْدِي مِمَّا أَقَاسِي مِنَ الْهَوَى
غَزَا الْحُبِّ قَلْبِي قَاصِدًا بِجُيُوشِهِ
وَحَقِّكَ لَا أَنْسَاكَ مَا دُمْتُ بَاقِيًا
فَقَدْ وَعَظِيمِ الْعَفْوِ أَثْقَلَنِي الْوِزْرُ
تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَيْسَ لِي فِيهِمَا عُذْرُ
إِلَيْكَ دُنُوتًا لَا يُغَيِّرُهُ الدَّهْرُ
وَبَيْنَ سِقَامِي وَالشِّفَا يَنْقُذُ الْعُمُرُ
وَمِنْ زَفَرَاتِ الْحُبِّ يَا وَاجِدِي جَمْرُ
لِيَأْسِرَهُ قَسْرًا فَأَذْهَلَهُ الْأَسْرُ
وَهَلْ يَتَسَلَّى مِنْ مَحَبَّتِهِ فَخْرُهُ؟^(١)

* * * * *

□ الْحَبَّةُ الصَّادِقَةُ تَنْسُخُ مِنْ قَلْبِ الْحُبِّ كُلَّ مَحَبَّةٍ لِسِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

لَقَدْ كَانَ يَسْبِي الْقَلْبَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
يَهِيمُ بِهِذَا ثُمَّ يَأْلَفُ غَيْرَهُ
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي ضَائِعًا قَبْلَ حُبِّكُمْ
فَلَمَّا دَعَا قَلْبِي هَوَاكَ أَجَابَهُ
حُرْمْتُ مُنَائِي مِنْكَ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا
وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ فِي الْوُجُودِ سِوَاكُمْ
ثَمَانُونَ بَلْ تَسْعُونَ نَفْسًا وَأَرْجَحُ
وَيَسْلُوهُمْ مِنْ فَوْرِهِ حِينَ يُصْبَحُ
فَكَانَ بِحُبِّ الْخَلْقِ يَلْهُو وَيَمْرَحُ
فَلَسْتُ أَرَاهُ عَنْ خِبَائِكَ يَتَرَحُ
وَإِنْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِكَ أَفْرَحُ
يَقَرُّ بِهِ الْقَلْبُ الْجَرِيحُ وَيَفْرَحُ

(١) استنشاق نسيم الأنس ص ١٣٩ - ١٤٠.

إِذَا لَعِبْتَ أَيْدِي الْهَوَى بِمُحِبَّتِكُمْ فَلَيْسَ لَهُ عَنْ بَابِكُمْ مُتَرَحِّزُحُ
فَإِنْ أَدْرَكَتْهُ غُرْبَةٌ عَنْ دِيَارِكُمْ فَحُبُّكُمْ بَيْنَ الْحَشَا لَيْسَ يَبْرُحُ
وَكَمْ مُشْتَرٍ فِي الْخَلْقِ قَدْ سَامَ قَلْبُهُ فَلَمْ يَرَهُ إِلَّا لِحُبِّكَ يَصْلُحُ
هَوَى غَيْرِكُمْ نَارٌ تَلْظَى وَمَحْبِسُ وَحُبُّكُمْ الْفِرْدَوْسُ بَلْ هُوَ أَفْسَحُ
فَيَا ضَيِّمَ قَلْبٍ قَدْ تَعَلَّقَ غَيْرِكُمْ وَيَا رَحِمَةً مِمَّا يَجُولُ وَيَكْدَحُ^(١)

رحمك الله يا سمنون.

* * * * *

□ وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ:

فَاخْوَفْ أَوَّلَى بِالْمُسِيءِ إِذَا تَأَلَّهَ وَالْحَزَنُ
وَالْحُبُّ يَجْمُلُ بِالتَّقَى وَبِالنَّقَاءِ مِنَ الدَّرَنِ
لَكِنْ إِذَا مَا لَمْ يُحِبُّكُمْ الْمُسِيءُ فَمَنْ إِذَنْ
أَيُّحِبُّ شَيْئًا غَيْرَكُمْ وَحَيَاتِكُمْ كَلًّا وَلَنْ
أَيُّحِبُّ مَنْ تَأْتِي مَحَبَّتُهُ بِأَنْوَاعِ الْمَحَنِ
وَالسَّعْدُ فِيهَا ذَابِحُ وَالْقَلْبُ فِيهَا مُرْتَهَنُ
دُونَ الَّذِي فِي حُبِّهِ نَيْلُ السَّعَادَةِ وَالْمِنَّ
وَمَحِلُّ بَذْرِ كَمَالِهَا سَعْدُ السُّعُودِ هُوَ الْوَطْنُ

(١) لسمنون المحب، طريق الهجرتين لابن قَيِّم الجوزية ص ١٧ - ١٨، الطبعة السلفية.

وَالْقَلْبُ حِينَ يَحِلُّ فِي تِلْكَ الْمَنَازِلِ وَالِدَمْنُ
يُمْسِي وَيُضْبِحُ مِنْ رِضَا هُوَ وَمِنْ مُنَاهُ فِي وَطْنِ
أُحِبُّهُمْ قَلْبٌ وَيَخُ شَيْءٌ أَنْ يُضَامَ؟ فَلَا إِذَنْ^(١)

● وَمَا أَخْلَى قَوْلَ الْقَائِلِ:

لَمَّا عَلِمْتُ بِأَنْ قَلْبِي فَارِغٌ مِمَّنْ سِوَاكَ مَلَأْتُهُ بِهَوَاكَ
وَمَلَأْتُ كُلِّي مِنْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعُ مِنِّي مَكَانًا خَالِيًا لِسِوَاكَ
فَالْقَلْبُ فِيكَ هَيَامُهُ وَغَرَامُهُ وَالرُّوحُ لَا تَنْفَكُ عَنْ ذِكْرَاكَ
وَالسَّمْعُ لَا يُضْغِي إِلَى مُتَكَلِّمٍ إِلَّا إِذَا مَا حَدَّثُوا بِحُلَاكَ
وَالطَّرْفُ حَيْثُ أَجِيلُهُ مُتَلَفِّتًا فِي كُلِّ شَيْءٍ يَجْتَلِي مَعْنَاكَ

● وَقَوْلَ مَنْ قَالَ:

لَا أَذَاقَ اللَّهَ عَيْنًا أَبْصَرْتُ
غَيْرُكُمْ يَا قُوتَ قَلْبِي سَكَنَّا
لَا وَلَا كَانَتْ قُلُوبٌ سَكَنْتُ
عِنْدَ ذِكْرَاكُمْ وَلَا نَالَتْ مُنَى

● وَهَكَذَا تَكُونُ الْحَبَّةُ:

مَا عَنْكَ يَشْغُلُنِي مَالٌ وَلَا وَلَدٌ
نَسِيتُ بِأَسْمِكَ ذِكْرَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ

(١) طريق الهجرتين، لابن قيم الجوزية، ص ٣٣٣.

فَلَوْ سَفَكْتُ دَمِي فِي التُّرْبِ لَا تُكَبِّتُ
بِهِ حُرُوفَكَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ

● وَهَذَا شَأْنُ الْحَيِّينَ:

أَرْحَمَ حُشَاشَةً نَفْسٍ فِيكَ قَدْ ذَهَبَتْ قَبْلَ الْمَمَاتِ فَهَذَا آخِرُ الرَّمَقِ
وَلَوْ مَضَى الْكُلُّ مِنِّي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا وَإِنَّمَا عَجَبِي لِلْبَعْضِ كَيْفَ بَقِيَ

● وَكَمَالُ الْحُبِّ الصَّوْمُ عَنْ مَا سِوَى اللَّهِ:

كَبُرْتُ هِمَّةً عَبْدٍ طَمِعْتُ فِي أَنْ تَرَاكَ
مَنْ يَصُومُ عَنْ مُفْطَرَاتٍ فَصِيَامِي عَنْ سِوَاكَ

● قَالَ الشَّاعِرُ: -

يَا ذَا الَّذِي أَنْسَ الْفُؤَادُ بِذِكْرِهِ
تَفَنَّى اللَّيَالِي وَالزَّمَانُ بِأَسْرِهِ
أَنْتَ الَّذِي مَا إِنَّ سِوَاهُ أُرِيدُ
وَهَوَاكَ غَضُّ فِي الْفُؤَادِ جَدِيدُ

□ وَالْحُبُّ لَا يُشْغَلُ بِغَيْرِ مَحْبُوبِهِ:

وَشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سِوَى
وَأُدِيمُ لِحَظِ مُحَدَّثِي لِيَرَى
مَا كَانَ عَنْكَ فَإِنَّهُ شُغِلِي
أَنْ قَدْ عَقِلْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي

● وَقَالَ مُحِبُّ اللَّهِ:

وَاللَّهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ
وَلَا جَلَسْتُ إِلَى قَوْمٍ أَحَدَتْهُمْ
إِلَّا وَحُبُّكَ مَقْرُونٌ بِأَنْفَاسِي
إِلَّا وَأَنْتَ حَدِيثِي بَيْنَ جُلَاسِي

- وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ يَتَمَثَّلُ كَثِيرًا بِهَذَا الْبَيْتِ:
وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعَلَّنِي أَحَدْتُ عَنْكَ الْقَلْبَ بِالسَّرِّ خَالِيَا
□ وَكَانَ سَمْنُونُ يَقُولُ:

يَا عَيْنُ سُحِّي أَبَدَا يَا نَفْسُ مُوتِي كَمَدَا
وَلَا تُحْبِّي أَحَدَا إِلَّا الْجَلِيلَ الصَّمَدَا

- لِسَانُ حَالِ أَحَدِهِمْ:
قَدْ صِغَ قَلْبِي عَلَى مِقْدَارِ حُبِّهِمْ فَمَا لِحُبِّ سِوَاهُمْ فِيهِ مُتَسَعُ
● وَالْآخَرُ يَقُولُ:

سَهَرُ الْعُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ بَاطِلٌ وَبُكَاءُهُنَّ لِغَيْرِ فَقْدِكَ ضَائِعُ

- فَيَجَاوِبُهُ ذُو قَدَمٍ رَاسِخٍ فِي مَحَبَّةِ رَبِّهِ:
لَيْسَ لِي عَنْكَ مَا حَيِّثُ بَرَّاحُ أَنْتَ مَنِّي مُمَكِّنٌ فِي الْفَوَادِ

- وَهَذَا فِعْلُ الْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ الصَّادِقِينَ:
لَا كَانَ مَنْ لِسَوَاكَ مِنْهُ قَلْبُهُ وَلَكَ اللِّسَانُ مَعَ الْوَدَادِ الْكَاذِبِ
أَوْ:

لَا كَانَ مَنْ لِسَوَاكَ فِيهِ بَقِيَّةٌ فِيهَا يُقَسِّمُ فِكْرُهُ وَيَسْشُوسُ

- يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ الْوَزِيرِ:

مِثْلُ الْقُلُوبِ إِلَى سِوَاكَ حَرَامُ وَالْغَانِيَاتُ جَمِيعُهَا أَصْنَامُ
فَاغْفِرْ لِقَلْبِي حُبَّ غَيْرِكَ ضَلَّةٌ وَاغْسِلْهُ عَنْهُ كَأَنَّهُ أَحْلَامُ

- وَأَفِضْ عَلَيَّ سِجَالَ حُبِّكَ رَحْمَةً فَلَكَ الْأَيَادِي الْعَمُّ وَالْإِنْعَامُ^(١)
- وقال - رحمه الله -: أنشدني شيخنا العلامة ابنُ ظهيرةَ بمكةَ المكرمة: إذا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمْ ونتركُ الذِّكْرَ أحيانًا فَتَنَتَكِسُ^(٢)
- فردت عليه:

حياتنا إن دَكَّرناكُمْ وَلَوْ نَفْسًا
وموتنا إن خلا مِنَّا لَكُمْ نَفْسٌ
وَذِكْرنا فرغ ذِكْرانِمْ لَنَا كَرَمًا
ذِكْرًا هو الشمسُ مِنْهُ ذَكْرنا قَبَسُ^(٣)
وَذَاكَ فِي سُورَةِ الْأَخْزَابِ يُخْرِجُنَا
جُودًا إِلَى الثَّوْرِ لَمَّا عَمَّنَا الْغُلَسُ^(٤)
فَسَاعِدُونَا عَلَى ذِكْرانِمْ أَبَدًا
عسى يُدالَ عَلَى اسْتِجَاشِنَا الْأَنْسُ^(٥)

* * * * *

- (١) من ديوان مجمع الحقائق والرقائق في ممدوح رب الخلائق لابن الصنعاني - انظر كتاب «مدائح إلهية» ص ٣٨.
- (٢) التَّكْسُ والتَّكَّاسُ بضمها: عود المرض بعد النَّقَى. كما في القاموس.
- (٣) يريد قوله - تعالى -: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، فالذكر منه كَرَمًا وإِكْرَامًا لعبده، وهو كالشَّمْسِ ينور قلوب المذكورين، وذكر العبد رَبَّهُ شعبة منه وفرع عليه.
- (٤) إشارة إلى قوله - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ والغُلَس: الظلمة.
- (٥) بضم الهمزة وبالتحريك - أي فتح النون - ضد الوحشة. ويُدال بضم حرف المضارعة: يُدِل.

● وانظر إلى مَنْ رَقَّ وَرَاقَ، وذاق وأذاق، فإنه على قدرِ الأذواقِ تكونُ
الأشواقُ في مَوَكِبِ المحيِّين؛ انظر إلى أبي مَدِينِ الغوثِ يقولُ:

تَضِيقُ بنا الدُّنْيَا إِذَا غِبْتُمُو عَنَّا	وَتَزْهَقُ بالأشواقِ أرواحنا مِنَّا
بِعَادُكُمْ مَوْتُ وَقُرْبُكُمْ حَيَا	وَإِنْ غِبْتُمُو عَنَّا وَلَوْ نَفْسًا مِنَّا
نَعِيشُ بِذِكْرَاكُمْ إِذَا لَمْ نَرَاكُمْ	أَلَا إِنَّ تَذْكَارَ الأَحِبَّةِ يُنْعِشُنَا
يُحَرِّكُنَا ذِكْرُ الأحاديثِ عنكم	ولولا هَوَاكُم في الحشا ما تَحَرَّكُنَا
وَلَوْلا مَعَانِيكُمْ تَرَاهَا قُلُوبُنَا	إِذَا نَحْنُ أَيْقَاضٌ وفي الليلِ إِنِ نِمْنَا
نَمُوتُ أَسَى مِنْ بُعْدِكُمْ وَصَبَابَةٌ	ولكنَّ في المعنى مَعَانِيكُمْ مَعْنَا
إِذَا لَمْ تَذُقْ مَا ذَاقَتِ النَّاسُ فِي الهَوَى	فَبِاللَّهِ يَا خَالِي الحشا لَا تُعَتِّفُنَا
أَمَا تَنْظُرُ الطَّيْرَ الْمُقْفَصَ يَا فَتَى	إِذَا ذَكَرَ الأوطانَ جَنَّ إِلَى المَعْنَى
وَفَرَّجَ بالتَّغْرِيدِ ما فِي فؤادِهِ	فَيَفْلُقُ أربابَ القلوبِ إِذَا عَنَى
كَذَلِكَ أَرْواحُ المحيِّينَ يَا فَتَى	تُهْزِهُزُّهَا الأشواقُ للعالمِ الأَسْنَى
فِيَا عَاذِلِي كَرَّرَ عَلَيَّ حَدِيثَهُمْ	فَأَعِينُنَا مِنْهُمْ وَأَعِينُهُمْ مِنَّا ^(١)

* * * * *

قال نافع - وكان من عبَّادِ الجزيرة - : «لَيْتَ رَبِّي جَعَلَ ثَوَابِي مِنْ عَمَلِي نَظْرَةً مِنِّي
إِلَيْهِ ثُمَّ يَقُولَ لِي: يَا نَافِعُ كُنْ ثَرِيًّا».

(١) أبو مَدِينِ الغوثِ للدكتور عبد الحليم محمود ص ١١٩ - ١٢١ باختصار - دار المعارف.

● وفي هذا المعنى يَقُولُ الْقَائِلُ:

وَحُرْمَةُ الْوَدِّ مَا لِي عَنْكُمْ عَوْضُ وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكُمْ سَادِتِي غَرَضُ
وَقَدْ شَرَطْتُ عَلَى قَوْمٍ صَحْبَتُهُمْ بِأَنَّ قَلْبِي لَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ قَرَضُ
وَمِنْ حَدِيثِي بِكُمْ قَالُوا بِهِ مَرَضُ فَقُلْتُ لَا زَالَ عَنِّي ذَلِكَ الْمَرَضُ^(١)

● وأنشد بعض العارفين:

يَا حَبِيبَ الْقُلُوبِ مَا لِي سِوَاكَ إِزْحَمَ الْيَوْمَ مُذْنِبًا قَدْ أَتَاكَ
أَنْتَ سُؤْلِي وَمُنِيَّتِي وَسُرُورِي قَدْ أَتَى الْقَلْبُ أَنْ يُحِبَّ سِوَاكَ
يَا مُرَادِي وَسَيِّدِي وَأَعْتِمَادِي طَالَ شَوْقِي مَتَى يَكُونُ لِقَاكَ^(٢)

● وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

هَجَزْتُ الْوَرَى فِي حُبِّ مَنْ جَادَ بِالنِّعَمِ
وَعُفْتُ الْكَرَى شَوْقًا إِلَيْهِ فَلَمْ أُنَمِ
وَمَوَّهْتُ^(٣) دَهْرِي بِالْجُنُونِ عَنِ الْوَرَى
لَأَكْتُمَ مَا بِي مِنْ هَوَاهُ فَمَا انْكُتَمِ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الشُّوقَ وَالْحُبَّ بَائِحًا
كَشَفْتُ قِنَاعِي ثُمَّ قُلْتُ: نَعَمْ نَعَمْ

(١) ، (٢) استنشاق نسيم الأنس ص ٨٥.

(٣) مَوَّهَ الشيء: أي طلاه بفضة أو ذهب، وتحت ذلك نحاس أو حديد، ومنه التمويه: أي التلييس. والمراد هنا: أنفيت هذا الحب عن الخلق وذلك بالتظاهر بالجنون.

فَإِنْ قِيلَ مَجْنُونٌ فَقَدْ جَنَّنِي الْهَوَى
وَأِنْ قِيلَ مِسْقَامٌ فَمَا بِي مِنْ سَقَمٍ
لَقَدْ لَأَمَنِي الْوَاشُونَ فِيكَ جَهَالَةً
فَقُلْتُ لِيُطْرَفِي أَوْضَحَ الْعَذْرُ فَاحْتَشِمُ
فَعَاتَبَهُمْ طَرْفِي بَغَيْرِ تَكَلُّمٍ
وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْهَوَى يُورِثُ السَّقَمَ
فَبِالْحِلْمِ يَا ذَا الْمَنِّ لَا تُبْعِدْنِي
وَقَرِّبْ مَزَارِي مِنْكَ يَا بَارِئَ النَّسَمِ^(١)

* * * * *

● وقال ابن الوزير الصنعائي:

إِلَيْكَ وَجَّهْتُ يَا مَوْلَايَ آمَالِي
فَاسْمَعْ دُعَائِي وَأَرْحَمْ ضَعْفَ أَحْوَالِي
أَرْجُوكَ مَوْلَايَ لَا نَفْسِي وَلَا وَلَدِي
وَلَا صَدِيقِي وَلَا أَهْلِي وَلَا مَالِي
لَمَّا عَرَفْتُكَ لَمْ أَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ
فَلَا الرِّعْيَةَ أَرْجُوهَا وَلَا الْوَالِي

(١) استنشاق نسيم الأنس ص ١٣٥.

فلا تَكَلِّني إِلَى مَنْ لَيْسَ يَكَلُّونِي
 وَكُنْ كَفِيلِي فَأَنْتَ الْكَافِلُ الْكَالِي (١)
 وَلْتَشْقِنِي كَأْسَ حُبٍّ مِنْ وِدَادِكَ يَا
 مَوْلَايَ فَهَوَ شَرَابٌ سَلْسَلٌ حَالِي
 فَلَا وَحَقِّكَ مَا لِلْقَلْبِ مِنْ شَفَفٍ
 إِلَّا بِحُبِّكَ فَأُشْرَحَ لِي بِهِ بِالِي
 وَفِيهِ سُلُوانٌ قَلْبِي عَنْ عِلَاقِهِ
 وَسَلْسَبِيلِي وَسُلُوَائِي وَسَلْسَالِي
 وَمِنْهُ أَحْيَى وَمَنْ فَقَدِي لَهُ مَرَضِي
 وَمَرَّهْمِي أَبَدًا مِنْهُ وَإِبْلَالِي (٢)
 أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى مَوْلَايَ يَرْحَمُنِي
 إِذَا تَقَضَّى بِهِوْلِ الْمَوْتِ إِمْهَالِي
 أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى مَوْلَايَ يَرْحَمُنِي
 فِي بَطْنِ لَحْدٍ وَحَيْشٍ مُظْلَمٍ خَالِي
 هُنَاكَ لَحْمِي لِدُودِ الْقَبْرِ فَآكِهَةً
 وَالْعَظْمُ مِنِّي رَمِيمٌ فِي الثَّرَى بِالِي

(١) كَلَّاهُ: إِذَا حَفَظَهُ.

(٢) الْإِبْلَالُ: الشِّفَاءُ مِنَ الْمَرَضِ.

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى مَوْلَايَ يَزَحْمُنِي
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عُنْفٍ وَأَهْوَالٍ
وَأَنْ أَكُونَ بَعِيدًا مِنْ تَعَطُّفِهِ
مُقَطَّعًا عَنْهُ فِي الْآبَادِ آمَالِي^(١)

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى مَوْلَايَ يَحْشُرُنِي
فِي زُمْرَةِ الْمُصْطَفَى اخْتَارِ وَالْآلِ
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَبَدًا
ضَعْفًا عَلَى قَدْرِ زَخَارِ وَهْطَالِ^(٢)

● وقال رحمه الله^(٣):

وَأَنْتَ لِي عِوَضٌ عَنْ كُلِّ مُفْتَقِدٍ مَالِي وَأَهْلِي وَخِلَانِي وَجِيرَانِي^(٤)
وَأَنْسُ غَيْرِكَ مِثْلُ الطَّيْفِ عَنْ كَثَبٍ يَفْنَى وَلَيْسَ بِوَافٍ ذَلِكَ الْفَانِي
كَانَتْ لِقَلْبِي أَشْجَانٌ مَفْرَقَةٌ فَاسْتَجْمَعَتْ بِكَ فَضْلًا كُلُّ أَشْجَانِي
فَأَسْكَرَ الْقَلْبَ تَفْوِيضًا وَطِيبَ رَضَى إِذَا تَعَرَّضَ فِيهِ الصَّخَوُ أَشْجَانِي^(٥)

(١) الآباد جمع أبد: وهو الدهر.

(٢) زخار: صفة للبحر، والهطال: صفة للغيث.

(٣) ديوان ابن الوزير ص ١٥، ١٦.

(٤) خُلَان: جمع خليل.

(٥) في نسخة: فضلاً منك أشجاني.

رَضَى يُرْدُ حَرَّ النَّارِ إِنْ لَفَحَتْ عِنْدَ الْوُرُودِ وَيُولِي دَارَ رُضْوَانٍ
 وَقَدْ أَتَى فِي صَحِيحِ الثَّقَلِ أَنَّ جَزَا الرُّضَى رِضًا فَارَضَ وَأَمْنَحْنِي بِرُضْوَانٍ
 كَذَلِكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً وَرَدَتْ بِذَلِكَ فِي خَيْرِ تَفْسِيرِ لِقُرْآنٍ
 وَقَدْ عَقَدْتُ عَلَى هَذَا الضَّمِيرِ كَمَا مَنَنْتَ إِلَّا بِتَلْوِينِي وَنَسْيَانِي^(١)
 فَارْفَعُهُمَا مُنْعِمًا وَأَغْسِلْ كُذُورَهُمَا عَنْ وَائِقِي بِكَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ

* * * * *

(١) عَلَى هَذَا: أَيُّ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ، أَيُّ: جَزَمْتُ بِهِ جَزْمًا لَا يَخْلُ إِلَّا أَنْ أُبْتَلَى بِالتَّلَوْنِ وَانْقَلَبَ الْقَلْبُ
 وَالنَّسْيَانُ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْفَعَهُ.

حَدِيثُ الرُّوحِ

مُحَمَّدٌ إِقْبَالُ

حَدِيثُ الرُّوحِ لِلْأَزْوَاجِ يَسْرِي وَتُذَرِّكُهُ الْقُلُوبُ بِلَا عَنَاءٍ
هَتَفْتُ بِهِ فَطَارَ بِلَا جَنَاحٍ وَشَقَّ أَنْيَنُهُ صَدْرَ الْفَضَاءِ
وَمَعْدِنُهُ تُرَابِيٌّ وَلَكِنْ جَرَتْ فِي لَفْظِهِ لَغَةُ السَّمَاءِ
لَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعُ الْعِشْقِ فِيهِ حَدِيثًا كَانَ عُلوِّيَّ النَّدَاءِ
فَحَلَّقَ فِي رَبِّهَا الْأَفْلَاكِ حَتَّى أَهَاجَ الْعَالَمَ الْأَعْلَى بُكَائِي

* * * * *

تَحَاوَرَتِ النُّجُومُ وَقُلْنَ صَوْتُ بِقُرْبِ الْعَرِيشِ مَوْضُولُ الدُّعَاءِ
وَجَاوَبَتِ الْمَجَرَّةُ عَلَّ طَيْفًا سَرَى بَيْنَ الْكَوَاكِبِ فِي خَفَاءِ
وَقَالَ الْبَدْرُ هَذَا قَلْبُ شَاكِ يُوَاصِلُ شَدْوَهُ عِنْدَ الْمَسَاءِ
وَلَمْ يَعْرِفْ سِوَى رِضْوَانِ صَوْتِي وَمَا أَحْرَاهُ عِنْدِي بِالْوَفَاءِ

* * * * *

شَكَّوَايَ أَمْ نَجْوَايَ فِي هَذَا الدُّجَى وَنُجُومُ لَيْلِي حُسْدِي أَمْ عُودِي
أَمْسَيْتُ فِي الْمَاضِي أَعِيشُ كَأَنَّنِي قَطَعَ الزَّمَانُ طَرِيقَ أَمْسِي عَنْ غَدِي

والطَّيْرُ صَادِقَةٌ عَلَى أَغْصَانِهَا تُبْكِي الرَّبِّي بِأَنِينِهَا الْمُتَجَدِّدِ
 قَدْ طَالَ تَسْهِيدِي وَطَالَ نَشِيدُهَا وَمَدَامَعِي كَالظِّلِّ فِي الْغُصْنِ النَّدِيِّ
 فَإِلَى مَتَى صَمْتِي كَأَنِّي زَهْرَةٌ خَرَسَاءُ لَمْ تُرْزَقْ بَرَاعَهُ مُنْشِدِ

* * * * *

فَإِثَارَتِي مُلِئْتُ بِأَنَاتِ الْجَوَى لَا بُدَّ لِلْمَكْبُوتِ مِنْ فَيْضَانِ
 صَعَدْتُ إِلَى شَفَتِي خَوَاطِرُ مُهْجَتِي لِيَبِينَنَّ عَنْهَا مَنْطِقِي وَلِسَانِي
 أَنَا مَا تَعَدَّيْتُ الْقِنَاعَةَ وَالرِّضَا لَكِنَّمَا هِيَ قِصَّةُ الْأَشْجَانِ
 يَشْكُو لَكَ اللَّهُمَّ قَلْبٌ لَمْ يَعِشْ إِلَّا لِحَمْدِ عُلَاكَ فِي الْأَكْوَانِ

* * * * *

مَنْ كَانَ يَهْتَفُ بِأَسْمِ ذَاتِكَ قَبْلَنَا مَنْ كَانَ يَدْعُو الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ
 عَبَدُوا الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ جِهَالَةً لَمْ يَبْلُغُوا مِنْ هَدْيِهَا أَنْوَارَ
 هَلْ أَعْلَنَ التَّوْحِيدَ دَاعٍ قَبْلَنَا وَهَدَى الْقُلُوبَ إِلَيْكَ وَالْأَنْظَارَ
 نَدْعُو جَهَارًا لَا إِلَهَ سِوَى الَّذِي صَنَعَ الْوُجُودَ وَقَدَّرَ الْأَقْدَارَ

* * * * *

إِذَا الْإِيمَانُ ضَاعَ فَلَا أَمَانٌ وَلَا دُنْيَا لِمَنْ لَمْ يُحْيِ دِينَا
 وَمَنْ رَضِيَ الْحَيَاةَ بغيرِ دِينٍ فَقَدْ جَعَلَ الْفَنَاءَ لَهَا قَرِينَا

وفي التوحيد للهَمَّ اتِّحَادٌ وَلَنْ تَبْنُوا الْعُلَا مُتَفَرِّقِينَ

* * * * *

أَلَمْ يُبْعَثْ لَأَمَّتِكُمْ نَبِيٌّ يُوحِّدُكُمْ عَلَى نَهْجِ الْوِثَامِ
وَمُصَحِّفُكُمْ وَقَبَلْتُكُمْ جَمِيعًا مَنَارٌ لِلْأُخُوَّةِ وَالسَّلَامِ
وَفَوْقَ الْكُلِّ رَحْمَانٌ رَحِيمٌ إِلَهُ وَاحِدٌ رَبُّ الْأَنْعَامِ^(١)

* * * * *

● وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ:

وَرَبِّ عَلِيمٍ بِذَاتِ الصُّدُورِ يُذِلُّ لِعِزَّتِهِ الْكَابِرُ
يَدِينُ لَهُ النُّجُومُ فِي سَبْحِهِ يَدِينُ لَهُ الْفَلَكَ الدَّائِرُ
يَدِينُ لَهُ الْفَرْخُ فِي عُشِّهِ وَنَسْرُ السَّمَاءِ الْجَارِحُ الْكَاسِرُ
تَدِينُ الْبِحَارُ وَحِثَانُهَا وَمَاءُ سَحَابَاتِهَا الْقَاطِرُ
تَدِينُ لَهُ الْأَسَدُ فِي غَابِهَا وَظَبْيُ الْفَلَا الشَّارِدُ النَّافِرُ
يَدِينُ لَهُ الذَّرُّ فِي سَعْيِهِ يَدِينُ لَهُ الرَّاحِفُ النَّاشِرُ
تَدِينُ النَّجَادُ تَدِينُ الْوَهَادُ يَدِينُ لَهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ
يَدِينُ الْجَلِيُّ يَدِينُ الْخَفِيُّ يَدِينُ لَهُ الْجَهْرُ وَالْخَاطِرُ
تَدِينُ الْحَيَاةُ يَدِينُ الْوُجُودُ يَدِينُ الْمَقْدَرُ وَالْحَاضِرُ

(١) نظمها بالعربية الشاعر الشيخ الصاوي شعلان. انظر كتاب «محمد إقبال» للدكتور خالد عباس أسدي ص ٨٩ - ٩٠.

وَكُلُّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ رُجُوعٌ وَفَوْقَ الْعِبَادِ هُوَ الْقَاهِرُ

● قَالَ ابْنُ الْوَزِيرِ الصَّنْعَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي حُبِّ اللَّهِ:

أَلَا حَبْنًا حُبُّ الَّذِي الْمَوْتُ لُقْيَاهُ (*)

وَحُبُّ الَّذِي دَارُ الْبَقَا مِنْ عَطَايَاهُ

وَحُبُّ الَّذِي تَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ

وَفِي اللَّيْلِ تَلْقَاهُ وَفِي الْقَفْرِ تَلْقَاهُ (١)

وَفِي الْبَحْرِ تَلْقَاهُ إِذَا هَاجَ وَازْتَمَى

وَفِي الْقَبْرِ تَلْقَاهُ وَفِي الْحَشْرِ تَلْقَاهُ

وَحُبُّ الَّذِي نَرْجُوهُ يَكْشِفُ كُلَّ مَا

نَخَافُ وَيُعْطِي كُلَّ مَا نَسْرَجَاهُ

وَحُبُّ الَّذِي يَسْعَى إِلَى الْعَبْدِ إِنْ مَشَى

بَطِيئًا فَيَا بُشْرَى الْمَشَاةِ بِمَسْعَاهُ

وَحُبُّ مَلِكٍ كُلَّمَا شَاءَ قَالَ كُنْ

رَجِيمٍ حَمِيدٍ كُلُّ مَنْ سَالَ لَبَاهُ (٢)

(*) ثبت في الأحاديث الصحاح تسمية فراق الدنيا بالموت وبلقاء الله كما جاء في حديث: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه».

(١) ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾.

(٢) ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

إِذَا ضَعُفَ الْإِنْسَانُ أَوْ قَلَّ مَالُهُ
 تَجَنَّبَهُ مَنْ كَانَ يَرْجُوهُ إِلَّا هُوَ
 فَبِالضَّعْفِ وَالْإِقْلَالِ يَزْدَادُ رَحْمَةً
 وَقَرَّبًا وَيُنَجِّيهِ وَيَخُورُ خَطَايَاهُ
 وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتِهِ قَبْلَ أَهْلِهَا
 بِخَمْسِ مِئِينَ حِينَ قَدَّمَ بَلَوَاهُ^(١)
 وَيَجْزِيهِ إِنْ يَرْضَ الرِّضَا وَبِصَبْرِهِ
 بِغَيْرِ حِسَابٍ فِي الْكِتَابِ يُوقَاهُ
 فَلَا الْعَجْزُ يَخْشَاهُ الْمُرْجِيُّ لِفَضْلِهِ
 وَلَا قِلَّةُ الْمَعْرُوفِ وَالْفَضْلِ يَخْشَاهُ
 يُنِيلُ الَّذِي يَدْعُوهُ مَا لَا يَضُرُّهُ
 مُعِضًّا لَهُ عَمَّا يَضُرُّ بِعُقْبَاهُ
 وَيَصْرِفُ مَا قَدْ خَافَ إِلَّا الَّذِي لَهُ
 بِهِ الْحِظُّ وَالنَّفْعُ الْعَظِيمُ فَيُؤْتَاهُ
 فَبَاطِنُهُ فِي الشَّرِّ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ
 وَظَاهِرُهُ بَلَوَى لِيُجْزَى بِبَلَوَاهُ
 وَحُبُّ الَّذِي يَمْحُو الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا
 بِتَوْبٍ وَبِاسْتِغْفَارِهِ وَبِرُحْمَاهُ

(١) كلما ضعف العبد انكسر وكان أقرب إلى الله، لأنه بضعفه وفقره ينكسر قلبه.

وَحُبُّ الَّذِي يُخْشَى مَعَ الْحِلْمِ بِأُسْهُ
 فَيَغْفِرُ عَلَى مَنْ قَدْ عَصَى حِينَ يَخْشَاهُ
 وَحُبُّ الَّذِي يُغْصَى فَيَسْتُرُ مَنْ عَصَى
 وَيَرْزُقُهُ بَعْدَ الْمَعَاصِي وَيَرْعَاهُ
 وَإِنْ طَالَ فِي الْعِضْيَانِ إِسْرَافُ مُؤْمِنٍ
 أَتَاهُ بِالْطَّافِ بِهَا يَتَلَقَّاهُ
 وَإِنْ عَاقَبَ الْعَبْدَ الْمُسِيءَ بِفَعْلِهِ
 فَمِنْ حَكَمٍ لِلَّهِ يَغْلَمُهَا اللَّهُ
 وَإِنْ تَابَ لَمْ يُغْلِقْ عَنِ التَّوْبِ بَابَهُ
 وَلَكِنْ يُلَبِّيه سَرِيعًا وَيَرْضَاهُ
 أَلَا حَبِذَا حُبُّ الَّذِي جَمَعَ الثَّنَا
 وَأَفْعَالُهُ حُسْنَى جَمِيعًا وَأَسْمَاهُ
 وَمَنْ عَذَلَهُ كَالْفَضْلِ فِي الْحَمْدِ وَالثَّنَا
 وَعَقَّبَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَثْنَاهُ^(١)
 وَصَلَّ إِلَهِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
 عَلَى الْمُضْطَفَى وَالْآلِ سُكَّانِ أَخْشَاهُ^(٢)

* * * * *

(١) أي أنه يحمده العباد على السراء وهو الفضل، والضراء وهو العدل. وقوله «وعقبه»: أي العدل.

(٢) كأنه يشير إلى أن الأولاد ثمرة الفؤاد فهم سكانه.

● يقول طيبُ القلوبِ وحادي الأرواحِ إلى بلادِ الأفراحِ ابنُ قَيمِ الجوزيةِ - رحمه الله:

فَمَا كُلُّ عَيْنٍ بِالْحَبِيبِ قَرِيرَةٌ وَلَا كُلُّ مَنْ نُودِيَ يُجِيبُ الْمُنَادِيَا
وَمَنْ لَا يُجِيبُ دَاعِي هَذَاكَ فَخَلَّهُ يُجِيبُ كُلُّ مَنْ أَضْحَى إِلَى الْغَيِّ دَاعِيَا
وَقُلْ لِلْعُيُونِ الرُّمْدِ إِيَّاكَ أَنْ تَرَى سَنَا الشَّمْسِ فَاسْتَعْشِي ظِلَامَ اللَّيَالِيَا
وَسَامِعِ نَفُوسًا لَمْ يَهَبْهَا لِحُبِّهِمْ وَدَعَهَا وَمَا اخْتَارَتْ وَلَا تَكُ جَافِيَا
وَقُلْ لِلَّذِي قَدْ غَابَ يَكْفِي عُقُوبَةً مَغِيْبِكَ عَنْ ذَا الشَّأْنِ لَوْ كُنْتَ وَاعِيَا
وَوَاللَّهِ لَوْ أَضْحَى نَصِيْبُكَ وَافِرًا رَحِمْتَ عَدُوًّا حَاسِدًا لَكَ قَالِيَا
أَلَمْ تَرَ آثَارَ الْقَطِيعَةِ قَدْ بَدَتْ عَلَى حَالِهِ فَارْحَمْهُ إِنْ كُنْتَ رَائِيَا
خَفَافِيشُ أَعْشَاهَا النَّهَارُ بِضَوْوِهِ وَلَاءُهَا قِطْعٌ مِنَ اللَّيْلِ بَادِيَا
فَجَالَتْ وَصَالَتْ فِيهِ حَتَّى إِذَا النَّهْ لَارُ بَدَا اسْتَحْفَتْ وَأَعْطَتْ تَوَارِيَا
إِذَا ظُلْمَةُ اللَّيْلِ انْجَلَّتْ بِضِيَائِهَا يَعُودُ لِعَيْنَيْهِ ظِلَامًا كَمَا هِيَا
فِيَا مِحْنَةَ الْحَسَنَاءِ تُهْدِي إِلَى أَمْرِي ضَرِيرٍ وَعَيْنَيْنِ مِنَ الْوَجْدِ خَالِيَا
فُضِّنْ بِهَا إِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ قَدْرَهَا إِلَى أَنْ تَرَى كُفْنًا أَتَاكَ مُوَافِيَا
فَمَا مَهْرَهَا شَيْءٌ سِوَى الرُّوحِ أَثَرِهَا جَبَانُ تَأَخَّرَ لَسْتَ كُفْنًا مُسَاوِيَا
فَكُنْ أَبَدًا حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ رَكَائِبُ الْ مَحَبَّةِ فِي ظَهْرِ الْعَزْمِ سَارِيَا
وَأَذْلِجْ وَلَا تَخْشَ الظَّلَامَ فَإِنَّهُ سَيَكْفِيكَ وَجْهَ الْحَبِّ فِي اللَّيْلِ هَادِيَا

وَسَقَّهَا بِذِكْرَاهُ مَطَايَاكَ إِنَّهُ
وَعَدَهَا بِرُوحِ الْوَصْلِ تُعْطِيكَ سَيْرَهَا
وَأَقْدِمُ فَإِمَّا مُنِيَّةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ
فَمَا تَمَّ إِلَّا الْوَصْلُ أَوْ كَلَّفَ بِهِمْ
أَمَّا سَمِعْتَ مِنْ عَيْشِهَا نَفْسُ وَالِهِ
أَمَّا مَوْتُهُ فِيهِمْ حَيَاةٌ؟ وَذُلُّهُ
وَلَمَّا ادَّعَيْتُ الْحُبَّ قَالَتْ كَذَّبْتَنِي
فَلَا حُبَّ حَتَّى يَلْصِقُ الْقَلْبُ بِالْحَشَا
وَتَنْحَلَّ حَتَّى لَا يُقَيِّ لَكَ الْهَوَى

سَيَكْفِي الْمَطَايَا طِيبُ ذِكْرَاهُ حَادِيَا
فَمَا شَتَّ وَأَسْتَبَقِ الْعِظَامَ الْبَوَالِيَا
تُرِيحُكَ مِنْ عَيْشٍ بِهِ لَسْتُ رَاضِيَا
وَحَسْبُكَ فَوْزًا ذَاكَ إِنْ كُنْتَ وَاعِيَا
تَبِيْتُ بِنَارِ الْبُعْدِ تَلْقَى الْمَكَاوِيَا
هُوَ الْعِزُّ وَالتَّوْفِيقُ مَا زَالَ غَالِيَا
فَمَا لِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
وَتَذْذِلَ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمُتَادِيَا
سِوَى مُقَلَّةٍ تَبْكِي بِهَا وَتُنَاجِيَا

* * * * *

● وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ:

إِذَا الْوَرُودُ خَلَّتْ مِنْ طِيبِ نَفْحَتِهَا
إِذَا الْوَجُوهُ خَلَّتْ مِنْ نَوْرِ سَجْدَتِهَا
إِذَا الْقُلُوبُ خَلَّتْ مِنْ ذِكْرِ خَالِقِهَا
إِذَا خَلَا الْمَرءُ مِنْ فَهْمٍ وَمَعْرِفَةٍ

فَلَا تُزَاحِمُ بِهَا فِي الْأَرْضِ بُشْتَانَا
لَمْ تَسْتَحِقَّ غَدَاةَ الْمَوْتِ أَكْفَانَا
فَهِيَ الصُّخُورُ الَّتِي تَحْتُلُّ أَبْدَانَا
ظَلَمْتَ نَفْسَكَ لَوْ تَدْعُوهُ إِنْسَانَا

* * *

● ولله در القائل:

لَيْسَ مَنْ بَاتَ قَرِيرًا عَيْنُهُ	مِثْلُ مَنْ أَصْبَحَ قَفْرًا دَارِسًا
لَيْسَ مَنْ أَكْرَمَ بِالْوَصْلِ كَمَنْ	ظَلَّ يَهْدِي بِلَعْلٍ وَعَسَى
لَيْسَ مَنْ أَلْبَسَ أَثْوَابَ الثَّقَى	مِثْلُ مَنْ أَلْبَسَ ثَوْبًا دَنَسًا
لَيْسَ مَنْ سِيرَ بِهِ مِثْلُ الَّذِي	بَاتَ يَزْعَى لِلْحِمَى مُبْتَسَا
لَيْسَ مَنْ شَاهَدَ صُبْحًا وَاضِحًا	مِثْلُ مَنْ شَاهَدَ لَيْلًا غَلَسًا
لَيْسَ مَنْ بُوِّئَ رَوْضَاتِ الْحِمَى	مِثْلُ مَنْ أَسْكَنَ قَفْرًا يَابِسًا
لَيْسَ مَنْ أَشْبَهَ غُضْنَا يَانِعًا	مِثْلُ مَنْ أَشْبَهَ عُودًا يَابِسًا

● ولله در القائل:

هَلْ يَسْتَوِي مَنْ رَسُولُ اللَّهِ قَائِدُهُ
دَوْمًا وَآخَرُ هَادِيهِ أَبُو لَهَبٍ

عَبِيرُ الْحَيْنِ لِلَّهِ

طَابَ فِي نَشْرِهِ عَبِيرُ غَرَامِي فَتَضَافَيْتُ وَالْهَوَى يَهْدِينِي
وَحَيَاتِي حَيَاةَ عَالِمِ قَوْمٍ عَرَفَ الْحَقَّ دُونَ أَيِّ فُتُونٍ
وَمُقَامِي مُقَامَ صَبٍّ مُعْنَى ثَابِتِ الْجَأْشِ صَادِقِ التَّمَكِينِ
دَعَوَاتِي مَنِ الضُّيَاءِ ضِيَاءٍ صِرْتُ كَالْفَرْقَدَيْنِ فِي التَّبَيِّنِ
إِنْ سَكَنْتُ الثَّرَى بِجِسْمِي فَرُوحِي فِي سَمَاءِ الْهُدَى وَنُورِ الْيَقِينِ
يَزُمُّسُ النَّاسُ فِي الْقُبُورِ وَرَمْسِي حُبُّ رَبِّي وَفَضْلُهُ يَكْفِينِي
طَالَ نَوْحِي وَلَسْتُ إِلَّا مُحِبًّا سَمِعَ الطَّيْرَ مِنْ أَعَالِي الْعُصُونِ
وَسَمِعْتُ الطَّيُورَ وَهِيَ تُنَاجِي وَالتَّنَاجِي يُثِيرُ شَجْوَ الْحَيْنِ
فَتَنَاجَيْتُ بِالْأَغَارِيدِ حَتَّى هَامَتِ الطَّيْرُ مِنْ سَمَاعِ حَيْنِي
لَمْ أُمْتِغْ بِغَيْرِ رَبِّي قَلْبِي وَلِهَذَا مَاءُ الْهُدَى يَزِرُونِي
وَأَنَا الثَّابِتُ الْحُبِّ دَوَامًا لَسْتُ أَخْشَى عَذْلَ مَنْ عَذَّلُونِي
لَوْ يَذُوقُونَ بَعْضَ مَا ذُقْتُ فِيهِ خَفَّفُوا عَذْلَهُمْ وَقَدْ عَذَّرُونِي
أُخْضِعُ الرَّاسِيَاتِ مِنْ كَلِمِ الْعِشْدِ قِي فَتَعْنُو الْجِبَالَ عِنْدَ أُنْيِي
فَمَرَامِي وَجْهَ الْحَبِيبِ وَإِنْ مِثْتُ شَهِيدًا فِي الرِّحَابِ ذُرُونِي
أَمَلِي فِيهِ أَنْ يُكْفَّرَ عَنِّي مَا تَجَاوَزْتُ مِنْ حُدُودِ الدِّينِ

أَنَا إِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا وَأَثِيمًا إِنَّمَا ذُو الْجَلَالِ لَا يُرْدِينِي
 أَنَا إِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا وَأَثِيمًا فَرَحِيمُ الْعِبَادِ لَا يُخْزِينِي
 أَنَا إِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا وَأَثِيمًا فَرِضَا اللَّهِ سَوْفَ لَا يُخْطِينِي
 أَنَا إِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا وَأَثِيمًا فَإِلَهِي مِنَ الضَّنَى يَشْفِينِي
 أَنَا إِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا وَأَثِيمًا إِنَّمَا رَحْمَةُ الْإِلَهِ تَقِينِي
 عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ قَلْبِي ضَعِيفٌ فَرَوَانِي بِمَاءِ عَيْنِ الْيَقِينِ

* * * * *

● وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَاتِلِ:

الْحُبُّ إِنْ مَلَكَ النُّفُوسَ أَعَزَّهَا وَالْعَاشِقُونَ بِرَبِّهِمْ عُلَمَاءُ
 وَالْأَصْلُ فِي الدُّنْيَا الْحَبَّةُ وَالْهُدَى لَوْلَا الْهُدَى لَمْ تُخْلَقِ الْأَشْيَاءُ
 فَإِذَا اتَّقَيْنَا اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ قُضِيَتْ حَوَائِجُنَا وَسَالَ الْمَاءُ
 مَنْ يَصْدُقُوا فَازُوا وَمَنْ سَهَرُوا عَلَوْا وَلَهُمْ أَضَاءَتْ فِي الدَّجَى الزُّهْرَاءُ
 مَنْ لَمْ يَذُوقُوا ذِكْرَ خَلَاقِ السَّمَاءِ هُمْ وَالبَهَائِمُ فِي الْمَقَامِ سَوَاءُ
 بَلْ رُبَّمَا فَطِنَ الْبَهِيمُ لِرَبِّهِ وَالْعَافِلُونَ عَنِ الْهُدَى بُلَهَاءُ
 كُونُوا عَلَى هَذِي الطَّرِيقِ يُعِزُّكُمْ رَبُّ الْوَرَى هَذَا هُوَ الْإِهْدَاءُ
 لَيْسَ الْعَطَاءُ الْمَالُ عِنْدَ أُولِي النَّهْيِ أَلْعِلْمُ عِنْدَ الْمُوقِنِينَ عَطَاءُ

* * * * *

رَضِينَا بِمَا يُرِضِيكَ أَنْتَ مُنَانَا
 وَكُلُّ فُؤَادٍ غَافِلٍ عَنْكَ صَخْرَةٌ
 وَنَفْسٌ هَوَتْ فِي الْعِيِّ مِنْ بَدْءِ أَمْرِهَا
 وَبِالذِّكْرِ كَانَتْ أَرْضٌ تَبِيرُ لِأَهْلِهَا
 وَمَنْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ بِالْقَلْبِ صَادِقًا
 وَرُبَّ فَتَى فِي النَّاسِ رَثَّتْ ثِيَابُهُ
 إِذَا كُنْتَ تَهْوِي اللَّهُ نِلْتَ مَكَانَهُ
 وَرُوحِي تَسْتَغْنِي عَنِ النَّاسِ بِاسْمِهِ
 وَنَحْنُ قُلُوبٌ طَهَّرَ اللَّهُ أَضْلَهَا
 وَلَمْ نَتَكَلَّمْ إِلَّا فَاضَ حُبُّنَا
 إِلَّا أَيُّهَا اللَّاحِي تَجَرَّعَ كُؤُوسَنَا
 وَتَعْرِفَ عَنَّا وَدَّنَا وَغَرَامَنَا
 تَجَلَّتْ لَنَا الْأَنْوَارُ مِنْ عَالِمِ الْبَقَا
 فَنَيْنَا بِهَا حُبًّا فَطَابَتْ حَيَاتُنَا
 وَإِنْ نَطْلُبُ اللَّقِيَا فَأَنْتَ عَلَانَا
 وَلَكِنَّهُ إِنْ ذَاقَ ذِكْرَكَ لَنَا
 إِذَا ذَكَرْتَ يَوْمًا تَنَالُ أَمَانَا
 وَبِالذِّكْرِ تُكْسِي عِرَّةً وَحَنَانَا
 عَلَا فَوْقَ أَغْنَاكِ الْمُلُوكِ مَكَانَا
 وَلَكِنَّهُ سَادَ الضُّحَى لَمَعَانَا
 وَإِنْ كُنْتَ تَهْوِي النَّاسَ نِلْتَ هَوَانَا
 وَقَلْبِي تَدَانِي بِالْهَوَى وَتَفَانِي
 وَرَبُّ السَّمَاءِ بِالْمَكْرُمَاتِ كَسَانَا
 شُهُودًا فَأَرْسَلْنَا الْعُلُومَ بَيَانَا
 لِتُصْبِحَ مِنَّا إِنْ سُقِيَتْ سَقَانَا
 وَتُذْرِكَ مِنَّا عِلْمَنَا وَهَوَانَا
 فَهَامَتْ بِهَا أَرْوَاحُنَا وَنُهَا
 رَأَيْنَا بِهَا عِنْدَ الْفَنَاءِ بَقَانَا

● وما أجمل قول القائل:

سَأَلْتُ فَوْقَانِي رَجَوْتُ فَرَادَنِي
أَحِنُّ عَلَى ذُلِّ وَأَهْوَى عَلَى هُدًى
وَهَلْ يُدْرِكُ الْآيَاتِ إِلَّا رِجَالُهَا
وَذُو الْوَجْدِ لَا يُغْضِي عَنِ الْحُبِّ لَحْظَةً
فَقُلْ لِلَّذِي لَمْ يَشْهَدْ الْحَقَّ لَا تَحُدْ
شَهِدْنَا وَشَاهَدْنَا وَطَابَتْ نَفُوسُنَا
أَسَامِرُ لَيْلِي خَالِيًا بِشُهوْدِهِ
وَإِنَّ كَرِيمَ الْكَفِّ مَا خَابَ سَائِلُهُ
وَأَسْرَى عَلَى عِلْمٍ بِقَلْبِي أُوْصِلُهُ
وَهَلْ يَعْرِفُ الْوِجْدَانَ إِلَّا مُزَاوِلُهُ
بِهِ عَاشَ حَتَّى لَوْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
عَنِ الْحَقِّ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ خَابَ جَاهِلُهُ
فَهَامَتْ بِهِ أَرْوَاحُنَا إِذْ نُسَائِلُهُ
وَقَلْبِي بِنُورِ الْحَقِّ فَاضَتْ مَنَاهِلُهُ

* * * * *

● وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

أَنَسَ اللَّهُ مُهَجَّتِي بِعُلُومِ
طَافَ بِي الثُّورُ فَاَلْمَعَارِفُ بِحَرِي
وَارْتِقَاءُ الْأَرْوَاحِ فِي مَوْرِدِ الْعِلْمِ
وَانْعِدَامُ الْأَهْوَاءِ وَالْحِسِّ مِنْهَا
يَا سُرُورِي بِقَوْلِهِ يَا عِبَادِي
مَزَجْتَنِي بِهَا فَكُنْتُ وَعَاَهَا
تَلَفُظُ الدَّرِّ وَهِيَ لَا تَتَنَاهَى
سِمِ يُصَفِّي الْأَرْوَاحَ مِنْ دُنْيَاهَا
هُوَ مَعْنَى الشُّمُوءِ فِي مَسْرَاهَا
أَنَا فِي سَمْعِهَا أَنَالُ رِضَاهَا

* * * * *

● وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

وَقَفْتُ عَلَى نَجْوَى إِلَهِي جَوَانِحِي
كَذَلِكَ قَلْبِي مَنَزِلُ كُلِّهِ ذِكْرُ

وَأَحْلَيْتُ قَلْبِي مِنْ مُنَاجَاةِ غَيْرِهِ فَأَصْبَحَ طَوْدًا لَا يُزْلِلُهُ الْغَيْرُ
 أُسَارِعُ مُشْتَقًا وَأَسْكُتُ هَائِمًا وَأَنْطِقُ إِجْلَالًا وَمَا عَافَنِي سَيْرُ
 فَنِي صَحَوْتِي شَوْقٌ وَفِي غَفَوْتِي هَوَى وَفِي مِشْيَتِي عِلْمٌ وَفِي وَقْفَتِي سِرُّ

* * * * *

● وما أعذب قول الشاعر:

شَرَابُ الْحُبِّ يُعْرِفُ بِالْمَذَاقِ وَمَا كُلُّ الشَّقَاةِ لَهُ بِسَاقِي
 وَلَيْسَ أَخُو غَرَامٍ مِنْ مُنَاهُ لِقَاءُ الْغَيْدِ أَوْ كَأْسِ دِهَاقِ
 وَلَيْسَ بِعَاشِقٍ مَنْ لَا تَرَاهُ مِنْ الشَّهَوَاتِ طَهْرٌ وَالنَّفَاقِ
 إِذَا مَا عِشْتُ لَا أَنْسَى إِلَهِي بِهِ أَسْمُو مِنَ الْأُخْرَى الْمَرَاقِي
 أَحِبُّ اللَّهَ عَنْ أَدَبٍ وَصِدْقِ وَلَا أَرْضَى سِوَى التَّقْوَى خَلَاقِي
 يَعْزُّ عَلَيَّ تَرْكُ الْحُبِّ عِنْدِي وَلَوْ بَلَغَتْ بِي الرُّوحُ التَّرَاقِي
 تَرَكْتُ جَمِيعَ خَلْقِ اللَّهِ دُونِي شُغِلْتُ عَنِ الْخَلَائِقِ بِاشْتِيَاقِي
 أَلَا يَا سَاقِي الْعُشَّاقِ مَهْلًا تَعَالَ ائِلًا كُؤُوسَكَ مِنْ حِقَاقِي
 غَرَامِي قَدْ مَزَجْتُ بِهِ رَجَائِي عَلَى خَوْفٍ فَمِنْ خَوْفِي مَذَاقِي
 وَزُوجِي أَدْرَكْتُ مَعْنَى التَّجَلِّي فَمِنْهُ أَرَى اضْطِبَاحِي وَاغْتِبَاقِي
 وَمَنْ عَرَفَ الْحَبَّةَ عَنْ يَقِينِ حَرَامٌ أَنْ يَمِيلَ إِلَى فِرَاقِي

أَطُوفُ عَلَى الرَّحَابِ بِكُلِّ ذُلٍّ مُرِيدًا وَالْيَقِينُ بِهِ انْسِيَاقِي
وَكَيْفَ أَحِبُّ غَيْرَ اللَّهِ يَوْمًا وَلَيْسَ سِوَاهُ فِي الْأَكْوَانِ بَاقٍ

* * * * *

□ وانظر إلى رقة تنساب لفظاً:

إِنَّا مُحِبُّوهُ آثَرْنَا الْحَيَاةَ لَهُ فَلَا نُلَامُ عَلَى إِحْيَاءِ نَفْوَاهُ
إِنْ كَانَ حُبِّي جُنُونًا بَغْسَمَا زَعَمُوا يَا رَبِّ زِدْنِي جُنُونًا أَنْتَ مَنْحَاهُ
قَالُوا اتَّخِذْ لَكَ جَاهًا تَسْتَعِينُ بِهِ قُلْتُ اتَّخَذْتُ فَكُفُّوا حَسْبِيَ اللَّهُ

* * * * *

● يقول محب لله:

لَا تُحَارِبْ بِالْعَدْلِ قَلْبَ مُحِبٍّ عَالَجَ الشَّوْقِ عُمرُهُ وَلَهَاَنَا
وَتَلَطَّفْ بِهِ فَقَدْ حَكَمَ الشَّوْقُ عَلَيْهِ فَلَنْ يَفِيقَ جِنَانًا
اغْذُرُونِي أَوْ اغْذِلُونِي فَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى الْمَلَامَ مِنْ حَيْثُ كَانَا
إِنَّمَا اللَّوْمُ فِي الْحَبَّةِ عِنْدِي لَا يَزِيدُ الْحُبَّ إِلَّا افْتِتَانَا
جَرَّبَ الْحُبَّ مِثْلَمَا جَرَّبَ الْعَا شِقُّ تَلَقَّ الْمَلَامَ يُذَكِّي هَوَانَا
قَدْ رَضِينَا بِاللَّهِ لَا بِسِوَاهُ مَا لَقِينَا لَمَّا رَضِينَاهُ هَوَانَا
قَدْ تَنَاءَيْتُ عَنْ سِوَاهُ بِكُلِّي وَتَلَقَّيْتُ سِرَّهُ إِحْسَانَا

* * * * *

سَمِعْتُ بَأْنَ امْرَءاً صَادَ ذُئْبَا فَأَوْلَاهُ عَطْفًا وَأَصْفَاهُ حُبًّا
 فَلَمَّا نَمَا الذُّئْبُ وَاسْتَأْسَدَا بِأَنْيَابِهِ مَزَقَ السَّيِّدَا
 وَقِيلَ لِذَاكَ الْجَرِيحِ الْمُصَابِ حَلِيفَ الرَّدَى مَنْ يُرِيّ الذُّثَابِ
 وَنَفْسُكَ ذُئْبٌ فَحَاذِرْ هَوَاهَا فَإِنَّ الْمَنَايَا سَرَتْ فِي مُنَاهَا

* * * * *

أَسَاءَ جِسْمَكَ شَتَّى حِينَ تَطْلُبُهُمْ
 فَمَنْ لِرُوحِكَ بِالنُّطْسِ الْمَدَاوِينَا

* * * * *

● يقول الشاعر:

وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تُهْمِلَهُ شَبَّ عَلَى
 حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمَهُ يَنْفَطِمِ
 فَرَاغَهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ
 وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْعَى فَلَا تَسِمِ
 كَمْ حَسُنَتْ لَذَّةُ لِلْمَرْءِ قَاتِلَةٌ
 مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ الشَّمَّ فِي الدَّسَمِ

* * * * *

أخي: هكذا يكون العيش:

قَتَلْتُ هَوَى نَفْسِي فَعِشْتُ بِلَا نَفْسٍ
وَجَافَيْتُ أَنْسِي فَأَنْحَدَرْتُ إِلَى الْأَنْسِ
وَلَمْ أَبْدِ أَمْرِي لِلْعِبَادِ فَطَالَمَا
كَتَمْتُ الَّذِي أَلْقَى عَنِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ
وَأَذْرَكْتُ بِالْوُجْدَانِ سِرَّ أَحَبَّتِي
وَعَايَنْتُ آيَاتِ الْيَقِينِ بِلَا لَبْسِ
وَعِشْتُ زَمَانِي لَسْتُ أَحْفَلُ بِالْوَرَى
وَكَيْفَ وَقَلْبِي هَامَ فِي مَشْهَدِ الْقُدْسِ
تَعَشَّقْتُ نَوْرَ اللَّهِ وَهُوَ بَصِيرَتِي
وَقَدْ وَضَحَ الْبُرْهَانُ مِنْ آيَةِ الْكُرْسِيِّ
وَمَا اتَّخَذْتُ رُوحِي سِوَى اللَّهِ غَايَةً
فَتَمَّ الْهُدَى لِلرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْحَسَنِ
وَإِنْ شَرِبَ النَّاسُ الطَّلَا وَتَصَبَّبُوا
فَسُنَّةُ خَيْرِ الْخَلْقِ فِي شُرْبِهَا كَأْسِي
وَعَلِمْتُ غَيْرِي مَا أَفَدْتُ مِنَ الْهُدَى
فَلَمْ يَبْقَ ذُو فَهْمٍ لَدَيَّ عَلَى طَمَسٍ

وَلَمْ أَعْشَقِ الدُّنْيَا فَتِلْكَ مَجَازَةٌ
تُهَيِّئُ لِلْآخِرَى وَفِي فَوْتِهَا عُرْسِي

□ يقول الشاعر عن المحبين:

وَلَنَا مِنْ نُورِ حَضْرَتِهِ أَمَلٌ فِي يَوْمِ رُؤْيَتِهِ
قَدْ رَجَوْنَا فَيَضَ رَحْمَتِهِ وَتَلَاخَقْنَا بِسَاحَتِهِ
فَلَقِينَا أَطْيَبَ الْأَمَلِ

ادَّخَرْنَا ذِكْرَهُ عَدَدًا وَاتَّخَذْنَا وَدَّهُ مَدَدًا
وَمَدَدْنَا لِلْعَطَاءِ يَدًا فَأَفَاضَتْ بِالْيَقِينِ يَدًا
خَالِقِي فَالْكُلُّ فِي نَهْلٍ

رَأَيْدِي فِي حُبِّهِ سَهْرِي وَبِهَذَا تَمَّ لِي ظَفْرِي
يَا فُؤَادِي كُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْ حِسَابِ اللَّهِ وَاعْتَبِرِ
بِالَّذِي قَدْ مَرَّ مِنْ دَوْلٍ

طُولَ لَيْلِي فِي مَحَبَّتِكُمْ أَتَحَلَّى مِنْ جَلَالَتِكُمْ
قَدْ غَرِقْنَا فِي مَوَدَّتِكُمْ وَانْتَظَمْنَا فِي حِمَايَتِكُمْ
فِي جَلَالٍ صَيِّبِ هَاطِلٍ

يَا حَبِيبِي أَنْتَ مُحْتَسَبِي أَنْتَ رَبِّي مُنْتَهَى طَلْبِي

أَنْتَ يَا رَبَّ السَّمَا أَرَبِي أَنْتَ يَا خَلَّاقُ مُنْتَسَبِي
أَنْتَ لِي يَا ذَا الْجَلَالِ وَلِي

قَدْ تَعَاهَدْنَا بِمُهِجَتِنَا وَتَحَمَّلْنَا بِرَقَّتِنَا
وَتَأَهَّبْنَا بِخَشْيَتِنَا وَتَوَجَّهْنَا بِذِلَّتِنَا
وَعَنِ الْأَعْتَابِ لَمْ نَمَلِ

وَلَنَا مِنْ رَبَّنَا كَرَمٌ وَعَلَيْنَا تُسْكُبُ النِّعَمُ
نَحْنُ بِالْإِيمَانِ نَعْتِمُ وَبِوَجْهِ اللَّهِ نَعْتَصِمُ
وَلَنَا الْإِخْلَاصُ فِي الْعَمَلِ

رَاحَتِي فِي الْحُبِّ وَجْهَتُكُمْ مَطْلَبِي فِي الْعُمْرِ رُؤْيَتُكُمْ
مَقْصِدِي فِي الْمَوْتِ رَحْمَتُكُمْ قَدْ دَعَيْتِي الْيَوْمَ خَشْيَتُكُمْ
لَكُمْو وَالْقَلْبُ فِي وَجَلِ

لَمْ تَغِبْ عَنِّي مَشَاهِدُكُمْ طَالَمَا رُوحِي تَعَاهِدُكُمْ
وَتَزَكِّيَنِي مَقَاصِدُكُمْ وَتُجَلِّينِي مَوَارِدُكُمْ
فَأَرَى مِنْ ضَوْئِهَا أَمَلِي

يَا لَيْلُ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ

يَا لَيْلُ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ لِرِيضٍ مَلَّتْ عُودُهُ
مَا كَانَ هَوَايَ لِيْغَانِيَّةٍ أَوْ كَانَ لِيْطَبِيْ أَعْهَدُهُ
بَلْ لَأَسْمِ اللّٰهِ وَفِي اسْمِ اللّٰهِ وَبِاسْمِ اللّٰهِ أُوحِدُهُ
فَيُرِيْنِي الْعَفْوَ فَأَعْبُدُهُ وَيُرِيْنِي الْفَضْلَ فَأُحْمَدُهُ
إِنْ عَزَّ النَّاسُ بِمَا لَهُمُو عِزِّي دِينَ أَتَعَهَّدُهُ
أَنَا فَإِنْ مَنِي عَنِّي بَلْ بِكَ بَاقٍ يَسْلَمُ سُودُهُ
وَلَدَيْكَ هُدَايَ وَمِنْكَ مُنَايَ وَمِنْكَ عَطَائِي أَشْهَدُهُ
فَمَتَى أَلْقَاكَ وَبِي شَغَفٌ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ

* * * * *

رَبِّ رُحْمَاكَ! (١)

لَكَ مَحْيَايَ خَالِصًا.. وَمَمَاتِي يَا إِلَهِي.. وَيَا عَظِيمَ الصِّفَاتِ
 لَكَ سَعْيِي.. وَفِيكَ غَايَةُ حُبِّي وَنَجَاوَى ضُرَاعَتِي.. وَصَلَاتِي
 وَسُجُودِي.. مِعْرَاجُ رُوحِي وَعَقْلِي وَأَنْعِتَاقِي.. وَلَذَّتِي.. وَحَيَاتِي
 وَكَأَنِّي فِي بَحْرِ نُورِكَ طَيْفٌ هَائِمُ الشُّوقِ.. وَكَفُ الْعَبْرَاتِ
 وَكَأَنَّ الْوُجُودَ مِخْرَابٌ تَقْدِيسٌ وَذِكْرٌ.. أَفْتَنِي بِهِ عَنْ ذَاتِي
 وَأَرَى الْكُونَ.. وَالْفَضَاءَ.. كِتَابًا سَطَّرَتْ فِيهِ أَرْوَغُ الْآيَاتِ
 كُلُّ شَيْءٍ مِرْآةٌ عَنْكَ تَحْكِي وَتُرِينَا الْإِبْدَاعَ.. وَالْمُعْجَزَاتِ
 وَلِسَانُ الْوُجُودِ يَلْهَجُ بِالْحَمْدِ.. اعْتِرَافًا مِنْهُ بِفَيْضِ الْهَبَاتِ

* * * * *

رَبِّ رُحْمَاكَ!.. كُلُّ نَبْضَةٍ عِزِّكَ مِنْ فُؤَادِي تَجِيئُ بِالِدَّعَوَاتِ
 قَصَّرْتُ هِمَّتِي.. وَهَيْضَ جَنَاحِي أَتَيْنَ مِنِّي النُّهُوضُ بِالْوَاجِبَاتِ
 أَتَيْنَ بِذُلِّي مِنْ أَجْلِكَ النَّفْسَ وَالْمَا لَ.. وَمَعْنَى تَجَرُّدِي.. وَثَبَاتِي
 طَالَمَا قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي.. فَعَفُوا وَأَعِنِّي رَبِّي عَلَى الطَّاعَاتِ
 وَرَجَائِي.. وَحُسْنُ ظَنِّي.. وَصِدْقِي هُوَ يَوْمَ الْحِسَابِ حَبْلُ نَجَاتِي

* * *

الحُبُّ البَاقِي

أَنَا مِنْ مَعِينِكَ يَا إِلَهِي أَسْتَقِي وَأَذِيبُ فِيكَ حَشَاشَتِي وَصَبَابَتِي
مَوْلَايَ.. ذِكْرُكَ فِي فُؤَادِي نَشْوَةٌ يَزْكُو بِهِ عَقْلِي.. وَتَصْفُو مُهْجَتِي
مِنْ تَجَوُّدٍ بِهَا عَلَيَّ كَثِيرَةٌ أَسْبَغْتَهَا.. فِي ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ
يَا رَبِّ أَلْهِمْنِي الْوَفَاءَ بِشُكْرِهَا وَاجْعَلْ حَيَاتِي طَاعَةً مَوْصُولَةً
نُورُ الْهِدَايَةِ مِنْ فُيُوضِكَ نَفْحَةٌ فَإِذَا سَجَدْتُ.. فَفِي رِحَابِكَ هَامَتِي
مَا ضَاقَ إِلَّا وَهُوَ فِيكَ مُوسَّعٌ فَاخْتُمْ بِعَقْمِي الْخَيْرِ دُنْيَايَ الَّتِي
مَا لِي سِوَى ظَنِّي بِحُسْنِ مَعْبِيَةٍ حَبْلُ الْمَوَدَّةِ فِيكَ مَوْثُوقُ الْغُرَى
وَأَهْيِمُ حُبًّا بِالْجَمَالِ الْمُطْلَقِ شِعْرًا.. يُوجِّجُ لَوْعَتِي وَتَحْرِقُنِي
عُلُوِّيَّةً.. فَاضَتْ كَنْهَرٍ مُغْدِقٍ يَا نِعَمَ ذَاكَ الطَّهْرُ وَالْوَرْدُ النَّقِي
وَجَزِيلُ فَضْلِكَ يَا عَظِيمُ مُطَوَّقِي مِنْ أَحْمُصِي.. حَتَّى ذُؤَابَةٍ مَفْرِقِي
وَأَتَمَّ نِعْمَةً جُودِكَ الْمُتَدَفِّقِ أَبَدًا.. وَسَدَّدُ فِي سَبِيلِكَ مَنْطِقِي
سَطَعْتُ بِجَوْهَرِ حُبِّكَ الْمُتَالِقِ تَهْوِي.. وَلَكِنْ نَحْوَ عِزِّكَ تَرْتَقِي
عَيْشِي.. وَمَنْ يَا رَبِّ غَيْرُكَ مُغْتَقِي قَدْ أَثْقَلْتَنِي بِالْعَنَاءِ الْمُرْهَقِ
يَا مَنْ لَهُ حُبِّي.. وَصِدْقُ تَعَلُّقِي لَكِنْ حَبْلٌ سِوَاكَ غَيْرُ مُوَثَّقٍ (١)

(١) لأحمد محمد الصديق من ديوان «جراح وكلمات».

ابن القيم

حادي الأزواح والشاء على الله

● لِلَّهِ مَا أَرْقَّ حَدِيثَ ابْنِ الْقَيِّمِ.. وَيَرِقُّ، وَيَرِقُّ، وَيَخْلُو حَدِيثُهُ حِينَ يُشْنِي عَلَى مَوْلَاهُ وَعَلَيْهِ، وَيَسْتَمْطِرُ الدَّمَعَ حِينَ يَذْكُرُ أَسْمَاءَ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ:

فَهُوَ الْعَلِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَسْتَحِيلُ خِلَافُ ذَا بَيِّنٍ
وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى قَدْ قَامَ بِالتَّدْبِيرِ لِلْأَكْوَانِ
حَيِّ مُرِيدٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ ذُو رَحْمَةٍ وَإِرَادَةٍ وَحَنَانٍ
هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرٌ هُوَ بَاطِنٌ هِيَ أَرْبَعُ بَوَازِنِ
مَا قَبْلَهُ شَيْءٌ كَذَا مَا بَعْدَهُ شَيْءٌ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ كَذَا مَا دُونَهُ شَيْءٌ وَذَا تَفْسِيرُ ذِي الْبُرْهَانِ
فَانْظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ بِتَدْبِيرٍ وَتَبْصُرِ وَتَعْقِلِ لِمَعَانِ
وَانْظُرْ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعٍ مَعَ رِفَةٍ لِحَالِقِنَا الْعَظِيمِ الشَّانِ
وَهُوَ الْعَلِيُّ فَكُلُّ أَنْوَاعِ الْعُلُوءِ فَثَابِتَةٌ بِلَا نُكْرَانِ
وَهُوَ الْعَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنَى يُوجِبُ التَّعْظِيمَ لَا يُخْصِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ
وَهُوَ الْجَلِيلُ فَكُلُّ أَوْصَافِ الْجَلَالِ لَ لَهُ مَحَقَّةٌ بِلَا بُطْلَانِ

وَهُوَ الْجَمِيلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَيْفَ لَا وَجَمَالُ سَائِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 مِنْ بَعْضِ آثَارِ الْجَمِيلِ فَرُبُّهَا أُولَى وَأَجْدَرُ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ
 فَجَمَالُهُ بِالذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْبُرْهَانِ
 لَا شَيْءٍ يُشَبِّهُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ إِفْكِ ذِي الْبُهْتَانِ
 وَهُوَ الْحَيُّ صِفَاتُهُ أَوْصَافُ تَعْظِيمٍ فَشَأْنُ الْوَصْفِ أَعْظَمُ شَأْنٍ
 وَهُوَ السَّمِيعُ يَرَى وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ
 وَلِكُلِّ صَوْتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حَاضِرٌ فَالسِّرُّ وَالْإِعْلَانُ مُسْتَوِيَانِ
 وَالسَّمْعُ مِنْهُ وَاسِعٌ الْأَصْوَابِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ بَعِيدُهَا وَالذَّانِي
 وَهُوَ الْبَصِيرُ يَرَى دَيِّبَ النَّمْلَةِ السَّدِّ سَوْدَاءٍ تَحْتَ الصَّخْرِ وَالصَّوَانِ
 وَيَرَى مَجَارِيَ الْقَوْتِ فِي أَعْضَائِهَا وَيَرَى بَيَاضَ عُرُوقِهَا بَعِيَانِ
 وَيَرَى خِيَانَاتِ الْعُيُونِ بِلَحْظِهَا وَكَذَلِكَ تَقْلُبُ الْأَجْفَانِ
 وَهُوَ الْعَلِيمُ أَحَاطَ عِلْمًا بِالَّذِي فِي الْكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ
 وَبِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ فَهُوَ الْمُحِيطُ وَلَيْسَ ذَا نِسْيَانٍ
 وَكَذَلِكَ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ غَدًا وَمَا قَدْ كَانَ وَالْمَوْجُودَ فِي ذَا الْآنِ
 وَكَذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ ذَاكَ الْأَمْرُ ذَا إِمْكَانٍ

* * * * *

وَهُوَ الْحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٍ أَوْ كَانَ مَفْرُوضًا مَدَى الْأَزْمَانِ

مَلَأَ الْوُجُودَ جَمِيعَهُ وَنَظِيرَهُ مِنْ غَيْرِ مَا عَدٍ وَلَا حُسْبَانٍ
هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ كُلُّ الْحَمَامِدِ وَصَفُ ذِي الْإِحْسَانِ
وَهُوَ الْمُكَلَّمُ عَبْدَهُ مُوسَى بِتَكْ لِيَمِ الْخِطَابِ وَقَبْلَهُ الْأَبْوَانِ
كَلِمَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْإِخْصَاءِ وَالتَّغْضَادِ بَلْ عَنْ حَضَرِ ذِي الْحُسْبَانِ
لَوْ أَنَّ أَشْجَارَ الْبِلَادِ جَمِيعَهَا الْأَقْلَامُ تَكْتُبُهَا بِكُلِّ بَنَانٍ
وَالْبَحْرُ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ لِكِتَابَةِ الْكَلِمَاتِ كُلِّ زَمَانٍ
نَفِدَتْ وَلَمْ تَنْفَدْ بِهَا كَلِمَاتُهُ لَيْسَ الْكَلَامُ مِنَ الْإِلَهِ بِفَانٍ
وَهُوَ الْقَدِيرُ وَلَيْسَ يُعْجِزُهُ إِذَا مَا رَامَ شَيْئًا قَطُّ ذُو سُلْطَانٍ
وَهُوَ الْقَوِيُّ لَهُ الْقُوَى جَمْعًا تَعَا لِي اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ وَالْأَكْوَانِ
وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ فِغْنَاهُ ذَا تَبَيَّ لَهُ كَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ فَلَنْ يُرَامَ جَنَابُهُ أَنْتَى يُرَامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَلَّابُ لَمْ يَغْلِبْهُ شَيْءٌ هَذِهِ صِفَتَانِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ بِقُوَّةِ هِيَ وَصْفُهُ فَالْعَزُّ حَيْثُ ثَلَاثُ مَعَانٍ
وَهِيَ الَّتِي كَمُلَتْ لَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ عَادِمِ النُّقْصَانِ
وَهُوَ الْحَكِيمُ وَذَاكَ مِنْ أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ أَيْضًا مَا هُمَا عَدَمَانِ
حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ فَكُلُّ مِنْهُمَا نَوْعَانِ أَيْضًا ثَابِتَا الْبُرْهَانِ
وَالْحُكْمُ شَرْعِيٌّ وَكَوْنِيٌّ وَلَا يَتَلَازِمَانِ وَمَا هُمَا سَيَّانِ

بَلْ ذَاكَ يُوجَدُ دُونَ هَذَا مُفْرَدًا وَالْعَكْسُ أَيْضًا ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ
 لَنْ يَخْلُوَ الْمَرْبُوبُ مِنْ إِحْدَاهُمَا أَوْ مِنْهُمَا بَلْ لَيْسَ يَنْتَفِيَانِ
 لَكِنَّمَا الشَّرْعِيُّ مَحْبُوبٌ لَهُ أَبَدًا وَلَنْ يَخْلُوَ مِنَ الْأَكْوَانِ
 هُوَ أَمْرُهُ الدِّينِيُّ جَاءَتْ رُسُلُهُ بِقِيَامِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
 لَكِنَّمَا الْكَوْنِيُّ فَهُوَ قَضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 هُوَ كُلُّهُ حَقٌّ وَعَدْلٌ ذُو رِضَى وَالشَّأْنُ فِي الْمَقْضِيِّ كُلُّ الشَّانِ
 فَلِذَاكَ نَزَضَى بِالْقَضَاءِ وَنَسَخَطُ الْمَقْضِيِّ حِينَ يَكُونُ بِالْعِضْيَانِ
 فَاللَّهُ يَرْضَى بِالْقَضَاءِ وَيَسَخَطُ الْمَقْضِيَّ مَا الْأَمْرَانِ مُتَّحِدَانِ
 فَقَضَاؤُهُ صِفَةٌ بِهِ قَامَتْ وَمَا الْمَقْضِيُّ إِلَّا صَنَعَةُ الْإِنْسَانِ
 وَالْكَوْنُ مَحْبُوبٌ وَمَبْغُوضٌ لَهُ وَكِلَاهُمَا بِمَشِيعَةِ الرَّحْمَنِ
 هَذَا الْبَيَانُ يُزِيلُ لَبْسًا طَالَمَا هَلَكَتْ عَلَيْهِ النَّاسُ كُلَّ زَمَانِ
 وَيَحِلُّ مَا قَدْ عَقَّدُوا بِأُصُولِهِمْ وَبُحُوثِهِمْ فَافْهَمْهُ فَهَمَّ بَيَانِ
 مَنْ وَافَقَ الْكَوْنِيَّ وَافَقَ سُخْطُهُ أَوْ لَمْ يُوَافَقْ طَاعَةَ الدِّيَانِ
 فَلِذَاكَ لَا يَعْدُوهُ ذَمٌّ أَوْ فَوَا ثُ الْحَمْدُ مَعَ أَجْرٍ وَمَعَ رِضْوَانِ
 وَمُوَافَقُ الدِّينِيِّ لَا يَعْدُوهُ أَجْرٌ بَلْ لَهُ عِنْدَ الصَّوَابِ اثْنَانِ
 وَالْحِكْمَةُ الْعُلْيَا عَلَى نَوْعَيْنِ أَيْضًا حُصَلَا بِقَوَائِعِ الْبُرْهَانِ
 إِحْدَاهُمَا فِي خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ نَوْعَانِ أَيْضًا لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

إِحْكَامُ هَذَا الْخَلْقِ إِذْ إِيجَادُهُ فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالْإِثْقَانِ
وَصُدُورُهُ مِنْ أَجْلِ غَايَاتٍ لَهُ وَلَهُ عَلَيْهَا حَمْدٌ كُلُّ لِسَانٍ
وَالْحِكْمَةُ الْأُخْرَى فَحِكْمَةُ شَرْعِهِ أَيْضًا وَفِيهَا ذَانِكَ الْوُصْفَانِ
غَايَاتُهَا اللَّائِي حَمْدَنَ وَكَوْنُهَا فِي غَايَةِ الْإِثْقَانِ وَالْإِحْسَانِ

* * * * *

وَهُوَ الْحَيِّي فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالْعِضْيَانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ
وَهُوَ الْحَكِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ بِعُقُوبَةٍ لِيَتُوبَ مِنْ عِضْيَانِ
وَهُوَ الْعَفُوُّ فَعَفُوهُ وَسَعَ الْوَرَى لَوْلَاهُ غَارَ الْأَرْضُ بِالشُّكَّانِ
وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أَدَى أَعْدَائِهِ شَتْمُوهُ بَلْ نَسَبُوهُ لِلْبُهْتَانِ
قَالُوا لَهُ وَلَدٌ وَلَيْسَ يُعِيدُنَا شَتْمًا وَتَكْذِيبًا مِنَ الْإِنْسَانِ
هَذَا وَذَآكَ بِسَمْعِهِ وَبِعِلْمِهِ لَوْ شَاءَ عَاجَلَهُمْ بِكُلِّ هَوَانِ
لَكِنْ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَهُمْ يُؤْذُونَهُ بِالشُّرْكِ وَالْكَفْرَانِ

* * * * *

وَهُوَ الرَّقِيبُ عَلَى الْخَوَاطِرِ وَاللَّوَا حِظٌ كَيْفَ بِالْأَفْعَالِ بِالْأَرْكَانِ
وَهُوَ الْحَفِيطُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ الْكَفِيفُ لَمْ يَحْفَظْهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَانِ

وَهُوَ اللَّطِيفُ بَعْبِدِهِ وَلَعْبِدِهِ وَاللُّطْفُ فِي أَوْصَافِهِ نَوَّعَانِ
إِذْرَاكَ أَسْرَارِ الْأُمُورِ بِخَبْرَةٍ وَاللُّطْفُ عِنْدَ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ
فَيَرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبْدِي لُطْفَهُ وَالْعَبْدُ فِي الْعَفَلَاتِ عَنْ ذَا الشَّانِ

* * * * *

وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرَّفْقِ بَلْ يُعْطِيهِمْ بِالرَّفْقِ فَوْقَ أَمَانِ
وَهُوَ الْقَرِيبُ وَقُرْبُهُ اخْتَصَّ بِالذَّا عَيْنِي وَعَابِدِهِ عَلَى الْإِيمَانِ
وَهُوَ الْمَجِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْ هُ أَنَا الْمَجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي
وَهُوَ الْمَجِيبُ لِدَعْوَةِ الْمُضْطَرِّ إِذْ يَدْعُوهُ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ
وَهُوَ الْجَوَادُ فَجُودُهُ عَمَّ الْوُجُوهَ دَ جَمِيعَهُ بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَهُوَ الْجَوَادُ فَلَا يُخَيِّبُ سَائِلًا وَلَوْ أَنَّهُ مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرَانِ
وَهُوَ الْمَغِيثُ لِكُلِّ مَخْلُوقَاتِهِ وَكَذَا يَجِيبُ إِعَاثَةَ اللَّهْفَانِ

* * * * *

وَهُوَ الْوَدُودُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُ أَحْبَابُهُ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَّانِ
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِهِمْ وَجَارَاهُمْ بِحُبِّ ثَانِ
هَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ حَقًّا لَا مُعَا وَضَةً وَلَا لِتَوْعِ الشُّكْرَانِ
لَكِنْ يُحِبُّ شُكْرَهُمْ وَشُكُورَهُمْ لَا لاحتِياج مِنْهُ لِلشُّكْرَانِ

وَهُوَ الشَّكُورُ فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ لَكِنْ يُضَاعِفُهُ بِلَا حُسْبَانٍ
 مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ هُوَ أَوْجَبَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ الشَّانِ
 كَلًّا وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ ضَائِعٌ إِنْ كَانَ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ
 إِنْ عَذَّبُوا فَبَعْدَ لِهِ أَوْ نَعَّمُوا فَبِفَضْلِهِ وَالْحَمْدُ لِلرَّحْمَنِ

* * * * *

وَهُوَ الْغَفُورُ فَلَوْ أُتِيَ بِقُرَابِهَا مِنْ غَيْرِ شَرِكٍ بَلْ مِنَ الْعِصْيَانِ
 لَأَقَاهُ بِالْغُفْرَانِ مِلءَ قُرَابِهَا سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ
 وَكَذَلِكَ الثَّوَابُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالثَّوْبُ فِي أَوْصَافِهِ نَوَعَانِ
 إِذَنْ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ وَقَبُولِهَا بَعْدَ الْمَتَابِ بِمَنَّةِ الْمُنَانِ

* * * * *

وَهُوَ الْإِلَهُ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي صَمَدَتْ إِلَيْهِ الْخَلْقُ بِالْإِدْعَانِ
 الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الْوُجُو هِ كَمَالُهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ
 وَكَذَلِكَ الْقَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ فَالْخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَلَا سُلْطَانِ
 وَكَذَلِكَ الْجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالْجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ قِسْمَانِ
 جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا ذَا كَسْرَةٍ فَالْجَبْرُ مِنْهُ دَانِ

الثَّانِي جَبْرُ الْقَهْرِ بِالْعِزِّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانٍ
وَلَهُ مَسْمَى ثَالِثٌ وَهُوَ الْعُلُوُّ فَلَيْسَ يَذْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانٍ
مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ الْعُلْيَا الَّتِي فَاتَتْ لِكُلِّ بَنَانٍ

* * * * *

وَهُوَ الْحَسِيبُ كِفَايَةً وَحِمَايَةً وَالْحَسْبُ كَافِي الْعَبْدِ كُلِّ أَوَانٍ
وَهُوَ الرَّشِيدُ فَقَوْلُهُ وَفِعَالُهُ رُشْدٌ وَرَبُّكَ مُرْشِدُ الْحَيْرَانِ
وِكِلَاهُمَا حَقٌّ فَهَذَا وَصْفُهُ وَالْفِعْلُ لِلإِشَادِ ذَاكَ الثَّانِي
وَالْعَدْلُ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ وَمَقَالِهِ وَالْحُكْمُ بِالْمِيزَانِ
فَعَلَى الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَهَنَا قَوْلًا وَفِعْلًا ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ

* * * * *

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ الْقُدُّوسُ ذُو التَّزْوِيهِ بِالتَّعْظِيمِ لِلرَّحْمَنِ
وَهُوَ السَّلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ سَالِمٌ مِنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَمِنْ نُقْصَانٍ
وَالْبَرُّ فِي أَوْصَافِهِ سُبْحَانَهُ هُوَ كَثْرَةُ الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ
صَدَرَتْ عَنِ الْبِرِّ الَّذِي هُوَ وَصْفُهُ فَالْبِرُّ حَيْثُمُذٍ لَهُ نَوْعَانِ
وَصِفٌ وَفِعْلٌ فَهُوَ بَرٌّ مُحْسِنٌ مُؤَلِّي الْجَمِيلِ وَدَائِمُ الْإِحْسَانِ
وَكَذَلِكَ الْوَهَّابُ مِنْ أَسْمَائِهِ فَانْظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الْأَزْمَانِ
أَهْلُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاهِبِ لَيْسَ يَنْفَكَّانِ

وَكَذَلِكَ الْفَتْاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَالْفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
 فَتَحَ بِحُكْمٍ وَهُوَ شَرْعُ إِلَهِنَا وَالْفَتْحُ بِالْأَقْدَارِ فَتَحَ ثَانِ
 وَالرَّبُّ فَتَّاحٌ بِذَيْنِ كِلَيْهِمَا عَدْلًا وَإِحْسَانًا مِنَ الرَّحْمَنِ
 وَكَذَلِكَ الرَّزَّاقُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالرِّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوْعَانِ
 رِزْقٌ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَوْعَانِ أَيْضًا ذَانِ مَعْرُوفَانِ
 رِزْقُ الْقُلُوبِ الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ وَالرِّزْقُ الْمَعْدُّ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ
 هَذَا هُوَ الرِّزْقُ الْحَلَالُ وَرَبُّنَا تِلْكَ الْمَجَارِي سَوْقُهُ بِوَازَانِ
 وَالثَّانِي سَوْقُ الْقَوْتِ لِلْأَعْضَاءِ فِي هَذَا يَكُونُ مِنَ الْحَلَالِ كَمَا يَكُونُ
 وَاللَّهُ رَازِقُهُ بِهَذَا الْأَعْتَابِ رِ وَلَيْسَ بِالْإِطْلَاقِ دُونَ بَيَانِ

* * * * *

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ الْقَيُّومُ وَالْقَيُّومُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
 إِحْدَاهُمَا الْقَيُّومُ قَامَ بِنَفْسِهِ وَالْكَوْنُ قَامَ بِهِ هُمَا الْأَمْرَانِ
 فَالْأَوَّلُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ غَيْرِهِ وَالْفَقْرُ مِنْ كُلِّ إِلَيْهِ الثَّانِي
 وَالْوَصْفُ بِالْقَيُّومِ ذُو شَأْنٍ عَظِيمٍ هَكَذَا مَوْصُوفُهُ أَيْضًا الشَّانِ
 وَالْحَيُّ يَتْلُوهُ فَأَوْصَافُ الْكَمَالِ لِي هُمَا لِأَفْقِ سَمَائِهَا قُطْبَانِ

فالحيّ والقَيُّومُ لَنْ تَتَخَلَّفَ الأَوْصَافُ أَصْلًا عَنْهُمَا بَيَانِ
 هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ هُوَ رَافِعٌ بِالْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ
 وَهُوَ الْمُعِزُّ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَذَا عِزٌّ حَقِيقِيٌّ بِلَا بُطْلَانِ
 وَهُوَ الْمُدِلُّ لِمَنْ يَشَاءُ بِذِلَّةِ الدَّاءِ رَيْنِ ذُلٌ شَقَا وَذُلٌ هَوَانِ
 هُوَ مَانِعٌ مُعْطِيٌّ فَهَذَا فَضْلُهُ وَالْمَنَعُ عَيْنُ الْعَدْلِ لِلْمَنَانِ
 يُعْطِي بِرَحْمَتِهِ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ هُوَ بِحِكْمَتِهِ وَاللَّهُ ذُو سُلْطَانِ
 وَالنُّورُ مِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا وَمِنْ أَوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي الْبُرْهَانِ
 قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ كَلَامًا قَدْ حَكَاهُ هُوَ الدَّارِمِي عَنْهُ بِلَا نُكْرَانِ
 مَا عِنْدَهُ لَيْلٌ يَكُونُ وَلَا نَهَارٌ رُ قُلْتُ تَحْتَ الْفُلْكِ يُوجَدُ ذَانِ
 نُورُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى مِنْ نُورِهِ وَالْأَرْضِ كَيْفَ النَّجْمِ وَالْقَمَرَانِ
 مِنْ نُورِ وَجْهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَكَذَا حَكَاهُ الْحَافِظُ الطَّبْرَانِي
 فِيهِ اسْتِنَارَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ مَعَ سَبْعِ الطَّبَاقِ وَسَائِرِ الْأَكْوَانِ
 وَكِتَابُهُ نُورٌ كَذَلِكَ شَرَعُهُ نُورٌ كَذَا الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ
 وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْفَتَى نُورٌ عَلَى نُورٍ مَعَ الْقُرْآنِ
 وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلَوْ كَشَفَ الْحِجَابَ بَ لِأَحْرَقَ السُّبْحَاتُ لِلْأَكْوَانِ
 وَإِذَا أَتَى لِلْفَضْلِ يُشْرِقُ نُورُهُ فِي الْأَرْضِ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

وَكَذَلِكَ دَارُ الرَّبِّ جَنَّاتُ الْعُلَى
وَالنُّورُ ذُو نَوْعَيْنِ مَخْلُوقٌ
وَكَذَلِكَ الْمَخْلُوقُ ذُو نَوْعَيْنِ
أَخَذَرُ تَزَلُّ فَتَحَتَ رِجْلُكَ هُوَّةً
مِنْ عَابِدٍ بِالْجَهْلِ زَلَّتْ رِجْلُهُ
لَا حَتَّ لَهُ أَنْوَارُ آثَارِ الْعَبَا
فَأَتَى بِكُلِّ مُضْيِبَةٍ وَبَلِيَّةٍ
وَكَذَا الْحُلُولِيُّ الَّذِي هُوَ خَدْنُهُ
وَيُقَابِلُ الرَّجُلِينَ ذُو التَّعْطِيلِ وَالِ
ذَا فِي كَثَافَةِ طَبْعِهِ وَظَلَامِهِ
وَالنُّورُ مَحْجُوبٌ فَلَا هَذَا وَلَا
نُورٌ تَلَأْلَأُ لَيْسَ ذَا بُطْلَانٍ
وَوُصِفَ مَا هُمَا وَاللَّهُ مُتَّحِدَانِ
مَحْسُوسَ وَمَعْقُولُ هُمَا شَيْئَانِ
كَمْ قَدْ هَوَى فِيهَا عَلَى الْأَزْمَانِ
فَهَوَى إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّانِي
دَقَ ظَنُّهَا الْأَنْوَارَ لِلرُّحَمَنِ
مَا شِئَتْ مِنْ شَطْحٍ وَمِنْ هَذَيَانِ
مِنْ هَهُنَا حَقًّا هُمَا أَخَوَانِ
حُجِبَ الْكَثِيفَةُ مَا هُمَا سَيِّئَانِ
وَبُظْلَمَ التَّعْطِيلِ هَذَا الثَّانِي
هَذَا لَهُ مِنْ ظُلْمَةِ يَرِيَانِ^(١)

* * * * *

(١) من «النونية» الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم.

مَعَ اللَّهِ

عَفْوُهُ يَسْتَفْرِقُ الذُّنُوبَ

فَكَيْفَ حُبُّهُ؟!

وَحُبُّهُ يُذْهِشُ الْعُقُولَ فَكَيْفَ وَدُّهُ

وَوَدُّهُ يُنْسِي مَا دُونَهُ فَكَيْفَ لَطْفُهُ؟!

* * * * *

يُسَبِّحُهُ النَّبَاتُ جَمْعُهُ وَفَرِيدُهُ، وَالشَّجَرُ عَتِيقُهُ وَجَدِيدُهُ، تَمَجُّدُهُ

رَهْبَانُ الطُّيُورِ فِي صَوَامِعِ الْأَشْجَارِ فَيَطْرِبُ السَّامِعُ تَمَجُّدُهُ، كَلَّمَ

دَرْسَ الْهَزَارِ دَرْسَ شُكْرِهِ، فَالْبَلْبَلُ بِالْحَمْدِ مُعِيدُهُ، وَكَلَّمَ أَقَامَ

خَطِيبُ الْحَمَامِ النَّوْحَ عَلَى مَنَابِرِ الدَّوْحِ هَيَّجَ الْمُسْتَهَامَ تَغْرِيدُهُ، أَوْ لَمْ

يُرُوا كَيْفَ يُدَيُّ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ؟!

* * * * *

● وَلِلَّهِ دَرُّ ابْنِ الْقَيْمِ حِينَ يَقُولُ:

يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً
يَكْفِيكَ مَنْ لَمْ تَخُلْ مِنْ إِحْسَانِهِ
يَكْفِيكَ رَبِّ لَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ
يَكْفِيكَ رَبِّ لَمْ تَزَلْ فِي سِتْرِهِ
يَكْفِيكَ رَبِّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ
يَكْفِيكَ رَبِّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ
يَدْعُوهُ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَ أَهْلِ السَّمَاءِ
وَهُوَ الْكَفِيلُ بِكُلِّ مَا يَدْعُونَهُ

وَكَفَايَةً ذُو الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
فِي طَرْفَةِ كَتَقَلَّبِ الْأَجْفَانِ
تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
وَيَبْرَأُكَ حِينَ تَجِيءُ بِالْعَصِيَانِ
وَوَقَايَةً مِنْهُ مَدَى الْأَزْمَانِ
مُتَقَلِّبًا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ
فَكُلُّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَأْنٍ
لَا يَغْتَرِي جَدْوَاهُ مِنْ نُقْصَانٍ^(١)

* * * * *

● وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ الْقَائِلِ:

تَبَارَكَ مَنْ شَكَرُ الْوَرَى عَنْهُ يَقْصُرُ
وَشَاكِرُهَا يَحْتَاجُ شُكْرًا لِشُكْرِهَا
فَفِي كُلِّ شُكْرٍ نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ
فَمَنْ رَامَ يَقْضِي حَقَّ وَاجِبِ شُكْرِهَا
تُسَبِّحُهُ الْحَيْثَانُ فِي الْمَاءِ وَفِي الْفَلَاحِ
لِكُونَ أَيْادِي جُودِهِ لَيْسَ تُحْصَرُ
كَذَلِكَ شُكْرُ الشُّكْرِ يَحْتَاجُ يُشْكَرُ
بِغَيْرِ تَنَاءٍ دُونَهَا الشُّكْرُ يَصْغُرُ
تَحْمَلُ ضِمْنِ الشُّكْرِ مَا هُوَ أَكْبَرُ
وُحُوشٌ وَطَيْرٌ فِي الْهَوَاءِ مُسَخَّرُ

(١) من «النونية» الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم.

وَفِي الْفُلْكِ وَالْأَمْلاكِ كُلِّ مُسَبِّحٍ نَهَارًا وَلَيْلًا دَائِمًا لَيْسَ يَفْتُرُ
 تُسَبِّحُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ بِحَمْدِهِ سَمَاءٌ وَأَرْضٌ وَالْجِبَالُ وَأَبْحُرُ
 جَمِيعًا وَمَنْ فِيهِنَّ وَالْكُلُّ خَاشِعٌ لِهَيْبَتِهِ الْعُظْمَى وَلَا يَتَكَبَّرُ
 لَهُ كُلُّ ذَرَاتِ الْوُجُودِ شَوَاهِدٌ عَلَى أَنَّهُ الْبَارِي الْإِلَهُ الْمَصُورُ
 دَحَا الْأَرْضَ وَالسَّبْعَ السَّمَاوَاتِ شَادَهَا وَأَتَقَنَهَا لِلْعَالَمِينَ لِيَنْظُرُوا
 وَأَبْدَعَ حُسْنَ الصَّنْعِ فِي مَلَكُوتِهَا وَفِي مَلَكُوتِ الْأَرْضِ كَيْ يَتَفَكَّرُوا
 وَأَوْتَدَهَا بِالرَّاسِيَاتِ فَلَمْ تَمُدَّ وَشَقَّقَ أَنْهَارًا بِهَا تَتَفَجَّرُ
 وَأَخْرَجَ مَرْعَاهَا وَبَثَّ دَوَابَّهَا وَلِلْكُلِّ يَأْتِي مِنْهُ رِزْقٌ مُقَدَّرُ
 مِنَ الْحَبِّ ثُمَّ الْأَبِّ وَالْقَضْبِ وَالْكَلَا وَنَخْلٍ وَأَعْنَابٍ فَوَاكِهُ تُثْمِرُ
 فَأَصْحَتْ بِحُسْنِ الزَّهْرِ تَزْهَرُ رِيَاضُهَا وَفِي حُلِيِّ نَسِجِ الرَّيِّعِ تَبْخَرُ
 وَزَانَ سَمَاءٍ بِالمَصَابِيحِ أَصْبَحَتْ وَأُمِسَتْ بِبَاهِي الْحُسْنِ تَزْهَوُ وَتَزْهَرُ
 تَرَاهَا إِذَا جَنَّ الدُّجَى قَدْ تَقَلَّدَتْ قَلَائِدَ دُرِّيٍّ لِدُرٍّ تُحَقَّرُ
 فَيَا نَاطِرًا زَهَرَ الْبَسَاتِينِ دُونَهَا أَظُنُّكَ أَعْمَى لَيْسَ لِلْحُسْنِ تُبْصِرُ

سُبْحَانَ اللَّهِ

● قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

سُبْحَانَ مَنْ يُعْطِي الْمُنَى بِخَوَاطِرٍ فِي النَّفْسِ لَمْ يَنْطِقْ بِهِنَّ لِسَانُ
سُبْحَانَ مَنْ لَا شَيْءَ يَخْجُبُ عِلْمَهُ فَالَسِرُّ أَجْمَعُ عِنْدَهُ إِعْلَانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا يَزَالُ مُسَبِّحًا أَبَدًا وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ السُّبْحَانُ
سُبْحَانَ مَنْ تَجْرِي قَضَايَاهُ عَلَى مَا شَاءَ مِنْهَا غَائِبٌ وَعَيَانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا يَزَالُ وَرِزْقُهُ لِلْعَالَمِينَ بِهِ عَلَيْهِ ضَمَانُ
سُبْحَانَ مَنْ فِي ذِكْرِهِ طُرُقُ الرِّضَى مِنْهُ وَفِيهِ الرُّوحُ وَالرَّيْحَانُ
مَلِكٌ عَزِيزٌ لَا يُفَارِقُ عِزَّهُ يُعْصَى وَيُزْجَى عِنْدَهُ الْغُفْرَانُ
مَلِكٌ لَهُ ظَهْرُ الْقَضَاءِ وَبَطْنُهُ لَمْ تُبَلِّ جِدَّةٌ مُلْكِهِ الْأَزْمَانُ
مَلِكٌ هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي مِنْ حِلْمِهِ يُعْصَى بِحُسْنِ بَلَائِهِ وَيُخَانُ
يَبْلَى لِكُلِّ مُسَلِّطٍ سُلْطَانُهُ وَاللَّهُ لَا يَبْلَى لَهُ سُلْطَانُ
كَمْ يَسْتَصِصُّ الْغَافِلُونَ وَقَدْ دُعُوا وَغَدَا وَرَاحَ عَلَيْهِمُ الْحِذَانُ

قِفْ بِالْخُضُوعِ

قِفْ بِالْخُضُوعِ وَنَادِ يَا أَلَلَّهُ إِنَّ الْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
وَاطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ بِالْجُودِ يُرِضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
وَاسْأَلْهُ مَغْفِرَةً وَفَضْلًا إِنَّهُ مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِيهِ يَدَاهُ^(١)
وَاقْصِدْهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ^(٢)
شَمِلَتْ لَطَائِفُهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُوَ
فَعَزِيزُهَا وَذَلِيلُهَا وَغَنِيُّهَا وَفَقِيرُهَا لَا يَرْجُونَ سِوَاهُ^(٣)
مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَيَلْتَجِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَرُّهُمْ بَغْنَاهُ^(٤)
هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرٌ هُوَ بَاطِنٌ لَيْسَ الْعُيُونُ تَرَاهُ^(٥)
حَجَبَتْهُ أَسْرَارُ الْجَلَالِ فَدُونُهُ تَقِفُ الظُّنُونُ وَتَخْرُسُ الْأَفْوَاهُ^(٦)
صَمَدٌ بَلَا كُفٍّ وَلَا كَيْفِيَّةٍ أَبَدًا فَمَا التُّظَرَاءُ وَالْأَشْبَاهُ^(٧)

(١) «مبسوطتان لسائليه يده» مبالغة في الوصف بالجوود.

(٢) (كفاه) لم يحوجه إلى غيره.

(٣) (سواه) أي غيره.

(٤) (تدين) تذلل وتستعبد.

(٥) (ظاهر) ليس فوقه شيء (باطن) ليس دونه شيء.

(٦) (حجبته) سترته (الجلال) أي العظمة.

(٧) (صمد) مقصود في الحوائج (بلا كفء) بغير نظير (ولا كيفية) يعني بلا تشبيه ولا تمثيل.

شَهِدَتْ عَرَائِبُ صُنْعِهِ بُوجُودِهِ لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ^(١)
 وَإِلَيْهِ أَدْعَنْتِ الْعُقُولُ فَاَمَنْتِ بِالْغَيْبِ تُؤَثِّرُ حُبَّهَا إِيَّاهُ^(٢)
 سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِوَجْهِهِ وَلَهُ سُجُودٌ أَوْجُهُ وَجِبَاهُ^(٣)
 طَوْعًا وَكَرْهًا خَاضِعِينَ لِعِزِّهِ وَلَهُ عَلَيْهَا الطُّوعُ وَالْإِكْرَاهُ
 سَلَّ عَنْهُ ذَرَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ
 مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَالْكُلُّ تَحْتَ الْقَهْرِ وَهُوَ إِلَهُ
 أَبَدَى بِمُحْكَمِ صُنْعِهِ مِنْ نُطْفَةٍ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سَوَاهُ^(٤)
 وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَا وَالْعَرْشَ وَالْ كُرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا عَلَيْهِ عُلاَهُ
 وَدَحَا بِسَاطِ الْأَرْضِ فَرْشًا مُثَبَّتًا بِالرَّاسِيَّاتِ وَبِالنَّبَاتِ حِلَاَهُ^(٥)
 تَجْرِي الرِّيَّاحُ عَلَى اخْتِلَافٍ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَالْفُلُكُ وَالْأَمْوَاهُ^(٦)
 رَبُّ رَحِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ لَا يَنْتَهِي بِالْخَصْرِ مَا أَعْطَاهُ
 كَمْ نِعْمَةٍ أَوْلَى وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ أَجْلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلَى عَافَاهُ^(٧)

(١) (لولا) توكيد للأولى.

(٢) (أدعنت) خضعت وذلت. (تؤثر) تفضل.

(٣) (سبحان من عنت الوجوه لوجهه) أي التنزيه لله الذي خضعت الوجوه له - تعالى ..

(٤) (أبدى) أظهر. (بشرا سويًا) تام الخلق.

(٥) (ودحا) أي بسط. (بالراسيات) أي بالجبال الثوابت؛ (حلاه) زينه.

(٦) (والأمواه) جمع ماء لأن الهمزة في المفرد مبدلة من الهاء، وأصله: موه - بالتحريك.

(٧) (مبتلى) مريض. (عافاه) أبرأه.

وَإِذَا بُلِيتَ بِغُرْبَةٍ أَوْ كُرْبَةٍ فَادْعُ إِلَهَ وَنَادِ: يَا أَللَّهُ
لَا مُخْسِنُ الظَّنِّ الْجَمِيلِ بِهِ يَرَى سُوءًا وَلَا رَاجِيهِ خَابَ رَجَاهُ
وَلِحَلْمِهِ سُبْحَانَهُ يُعْصَى فَلَمْ يَعْجَلْ عَلَى عَبْدٍ عَصَى مَوْلَاهُ
يَأْتِيهِ مُعْتَذِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ كَرَمًا وَيَغْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ^(١)
يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْجَمَالِ وَذَا الْبَقَا يَا مُنْعِمًا عَمَّ الْأَنَامَ نَدَاهُ^(٢)
يَا مَنْ هُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْمَعْرُوفِ يَا غَوْثَاهُ يَا مَوْلَاهُ يَا مَوْلَاهُ

* * * * *

(١) (وخطاه) أي خطأه وهو ضد الصواب.

(٢) (يا ذا الجلال) يا صاحب العظمة (وذا الجمال) أي صاحب صفات الجمال من علم وحياة وقدرة وإرادة وغيرها (نداه) جوده.

لَكَ الْحَمْدُ

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائِمًا
 عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدٌ فَإِنْ لِدَائِمٍ^(١)
 وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحٌ شَاكِرٍ
 لِمَعْرُوفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمَرَامِ^(٢)
 فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرِ عَلَى كُلِّ خَاطِئٍ
 وَكَمْ لَكَ مِنْ بَرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ^(٣)
 وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَفَضْلُكَ فَائِضٌ
 وَأَنْتَ الَّذِي تُزَجِّي لِكَشْفِ الْعِظَائِمِ^(٤)
 وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤْمِلٍ
 وَبِرُّكَ مَمْنُوحٌ لِكُلِّ مُصَارِمٍ^(٥)

(١) (لك الحمد) أي الثناء. (يا مستوجب الحمد) يا مستحقه.

(فان) هالك (لدائم) لباقي.

(٢) (وسبحانك اللهم) أي تنزيهاً لك يا الله. (تسبيح) أي تنزيه.

(شاكِر) معترف لك بالإحسان. (المراحم) جمع مَرَحْمَة وهي العطف والمغفرة.

(٣) (خاطئ) آثم (ظالم) خارج عن حد الاعتدال بالتقصير أو تجاوز الحد.

(٤) (فائض) أي كثير (لكشف العظام) أي الشدائد واحدها: عظيمة.

(٥) (مؤمِّل) أي راجٍ. (ممنوح) أي مُعْطَى. (مصارِم) مقاطع.

- فَيَا فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى
 وَيَا قَاسِمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ ^(١)
- وَيَا كَافِلَ الْحِيتَانِ فِي لُجِّ بَحْرِهَا
 وَيَا مُؤْنِسًا فِي الْأَفْقِ وَخَشَ الْبَهَائِمِ ^(٢)
- وَيَا مُخَصِّي الْأُورَاقِ وَالنَّبْتِ وَالْخَصَى
 وَرَزْمِلَ الْفَلَآ عَدًّا وَقَطِرِ الْعَمَائِمِ ^(٣)
- إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ اغْفِرْ ذُنُوبَنَا
 وَخَفِّفْ عَنِ الْعَاصِينَ ثِقْلَ الْمَظَالِمِ ^(٤)
- وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَاعْصِمْ قُلُوبَنَا
 مِنَ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ يَا خَيْرَ عَاصِمِ ^(٥)
- وَدَمِّرْ أَعَادِينَا بِسُلْطَانِكَ الَّذِي
 أَذَلَّ وَأَفْنَى كُلَّ عَاتٍ وَغَاشِمِ ^(٦)

- (١) (فالق) أي شاق. (الإصباح) مصدر بمعنى الصبح، أي شاق عمود الصبح، وهو أول ما يبدو من نور النهار عند ظلمة الليل. (والحب) أي عن النبات (والنوى) أي عن النخيل (الأرزاق) جمع رزق وهو ما يُنتفع به، يشير إلى قوله - تعالى -: ﴿وَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ﴾، (العوالم) بكسر اللام جمع عالم - بفتحها - وهو الخلق.
- (٢) (ويا كافل) أي يا عائل (الحيتان) جمع حوت وهي السمك. وقال ابن فارس: الحوت العظيم من السمك والمراد هنا الأول. (في لجج بحرهما) أي معظمه وهو بضم اللام (في الأفق) أي الناحية أو مهبط الجنوب والشمال والدبور والصبأ.
- (٣) (الفلا) جمع فلاة وهي الصحراء (العمائم) جمع غمامة وهي السحابة أو البيضاء.
- (٤) (العاصين) المذنبين.
- (٥) (واعصم قلوبنا) أي احفظها (من الزيغ) أي الميل (والأهواء) جمع هوى وهو هوى النفس.
- (٦) (دمر أي: أهلك، (بسُلْطَانِكَ) أي: بعزك وقهرك. (عات) متمرّد. (غاشم) أي ظالم.

وَمَنْ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
 بِسْثَرِ خَطَايَانَا وَمَحُوِ الْجَرَائِمِ^(١)
 وَصَلُّ عَلَى خَيْرِ الْبَرَايَا نَبِيًّا
 مُحَمَّدٍ الْمُبْعُوثِ صَفْوَةِ آدَمِ^(٢)

● وَلَهُ فِي الشَّاءِ عَلَى اللَّهِ وَالتَّضَرُّعِ:
 إِلَيْهِ بِهِ سُبْحَانَهُ أَتَوَسَّلُ
 وَأَرْجُو الَّذِي يُرْجَى لَدَيْهِ وَأَسْأَلُ^(٣)
 وَأُحْسِنُ قَضِي فِي خُضُوعِي وَذِلَّتِي
 لَهُ وَعَلَيْهِ وَخُدَهُ أَتَوَكَّلُ^(٤)
 وَأُصْحَبُ آمَالِي إِلَى فَضْلِ جُودِهِ
 وَأُنْزِلُ حَاجَاتِي بِمَنْ لَيْسَ يَبْخُلُ^(٥)
 فَسُبْحَانَهُ مِنْ أَوَّلٍ وَهُوَ آخِرٌ
 وَسُبْحَانَهُ مِنْ آخِرٍ وَهُوَ أَوَّلُ^(٦)

(١) (وَمَنْ) أي أَنعم (يَنْكَشِفُ الْغَطَا) يرتفع الستر (ومحو الجرائم) أي إزالتها.

(٢) (البرايا) المخلوقات (صفوة آدم) أي المختار من بنيه - صلى الله تعالى عليه وسلم -.

(٣) (أتوسل) أي أتقرب.

(٤) (أتوكل) أي أعتمد.

(٥) (فضل جوده) وفي رواية: إِلَى عَمِّ جُودِهِ. يقال: عَمَّمُ بِالْعَطِيَّةِ عَمًّا: شَمِلَهُمْ، فَعَمَّ جُودُهُ، من إضافة الصفة إِلَى الموصوف، أي: جوده العام.

(٦) (من أول) هو الذي ليس قبله شيء آخر، أي ليس بعده شيء.

وَسُبْحَانَ مَنْ تَعْنُو الْوُجُوهُ لِوَجْهِهِ
وَمَنْ كُلُّ ذِي عِزٍّ لَهُ يَتَذَلُّ^(١)
وَمَنْ هُوَ فَرْدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا
شَبِيهَ وَلَا مِثْلَ بِهِ يَتَمَثَّلُ^(٢)
وَمَنْ كَلَّتِ الْأَفْهَامُ عَنْ وَصْفِ ذَاتِهِ
فَلَيْسَ لَهَا فِي الْكَيْفِ وَالْأَيْنِ مَدْخَلُ^(٣)
تَكْفَلُ فَضْلًا لَا وَجُوبًا بِرِزْقِهِ
عَلَى الْخَلْقِ فَهُوَ الرَّازِقُ الْمُتَكَفِّلُ
وَلَمْ يَأْخُذِ الْعَبْدَ الْمُسِيءَ بِذَنْبِهِ
وَلَكِنَّهُ يُرْجِي لِأَمْرِ وَيُمْهِلُ^(٤)
حَلِيمٌ عَظِيمٌ رَاحِمٌ مَتَكَرِّمٌ
رَوْوْفٌ رَحِيمٌ وَاهِبٌ مُتَطَوِّلُ^(٥)

(١) (تعنو) أي تخضع (لوجهه) أي لذاته سبحانه وتعالى.

(٢) (فرد) أي واحد في الذات وفي الصفات والأفعال.
(لا نظير له) أي في الذات والصفات والأفعال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾.

(٣) (كَلَّتِ) تَعَبَتْ (الأفهام) يعني العقول.

(٤) (يُرْجِي) أي يُؤَخِّرُ.

(٥) (حليم) هو الذي يسامح الجاني مع استحقاقه العقوبة والمواخظة بالذنب، فهو الذي لا يستغزه
غضب ولا يستعجل بالعقوبة عَلَى من عصاه.
(متطول) متفضل.

جَوَادٌ مَجِيدٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ
 جَلِيلٌ جَمِيلٌ مُنْعَمٌ مُتَفَضِّلٌ^(١)
 لَهُ الرَّاسِيَاتُ الشَّمُّ تَهْبِطُ خَشْيَةً
 وَتَنْشَقُّ عَنْ مَاءٍ يَسِيحُ وَيَخْضَلُ^(٢)
 وَأَنْشَأَ مِنْ لَا شَيْءٍ سَحْبًا هَوَاطِلًا
 يُسَبِّحُ فِيهَا رَعْدُهَا وَيُهْلِلُ^(٣)
 وَأَخْيَا نَوَاحِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
 بِمُنْسَجِمٍ غَيْثًا مِنَ السَّحْبِ يَهْمِلُ^(٤)
 وَأَجْرَى بِلَا نَفْخٍ رِيَاحًا لَوَاقِحًا
 تَسِيرُ بِلَا شَخْصٍ يُحَاطُ وَيُعْقَلُ^(٥)
 فَسُبْحَانَ مُجْرِي الرِّيحِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ
 لِتَبْلُغَ كُلَّ الْعَالَمِينَ وَتَشْمَلَ

(١) (جواد) كريم (مجيد) واسع الكرم (جليل) هو الذي عظم شأنه وظهر أمره، فلا يوازيه غيره ولا يدانيه أحد في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال.

(٢) (الراسيات الشم) أي الجبال العالية (تهبط) تنزل من علو إلى أسفل، يشير إلى قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَلْمَاءٌ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (ويخضل) يبل، يقال: أخضله بله فخضل، كفرج.

(٣) (سحباً هواطلاً) أي متتابعة المطر.

(٤) (غيثاً) أي مطراً، وهو حال من فاعل يهمل (السحب) الغمام (يهمل) يفيض.

(٥) (رياحاً لواقحاً) أي تلقح السحاب فيمتلئ ماء.

عَلَى أَنَّهُ فِي عِزِّ سُلْطَانِهِ يَرَى
 وَيَسْمَعُ مِنَّا مَا نَحْدُ وَنَهْزِلُ
 يُحِيطُ بِمَا تُخْفِي الضَّمَائِرُ عِلْمُهُ
 وَيَذَرِي دَبِيبَ التَّمَلِّ وَاللَّيْلِ أَلِيلُ^(١)
 وَيُخْصِي عَدِيدَ الْقَطْرِ وَالرَّمْلِ وَالْحَصَى
 وَمَا هُوَ أَذْنَى مِنْهُ عَدَا وَأَكْمَلُ^(٢)
 وَيَعْلَمُ مَا قَدَرُ الْجِبَالِ وَوَزْنُهَا
 مَثَاقِيلُ ذَرٍّ أَوْ أَخْفُ وَأَثْقَلُ
 حَتَانِيكَ يَا مَنْ فَضْلُهُ الْجَمُّ فَائِضٌ
 وَمَنْ جُودُهُ الْمَوْجُودُ لِلْخَلْقِ يَشْمَلُ^(٣)
 وَيَا غَافِرَ الزَّلَّاتِ وَهِيَ عَظِيمَةٌ
 وَيَا نَافِذَ التَّدْبِيرِ مَا شَاءَ يَفْعَلُ^(٤)
 وَيَا فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى
 وَيَا بَاعِثَ الْأَشْبَاحِ فِي الْحَشْرِ تَنْسَلُ^(٥)

(١) (ويدري) أي يعلم (والليل أليل) أي شديد الظلمة.

(٢) (أدنى) أقل.

(٣) (حَتَانِيكَ) أي رحمتك (فضله الجم) الكثير، قال الله - تعالى :- ﴿وَنُحِيطُ بِأَلَمَالٍ حَبًّا جَمًّا﴾
 أي كثيرًا (جوده) أي كرمه.

(٤) (ويا غافر الزلات) أي الذنوب.

(٥) (فالق) أي شاق. (الإصباح) مصدر بمعنى الصبح، أي شاق عمود الصبح، وهو أول ما يبدو
 من نور النهار عند ظلمة الليل (والحب) أي عن النبات (والنوى) أي عن النخل (ويا باعث
 الأشباح) أي محيي الخلق بعد موتهم (في الحشر) سوق الخلق إلى موقف الحساب ثم إلى
 الجنة أو النار (تنسل) تسرع.

أَجِبْ دَعْوَتِي يَا سَيِّدِي وَأَقْضِ حَاجَتِي
 سَرِيعًا فَشَأْنُ الْعَبْدِ يَدْعُو وَيَعْجَلُ
 فَمَا حَاجَتِي إِلَّا الَّتِي قَدْ عَلِمْتَهَا
 وَإِنْ عَظُمَتْ عِنْدِي فَعِنْدَكَ تَسْهَلُ
 تَوَلَّ ابْنَ يَحْيَى الشَّارِقِي مُحَمَّدًا
 وَأَبْلِغْهُ فِي الدَّارَيْنِ مَا كَانَ يَأْمَلُ^(١)
 وَأَسْأَلُ عَلَيْنَا السُّرَّ مِنْ كُلِّ نَكْبَةٍ
 فَسِتْرُكَ مَسْدُولٌ عَلَى الْخَلْقِ مُسْبِلُ^(٢)
 وَأَكْرِمْهُ بِالْقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ حُجَّةً
 لَهُ شَافِعًا إِذْ لَا شَفَاعَةَ تُقْبَلُ^(٣)
 فَيَا طُولَ مَا يَتْلُوهُ يَزْجُو بِضَاعَةً
 مُضَاعَفَةً يَوْمَ الْجَزَا لَيْسَ تُهْمَلُ^(٤)
 وَلَا طِفْهُ وَازْحَمْ مَنْ يَلِيهِ رَحَامَةٌ
 وَصَحْبًا فَإِنَّ الْبَغْضَ لِلْبَغْضِ يَحْمِلُ^(٥)

(١) (يأمل) يرجو.

(٢) (من كل نكبة) هي واحدة نكبات الدهر (مسبل) مرخي.

(٣) (بالقرآن) هو الكلام المنزل على سيدنا محمد ﷺ المنقول عنه تواترًا والمكتوب بالمصاحف.

(٤) (يتلوه) يقرؤه (بضاعة) هي في الأصل: الطائفة من المال يعيشها الإنسان للتجارة، والمراد هنا:

الطائفة من الأعمال الصالحة (يوم الجزا) أي يوم القيامة.

(٥) (يليه) يقرب منه (رحامة) كسحابة، أي: قرابة.

أَجْزَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْ نَكَبَاتِهَا
 وَلَا تُخْزِهِمْ يَوْمَ الْعِشَاءِ تُعْطَلُ^(١)
 وَقَائِلَهَا فَاغْفِرْ خَطَايَاهُ إِنَّهُ
 أَسِيرٌ بِأَثْقَالِ الذُّنُوبِ مُكَبَّلُ^(٢)
 أَتَاكَ وَلَا قَلْبٌ سَلِيمٌ مُطَهَّرٌ
 وَلَا عَمَلٌ تَرْضَى بِهِ كَانَ يَفْعَلُ
 وَلَا يَرْجِي مِنْ عِنْدِ غَيْرِكَ رَحْمَةً
 وَلَا يَبْتَغِي فَضْلًا لِنَ يَتَفَضَّلُ
 بَلَى جَاءَ مِسْكِينًا مُقِرًّا بِذَنْبِهِ
 ذُنُوبٌ وَأَوْزَارٌ عَلَى الظَّهْرِ تَحْمَلُ^(٣)
 فَحَقُّ رَجَائِي فِيكَ يَا غَايَةَ الْمُنَى
 فَأَنْتَ لِمَنْ يَرْجُوكَ حِصْنٌ وَمَوْئِلُ^(٤)
 وَإِنْ فُتِحَتْ جَنَاتُ عَدْنٍ لِدَاخِلِ
 فَقُلْ يَا عِبَادِي هَذِهِ الْجَنَّةُ ادْخُلُوا
 فَجُودَكُمْ يَا ذَا الْكِبَرِيَاءِ مُؤَمِّلُ
 وَحَبْلُكَ لِلرَّاجِينَ بِالْخَيْرِ يُوَصِّلُ^(٥)

(١) (العشائر) الثوق الحوامل (تعطل) تترك بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر.

(٢) (أسير) و(مكبل) محبوس يطلب من الله - تعالى - العفو عن الذنوب وترك العقاب.

(٣) (تحمل) قال المفسرون في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾: تأتيهم عند البعث

في أقبح شيء صورة، وأنته ريحاً فتركبهم. وفقنا الله إلى طاعته وجنبنا معصيته.

(٤) (موئل) أي ملجأ.

(٥) (يا ذا الكبرياء) يا صاحب العظمة (مؤمل) مرجو.

وَصَلِّ وَسَلِّمْ كُلَّ لَحْظَةٍ نَاطِرٍ
 عَلَى أَحْمَدَ مَا حَنَّ رَعْدٌ مُجَلِّجُلٌ^(١)
 صَلَاةٌ تُحَاكِي الشَّمْسَ نُورًا وَرِفْعَةً
 وَتَفْضُحُ أَنْوَارَ الرِّيَاضِ وَتُخْجِلُ^(٢)
 تَخَضُّ حَبِيبَ الزَّائِرِينَ وَتَنْشِي
 عَلَى آلِهِ إِذْ هُمْ أَعَزُّ وَأَفْضَلُ^(٣)

□ وَلِبَعْضِ الصَّالِحِينَ فِي الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ:

يَا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلًا رِزْقَ الْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
 يَا مُسَبِّغَ الْبَرِّ الْجَزِيلِ وَمُسْبِلَ السَّيْرِ الْجَمِيلِ عَمِيمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
 يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الْوَعْدِ الْوَقِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
 عَظُمْتَ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ يُحْصِيَ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
 الذَّنْبِ أَنْتَ لَهُ بِمَنْكَ غَافِرُ وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلُ
 رَبُّ يُرَبِّي الْعَالَمِينَ بِبِرِّهِ وَنَوَالُهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ
 تَعْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا مَا لَا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسْتَاهِلُ

(١) (لحظة ناظر) أي رؤية مبصر (مجلجل) يقال: جلجل الرعد: صَوْتُ شَدِيدًا فَهُوَ مُجَلِّجُلٌ - بالكسر.

(٢) (تحاكي) تماثل (نورًا) ضياء (رفعة) علواً (تفضح) تكشف أنوار الرياض أي أزهار الأشجار، (وتخجل) أي تحير وتدهش من الاستحياء.

(٣) (حبيب الزائرين) أي سيدنا محمد ﷺ.

مُتَفَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُودِهِ
وَإِذَا دَجَى لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَا لَهَا
يَأْتِيكَ مِنَ الْطَافَةِ الْفَرْجِ الَّذِي
يَا مُوْجِدَ الْأَشْيَاءِ مَنْ أَلْقَى إِلَى
وَمَنْ اسْتَرَاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْ رَجَا
عَمَلٌ أَرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَبِيرٌ
أَنَا عَبْدٌ سُوءِ آبِقٍ كُلِّ عَلَى
قَدْ أَثْقَلْتُ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَدَتْ
هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِي
فَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ
وَأَفْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ

● وَقَالَ آخِرُ:

بِذِكْرِكَ يَا مَوْلَى الْوَرَى نَتَنَعَّمُ
شَهِدْنَا يَقِينًا أَنَّ عِلْمَكَ وَاسِعٌ
إِلَهِي تَحَمَّلْنَا ذُنُوبًا عَظِيمَةً
وَقَدْ خَابَ قَوْمٌ عَنْ سَبِيلِكَ قَدْ عَمُوا
فَأَنْتَ تَرَى مَا فِي الْقُلُوبِ وَتَعْلَمُ
أَسَانَا وَقَصَّرْنَا وَجُودَكَ أَعْظَمُ

سَتَرْنَا مَعَاصِينَا عَنِ الْخَلْقِ غَفْلَةً
 وَحَقَّقْ مَا فِينَا مُسِيءٌ يَسْرُهُ
 سَكَنَّا عَنِ الشُّكُوى حَيَاءً وَهَيْبَةً
 إِذَا كَانَ ذُلُّ الْعَبْدِ بِالْحَالِ نَاطِقًا
 إِلَهِي فَجُدْ وَاصْفَحْ وَأَصْلِحْ قُلُوبَنَا
 وَأَنْتَ الَّذِي قَرَّبْتَ قَوْمًا فَوَافَقُوا
 وَقُلْتَ اسْتَقَامُوا مِنَّةً وَتَكَرَّمُوا
 لَهُمْ فِي الدُّجَى أَنْسَ بِذِكْرِكَ دَائِمًا
 نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً بَتَعَطُفٍ
 لَكَ الْحَمْدُ عَامِلِنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ

* * * * *

● ولله درُّ القائل:

يَا مَنْ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ يَبْتَهِلُوا
 يَا مَنْ نَأَى فَرَأَى مَا فِي الْقُلُوبِ وَمَا
 يَا مَنْ دَنَا فَنَأَى عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ أَلْ
 أَنْتَ الْمُنَادَى بِهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ
 أَنْتَ الْغِيَاثُ لِمَنْ سُدَّتْ مَذَاهِبُهُ
 وَكُلُّ حَيٍّ عَلَى رُحْمَاهُ يَتَّكِلُ
 تَحْتَ الثَّرَى وَحِجَابُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ
 أَفْكَارُ طُرَا أَوْ الْأَوْهَامُ وَالْعِلَلُ
 وَأَنْتَ مُلْجَأُ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَيْلُ
 أَنْتَ الدَّلِيلُ لِمَنْ ضَلَّتْ بِهِ السُّبُلُ

إِنَّا قَصَدْنَاكَ وَالْأَمَالَ وَاقِعَةً
فَإِنْ غَفَرْتَ فَعَنْ طَوِيلٍ وَعَنْ كَرَمٍ
عَلَيْكَ وَالْكُلَّ مَلْهُوفٌ وَمُبْتَهَلٌ
وَإِنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ الْحَاكِمُ الْعَدِلُ

● وقال آخر :

يَا مَنْ يُغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا
عَوَّذْتَهُمْ بَسْطَ أَرْزَاقٍ بِلَا سَبَبٍ
وَعَدْتَ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ
عَوَارِفُ ارْتَبَطَتْ شُمُّ الْأَنْوَفِ بِهَا
يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَاغْتَرَفَتْ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِبَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرًا
مَهْمَا أَتَى لِيَمْدَّ الْكَفِّ أَحْجَلُهُ
يَا وَاسِعًا ضَاقَ خَطُ الْخَلْقِ عَنْ نِعَمٍ
وَنَاشِرًا بِيَدِ الْإِجْمَالِ رَحْمَتُهُ
ارْحَمْ عِبَادًا بَضْنَكَ الْعَيْشِ مَا لَهُمُو
لَكِنَّهُمْ مِنْ دُرَى عَلَيْكَ فِي نَمَطٍ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى

ارْحَمْ عِبَادًا أَكْفَ الْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا
سِوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ انْبَسَطُوا
بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبِطُ
بِحِمِّ إِنْعَامِهِ الْأَطْرَافُ وَالْوَسْطُ
وَهُمْ يَجُوزُ عَلَيْهِ لَا وَلَا غَلْطُ
مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوَافِيَ حِينَ يَنْضَغِطُ
قَبَائِخَ وَخَطَايَا أَمْرُهَا فَرَطُ
مِنْهُ إِذَا خَطَبُوا فِي شُكْرِهَا خَبَطُوا
فَلَيْسَ يَلْحَقُ مِنْهُ مُسْرِفًا قَتَطُ
غَيْرُ الدُّجْنَةِ لُحْفٍ وَالثَّرَى بُسْطُ
سَامٍ رَفِيعِ الذَّرَى مَا فَوْقَهُ نَمَطُ
فَمَا يُيَالِي أَقَامَ الْحَيَّ أَمْ شَحَطُوا
وَكُلُّ شَيْءٍ يُرَجَّى بَعْدَ ذَا شَطَطُ

● وقال آخر:

لَكَ الْحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْمَلِكُ رَبَّنَا وَلَا شَيْءَ أَغْلَا مِنْكَ مَجْدًا وَأَمَجْدُ
 مَلِيكَ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيَّمٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ
 فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَقْدُرُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ
 وَمَنْ لَمْ تَنَازِعْهُ الْخَلَائِقُ مُلْكُهُ وَإِنْ لَمْ تُفَرِّدْهُ الْعِبَادُ فَمُفَرَّدُ
 مَلِيكَ السَّمَاوَاتِ الشَّدَادِ وَأَرْضِهَا وَلَيْسَ بِشَيْءٍ عَنْ قَضَائِهِ تَأَوُّدُ
 هُوَ اللَّهُ بَارِي الْخَلْقِ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ إِمَاءٌ لَهُ طَوْعًا جَمِيعًا وَأَعْبُدُ
 وَأَنْتَى يَكُونُ الْخَلْقُ كَالْخَالِقِ الَّذِي يُمِيتُ وَيُحْيِي دَائِبًا لَيْسَ يَهْمُدُ
 تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الْجَوَانِحُ فِي الْخَفَا وَإِذْ هِيَ فِي جَوْ السَّمَاءِ تُصْعَدُ
 وَمِنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعْدُ فَوْقَنَا وَسَبَّحَهُ الْأَشْجَارُ وَالْوَحْشُ أَبَدُ

* * * * *

● وقال آخر:

صَرَفْتُ إِلَى رَبِّ الْأَنَامِ مَطَالِبِي وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمَآرِبِي
 إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ مَلِيكَ يُرَجِّى سَيِّئُهُ فِي الْمَتَاعِبِ
 إِلَى الصَّمَدِ الْبَرِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ وَعَمَّ الْوَرَى طُرًّا بِجَزْلِ الْمَوَاهِبِ
 مُقِيلِي إِذَا زَلَّتْ بِي النَّعْلُ عَاثِرًا وَأَسْمَحَ غَفَّارٍ وَأَكْرَمَ وَاهِبِ
 فَمَا زَالَ يُؤَلِّينِي الْجَمِيلَ تَلَطُّفًا وَيَدْفَعُ عَنِّي مِنْ صُدُورِ النَّوَابِ

وَيَرْزُقُنِي طِفْلاً وَكَهْلاً وَقَبْلَهَا
 إِذَا أَعْلَقَ الْأَمْلاكُ دُونِي قُصُورَهُمْ
 فَرِغْتُ إِلَى بَابِ الْمُهَيَّمِينَ طَارِقًا
 فَلَمْ أَلَفْ مُحَجَّابًا وَلَمْ أُحْسَ مِنْعَةً
 كَرِيمٌ يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا
 سَأَلَهُ مَا شِئْتُ إِنَّ يَمِينَهُ
 فَحَسْبِيَ رَبِّي فِي الْهَزَاهِرِ مَلْجَأٌ

● آخِرُ:

يَا خَالِقِي عَبْدُكَ الْخَاطِي الْحَزِينُ لَقَدْ
 مُسْتَغْفِرُ مِنْ ذُنُوبٍ لَا عِدَادَ لَهَا
 فَلَا تَدْعُنِي مَلِيكَ الْعَرْشِ مُطَرِّحًا
 حَسْبِي لَدَى الْمُوبِقَاتِ الصَّمُّ أَنْتَ فَلَا
 عَلَيْكَ يَا ذَا الْعَطَا وَالْمَنِّ مُعْتَمِدِي
 فَاغْفِرْ وَأَكْرِمْ عُيْبِدًا مَا لَهُ عَمَلٌ
 لَكِنَّهُ تَائِبٌ مِمَّا جَنَاهُ فَقَدْ
 فَإِنْ رَحِمْتَ عَلَى مَنْ جَاءَ مُفْتَقِرًا
 وَإِنْ تُعَذِّبْ فَإِنِّي أَهْلُ ذَاكَ وَذَا

أَتَاكَ مُنْكَسِرًا فَاجْبُرْ لِمُنْكَسِرٍ
 بِعَفْوِكَ الْجَمُّ يَا رَحْمَنُ لَا تَذِرْ
 بَيْنَ النَّوَائِبِ وَالْأَسْدَامِ وَالْغَيْرِ
 نَرْجُو سِوَاكَ لِئَيْلِ السُّؤْلِ وَالْوَطْرِ
 فِي كُلِّ خَطْبٍ أَتَى بِالْغَيْرِ وَالضَّرَرِ
 مِنَ الصَّوَالِحِ يَا رَحْمَنُ فِي الْعُمُرِ
 أَتَاكَ مُسْتَغْفِرًا يَخْشَى مِنَ السَّفَرِ
 فَأَنْتَ أَهْلُ بِهِ يَا رَبِّ فَاغْتَفِرْ
 عَدْلٌ قَوِيمٌ بِلَا لَوْمٍ وَلَا نُكْرِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْخَلِيقَةِ مَنْ كَفَاهُ مُعْجِزَةُ الشَّقِّ فِي الْقَمَرِ
وَالِهِ الطَّيِّبِينَ الطُّهْرِ قَاطِبَةً وَصَحْبِهِ الْمُكْرَمِينَ السَّادَةِ الْغُرَرِ
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ وَاهْتَزَّتْ النَّبَاتُ بِهَا وَمَا تَغَنَّتْ حَمَامُ الْأَيْكِ فِي السَّحَرِ

* * * * *

أَبَدًا تَحْنُ إِلَيْكُمْ الْأَزْوَاحُ

أَبَدًا تَحْنُ إِلَيْكُمْ الْأَزْوَاحُ وَحَدِيثُكُمْ رِيحَانُهَا وَالرَّاحُ
وَقُلُوبُ أَهْلِ وِدَادِكُمْ تَشْتَاقُكُمْ وَإِلَى بَهَاءِ جَمَالِكُمْ تَزْتَاحُ
صَافَاهُمْو فَصَفَوْا لَهُ، فَقُلُوبُهُمْ فِي نُورِهَا الْمَشْكَاءُ وَالْمِصْبَاحُ
وَمَتَّعُوا فَالَوْقْتُ طَابَ بِقُرْبِكُمْ رَاقَ الشَّرَابُ وَرَاقَتِ الْأَقْدَاحُ
سَمَحُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا بَخِلُوا بِهَا لَمَّا دَرَوْا أَنَّ السَّمَاحَ رَبَّاحُ
وَدَعَاهُمْو دَاعِي الْحَقَائِقِ دَعْوَةً فَعَدَّوْا بِهَا مُسْتَأْنِسِينَ وَرَاحُوا
رَكِبُوا عَلَى سُفْنِ الْوَفَا، وَدُمُوعُهُمْ بَحْرٌ، وَشِدَّةُ شَوْقِهِمْ مَلَّاحُ
وَاللَّهِ مَا طَلَبُوا الْوُقُوفَ بِبَابِهِ حَتَّى دُعُوا، وَأَتَاهُمْو الْمِفْتَاحُ
لَا يَطْرَبُونَ بِغَيْرِ ذِكْرِ حَبِيبِهِمْ أَبَدًا، فَكُلُّ زَمَانِهِمْ أَفْرَاحُ

* * *

● وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ مُشِيًّا عَلَى رَبِّهِ:

وَبِأَمْرِكُمْ يَنْشَأُ السَّحَابُ وَبِاسْمِكُمْ
وَاهَا عَلَى أَحْوَالِ قَوْمٍ أَعْرَضُوا
وَحَيَاتِكُمْ مَنْ فَاتَهُ مِنْ أَنْسِكُمْ
يَا مُعْرِضِينَ عَنِ الْكَرِيمِ تَعَرَّضُوا
يُمَحِّي الْعِقَابُ وَتُغْفَرُ الزَّلَّاتُ
عَنْ بَابِكُمْ كَمْ فَاتَهُمْ خَيْرَاتُ
وَقْتُ فَكُلُّ الْعُمْرِ مِنْهُ فَوَاتُ
فَلِرَبِّكُمْ فِي دَهْرِكُمْ نَفَحَاتُ

* * * * *

ذُو الثُّونِ الْمَضْرِيُّ الْحُبُّ لِرَبِّهِ الْمُثْنِي عَلَيْهِ

● قَالَ ذُو الثُّونِ - رَحِمَهُ اللَّهُ :-

إِذَا ارْتَحَلَ الْكَرَامُ إِلَيْكَ يَوْمًا لِيَلْتَمِسُوكَ حَالًا بَعْدَ حَالٍ
فَإِنَّ رِحَالَنَا حَطَّتْ لِيَتَرْضَى بِحِلْمِكَ عَنْ حُلُولٍ وَارْتِحَالٍ
أَنْحُنَا فِي فَنَائِكَ يَا إِلَهِي إِلَيْكَ مُعَرِّضِينَ بِلَا اغْتِيلَالٍ
فَسُسُنَا كَيْفَ شِئْتَ وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَذْبِيرِنَا يَا ذَا الْمَعَالِي

* * * * *

● وَيَقُولُ - رَحِمَهُ اللَّهُ :-

أَمُوتْ وَمَا مَاتَتْ إِلَيْكَ صَبَابَتِي
وَلَا رَوَيْتَ مِنْ صِدْقِ حُبِّكَ أَوْطَارِي
مُنَايَ الْمُنَى كُلُّ الْمُنَى أَنْتَ لِي مُنَى
وَأَنْتَ الْغِنَى كُلُّ الْغِنَى عِنْدَ إِفْتَارِي
وَأَنْتَ مَدَى سُؤْلِي وَغَايَةُ رَغْبَتِي
وَمَوْضِعُ شَكْوَايَ وَمَكْنُونُ إِضْمَارِي
وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْكَ مَا لَكَ قَدْ بَدَا
وَلَمْ يَبْدُ بِأَدِيهِ لِأَهْلِ وَلَا جَارِ

أَلَسْتَ دَلِيلَ الرُّكْبِ إِنْ هُمْ تَحَيَّرُوا
 وَمُنْقَذَ مَنْ أَشْفَى عَلَى جُرْفِ هَارٍ
 أَنْزَلْتَ الْهُدَى لِلْمُهْتَدِينَ وَلَمْ يَكُنْ
 مِنَ النُّورِ فِي أَيْدِيهِمْ عَشْرُ مِغْشَارٍ
 فَتَلْنِي بِعَفْوٍ مِنْكَ أَحْيَى بِقُرْبِهِ
 أَغْنِنِي بِبَشْرِ مِنْكَ يَطْرُدُ إِعْسَارِي

* * * * *

● وَيَقُولُ عَنِ الْحَبَّةِ :

شَوَاهِدُ أَهْلِ الْحُبِّ بَادٍ دَلِيلُهَا	بِأَعْلَامٍ صِدْقٍ مَا يَضِلُّ سَبِيلُهَا
جُسُومُ أَوْلِي صِدْقِ الْحَبَّةِ وَالرَّضَى	يُبَيِّنُ عَنْ صِدْقِ الْوَدَادِ نُحُولُهَا
إِذَا نَاجَتْ الْأَفْهَامُ أَنْسَ نُفُوسِهِمْ	بِالْلسِنَةِ يَخْفَى عَلَى النَّاسِ قِيلُهَا
وَضَجَّتْ نُفُوسُ الْمُسْتَهَامِينَ وَاشْتَكَتْ	جَوَى كَانَ عَنْ أَجْسَامِهَا شَرِيْلُهَا
يَحْنُونَ حُزْنَاً ضَاعَفَ الْخَوْفَ شَجْوَهُ	وَنِيرَانُ شَوْقٍ كَالسَّعِيرِ عَلِيلُهَا
وَسَارُوا عَلَى حُبِّ الرَّشَادِ إِلَى الْعَلَا	تَقُومُ بِهِمْ تَقْوَاهُ وَهُوَ دَلِيلُهَا
فَحَطُّوا بِدَارِ الْقُدْسِ فِي خَيْرِ مَنَزِلٍ	وَفَازَ بِزُلْفَى ذِي الْجَلَالِ حُلُولُهَا

* * *

□ وانظر إليه كيف يستمطر الدَّمْعَ حِينَ يَقُولُ:

رَبِّ تَعَالَى فَلَا شَيْءَ يُحِيطُ بِهِ وَهُوَ الْحَاطِطُ بِنَا فِي كُلِّ مُرْتَصِدٍ
لَا الْأَيْنُ وَالْكَيفُ وَالْحَيْثُ بِمَذْرِكِهِ وَلَا يُحَدُّ بِمِقْدَارٍ وَلَا أَمَدٍ
وَكَيْفَ يُدْرِكُهُ حَدٌّ وَلَمْ تَرَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ فِي الْمِثْلِ مِنْ أَحَدٍ
أَمْ كَيْفَ يَبْلُغُهُ وَهُمْ بِلَا شَبِّهِ وَقَدْ تَعَالَى عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْوَلَدِ
مَنْ أَنْشَأَ الْكَوْنَ قَبْلَ الْكَوْنِ مُبْتَدِعًا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ قَدِيمٍ كَانَ فِي الْأَبَدِ
وَدَهَّرَ الدَّهْرَ وَالْأَوْقَاتَ وَاخْتَلَفَتْ بِمَا يَشَاءُ فَلَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدْ
إِذْ لَا سَمَاءَ وَلَا أَرْضَ وَلَا شَبْحَ فِي الْكَوْنِ سُبْحَانَهُ مِنْ قَاهِرٍ صَمَدٍ
مَا اَزْدَادَ بِالْخَلْقِ مُلْكًا حِينَ أَنْشَأَهُمْ وَلَا يُرِيدُ بِهَا دَفْعًا لِمُضْطَهَدٍ
وَكَيْفَ وَهُوَ غَنِيٌّ لَا افْتِقَارَ بِهِ وَالْخَلْقُ تَضَطَّرُّ بِالتَّضَرِّيفِ وَالْأَوْدِ
وَلَمْ يَدْعُ خَلْقَ مَا لَمْ يُبْدِ خَلْقَتَهُ عَجْزًا عَلَى سُرْعَةٍ مِنْهُ وَلَا تُؤَدِّ
إِحَاطَةً بِجَمِيعِ الْغَيْبِ عَنْ قَدَرٍ أَحْصَى بِهَا كُلَّ مَوْجُودٍ وَمُفْتَقَدٍ
وَكُلُّهُمْ بِاضْطِرَارٍ الْفَقْرَ مُعْتَرِفٌ إِلَى فَوَاضِلِهِ فِي كُلِّ مُعْتَمِدٍ
الْعَالَمُ الشَّيْءَ فِي تَضَرِّيفِ حَالَتِهِ مَا عَادَ مِنْهُ وَمَا يَمْضِي فَلَمْ يَعُدِ
وَيَعْلَمُ السِّرَّ مِنْ نَجْوَى الْقُلُوبِ وَمَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَفِيٌّ جَالٌ فِي خَلَدِ
وَيَسْمَعُ الْحِسَّ مِنْ كُلِّ الْوَرَى وَيَرَى مَدَارِجَ الذَّرِّ فِي صَفْوَانِهِ الْجَلَدِ
وَمَا تَوَارَى مِنَ الْأَبْصَارِ فِي ظُلَمٍ تَحْتَ الثَّرَى وَقَرَارِ الْيَمِّ وَالشَّمَدِ

الْأَوَّلُ الْآخِرُ الْفَرْدُ الْمُهَيَّمُ لَمْ
 عَالٍ عَلَيَّ عَلِيمٌ لَا زَوَالَ لَهُ
 وَجَلَّ فِي الْوَصْفِ عَنْ كُنْهِ الصِّفَاتِ وَعَنْ
 مَنْ لَمْ يُجَازَى بِنُغْمَى مِنْ فَوَاضِلِهِ
 وَكُلُّ فِكْرَةٍ مَخْلُوقٍ إِذَا اجْتَهَدَتْ
 مُسَبِّحٌ بِلُغَاتِ الْعَارِفَاتِ بِهِ
 الْفَالِقُ الثَّوَرُ وَالظُّلُمَاءُ وَهِيَ عَلَى
 إِذْ مَدَّهَا مَدٌّ فَوْقَ الرِّيحِ مَنْشَأَهَا
 وَشَدَّهَا بِالْجِبَالِ الصُّمِّ فَاضْطَّادَتْ
 بَرَا السَّمَاوَاتِ سَقْفًا ثُمَّ أَنْشَأَهَا
 ثَقُلَهُنَّ مَعَ الْأَرْضِينَ قَدَرْتُهُ
 وَبَثَّ فِيهَا صُنُوفًا مِنْ بَدَائِعِهِ
 مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَرَا أَصْنَافَهُ وَذَرَا
 فِيهَا الْمَلَائِكُ بِالتَّسْبِيحِ خَاضِعَةً
 بَرَا السَّمَاءَ بُرُوجًا مِنْ كَوَاكِبِهَا
 مِنْهَا جَوَارٍ وَمِنْهَا رَاكِدٌ أَبَدًا
 يَغْرُبُ وَلَمْ يَنْسَ مِنْ قُرْبٍ وَلَا بُعْدٍ
 وَلَمْ يَزَلْ أَرْلِيًّا غَيْرَ ذِي فَقْدٍ
 مَقَالَ ذِي الشَّكِّ وَالْإِلْحَادِ وَالْعَنَدِ
 وَلَمْ يَنْلُهُ بِمَدْحٍ وَصْفٌ مُجْتَهِدٍ
 بِمَدْحِهِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا إِلَى الْأَبَدِ
 لَمْ تَدِرْ مَا غَيْرُهُ رَبًّا وَلَمْ تَجِدِ
 مَاءٍ تَقَاذِفُ بِالْأَمْوَاجِ وَالرَّبْدِ
 فَسَبَّحَتْ وَهِيَ فَوْقَ الْمَاءِ فِي أَمَدٍ
 أَرْكَانُهَا بِشِدَادِ الصَّخْرِ وَالْجَلَدِ
 سَبْعًا طَبَاقًا بِلَا عَوْنٍ وَلَا عَمَدٍ
 وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَثْقُلْ وَلَمْ يُؤْدِ
 مِنَ الْخَلَائِقِ مِنْ مَثْنَى وَمِنْ وَحْدٍ
 أَسْبَاحُهُ بَيْنَ مَكْشُورٍ وَمُنْجَرِدٍ
 لَا يَسْأَمُونَ لِطُولِ الدَّهْرِ وَالْأَمَدِ
 تَجَرَّيْنَ مِنْ فَلَكِ الْأَفْلَاقِ فِي كَبَدٍ
 وَالْقُطْبُ فِي مَرْكَزٍ مِنْهُنَّ كَالْوَتَدِ

وَالشَّهْبُ تَحْرُقُ فِيهَا يَتَدَرْنَ إِلَى
وَكُلُّ مُسْتَرِقٍ لِلسَّمْعِ يَتَّبِعُهُ
وَيَرْفَعُ الْعَيْمَ أَسْتَارًا لَهَا فَتَرَى
عَلَى هَوَاءٍ رَقِيقٍ فِي لَطَافَتِهِ
وَصَيَّرَ الْمَوْتَ فَوْقَ الْخَلْقِ لَا لَجَأً
فَالْمَوْتُ مَيِّتٌ وَكُلُّ هَالِكُونَ خَلَا
أَفْنَى الْقُرُونِ وَأَفْنَى كُلِّ ذِي عُمْرٍ
يَا رَبِّ إِنَّكَ ذُو عَفْوٍ وَمَغْفِرَةٍ
وَاجْعَلْ إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مَوْثِلَنَا
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزِّ مِنْ مَلِكٍ
قَذَفَ الشَّيَاطِينَ مِنْ جَنَاتِهَا الْمُرْدِ
مِنْهَا شَهَابٌ نُجُومٍ دَائِمُ الرَّصْدِ
فِيهَا الصَّوَاعِقُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْبَرْدِ
يُخَيِّ بِه كُلِّ ذِي رُوحٍ وَذِي جَسَدٍ
مِنْهُ وَلَا هَرَبَ مِنْهُ إِلَى سَنَدٍ
وَجْهِ الْإِلَهِ الْكَرِيمِ الدَّائِمِ الصَّمَدِ
كَعُمَرِ نُوحٍ وَلُقْمَانَ أَخِي لُبْدٍ
فَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِ الْمَوْفِقِ النَّكِدِ
مَعَ النَّبِيِّينَ وَالْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْدِ
مَنْ اهْتَدَى بِهْدَى رَبِّ الْعِبَادِ هُدًى

* * * * *

● يَقُولُ آخَرُ:

كَبُرَتْ هِمَّةُ عَبْدٍ طَمَعَتْ فِي أَنْ تَرَكََا
مَنْ يَصُمُ عَنْ مُفْطِرَاتٍ فَصِيَامِي عَنْ سَوَاكَ

● وَيَقُولُ آخَرُ :

وَقَدْ صُمْتُ عَنْ لَذَاتِ دَهْرِي كُلِّهَا وَيَوْمَ لِقَاكُمْ ذَاكَ فِطْرُ صِيَامِي

* * * * *

وَيَقُولُونَ فِي الشَّاءِ عَلَى اللَّهِ

□ اِسْمَعْ وَرَقَّةُ بْنُ نَوْفَلٍ:

أَقُولُ إِذَا هَبَطْتُ أَرْضًا مَخُوفَةً حَنَانِكَ لَا تُظْهِرُ عَلَيْنَا الْأَعَادِيَا
حَنَانِكَ إِنَّ الْجِنَّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ وَأَنْتَ إِلَهِي رَبُّنَا وَرَجَائِيَا
أَدِينُ لِرَبِّ يَسْتَجِيبُ وَلَا أُرَى أَدِينُ لِمَنْ لَا يَسْمَعُ الدَّهْرُ دَاعِيَا
أَقُولُ إِذَا صَلَّيْتُ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ تَبَارَكْتَ قَدْ أَكْثَرْتَ بِاسْمِكَ دَاعِيَا

* * * * *

● ويقولُ أَيْضًا:

سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ سُبْحَانَا نَعُوذُ بِهِ وَقَبْلُ قَدْ سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجُمُدُ
مُسَخَّرَ كُلِّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْأَوِيَ مُلْكُهُ أَحَدُ

* * * * *

□ ويقولُ قَسُّ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ :-

هَاجَ لِلْقَلْبِ مِنْ هَوَاهُ ادِّكَارُ وَلَيَالٍ خِلَالُهُنَّ نَهَارُ
وَجِبَالُ شَوَامِخُ رَاسِيَاتُ وَبَحَارُ مِيَاهُهُنَّ غِرَارُ
وَنُجُومٌ يَحُثُّهَا قَمَرُ اللَّيْلِ لِي وَشَمْسٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُدَارُ
وَالَّذِي قَدْ ذَكَرْتُ دَلَّ عَلَى اللَّهِ فِي نَفُوسَا لَهَا هُدًى وَاعْتِبَارُ

● ويقول آخر:

ولهُ الطَّيْرُ تَسْتَرِيحُ وتَأْوِي فِي وَكُورٍ مِنْ آمِنَاتِ الْجِبَالِ
ولهُ الْوَحْشُ فِي الْفَلَاةِ تَرَاهَا فِي حَفَافٍ وَفِي ظِلَالِ الرَّمَالِ

* * * * *

□ وانظر إلى هذا التَّسْبِيحِ الْجَمِيلِ:

سُبْحَانَ مَنْ لَوْ سَجَدْنَا بِالْعُيُونِ لَهُ عَلَى سَبَا الشُّوْكِ وَالْمَحْمَى مِنَ الْإِبْرِ
لَمْ نَبْلُغِ الْعُشْرَ مِنْ مِغْشَارِ نِعْمَتِهِ وَلَا الْعُشَيْرَ وَلَا عُشْرًا مِنَ الْعُشْرِ
هُوَ الرَّفِيعُ فَلَا الْأَبْصَارُ تُدْرِكُهُ سُبْحَانَهُ مِنْ مَلِكٍ نَافِذِ الْقَدْرِ
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ أَنْسَى إِذْ خَلَوْتُ بِهِ فِي جَوْفٍ لَيْلِي، وَفِي الظُّلُمَاءِ وَالسَّحْرِ
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَأَنْتَ الْحَبُّ يَا أَمَلِي مَنْ لِي سِوَاكَ وَمَنْ أَرْجُوهُ يَا ذُخْرِي

● ثُمَّ يَقُولُ :

كَمْ قَدْ زَلَلْتُ فَلَمْ أَذْكُرْكَ فِي زَلَلِي
وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي فِي الْغَيْبِ تَذْكُرُنِي
كَمْ أَكْشِفُ السُّرَّ جَهْلًا عِنْدَ مَعْصِيَتِي
وَأَنْتَ تَلْطُفُ بِي حَقًّا وَتَسْتُرُنِي
لَأُبْكِيَنَّ بِدَمْعِ الْعَيْنِ مِنْ أَسَفٍ
لَأُبْكِيَنَّ بُكَاءَ الْوَالِدِ الْحَزَنِ

* * * * *

□ ويقولُ الشَّاعِرُ في آيَاتِ اللَّهِ في الكَوْنِ:

وَحِينَ يُسَاقُ السَّحَابُ الْجَوَادُ لِيُحْيِيَ فِي الْأَرْضِ مَوْتَى الْقُبُورِ
وَفِي الشَّمْسِ لُفَّتْ بِخِذْرِ الْحَيَاءِ تُنَادِي الْأَحِبَّةَ عِنْدَ الْبُكُورِ
وَفِي النَّخْلِ دَانٍ بِقِنْوَانِهِ وَفِي التَّحْلِ يَجْمَعُ حُلُوَ الْعَبِيرِ

* * * * *

● ويقولُ الشَّاعِرُ:

عَالَمٌ سَابِخْ وَكَوْنٌ يَدُورُ وَسَحَابٌ يُطَوِي وَأَرْضٌ تَمُورُ
يَا لَفَجْرِ يَنْسَابُ فِي مُقَلَّةِ اللَّيْلِ لِي فَيَعْلُو التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ
كُلَّمَا أَرْسَلَ الصَّبَاحُ شُعَاعًا أَذَّنَ الدِّيكُ وَانْتَشَى الْعُصْفُورُ
وَبَدَتْ صَفْحَةٌ مِنَ الْحُسْنِ فِيهَا أَسْطَرَّ خَطَّهَا الْبَدِيعُ الْقَدِيرُ
زَخَرَفَ الزَّهْرُ «لَوْحَةً» مِنْ جَمَالٍ وَتَغَنَّى فِي رَوْضِهِ الشُّحُرُورُ
وَعَفَا الْوَرْدُ فِي رَوَاءِ الْعَذَارَى وَالنَّدَى فِيهِ لَوْلُؤُ مَنْشُورُ
وَاللُّجَيْنُ الْمُنْسَابُ فَوْقَ الرَّوَابِي رَقَّ لَحْنًا وَطَابَ مِنْهُ الْخَرِيرُ
فِتْنَةٌ تُبْهِرُ الْعُيُونَ وَحُسْنٌ وَبَهَاءٌ تَغَارُ مِنْهُ الْبُدُورُ

* * * * *

□ ويقول الشاعر عن المحيين:

وَلَهُ خَصَائِصُ يَكْلِفُونَ بِحُبِّهِ اخْتَارَهُمْ مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ
اخْتَارَهُمْ مِنْ قَبْلِ فِطْرَةِ خَلْقِهِ بِوَدَائِعِ وَفَوَائِدِ وَبَيَانِ

* * * * *

● ويقول آخر:

غَرَسْتَ الْحُبَّ غَرْسًا فِي فُؤَادِي فَلَا أَسْلُو إِلَى يَوْمِ النَّادِ
وَأَخْيَيْتَ الْفُؤَادَ بِطِيبِ حُبٍّ فَشَوْقِي زَائِدٌ وَالْحُبُّ بَادٍ

* * * * *

● ويقول آخر:

قَوْمٌ هُمُومُهُمْ بِاللَّهِ قَدْ عَلِقَتْ فَمَا لَهُمْ هِمَمٌ تَسْمُو إِلَى أَحَدٍ
مَا إِنْ تَنَازَعَهُمْ دُنْيَا وَلَا شَرَفٌ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَاللَّذَّاتِ وَالْوَلَدِ
وَلَا لِبَلِيسٍ ثِيَابٍ فَائِقٍ أَنْقِ وَلَا لِزُوجِ سُرُورٍ حَلٍّ فِي بَلَدٍ
إِلَّا مُسَارَعَةً فِي إِثْرِ مَنْزِلَةٍ قَدْ قَارَبَ الْخَطُؤُ فِيهَا بَاعِدَ الْأَبَدِ
فَمَطْلَبُ الْقَوْمِ مَوْلَاهُمْ وَسَيِّدُهُمْ يَا حُسْنَ مَطْلَبِهِمْ لِلْوَاحِدِ الصَّمَدِ

* * * * *

□ ويقولُ الشَّاعِرُ عَنِ الْمُحَيِّينَ:

هُمُومُهُمْ جَوَالَةٌ بِمَعْسَكِرِ
 بِهِ أَهْلُ وَدِّ اللَّهِ كَالْأَنْجَمِ الزُّهَرِ
 فَمَا عَرَّسُوا إِلَّا بِقُرْبِ حَبِيبِهِمْ
 وَمَا عَرَّجُوا عَنْ مَسِّ بُؤْسٍ وَلَا ضُرِّ
 سُكُونٌ إِلَى رُوحِ الْيَقِينِ وَطَيْبِهِ
 كَمَا سَكَنَ الطِّفْلُ الرِّضِيعُ إِلَى الْحَجَرِ

* * * * *

يَحْيَى بْنُ مُعَاذِ الرَّازِيِّ
سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْمُحِبِّينَ

● يَقُولُ - رَحِمَهُ اللَّهُ :-

أَمُوتُ بِدَاءٍ لَا يُصَابُ دَوَائِيَا وَلَا فَرَجٌ مِمَّا أَرَى فِي بَلَائِيَا
يَقُولُونَ: يَحْيَى جُنٌّ مِنْ بَعْدِ صِحَّةٍ وَلَا يَعْلَمُ الْعَذَّالُ مَا فِي حَشَائِيَا
إِذَا كَانَ ذَاؤُ الْمَرْءِ حُبَّ مَلِيكِهِ فَمَنْ غَيْرُهُ يَرْجُو طَبِيبًا مُدَاوِيَا
ذَرُونِي وَشَأْنِي لَا تَزِيدُونِ كُرْبَةً وَخَلُّوا عِنَانِي نَحْوَ مَوْلَى الْمَوَالِيَا
أَلَا فَاهْجُرُونِي وَارْغَبُوا فِي قَطِيعَتِي وَلَا تَكْشِفُوا عَمَّا يُجَنِّي فُؤَادِيَا
كَلُونِي إِلَى الْمَوْلَى وَكُفُّوا مَلَامَتِي لِأَنْسَ بِالْمَوْلَى عَلَى كُلِّ مَا بَيَا

* * * * *

□ وَيَقُولُ الشَّاعِرُ:

يَا سُرُورِي وَمُنِيِّتِي وَعِمَادِي وَأَنِيسِي وَعُذَّتِي وَمُرَادِي
أَنْتَ رُوحُ الْفُؤَادِ أَنْتَ رَجَائِي أَنْتَ لِي مُؤْنِسِي وَشَوْقُكَ زَادِي
كَمْ بَدَتْ مِنِّي وَكَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ عَطَاءٍ وَنِعْمَةٍ وَأَيَادِي
حُبُّكَ الْآنَ بُغْيَتِي وَنَعِيمِي وَجَلَاءُ لِعَيْنِ قَلْبِي الصَّادِي
لَيْسَ لِي عَنْكَ مَا حَيْثُ بَرَاخَ أَنْتَ مِنِّي مُمَكِّنٌ فِي الْفُؤَادِ

* * * * *

□ ويقولُ الشَّاعِرُ:

لَمَّا عَلِمْتُ بِأَنَّ قَلْبِي فَارِغٌ مِمَّنْ سِوَاكَ، مَلَأْتُهُ بِهَوَاكَ
وَمَلَأْتُ كُلِّي مِنْكَ، حَتَّى لَمْ أَدْعُ مِنِّي مَكَانًا خَالِيًا لِسِوَاكَ
فَالْقَلْبُ فِيكَ هَيَامُهُ وَغَرَامُهُ وَالرُّوحُ لَا تَنفَكُ عَنْ ذِكْرَاكَ
وَالسَّمْعُ لَا يُضْغِي إِلَى مُتَكَلِّمٍ إِلَّا إِذَا مَا حَدَّثُوا بِخُلَاكَ
وَالطَّرْفُ حَيْثُ أُجِيلُهُ مَتَلَفِّتًا فِي كُلِّ شَيْءٍ يَجْتَلِي مَعْنَاكَ

* * * * *

□ انْظُرْ يَا أَخِي إِلَى آيَاتِ اللَّهِ، مَنْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ بِنُورِ حِكْمَتِهِ، وَمَنْ
السَّمَاوَاتُ حَبَابٌ مِنْ بَحْرِ قُدْرَتِهِ:

فَفِي مَسَارِحِ غَزَلَانِ الْحَمَائِلِ فِي بَرْدِ الْأَصَائِلِ وَالْإِصْبَاحِ فِي الْبَلَجِ
وَفِي مَسَاقِطِ أَنْدَاءِ الْغَمَامِ عَلَى بِسَاطِ نُورٍ مِنَ الْأَزْهَارِ مُنْتَسَجِ
وَفِي مَسَاحِبِ أَذْيَالِ النَّسِيمِ إِذَا أَهْدَى إِلَيَّ سَحِيرًا أَطْيَبَ الْأَرْجِ

* * * * *

لَا شَرِيكَ لَهُ

عَلَّمْتَنِي الْحَيَاةَ أَنْ ابْتِغَاءَ اللَّهِ قَدْ فِي كُلِّ شَأْنٍ وَقَصْدٍ
 يُبْلِغُ الْمَرْءَ سُؤْلَهُ وَمُنَاهُ وَسِوَاهُ - مَهْمَا ادَّعَى - لَيْسَ يُجِدِي
 كَمْ تَحَرَّفْتُ مِنْ لَوَاعِجٍ وَجُدِي ثُمَّ، بِاللَّهِ، كَانَ يَسْكُنُ وَجُدِي
 وَلَكَمْ ضِيقْتُ بِالتَّوَحُّدِ ذُرْعًا ثُمَّ بِاللَّهِ لَدَى لِي الْعَيْشُ وَخُدِي
 كَمْ طَلَبْتُ الْعُلَا، وَأَنْفَقْتُ فِيهَا عُنُقُونَ الصُّبَا، وَغَايَةَ جُهِدِي
 فَاسْتَحَالَتْ عَلَيَّ، حَتَّى طَلَبْتُ اللَّهَ - عَبْدًا حُرًّا - وَإِذْ هِيَ عِنْدِي
 كَمْ بَذَلْتُ الْحَيَاةَ.. أَسْعَى وَأَسْعَى أَسْتَحِثُّ الْخُطَا لِلْجِدِّ وَسَعْدِ
 دُونَ جَدْوَى.. حَتَّى تَجَلَّى إِلَهِي بَرِضَاهُ، فَكَانَ سَعْدِي وَمَجْدِي
 أَيُّهَا التَّاجِرُ الْمُرَاوِغُ دُنْيَا هُ لَتَضْطَّادَهَا بِصَفْقَةِ عَقْدِ
 دَعَاكَ مِنْ وَهْمِهَا وَزُورِ جَدَاهَا فَجَنَاهَا مُرٌّ بِقِشْرَةِ شَهْدِ
 وَاتَّجِرْ مَرَّةً مَعَ اللَّهِ تَغْنَمَ فَوْقَ دُنْيَا الْفَنَاءِ جَنَّةً خُلْدِ^(١)

* * * * *

(١) من ديوان قلب ورتب «للشاعر عمر بهاء الدين الأميري» ص ٣٥ - ٣٧.

لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ أَحْمَدُ مُخَيَّمَرٌ:

رَبِّي رَحِيمٌ وَرَحْمَنٌ، وَرَحْمَتُهُ تَطْوِي الْوُجُودَ، وَتُغْنِي كُلَّ مُحْتَاجٍ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ لَوْلَاهَا لَمَّا سَبَحْتُ أَرْضٌ بِجَوْ، وَلَا جَاشَتْ بِأَمْوَاجٍ
 وَلَا تَحَرَّكَتِ الْأَقْمَارُ جَارِيَةً لِمُسْتَقَرٍّ بِأَفْلَاكِ وَأَبْرَاجٍ
 مَنْ نَالَهَا فَهُوَ نَاجٍ يَوْمَ مَحْشَرِهِ بِهَا، وَمَنْ لَمْ يَنْلُهَا لَيْسَ بِالنَّاجِي

* * * * *

الْمَلِكُ اللَّهُ، وَالْأَكْوَانُ خُدَّامُ عَبِيدُهُ وَهُوَ لِلْأَشْيَاءِ عَلَّامُ
 كُلُّ الْمُلُوكِ وَكُلُّ الْأَغْنِيَا صُورُ فِي طَيِّ قَبْضَتِهِ، وَاللَّهُ قَوَّامُ
 أَقَامَهُمْ فِي مَقَامِ الْإِمْتِحَانِ، وَهُمْ لَمْ يَفْقَهُوا سِرَّهُ وَالْكُلُّ نُوَّامُ

* * * * *

﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾

يَأْتِيهَا الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ رُحْمَاكَ ضَاعَ الْوُجُودُ وَضَلَّ الْخَلْقُ لَوْلَاكَ
 رَاجِعِينَ بَاكِينَ وَالظُّلَمَاءُ سَاكِئَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ أَوْ شَوْقًا لِنَجْوَاكَ

* * * * *

● وقال الشاعر:

الْمَلِكُ الْمُدَوِّسُ فِي صِفَاتِهِ وَذَاتِهِ مُقَدَّسٌ سُبْحَانَهُ
بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ أَقَامَ مُلْكُهُ وَحِينَ سَوَّاهُ أَعَزَّ شَانَهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ عَارِفٌ جَلَالَهُ وَكُلُّ شَيْءٍ طَالِبٌ غُفْرَانَهُ

* * * * *

﴿ السَّلَام ﴾

● قال أحمدُ مُخَيَّمَرٌ:

سَلَامٌ لِكُلِّ الْكَائِنَاتِ، مُدَبَّرٌ
بِحُكْمَتِكَ الْعُلْيَا لِكُلِّ الْخَلَائِقِ
وَلَوْلَاكَ لَمْ تُشْرِقْ شُمُوسٌ، وَلَمْ تَسِرْ
بِطَاعَةِ مَخْلُوقٍ، وَقُدْرَةِ خَالِقِ
وَقَدْ صَوَّرْتَهَا قُدْرَةُ الْحَقِّ، فَانْتَهَتْ
كَمَا شِئْتَ سِرًّا فِي حِجَابِ الْحَقَائِقِ

* * * * *

﴿ الْمُؤْمِنُ ﴾

لِلْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ تَهْدِينَا إِذَا حَاقَ الضَّلَالُ بِنَا فَأَنْتَ الْمُؤْمِنُ
وَعَلَى الصُّرَاطِ إِذَا تَجَمَّعَ أَهْلُهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ الْفُوزَ إِلَّا الْمُحْسِنُ

* * * * *

﴿المُهَيِّمُ﴾

● قال الشاعرُ أَحْمَدُ مُخَيَّمَرٌ:

فِي قَبْضَةِ الْحَقِّ هَذَا الْكَوْنُ أَجْمَعُهُ جَلَّ الْمُهَيِّمُ إِنْ أُعْطِيَ وَإِنْ مَنَعَا
قَدْ سَبَّحْتَ بِاسْمِهِ الْأَشْيَاءُ عَارِفَةً بَأَنَّ ذِكْرَ اسْمِهِ أَمْنٌ لِمَنْ فَرَعَا
وَمُلْكُهُ وَاسِعٌ، تَطْوِيهِ قُدْرَتُهُ مَنْ شَاءَ يَنْفُذْ مِنْ أَقْطَارِهِ رَجَعَا

● وقال الشاعرُ:

جَلَّ الْمُهَيِّمُ رَبًّا لَا شَرِيكَ لَهُ وَجَلَّ إِنْ لَمْ يَهَبْ شَيْئًا، وَإِنْ وَهَبَا
مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا فِي الْكَوْنِ خَافِيَةٌ تَخْفَى عَلَى عِلْمِهِ بَدْءًا وَمُنْقَلَبَا
إِنَّا إِلَيْهِ أَنْبْنَا خَاشِعِينَ لَهُ وَجَاعِلِينَ لَهُ مِنْ ذِكْرِهِ سَبَبَا
لَا شَيْءَ فِي مُلْكِهِ، أَوْ عَنْ إِرَادَتِهِ بِمُسْتَطِيعِ خُرُوجًا أَيْنَمَا ذَهَبَا

* * * * *

﴿الْعَزِيزُ﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ:

أَنْتَ الْعَزِيزُ وَلَا عَزِيزَ سِوَاكَ كُلُّ الْخَلَائِقِ يَطْلُبُونَ رِضَاكَ
يَا مَنْ لَهُ الزُّلْفَى، وَلَيْسَ بِهِيْنِ أَنْ يَعْرِفُوكَ، وَمُسْتَحِيلٌ ذَاكَ

● ويقولُ عَنْ اسْمِ «الْعَزِيزِ»:

عَزِيزٌ وَكُلُّ الْعَالَمِينَ عَبِيدُ تَفَرَّدَ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَهُوَ مَجِيدُ

لَهُ الْمُلْكُ، تَغْنُو الْكَائِنَاتُ لِثَوْرِهِ قَرِيبٌ إِلَيْهَا فِي الْوُجُودِ، بَعِيدُ
لَهُ الْأَمْرُ، لَا شَيْءَ مِنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ يُرِيدُ إِذَا كَانَ الْعَزِيزُ يُرِيدُ

﴿التَّكَبُّرُ﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ:

مُتَفَرِّدٌ بِالْكِبَرِ يَا ۚ فَلَيْسَ يُشَبِّهُهُ أَحَدٌ
لَوْ شَاءَ أَغْلَقَ بَابَهُ عَمَّنْ عَصَاهُ وَمَنْ جَحَدُ
مُتَوَحِّدٌ مُتَكَبِّرٌ سُبْحَانَهُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ
وَلَهُ الْكَمَالُ بِغَيْرِ حَادٍ وَالْوُجُودُ بِلاَ عَدَدٍ
طُوبَى لِعَبْدٍ صَالِحٍ لِّجَلَالِ سَيِّدِهِ سَجَدُ

● وَيَقُولُ :

مُتَكَبِّرٌ سُبْحَانَهُ مُتَفَرِّدٌ
بِالْكِبَرِ يَا لَهُ الْجَلَالُ الْأَكْبَرُ
كُلُّ الْخَلَائِقِ يَعْرِفُونَ بِأَنَّهُ
رَبُّ الْوُجُودِ عَلَى الْوُجُودِ مُسَيِّطَرُ

﴿الخالق﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ:

خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِقُدْرَتِهِ وَبِنُورِ الْحِكْمَةِ صَوَّرَهَا
وَبَرَاهَا وَفَقَ مَشِيئَتِهِ وَبَغَيْرِ مِثَالٍ قَدَّرَهَا
فَالْمَاءَ لِسِرٍّ حَرَّكَهُ وَالرَّيْحَ لِأَمْرِ سَيَّرَهَا
وَنُجُومَ اللَّيْلِ إِذَا طَلَعَتْ مِنْ أَجْلِ هَذَاكُمْ نَوَّرَهَا

* * * * *

﴿البارئ، المصور﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا خَالِقَ النُّطْفَةِ الْأُولَى بِلَا مِثَالٍ تَعَالَى خَالِقُ الْبَارِي
مُصَوِّرُ كُلِّ شَيْءٍ وَفَقَ حِكْمَتِهِ فَالْمَاءَ وَالطِّينَ غَيْرَ النَّوْرِ وَالنَّارِ

* * * * *

﴿الفتاح﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ:

لِكُلِّ أَمْرِ عَصِيٍّ أَنْتَ فَتَّاحُ وَالرُّوحِ عِنْدَ حُصُولِ الْفَتْحِ تَزْتَاخُ
وَلِلْمَطَالِبِ أَبْوَابٌ مُغْلَقَةٌ لَهَا مِنَ الصَّبْرِ عِنْدَ الضِّيقِ مِفْتَاحُ
طُوْنِي لِمَنْ صَبَرُوا، وَالصَّابِرُونَ لَهُمْ يَوْمَ الْخُلُودِ أَقَاصِيصُ وَأَفْرَاحُ

* * * * *

﴿ الْعَلِيمُ ﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ أَحْمَدُ مُخَيَّمَرٌ:

عَلِيمٌ مُحِيطٌ بِالْوُجُودِ يَعْلَمُهُ وَخَالِقُهُ بِالْعِلْمِ مِنْ قَبْلِ خَلْقِهِ
 فَإِنْ تَبِعَ عِرْفَانَ الْحَقِيقَةِ فَاقْتَرَبَ وَإِنْ ضَلَّتْ ذَرْعًا بِالْحِجَابِ فَالْقَلْبُ
 وَعَارِفٌ مَا يَأْتِي بِهِ الْغَدُ مُودَعًا بِاللَّوْحِ غَيْبٍ نَاطِقَاتٍ بِصِدْقِهِ
 وَمَا عِلْمُهُ إِلَّا حَقِيقَةُ ذَاتِهِ لِغَيْرِ حُدُودٍ عِنْدَ عَارِفٍ حَقِّهِ

* * * * *

﴿ اللَّطِيفُ ﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ :

□ وفي مُنَاجَاةِ اللَّهِ اللَّطِيفِ - سُبْحَانَهُ - قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ:

الطُّفْلَ أَلْهَمْتُهُ أَنْ يَرُضَعَ اللَّبَنَ وَالطَّيْرَ عَلَّمْتُهُ أَنْ يَسْكُنَ الْفَنَّا
 وَالتَّمْلَ تُوحِي لَهُ أَلَّا يَكُونَ بِهَا كَسَلَانً، وَالتَّحْلَ أَنْ يَتَنَبَّيَ لَهُ سَكْنَا
 وَكُلَّ شَيْءٍ بِهِ مِنْ نُورِ لُطْفِكَ يَا لَطِيفُ مَا رَاحَ مِنْهُ يَحْمِلُ الْإِمْنَا
 سُبْحَانَ ذَاتِكَ مَا تَبْدُو دَقَائِقُهُ إِلَّا لِمَنْ دَفَعُوا مِنْ طَاعَةٍ ثَمْنَا

* * * * *

● وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَنْتَ اللَّطِيفُ وَظِلُّ لُطْفِكَ غَامِرٌ مُدَّتْ لِكُلِّ الْكَائِنَاتِ غُصُونُهُ
كُلُّ الْوُجُودِ مُرْتَبٌّ وَمُنَظَّمٌ وَاللُّطْفُ مِنْ خَلَلِ الْفَسَادِ يَصُونُهُ

● قَالَ أَحْمَدُ مُخَيَّمَرٌ:

لَطِيفٌ بِالْوُجُودِ وَبِالْبَرَايَا مُحِيطٌ بِالدَّقَائِقِ وَالْخَفَايَا
وَلَوْلَا لُطْفُهُ خَسِرُوا وَضَلُّوا وَمَا سَلَكَوا الطَّرِيقَ إِلَى الْعَطَايَا
بَكَيْنًا بِالدُّمُوعِ رَجَاءَ لُطْفٍ يُرِينَا سِرَّ غُفْرَانِ الْخَطَايَا

﴿ الْحَلِيمُ ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ :

عَنِ الْعَاصِينَ قَدْ سَكَتَ الْحَلِيمُ وَلَوْلَا حِلْمُهُ ذُلُّوا وَضِيمُوا
وَيُنْهَلُهُمْ بِقُدْرَتِهِ لَيَوْمٍ يُطَالِعُ صُبْحَهُ هَوْلٌ عَظِيمٌ
فَمَا لِلظَّالِمِينَ بِهِ أَنْيْسٌ وَلَا لِلْكَافِرِينَ بِهِ رَحِيمٌ

﴿ الْعَظِيمُ ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ :

عَظِيمٌ لَا تُحِيطُ بِهِ الظُّنُونُ بِقَبْضَتِهِ التَّحَرُّكُ وَالسُّكُونُ
تَعَالَى اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مُقَدَّرُهُ إِلَى وَقْتٍ يَكُونُ

إِذَا مَا فُزَتْ مِنْهُ بِالتَّجَلِّي فَكُلُّ شَدَائِدِ الدُّنْيَا تَهْوُنُ

﴿ الحَفِيزُ ﴾

● قال الشاعر مُخَيَّمَرُ:

جَلَّ الحَفِيزُ فَلَوْلَا لُطْفُ قُدْرَتِهِ ضَاعَ الْوُجُودُ وَضَلَّ النَّجْمُ وَالْفَلَكَ
حَتَّى الْقَطِيرَةُ مِنْ مَاءٍ إِذَا نَزَلَتْ مِنَ السَّحَابِ لَهَا فِي حِفْظِهَا مَلَكٌ

* * * * *

● وقال الشاعر:

يَا حَافِظًا لوجودِ الْعَالَمِينَ، فَمَا يَحِيدُ عَنْ غَايَةِ نَقْصًا وَخُسْرَانًا
وَحَافِظَ الْخَلْقِ أَنْ يُلْقُوا بِأَنْفُسِهِمْ إِلَى الْهَلَاكِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا
خَلَقْتَ فِيهِمْ عُيُونًا يُنْصِرُونَ بِهَا وَقَدْ خَلَقْتَ بِهِمْ لِلْسَّمْعِ آذَانًا
لَوْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ يَا رَبَّاهُ حَافِظُهُمْ لَمْ تَشْهَدْ الْأَرْضُ فَوْقَ الْأَرْضِ إِنْسَانًا

* * * * *

﴿ الْكَرِيمُ ﴾

● وقال الشاعر أَحْمَدُ مُخَيَّمَرُ:

أَنْتَ الْكَرِيمُ فَلَوْلَا رَحْمَةٌ سَبَقَتْ لَمْ يُعْطَ شَرْبَةً مَاءٍ جَاحِدٌ عَاصِي
تُعْطِي بِغَيْرِ حِسَابٍ لَا تَضُرُّ وَلَا يَغِيبُ لُطْفُكَ عَنْ دَانٍ وَعَنْ قَاصِي
وَجَنَّةُ الْخُلْدِ تُعْطِيهَا لِمَنْ حَمَلُوا عِبَاءَ الْحَقِيقَةِ فِي صَبْرٍ وَإِخْلَاصٍ

﴿ الرَّقِيبُ ﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ مُخَيَّمَرٌ:

رَقِيبٌ عَلَى كُلِّ الْوُجُودِ، وَسَاهِرٌ عَلَى الْفَلَكَ الدَّوَّارِ نَجْمًا وَكَوْكَبًا
 رَقِيبٌ عَلَى كُلِّ النُّفُوسِ، وَإِنْ تَلَذُّ بِصَمْتٍ، وَلَمْ تَجْهَرْ بِسِرٍّ تَعْيِينَا
 رَقِيبٌ، تَعَالَى مَالِكُ الْمَلِكِ، مُبْصِرٌ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ، ظَاهِرًا أَوْ مُحَجَّبًا

● وَقَالَ الشَّاعِرُ:

لَكَ الْحَمْدُ رَبِّي، خَلَقْتَ الْوُجُودَ وَأَنْتَ عَلَيْهِ حَفِیْظٌ رَقِيبٌ
 فَلَا الْأَرْضُ تَغْفُلُ عَنْ سَيْرِهَا وَلَا الشَّمْسُ فِي كُلِّ صُبْحٍ تَغِيبُ

* * * * *

﴿ الْمُجِيبُ ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ:

مُجِيبُ السَّائِلِينَ حَمَلْتُ ذَنْبِي وَسِرْتُ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى حِمَاكَ
 وَرُحْتُ أَذُقُ بَابَكَ مُسْتَجِيرًا وَمُعْتَذِرًا وَمُنْتَظِرًا رِضَاكَ
 دَعَوْتُكَ يَا مُفَرِّجَ كُلِّ كَرْبٍ وَلَسْتُ تَرُدُّ مَكْرُوبًا دَعَاكَ
 وَتُبْتُ إِلَيْكَ تَوْبَةً مَنْ تَرَاهُ غَرِيقًا فِي الدُّمُوعِ وَلَا يَرَاكَ

* * * * *

﴿ الْحَكِيم ﴾

● والشاعر يقول عن اسم الحكيم:

حَكِيمٌ عَلِيمٌ بِالْوُجُودِ مُحَرِّكٌ
لِأَفْلَاحِهِ مُغَلِّ سَمَواتِهِ السَّبْعَا
دَعَا كُلَّ مَا فِيهِ فَأَحْسَنَ خَلْقَهُ
بِحِكْمَتِهِ الْغُلْيَا وَأَبْدَعَهُ صُنْعًا
وَمَهَّدَ فِيهِ الْأَرْضَ وَهَدَا وَزَنُوهُ
وَنَضَّرَهَا رَوْضًا، وَفَجَّرَهَا نَبْعًا
فَسَبَّحَ حَتَّى الْوَحْشُ فِي ظِلِّ غَايِهِ
وَضَبَّيْ الْفَلَا فِي الْبَيْدِ، وَالذُّبُّ فِي الْمَرْعَى

* * * * *

﴿ الْوُدُودُ ﴾

● وللشاعر مُحَيِّمِرُ أَيْيَاتٍ عَنِ الْوُدُودِ جَاءَ فِيهَا:

وَدُودٌ تُحِبُّ الْخَيْرَ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ وَتُشْنِي عَلَيْهِمْ، وَالشَّنَاءُ جَمِيلٌ
وَدُودٌ، بِلَا مَيْلٍ وَدُودٌ، بِلَا هَوَى فَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ سِوَاكَ، جَلِيلٌ
لَكَ الْحَمْدُ مَنْ تَرْضَى عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ عَزِيزٌ، وَمَنْ لَمْ تَرْضَ عَنْهُ ذَلِيلٌ
وَدُودٌ، قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِكَ، مَالِكٌ مَفَاتِيحَ غَيْبٍ، مَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ
جَلِيلٌ وَوَهَّابٌ، كَرِيمٌ وَمُنْعِمٌ رَحِيمٌ وَمَعْبُودٌ الْجَلَالِ مَجِيدٌ

تُسَبِّحُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ بِحَمْدِهِ وَتَطْوِي جَنَاحَ الذُّلِّ وَهُوَ شَهِيدُ
فَلَيْسَ لِشَيْءٍ فِي الْوُجُودِ إِرَادَةٌ إِذَا كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُرِيدُ

* * * * *

﴿ الْحَقُّ ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ :

هُوَ الْحَقُّ وَالْأَشْيَاءُ وَهَمَّ وَبَاطِلُ وَكُلُّ وَجُودٍ غَيْرُهُ فَهُوَ زَائِلُ
تَبَارَكَ رَبِّي، مَا تَزَالُ بِحَمْدِهِ تُسَبِّحُ أَفْلَاكَ وَتَدْعُو مَحَافِلُ
سَهَرْنَا لَهُ فِي حُبِّهِ، وَجُومُهُ أَمَامَ دُعَاءِ السَّاهِرِينَ مَشَاعِلُ
لَقَدْ طَالَ بِالرَّكْبِ الْمَسِيرُ، وَلَيْلُهُ مَتَى يَا فِجَاجَ الشُّوقِ تَذْنُو الْمَنَازِلُ

* * * * *

يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ حَنِينِي دَائِمَ وَالْقَلْبُ شَاكِ عَلِيلُ
سَالَ دَمْعِي يَا إِلَهِي وَلَوْلَا غُرْبَتِي مَا كَانَ دَمْعِي يَسِيلُ
غُرْبَتِي نَجْوَى وَنِيرَانُ شَوْقِي وَأَسَى بَاكِ وَلَيْلٌ طَوِيلُ
وَلَكَ الْأَمْرُ وَمَا لِي رَجَاءُ غَيْرَ أَنْ تَسْعَى إِلَيْكَ السَّبِيلُ
وَإِذَا ضَاقَتْ فَتَجْوَى دُعَائِي حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

* * * * *

هَذِهِ الشَّمْسُ تُرْسِلُ الثُّورَ وَالْدِفَّ ءَ فَحَيُّوا إِلَهَنَا شَاكِرِينَ

حِينَ تَجْرِي لِاسْتَقَرِّ لَهَا تُبْ صِرْ مِنْ دُونِهِ الْقَوِيُّ الْمَتِينَا
لَمْ تَزَلْ بِاِقْتِدَارِهِ تَصْنَعُ الصُّبْدَ حَ وَتُلْقِي عَلَى الْفَضَاءِ السِّنِينَا
وَالنُّجُومُ الزُّهْرُ الَّتِي تَمَلَأُ اللَّيْلَ لَ وَتَهْدِي مَسَالِكَ الْحَاثِرِينَا
هُوَ سُبْحَانَهُ مُحَرِّكُهَا مَا سَكُّهَا أَنْ تُحَطِّمَ الْعَالَمِينَا

* * * * *

﴿ الْمُحْصِي ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ:

كُلُّ مَعْلُومٍ فِي عِلْمِكَ كَانَا أَنْتَ مُحْصِيهِ زَمَانًا وَمَكَانَا
أَنْتَ سُبْحَانَكَ أَدْرَى بِالَّذِي فِيهِ ذَرَاتٍ دِقَاقًا وَكَيَانَا
جَلَّ عِلْمُ اللَّهِ فِي الذَّرَّةِ كَمْ مِنْ بُدَيْرَاتٍ وَأَجْسَامٍ تَفَانِي
يَضْرِبُ الْجُدْرَانَ مِنْهَا خَطُوهَا وَتَجُوبُ الْأَفُقَ فِيهَا دَوْرَانَا
أَنْتَ مُحْصِيهَا، وَهَادِيهَا إِلَى نَشْوَةِ التَّسْبِيحِ قَلْبًا وَلِسَانَا

* * * * *

﴿ الْحَيَّ ﴾

● قَالَ أَحْمَدُ مُخَيَّمَرٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ :-

خَالِقُ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ هُوَ الْحَيُّ مُفِيضُ الْحَيَاةِ فِي الْأَشْيَاءِ
فِي الْغُصُونِ الْخَضِرِ الْجَمِيلَةِ، فِي الطَّيْرِ الْمُغْنِي، فِي الْعَابَةِ الشَّجَرَاءِ

فِي الْكَلَامِ الْجَمِيلِ، مِنْ فَمِ إِنْسَا نِ جَمِيلٍ عَذْبٍ شَفِيفِ الصَّفَاءِ
فَالْحَيَاةُ الَّتِي نَرَى قَبَسٌ مِنْ نُورِهِ فِيهِ لَمْسَةٌ لِلْبَقَاءِ
نُورُهُ فِي الْوُجُودِ مَا غَابَ فَوْقَ الْأَرْضِ حَيٌّ عَنْهُ، وَلَا فِي السَّمَاءِ

* * * * *

لَسْتَ سُبْحَانَكَ مُحْتَاجًا إِلَى أَحَدٍ وَالْكُلُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْكَ
يَا عَلِيمَ السِّرِّ فِي أَغْوَارِهِ كَيْفَ لِلْأَسْرَارِ أَنْ تَخْفَى عَلَيْكَ
كُلُّ شَيْءٍ بِكَ بَاقٍ دَائِمٌ وَالَّذِي تَقْضِيهِ مَكْتُوبٌ لَدَيْكَ
يَا مُضِيَّ النَّجْمِ يَا قَيُّومُ يَا نَاقِلَ الْأَطْيَارِ مِنْ أَيْكَ لِأَيْكَ

* * * * *

﴿الوَاحِدُ﴾

وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُلُّ أَسْبَابِ الْكَمَالِ الْقَدِيمِ
وَاحِدٌ دُونَ اِحْتِيَاجٍ لَشَيْءٍ وَاحِدٌ عِلْمَ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ
لَوْ سَمِعَتِ الطَّيْرُ، غَنَّتْ وَقَالَتْ جَلَّ رَبِّي مِنْ عَلَيَّ عَظِيمِ
فَاعْبُدُوهُ وَاسْأَلُوهُ وَتَوَبُّوا وَاطْلُبُوهُ عَفْوَ الْعَفْوِ الرَّحِيمِ
لَا يَنَالُ الْخَيْرَ فِي النَّاسِ إِلَّا «مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمِ»

* * * * *

﴿ المَاجِدُ ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ :

الْمَاجِدُ الْمَعْبُودُ قُدَّسَ كَامِلًا يَغْلُو عَلَى كُلِّ الْوُجُودِ كَمَالُهُ
رَبٌّ غَنِيٌّ عَالِمٌ ذُو قُدْرَةٍ مُتَفَرِّدٌ بِالذَّاتِ جَلَّ جَلَالُهُ
التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ دُعَاهُمُو لِلصَّالِحَاتِ عَطَاؤُهُ وَنَوَالُهُ
وَتَضَرَّعَتْ رُلْفَى إِلَيْهِ نَجْوَاهُ وَشُمُوسُهُ، وَبِحَارُهُ، وَجِبَالُهُ
وَإِذَا الصَّبَاحُ أَطْلَّ فَهُوَ بَهَاؤُهُ وَإِذَا الْوُجُودُ أَضَاءَ فَهُوَ جَمَالُهُ

* * * * *

﴿ الصَّمَدُ ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ :

أَمَامَ بَابِكَ كُلُّ الْخَلْقِ قَدْ وَقَفُوا وَهُمْ يُنَادُونَ: يَا فَتَّاحُ يَا صَمَدُ
فَأَنْتَ وَحْدَكَ تُعْطِي السَّائِلِينَ، وَلَا تَرُدُّ عَنْ بَابِكَ الْمَقْصُودِ مَنْ قَصَدُوا
وَالْخَيْرُ عِنْدَكَ مَبْدُولٌ لِطَالِبِهِ حَتَّى لِمَنْ كَفَرُوا، حَتَّى لِمَنْ جَحَدُوا
إِنْ أَنْتَ يَا رَبُّ لَمْ تَرْحَمْ ضَرَاعَتَهُمْ فَلَيْسَ يَرْحَمُهُمْ مِنْ بَيْنِهِمْ أَحَدُ

* * * * *

﴿ الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ :

جَلَّ رَبِّي الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ مَنْ عَلَى الْخَلْقِ سِوَاهُ يَقْدِرُ

خَالِقُ الْأَفْلَاقِ وَالنَّجْمِ، وَمَا تَحْمِلُ الْأَرْضُ وَتَطْوِي الْأَغْصُرُ
 بَاعِثُ الْمَوْتَى وَمُحْيِيهَا إِلَى مَوْعِدٍ فِيهِ الْبَرَايَا تُحْشَرُ
 مُبْدِعُ آيَاتِهِ شَاهِدَةٌ أَنَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَكْبَرُ
 فَاغْبُدُوهُ، وَاشْكُرُوا آلَاءَهُ فَازَ بِالْجَنَّةِ عَبْدٌ يَشْكُرُ

* * * * *

﴿الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ﴾

لِأَنَّكَ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَفِيتَ عَنِ الْخَلَائِقِ فِي ظُهُورِكَ
 وَأَنْتَ الْبَاطِنُ الْأَزَلِيُّ، تَاهَتْ سَفَائِنُ الْحَقِيقَةِ فِي بُحُورِكَ
 وَمَا شَهِدَتْ سِوَى لَأْلَاءِ نُورٍ يَمُدُّ الْبَاقِيَاتِ عَلَى دُهُورِكَ
 وَنُورُكَ أَثَرُهَا الْمَوْلَى حِجَابٌ يُوَارِي بِالْصَّفَاءِ صَفَاءَ نُورِكَ
 تَحَيَّرَ عَاشِقُوهُ، وَقَدْ تَجَلَّى فَمَا عَرَفُوا شُمُوسَكَ مِنْ بُدُورِكَ

* * * * *

﴿الْمُدَبِّرُ﴾

مُدَبِّرٌ أَنْتَ لِلْأَكْوَانِ تَحْفَظُهَا بِقُدْرَةٍ وَبِتَدْبِيرٍ تُصَرِّفُهَا
 وَأَنْتَ وَحْدَكَ فِي الْآزَالِ تُبَدِّعُهَا وَأَنْتَ وَحْدَكَ فِي الْآبَادِ تَخْلِفُهَا
 وَأَنْتَ وَحْدَكَ مُبْقِيهَا لِغَايَتِهَا فَأَنْتَ وَحْدَكَ وَالْيَهَا وَمُنْصِفُهَا
 إِنْ سَبَّحْتَ لَكَ فَالتَّشْيِيحُ لَذَّتْهَا وَشَوَّقَهَا لَكَ طُولَ الدَّهْرِ يَعْطِفُهَا

سُبْحَانَ ذَاتِكَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ دَقَائِقُ السِّرِّ فِيهَا أَنْتَ تَعْرِفُهَا

﴿ الْمُتَعَالِ ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ:

تَعَالَيْتَ أَنْتَ الْوَاحِدُ الْمُتَعَالِي تَبَارَكْتَ مَوْصُوفًا بِكُلِّ كَمَالٍ
وَكُلِّ عَلِيٍّ فِي الْوُجُودِ عِلْمُهُ فَدُونَكَ فِي قُدْسِيَّةٍ وَجَلَالٍ
تَعَالَيْكَ يَا رَبَّ الْخَلِيقَةِ مُطْلَقٌ بَغَيْرِ حُدُودٍ، أَوْ بَغَيْرِ مِثَالٍ
لِأَنَّكَ سِرُّ الْبَدْءِ، مَالِكُ أَمْرِهِ وَحَافِظُهُ مِنْ ضَيْعَةٍ وَزَوَالٍ
وَمَا الْكَوْنُ فِي بَدْءٍ وَعِنْدَ نِهَائَةٍ سِوَاكَ جَمَالٍ مُشْرِقٍ بِجَمَالٍ
وَقَدَرْتُكَ الْعُظْمَى عَلَيْهِ مَشِئَةٌ فَمَا اعْتَرَضَتْ أَعْيَانُهُ بِجَدَالٍ

﴿ الْبَرُّ ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ:

وَهَبْتَ لِكُلِّ الْخَلْقِ بَرًّا وَرَحْمَةً
وَقَدْ زِدْتَ فِي التَّعْمَى لِمَنْ زَادَ فِي الشُّكْرِ
وَلَمْ تَنْسَ حَتَّى الدُّودَ فِي الصَّخْرِ سَارِبًا
وَلَا الطَّيْرَ فِي جَوٍّ، وَلَا الْوَحْشَ فِي قَفَرٍ

لَأَنَّكَ أَنْتَ الْبَرُّ بِالْخَلْقِ كُلِّهِمْ
وَمُرْشِدُهُمْ لِلنُّورِ فِي ظُلْمَةِ الْكُفْرِ
وَمِنْ أَجْلِهِمْ أَرْسَلْتَ رُسْلَكَ بِالْهُدَى
لِكَيْ يَطْرُقُوا بَابَ الْعِنَايَةِ بِالْعُذْرِ
وَرَيَّيْتَ وَجْهَ الْأَرْضِ فِي الصُّبْحِ بِالسَّنَى
لِيَسْعَوْا، وَفِي الظُّلُمَاءِ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ

* * * * *

﴿ التَّوَابُ ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ :

مَنْ أَذْنَبُوا تَابُوا.. فَإِنْ رَجَعُوا لِلذَّنْبِ يَوْمًا.. كُنْتُ تَوَابًا
وَتَسُوقُ آيَاتِ الْهُدَى.. لِيَرَوْا بَعْدَ الذُّنُوبِ لِتَوْبَةٍ بَابًا
وَتُبَّهَ الْعَاصِينَ.. كَيْ يَجِدُوا لِلْعَفْوِ بَعْدَ الذَّنْبِ أَسْبَابًا

* * * * *

﴿ الْعَفْوُ ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ :

أَرَاكَ عَفَّوًا يَا إِلَهِي عَنِ الَّذِي يَتُوبُ، وَتَمْحُو مَا جَنَاهُ مِنَ الذَّنْبِ
يَكَادُ مِنَ الْإِحْسَاسِ بِالذَّنْبِ حَائِفًا تُقَلِّبُهُ الْأَثَامُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ

وَتَسْمَعُهُ فِي اللَّيْلِ يَدْعُوكَ بَاكِيًا فَتُدْنِيهِ مِنْ عَفْوٍ، وَتُرْضِيهِ مِنْ قُرْبٍ
وَتَجْمَعُ أَفْوَاجَ الْمَلَائِكِ حَوْلَهُ لِكَيْ يَشْهَدُوا عَبْدًا قَرِيبًا مِنَ الرَّبِّ

* * * * *

﴿الرَّءُوفُ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ :

رَءُوفٌ رَحِيمٌ بِالْعِبَادِ كَأَنَّهُمْ بَنُوهُ وَلَمْ يُولَدِ إِلَهِي وَلَمْ يَلِدْ
وَرَأَفَتُهُ بِالْعَبْدِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ ضَعِيفٌ وَمُحْتَاجٌ إِلَى بَابِهِ قَصْدٌ
إِذَا تَابَ خَصَّتْهُ الْمَلَائِكُ بِالرِّضَا وَإِنْ طَرَقَ الْأَبْوَابَ لِلْعَفْوِ لَمْ يُرَدِّ

* * * * *

● وَقَالَ الشَّاعِرُ أَيْضًا:

رَحِيمٌ بِكُلِّ الْخَلْقِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ بَنُوهُ وَهُمْ مِنْ صُنْعِهِ وَابْتِدَاعِهِ
فَإِنْ جَاءَهُ عَاصٍ فَرَأَفَتُهُ بِهِ تُرِيهِ سَبِيلَ الْعَفْوِ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِ
وَإِنْ يَدْعُهُ شَاكٍ شَفَاهُ وَإِنْ يَجِدُ فَقِيرًا يُنَادِي سِرُّهُ بِسَمَاعِهِ
وَمِنْ رَأْفَةِ الرَّحْمَنِ أَطْلَعَ شَمْسَهُ لِتُرْسِلَ فَيُضِ الثَّوْرَ فَوْقَ تِلَاعِهِ
وَزَيَّنَ بِالنَّجْمِ الظَّلَامَ لِيَهْتَدِيَ بِهِ سَالِكٌ مُسْتَرْشِدٌ بِالتِّمَاعِهِ
وَاللَّهُمَّ مَنْ يَخْتَارُ أَتَيْنَ طَرِيقَهُ وَعَلَّمَ مَنْ يَزُتَابُ حُسْنَ اقْتِنَاعِهِ

* * * * *

﴿ مَالِكُ الْمَلِكِ ﴾

● قَالَ مُخَيَّمَرٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ :-

يَا مَالِكَ الْمَلِكِ يَا مَنْ لَا شَرِيكَ لَهُ
 وَلَيْسَ يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ وَإِنْ عَظُمَا
 الْكَوْنُ أَنْشُودَةً مُذْ كَانَ رَائِعَةً
 وَأَنْتَ نَاطِمُهَا جَلُّ الَّذِي نَظَمَا
 دَقِيقَةُ الْوَزْنِ وَالْأَزَالُ قَدْ تَرَكَتْ
 ظِلًّا عَلَيْهَا حَبَابَهَا الْحُسْنَ وَالْعَظَمَا
 مَنْ أَنْتَ تَعْطِيهِ زَادًا لَا يَجُوعُ وَمَنْ
 تَسْقِيهِ شَرِبَةً مَاءٍ لَا يُحِسُّ ظَمًا

﴿ الْجَامِعُ ﴾

● قَالَ الشَّاعِرُ مُخَيَّمَرٌ:

يَا جَامِعًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَأَرْضِهَا وَبِحَارِهَا مِنْ فَوْقِهَا وَهَوَائِهَا
 يَا جَامِعًا بَيْنَ الْقُلُوبِ عَلَى الَّذِي خَبَاتَتْهُ فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ أَهْوَائِهَا
 يَا جَامِعًا بَيْنَ الْحَيَاةِ وَبَيْنَ مَا قَدَّرْتَهُ مِنْ مَوْتِهَا وَفَنَائِهَا
 الْحِكْمَةُ الْعُلْيَا، بِذَاتِكَ آلَفْتُ ذَا كُلِّهِ بِجَلَالِهَا وَبَهَائِهَا
 وَبِقُدْرَةِ تَسْعِ الْوُجُودِ جَمِيعُهُ بِالرَّغْمِ مِنْهُ مُسَلِّمٌ بِقَضَائِهَا

﴿الْهَادِي﴾^(١)

يا هَادِي النَّحْلِ إِلَى بَيْتِهِ وَهَادِي الطُّفْلِ إِلَى ثَدْيِهِ
 وَهَادِي الْعَقْلِ إِلَى ذَاتِهِ فَهَامَ بِالْمَنْشُورِ مِنْ هَدْيِهِ
 وَرَاحَ يَدْعُوكَ .. بِتَسْبِيحِهِ فِي قُرْبِهِ مِنْكَ، وَفِي نَأْيِهِ
 يَسْعَى إِلَى الْأَسْرَارِ فِي حُجُبِهَا لِيَجْنِيَ الْفَرْحَةَ مِنْ سَعْيِهِ
 لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ فَأَنْتَ الَّذِي تَهْدِيهِ بِالْحِكْمَةِ مِنْ غَيْهِ
 خَلَقْتَهُ نُورًا وَإِنْ لَمْ يَجِدْ سَنَاهُ.. فِيمَا ظَنَّ مِنْ رَأْيِهِ

* * * * *

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ﴾^(١)

لَا شَيْءَ مِثْلَكَ فِي وَصْفٍ وَلَا ذَاتٍ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ بِدْعًا، وَالسَّمَاوَاتِ
 وَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، كَيْ نُسَمِّيهِ وَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ فِي النِّهَايَاتِ
 وَالْكَوْنُ مُبْتَدَعٌ، إِذْ أَنْتَ مُوجِدُهُ بِلَا مِثَالٍ شَبِيهِ فِي الْبِدَايَاتِ
 بِقُدْرَةٍ مَا لَهَا حَدٌّ تُنْظِمُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي مَاضٍ وَفِي آتٍ

* * * * *

لَكَ الْحَمْدُ

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا نَسْتَلِدُّ بِهِ ذِكْرًا
وإن كُنْتُ لَا أُحْصِي ثَنَاءً وَلَا شُكْرًا
لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا يَمْلَأُ السَّمَاءَ
وَأَقْطَارَهَا وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ^(١) وَالْبَحْرَ^(١)
لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا سَرْمَدِيًّا مُبَارَكًا
يَقِلُّ مِدَادُ الْبَحْرِ عَنْ كُنْهِهِ خَصْرًا^(٢)
لَكَ الْحَمْدُ تَعْظِيمًا لِوَجْهِكَ قَائِمًا
بِحَقِّكَ فِي السَّرَّاءِ مِنِّي وَفِي الضَّرِّ^(٣)
لَكَ الْحَمْدُ مَقْرُونًا بِشُكْرِكَ دَائِمًا
لَكَ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى لَكَ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَى
لَكَ الْحَمْدُ مَوْضُوعًا بِغَيْرِ نِهَآيَةٍ
وَأَنْتَ إِلَهِي مَا أَحَقُّ وَمَا أُخْرَى^(٤)
لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْكِبَرِيَاءِ وَمَنْ يَكُنْ
بِحَمْدِكَ ذَا شُكْرِ فَقَدْ أَخْرَزَ الشُّكْرَ^(٥)

(١) (وأقطارها) أي نواحيها وجوانبها.

(٢) (سرمديًا) دائمًا (عن كنهه) أي نهايته.

(٣) (لوجهك) لذاتك.

(٤) (وما أخرى) أي وما أجدر.

(٥) (يا ذا الكبرياء) يا صاحب العظمة (أحرز) حاز.

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا لَا يُعَدُّ لِحَاصِرٍ
 أُيْخَصِي الْحَصَى وَالنَّبْتَ وَالرَّمْلَ وَالْقَطْرَا
 لَكَ الْحَمْدُ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً عَلَى
 لَطَائِفِ مَا أَحْلَى لَدَيْنَا وَمَا أَمْرًا^(١)
 لَكَ الْحَمْدُ مَا أَوْلَاكَ بِالْحَمْدِ وَالشَّانِ
 عَلَى نِعَمٍ أَتَبَعْتَهَا نِعَمًا تَتْرَى^(٢)
 لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا أَنْتَ وَفَّقْتَنَا لَهُ
 وَعَلَّمْتَنَا مِنْ حَمْدِكَ النُّظْمَ وَالنُّثْرَا
 لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا نَبْتَغِيهِ وَسِيلَةً
 إِلَيْكَ لِتَجْدِيدِ اللَّطَائِفِ وَالْبُشْرَى^(٣)
 لَكَ الْحَمْدُ كَمْ قَلَّدْتَنَا مِنْ صَنِيعَةٍ
 وَأَبْدَلْتَنَا بِالْعُسْرِ يَا سَيِّدِي يُسْرًا^(٤)
 لَكَ الْحَمْدُ كَمْ مِنْ عَثْرَةٍ قَدْ أَقْلَلْتَنَا
 وَمِنْ زَلَّةٍ أَلْبَسْتَنَا مَعَهَا سِتْرًا^(٥)

(١) (وما أمرا) أي أهنا.

(٢) (ما أولاك) ما أحقك (تتري) يتبع بعضها بعضًا.

(٣) (نبتغيه وسيلة) أي نطلبه قربة.

(٤) (صنيعه) نعمة (يا سيدي) يا مولاي.

(٥) (عثرة) أي زلة.

لَكَ الْحَمْدُ كَمْ خَصَّصْتَنِي وَرَفَعْتَنِي
 عَلَى نُظْرَائِي مِنْ بَنِي زَمَنِي قَدْرًا^(١)
 لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا فِيهِ وَرْدِي وَمَشْرَعِي
 إِذَا خَابَتِ الْأَمَالُ فِي السَّنَةِ الْغَبْرَا^(٢)
 لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يَنْسُخُ الْفَقْرَ بِالْغِنَى
 إِذَا حُزْتُ يَا مَوْلَايَ بَعْدَ الْغِنَى فَقْرًا^(٣)

* * *

(١) (نظرائي) أي أمثالي.

(٢) (وردي) الورد: ضد الصدر.
 (ومشرعي) هو مورد الشارب؛ أعني طريقهم. (خابت الأمال) لم تنل ما طلبت.
 (في السنة الغبرا) أي المجدية.

(٣) (ينسخ) يزيل. (إذا حزت) أي ضمنت، وفي رواية: إذا خفت.

قصيدة أنا العبدُ

لجمال الدين الصرصري^(١)

أنا العبدُ الَّذي كَسَبَ الذُّنُوبَا وَصَدَّتْهُ الْأَمَانِي أَنْ يَثُوبَا
أنا العبدُ الَّذي أَصْحَى حَزِينَا عَلَى زَلَّاتِهِ قَلَقًا كَثِيرَا
أنا العبدُ الَّذي سَطَرْتُ عَلَيْهِ صَحَائِفُ لَمْ يَخَفْ فِيهَا الرَّقِيبَا
أنا العبدُ الْمُسِيءُ عَصَيْتُ سِرًّا فَمَا لِي الْآنَ لَا أُبْذِي النَّحِيْبَا
أنا العبدُ الْمُفْرِطُ ضَاعَ عُمْرِي فَلَمْ أُرَعْ الشَّيْبَةَ وَالْمِشِيْبَا
أنا العبدُ الْغَرِيقُ بُلُجَّ بَحْرِ أَصِيحُ لَرُبَّمَا أَلْقَى مُجِيبَا
أنا العبدُ السَّقِيمُ مِنَ الْخَطَايَا وَقَدْ أَقْبَلْتُ أَلْتَمِسُ الطَّبِيبَا
أنا العبدُ الْمُخْلَفُ عَنْ أَنْاسٍ حَوُوا مِنْ كُلِّ مَعْرُوفٍ نَصِيبَا
أنا العبدُ الشَّرِيدُ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَقَدْ وَافَيْتُ بِأَبْكَمُ مُنِيبَا
أنا العبدُ الْفَقِيرُ مَدَدْتُ كَفِّي إِلَيْكُمْ فَادْفَعُوا عَنِّي الْخُطُوبَا
أنا الْعَدَاؤُ كَمْ عَاهَدْتُ عَهْدًا وَكُنْتُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ كَذُوبَا

(١) هو يحيى بن يوسف الأنصاري، أبو زكريا جمال الدين الصرصري، شاعر من أهل صرصر، «على مقربة من بغداد». سكن بغداد وكان جيد التصنيف له ديوان شعر، قتله التتار حين دخلوا بغداد.

انظر البداية والنهاية ٢١١/١٣، والنجوم الزاهرة ٦٦/٧، والآداب الشرعية لابن مفلح ٦٤/٣.

أَنَا الْمَقْطُوعُ فَارْحَمْنِي وَصَلْنِي وَيَسِّرْ مِنْكَ لِي فَرَجًا قَرِيبًا
أَنَا الْمُضْطَرُّ أَرْجُو مِنْكَ عَفْوَ وَمَنْ يَرْجُو رِضَاكَ فَلَنْ يَخِيبَنَا

* * * * *

فَيَا أَسْفَى عَلَى عُمْرٍ تَقْضَى وَلَمْ أَكْسِبْ بِهِ إِلَّا الدُّنُوبَا
وَأَحْذَرُ أَنْ يُعَاجِلَنِي مَمَاتٌ يُحْيرُ هَوْلُ مَضْرَعِهِ اللَّيْبَا
وَيَا حُزْنَاهُ مِنْ حَشْرِي وَنَشْرِي بَيَّومٍ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شَيْبَا
تَفْطَرَتِ السَّمَاءُ بِهِ وَمَارَتْ وَأَصْبَحَتِ الْجِبَالُ بِهِ كَثِيبَا
إِذَا مَا قُمْتُ حَيْرَانًا ظَمِيمًا حَسِيرَ الطَّرْفِ غُرَيَانَا سَلِيبَا
وَيَا خَجَلَاهُ مِنْ قُبْحِ اكْتِسَابِي إِذَا مَا أَبَدَتِ الصُّحُفُ الْغُيُوبَا
وَذِلَّةِ مَوْقِفٍ وَحِسَابِ عَدْلٍ أَكُونُ بِهِ عَلَى نَفْسِي حَسِيبَا
وَيَا حَذَرَاهُ مِنْ نَارٍ تَلْظَى إِذَا زَفَرْتُ وَأَقْلَقَتِ الْقُلُوبَا
تَكَادُ إِذَا بَدَتْ تَنْشَقُّ غَيْظًا عَلَى مَنْ كَانَ ظَلَامًا مُرِيبَا
فَيَا مَنْ مَدَّ فِي كَسْبِ الْخَطَايَا خُطَى آنَ الْآوَانُ لِأَنْ تَثُوبَا
أَلَا فَاقْلَعْ وَتُبْ وَاجْهَدْ فَإِنَّا رَأَيْنَا كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبَا
وَأَقْبِلْ صَادِقًا فِي الْعَزْمِ وَقَصْدُ جَنَابًا لِلْمُنِيبِ لَهُ رَحِيبَا
وَكُنْ لِلصَّالِحِينَ أَخَا وَخَلًّا وَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرِيبَا

* * * * *

مُنَاجَاةٌ

للشافعي

إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ أَرْفَعُ رَغْبَتِي
وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرْنَتْهُ
وَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ
وَلَوْلَاكَ مَا يَقْوَى بِإِبْلِيسَ عَابِدُ
فَإِنْ تَعَفَّ عَنِّي تَعَفَّ عَنْ مُتَمَرِّدٍ
وَإِنْ تَنْتَقِمَ مِنِّي فَلَسْتُ بِأَيْسٍ
فَجُرْمِي عَظِيمٌ مِنْ قَدِيمٍ وَحَادِثٍ
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَأَقْبَلْتُ خَاشِعًا
حَوَالِي فَضْلُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَفِي الْقَلْبِ إِشْرَافُ الْحُبِّ بِوَصْلِهِ
حَوَالِي إِبْنِ آسٍ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ
أَصُونُ وَدَادِي أَنْ يُدْنِسَهُ الْهَوَى
فَفِي يَقْظَتِي شَوْقٌ وَفِي عَفْوَتِي مُنَى

وَإِنْ كُنْتُ يَا ذَا الْمُنِّ وَالْجُودِ مُجْرِمًا
جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
تَجُودُ وَتَعْفُو مِنْهُ وَتَكْرُمًا
وَكَيْفَ وَقَدْ أَعْوَى صَفِيكَ آدَمًا
ظُلُومُ غُشُومٍ لَا يَزِيلُ مَائِمًا
وَلَوْ أَدْخَلْتَ نَفْسِي بِجُرْمِي جَهَنَّمَ
وَعَفْوُكَ يَأْتِي الْعَبْدَ أَعْلَى وَأَجْسَمًا
وَلَوْلَا الرِّضَا مَا كُنْتُ يَا رَبُّ مُنْعَمًا
وَنُورٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَفْتَرِشُ السَّمَاءَ
إِذَا قَارَبَ الْبُشْرَى وَجَارَ إِلَى الْحَمَى
يُطَالِعُنِي فِي ظُلْمَةِ الْقَلْبِ أَنْجَمًا
وَأَحْفَظُ عَهْدَ الْحُبِّ أَنْ يَتَشَلَّمَا
تُلاحِقُ خَطْوِي نَشْوَةٌ وَتَرْثَمَا

وَمَنْ يَعْتَصِمُ بِاللَّهِ يَسْلَمْ مِنَ الْوَرَى
إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ أَرْفَعُ رَغْبَتِي
وَمَنْ يَرْجُهُ هِيَاتَ أَنْ يَتَنَدَّمَ
وَإِنْ كُنْتُ يَا ذَا الْمَنْ وَالْجُودِ مُجْرِمًا

□ ومنها^(١):

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَصِيرُ لَجَنَّةٍ
فَلَيْلَهُ دَرُّ الْعَارِفِ النَّدْبِ إِنَّهُ
أَهْنَأُ وَإِمَّا لِلْسَّعِيرِ فَأَنْدَمًا
تَسْحُحُ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظِلَامُهُ
فَصِيحًا إِذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ
وَيَذْكُرُ أَيَّامًا مَضَتْ مِنْ شَبَابِهِ
فَصَارَ قَرِينَ الْهَمِّ طُولَ نَهَارِهِ
يَقُولُ: حَبِيبِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُعْثِي
أَلَسْتَ الَّذِي عَذَّبْتَنِي وَكَفَلْتَنِي
عَسَى مَنْ لَهُ الْإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي
وَمَا كَانَ فِي الْوَرَى كَانَ مُعْجَمًا
وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمًا
وَيَخْذُمُ مَوْلَاهُ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمًا
كَفَى بِكَ لِلرَّاجِينَ سُؤْلًا وَمَعْنَمًا
وَمَا زِلْتَ مَتَانًا عَلَيَّ وَمُنْعَمًا
وَيَسْتُرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَ

* * * * *

□ ولله درّه يدعو فيقول:

«اللَّهُمَّ، امن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا

(١) من كتاب «شعر الإمام الشافعي» لعبد العزيز سيد الأهل، ص ٦٠ نقلًا عن الروض الفائق ومعجم الأدباء.

وبينك على السنة، وارزقنا صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك،
وامن علينا بكل ما يقربنا إليك، مقروناً بعوافي الدارين، برحمتك
يا أرحم الراحمين».

□ ثم أنشد:

بِمَوْقِفِ ذُلِّ دُونَ عِزَّتِكَ الْعُظْمَى
بِمَخْفِي سِرِّ لَا أَحِيطُ بِهِ عِلْمًا
بِإِطْرَاقِ رَأْسِي بِاعْتِرَافِي بِذُلِّي
بِمَدِّ يَدِي أَسْتَمْطِرُ الْجُودَ وَالرَّحْمَى
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى الَّتِي بَعْضُ وَصْفِهَا
لِعِزَّتِهَا يَسْتَغْرِقُ النَّشْرَ وَالنُّظْمَا
بِعَهْدٍ قَدِيمٍ مِنْ «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»
بِمَنْ كَانَ مَجْهُولًا فَعَلَّمَتْهُ الْأَسْمَا
أَذِقْنَا شَرَابَ الْأُنْسِ يَا مَنْ إِذَا سَقَى
مُحِبًّا شَرَابًا لَا يُضَامُ وَلَا يَظْمَا

مُنَى الْقَلْبِ

أُنَاجِيكَ فِي لَيْلِي وَفِي الْعَيْنِ أَدْمُعُ وَمَا لِي إِلَّا رَحْمَةٌ مِنْكَ تَشْفَعُ
أَأَدْعُوكَ جَهْرًا أَمْ أُنَاجِيكَ خُفْيَةً؟ وَأَنْتَ لِرَحْفِ «الظِّلِّ» وَ«النَّمْلِ» تَسْمَعُ
وَأَخْشَعُ فِي ذُلِّي لَدَيْكَ فَأَنْتَنِي وَفِي النَّفْسِ إِحْسَاسٌ مِنَ الْعِزِّ أَرْفَعُ
وَأُخَسِّبُ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ تَجَلِّيًّا وَإِذْ بِي فِي دَرَجٍ مِنَ الطِّينِ أَضْرَعُ
فَوَادِي فِي كَفَيْكَ لَيْسَ يَنَالُهُ سِوَاكَ فَمَنْ لِلْقَلْبِ إِلَّاكَ مَرْجِعُ؟
وَعَيْنِي كَمْ جَالَتْ دَمُوعٌ حَبِيسَةٌ بِمَقْلَبِهَا تَرْجُو انْسِكَابًا فَتُثْمِنُ
بَذَلْتُ قُصَارَى الْجَهْدِ أَرْجُو مَكَانَةً لَدَيْكَ مَتَى يَا رَبِّ لِلثَّوْرِ أَرْجِعُ؟
صَبَرْتُ وَهَلْ أَقْوَى عَلَى الصَّبْرِ بَعْدَمَا غَدَوْتُ كَلِيلًا لَيْسَ فِي الْقَوْسِ مَنَزْعُ
إِلَهِي إِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي كَثِيرَةً فَعَفُوكَ يَنَالُهُ لِلذَّنْبِ أَوْسَعُ
مُنَى الْقَلْبِ أَنْ يَحْيَا صَفَاءً مُجَنَّبًا لَدَى نُورِكَ الْقُدْسِيِّ يَسْمُو وَيَخْشَعُ
لَأُرْسَلَ رُوحِي عَبْرَ أَفْقٍ مِنَ الرِّضَى فَيَبْقَى لِرُوحِي فِي «الْحَقِيقَةِ» مَوْضِعُ
وَأَهْجُرُ لَعَوَ النَّاسِ لِلنَّاسِ عَلَنِي أَعِيشْ مَعَ «التَّنْزِيلِ» أَتَلُو وَأَرْكَعُ
أَشْتُمُ عَبِيرَ الْحَقِّ وَالرَّوْضَ مُجَدَّبَ وَأُبْصِرُ نُورًا مِنْ يَقِينِكَ يَسْطَعُ
وَأَسْمَعُ تَرْتِيلَ الْمَلَائِكِ تَارَةً وَطُورًا تَسَابِيحَ النَّبِيِّينَ أَسْمَعُ
أُحَرِّمُ حَاشَا جُودَكَ الْغَامَرَ الَّذِي تُبَاهِي بِهِ الْآفَاقُ وَالْكُونُ أَجْمَعُ

ولكنَّهُ عُجِبَ مِنَ الطَّيْنِ فِي دَمِي يُرِيدُ مَعَ الدُّنْيَا التَّجْلِي وَيَطْمَعُ! (١)

* * * * *

حَتَّى تَرْضَى

لَكَ الْحَمْدُ طَوْعًا .. لَكَ الْحَمْدُ فَرَضًا وَثِقًا عَمِيقًا .. سَمَاءً وَأَرْضًا
لَكَ الْحَمْدُ صَمْتًا .. لَكَ الْحَمْدُ ذِكْرًا لَكَ الْحَمْدُ خَفَقًا حَثِيثًا .. وَنَبْضًا
لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ خَلَايَا جَنَانِي وَكُلَّ كِيَانِي .. رُتُوءًا وَغَمْضًا
إِلَهِي وَجَاهِي إِلَيْكَ أَتْجَاهِي وَطِيدًا مَدِيدًا .. لِتَرْضَى فَأَرْضَى
فَأَنْتَ قَوَامِي ... وَأَنْتَ أَنْسَجَامِي مَعَ الْكَوْنِ وَالْأَمْرِ لَوْلَاكَ فَوْضَى (٢)

شَفَاعَةُ الْحُبِّ

نُورَ عَيْنِي وَقَلْبِي وَهُدَى عَقْلِي وَدَرْبِي
وَرِضَا نَفْسِي وَصَفْوَ الرُّوحِ ، مَهْمَا اشْتَدَّ كَرْبِي
أَجْهَشَ الْوَجْدُ بِأَعْمَا قِي وَنَجَبِي .. طَالَ نَحْبِي
غُرْبَتِي تَحْتَدُّ .. تَمْتَدُّ فِطْرِي .. ثُمَّ طَرْبِي
لِلسَّمَاوَاتِ ... وَأَنْسَ غُرْبَتِي الْحَرَى بِقُرْبِ

(١) من ديوان «في رحاب الأقصى»، ليوسف العظم ص ١٧٧ - ١٧٩.

(٢) من ديوان «قلب ورب» لعمر بهاء الدين الأميري ص ١٩٧ - ١٩٨.

أَدْبِي يَا أَرَبِي سَا ءَ وَذَنبِي.. زَادَ ذُنْبِي
فَبِخْمَرِ الْحُبِّ تُسْتَقْفُ طَرُّ مِنْ أَعْمَاقِ صَبِّ
ثَمَلْتُ ذَاتِي.. فَنَادَيْتُكَ نَاجَيْتُكَ.. دَأْبِي
طَمَعًا بِالْحُبِّ لَا شُكَّ رَى وَلَا طَائِفَ عَثْبِ
يَا حَبِيبِي... أَنَا عَبْدٌ يَا حَبِيبِي أَنْتَ رَبِّي
أَنْتَ فِي خَفَقِ جَنَانِي وَكِيَانِي مِلءَ قَلْبِي
فَإِذَا جَاوَزْتُ حَدِّي أَفَلَا يَشْفَعُ حُبِّي؟! (١)

* * * * *

زِدْنِي هَيَامًا

ضَرَاعَتِي إِلَيْكَ، نَوْرَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، خَلَاقِي وَمَوْلَايَا
ضَرَاعَةٌ يَشْدُو بِهَا دَائِبًا فِي صَمْتِهِ نَبْضُ خَلَائِيَا
وَأَنْتَ أَنْتَ اللَّهُ أَدْنَى إِلَيَّ نَفْسِي مِنْ نَفْسِي وَنَجْوَايَا
وَأَنْتَ مَنْ أَبْدَعَنِي عَاشِقًا لِلْحُسْنِ مُذْ قَدَّرَ مَحْيَايَا
زِدْنِي هَيَامًا بِكَ وَاجْمَعْ عَلَيَّ حُبَّكَ أَوْلَايَ وَأَخْرَايَا (٢)

(١) من ديوان «قلب ورب» للأُميري ص ٢٢٧ - ٢٧٩.

(٢) من ديوان «إشراق» للأُميري، ص ١٥٧ - ١٥٩.

عِزَّةُ التَّذَلُّلِ^(١)

يا مَلَاذًا يا لَوَاذًا^(٢) يا سَنًا ذَرَّةٌ مِنْ وَمُضِهِ تجلو الحَلَكُ
 أَمَلُ الْأَكْوَانِ بِالْخَيْرِ فما خَابَ في الْأَكْوَانِ عَبْدٌ أَمَلَكُ
 وأنا يا ربِّ... عِزِّي أَنَّنِي كُلَّمَا زَلَّتْ مَعَانِي الذَّاتِ لَكَ
 زَادَ شَأْنِي وَارْتَقَى شَأْوِي^(٣) غُلَا مُشْرَبًا^(٤).. فَلَكَا إِثْرُ فَلَكُ
 وَبِنَفْسِي فِي تَعَالِي نَفْسِي وَكَأَنِّي طَائِرٌ فَوْقَ مَلَكُ
 سَبَحَاتٍ لَا تَنِي^(٥) مُضْعِدَةً وَبِهَا التَّقْدِيسُ بِالْحَمْدِ أَشْبِكُ
 فَتَقَبَّلْنِي عَلَى ذَنْبِي فَفِي خَفَقِ قَلْبِي حُبُّكَ الْأَسْمَى سَلَكُ^(٦)

* * * * *

(١) انظر كتاب «محمد إقبال»، للدكتور خالد عباس أسدي ص ٨٠ - ٩٠.

(٢) لواذًا: لاذ بالشيء: لجأ إليه واستغاث.

(٣) شأوي: الشَّؤُ: الأمد والغاية.

(٤) مُشْرَبًا: مُتَطَاوَلًا مُتَطَلَعًا.

(٥) لا تني: ونى: ضعُف.

(٦) من ديوان «قلب ورب» للأميري ص ١٧٢ - ١٧٤.

إِلَهِي ...

تَوَحَّدْتُ وَالْكُونُ فِي رَهْبَةٍ تَلَفْتُ رَأَى اللَّيْلَةِ السَّاجِيَةَ
 وَقِيْثَارَةُ الرِّيحِ فِي وَحْشَةٍ تُغْمِغُمُ أَلْحَانَهَا الْبَاكِیَةَ
 وَقَدْ نَشَرَ الْغَيْمُ فَوْقَ الدُّنَا سِتَارًا مِنْ الْحُمْرَةِ الْوَانِيَةِ
 تَمَزَّعُ أَحْيَاؤُهُ أَجْمَمُ تُطْلُ وَتَلْمَعُ فِي الْحَاشِيَةِ
 وَفِي الْجَوِّ لَبَسُ يُشِيعُ الْوَنَى وَيُسْرِيه هَوْنًا بِأَعْرَاقِيَةِ
 كَأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَاتَا مَزِجًا مَعَالِيَهُ وَاهِيَةَ
 وَآفَاقُهُ حَائِرَاتُ الْمَدَى تَسْرُبْنَ فِي رَحْلَةِ نَائِيَةِ

* * * * *

تَوَحَّدْتُ فِي سَرُوحَةٍ مِنْ سِنَا كَبَّرْتُ تَوَهَّجَ فِي ذَاتِيَةِ
 فَنَاجَيْتُ رَبِّي وَنَادَيْتُهُ وَمَنْ مِنْ إِلَهِي أَوْلَى بِيَةِ؟
 إِلَهِي أَيَا عَالِمًا رَاحِمًا وَيَا مُغْدِقَ النُّعْمَةِ الْنَامِيَةِ
 إِلَهِي.. بِفَيْضِ الْجَدَا وَالنَّدَى بِآلَائِكَ الْبَرَّةِ الْغَالِيَةِ
 بِنَشْوَةٍ وَجِدَ تَهْزُؤُ الْحِشَا بِعَاطِفَةِ ثَرَّةِ سَامِيَةِ
 إِلَهِي بِقِظَةِ رُوحِ دَعَا سَمِيعًا، وَعَيْنُ الدُّجَى غَافِيَةِ
 إِلَهِي بِسَرِّ الْجَوَى وَالْهَوَى يُهَيِّجُ جَوَارِحِي الْعَانِيَةِ

بِنَارِ النَّوَى فِي ضُلُوعِي زَكَتْ بِأَنَاتِ صَدْرِي بِأَهَاتِيهِ
 وَلِلْكَبْتِ فِي غَوْرِ نَفْسِي جُذِيَ وَحُمَى تَعِيْتُ بِأَوْصَالِيهِ
 إِلَهِي بِإِقْبَالِ لُبِّي وَقَلْبِي وَخَفَقْتُهُ لَهَجْتُ ضَاوِيهِ
 تُرَدَّدُ ذِكْرَكَ فِي بَهْجَةٍ تُرَدَّدُ خَاشِعَةً رَاجِيهِ
 وَتَضَعْدُ حَمْدًا نَقِيًّا إِلَيْكَ يُمَازِجُ ذَرَاتِ أَنْفَاسِيهِ
 إِلَهِي أَفْرِغْ مِنْ الصَّبْرِ بَرْدًا عَلَيَّ كُلِّ جَارِحَةٍ لَاطِيهِ
 وَهَبْ لِفُؤَادِي سَكِينَةً قُرْبِ تَبَلُّ صَدَى الْغُلَّةِ الصَّادِيهِ
 إِلَهِي وَأَمَلْ حَيَاتِي جَدًّا فَقَدْ ضِيقْتُ بِالْأَنْهَرِ الْخَاوِيهِ
 وَضَعْ عِزْمَةً مِنْكَ فِي كَاهِلِي لَأَمْضِيَ فِي حَمْلِ أَعْبَائِيهِ
 فَلَا يُهْدَرُ الْخَيْرُ فِي فِطْرَتِي بِحُومَةِ دُنْيَا الْوَرَى الْبَاغِيهِ
 وَأَحْسِنْ نَجَاتِي مِنْ لَوْثِهَا وَمِنْ وَضَرِ النَّزْوَةِ الْغَاوِيهِ

* * * * *

إِلَهِي بِنَفْحَةِ رُوحِكَ أَحْيَا فَمَا لِي وَمَا لِلدُّنَا الْفَانِيَةِ
 فَأَشْرِقْ عَلَيَّ.. عَلَى سِرِّ نَفْسِي لَأَسْمُو بِرُوحِي عَلَى جِسْمِيَةِ
 وَأَنْفَضْ عَنِّي رَيْنَ الثَّرَى فَيَزْكُو وَيَنْشَطُ إِيْمَانِيَةِ
 وَجَنِّدْ كِيَانِي وَقَدْ صُغَّتْهُ فَأَحْكَمْتَ، لِلدَّعْوَةِ الْبَانِيَةِ

أُرِدُّ بِهَا الشَّرَّ خَيْرًا وَبِرًّا بِقُوَّتِكَ الْفَذَّةَ الْهَادِيَةَ
وَأَرْقَى عُقَابَ الْعُلَا مُضْعِدًا وَأُمْلِي بِحُكْمِكَ أَحْكَامِيَّةَ
أَصُونُ الْأَمَانَةَ حَمَلْتِنِيهَا وَعَزْمُكَ يَنْفُثُ فِي عَزْمِيَّةَ
وَأَرْعَى الْخِلَافَةَ أَوْرَثْتِنِيهَا وَأَحْفَظُ فِي الْكُونِ أَقْدَاسِيَّةَ
أُقِيمُ صُروحَكَ رَغَمَ الرَّدَى عَصِيًّا عَلَى الزَّعْزَعِ الْعَاتِيَّةَ
لَقَدْ نَامَ قَوْمُ الرِّسَالَةِ عَنْهَا وَخَالَ الْعِدَا نَوْمَةً قَاضِيَّةَ
إِلَهِي فَكُنْ لِي أَكُنْ صَيِّحَةَ الثُّشُورِ لِأَبْعَثَهُمْ ثَانِيَّةَ
وَأَحْشَدَ لِلْحَقِّ أَجْنَادَهُ وَأَجْمَعَ أَشْتَاتَهُ النَّائِيَّةَ
وَأَنْشُرَ رَايَةَ تَجِيدِهِ عَلَى الْأَرْضِ دَانِيَّةَ قَاصِيَّةَ

* * * * *

إِلَهِي وَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَةً رَانِيَّةَ
فَوَجَّهْ خُطَايَ إِلَى قَصْدِهَا وَحَقِّقْ مُنَايَ وَأَحْلَامِيَّةَ
وَهَبْ لِي فِي كُلِّ حَالٍ رِضًا فَإِنَّ رِضَاكَ هُوَ الْعَافِيَّةَ

* * * * *

إِلَهِي لَجَأْتُ إِلَى مَوْئِلٍ عَزِيزٍ مَنَازِلُهُ عَالِيَّةَ
لَجَأْتُ لَجَأْتُ.. بِذَلَّةِ ذَنْبِي وَعِزَّةِ حُبِّي وَتَسْلِيمِيَّةَ

وَإِنِّي لَأَطْمَعُ فِي مَطْمَعٍ عَظِيمٍ رَحِيمٍ عَلِيمٍ بَيْنَهُ
تَشَبَّهْتُ مِنْهُ بِالطَّافِهِ وَأَنْوَارِهِ وَالذُّنَا دَاجِيَهُ
تَعَلَّقْتُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِأَخْرَجَ لِي عَنْ ذَاتِيهِ

* * * * *

إِلَهِي فَأَكْرَمُ لَجُؤِي إِلَيْكَ وَجُدْ بَطْمَأْنِينَةٍ بَاقِيَةٍ
وَهَبْ لِي مِنَ الْعَزَمِ مَا أُرْتَجِي وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالِيَهُ
إِذَا لَمْ تَشَأْ لِي فَلَنْ لَنْ أَشَاءَ سُدَى أَنَا لَوْلَاكَ يَا رَبِّيهِ
قَصَدْتُ حِمَاكَ بِقَلْبٍ شَغُوفٍ وَعُذْتُ بِحُبِّكَ أَنْ تَرْمِيَهُ
فَطَهَّرْ سُلُوكِي فِي حَاضِرِي وَنَزَّرْ قَوَابِلَ أَيَامِيهِ
وَمُدَّ لِقَلْبِي رِشَاءَ الرِّضَا وَلَا تَزِمْ بِي فِي شَفَا هَاوِيَةٍ^(١)

* * * * *

● ويقولُ الشَّاعِرُ:

لَا تَطْلُبَنَّ مِنْ غَيْرِ رَبِّكَ حَاجَةً إِنْ كُنْتَ بِالرَّحْمَنِ ذَا إِيمَانٍ
وَمَنْ الَّذِي يَسْتَبْدِلُ الضُّعْفَاءَ وَالْفُقَرَاءَ وَالْبُخْلَاءَ بِالرَّحْمَنِ
أَوْ يَشْتَرِي الظُّلُمَاتِ بِالْأَنْوَارِ أَوْ يَرْضَى يَعُودُ بِأَخْسَرِ الْخُسْرَانِ
فَوْضَ إِلَى الْمَعْبُودِ أَمْرَكَ كُلَّهُ وَافِزْ إِلَى الْمَوْلَى بِغَيْرِ تَوَانِي

(١) من ديوان «إشراق» لعمر بهاء الدين الأميري.

وأَقْرَعُ إِذَا نَامَ الْأَنَامُ وَعَلَّقُوا أَبْوَابَهُمْ بَابَ النَوَالِ الْهَانِي
 بَابَ الَّذِي بَسَطَ الْيَدَيْنِ بَلِيلِهِ وَنَهَارِهِ لِتَدَارِكِ الْعِصْيَانِ
 وَيَدَاهُ مَبْسُوطَانِ لِلْإِحْسَانِ مَا قُبِضَتْ يَدٌ خَوْفًا مِنَ التَّقْصَانِ
 بَابَ الَّذِي إِنْ لَمْ تَسْأَلْهُ فَضْلَهُ يَغْضَبُ فَكَيْفَ يَرُدُّ بِالْحَرَمَانِ
 بَابَ الْمَجِيبِ إِذَا دَعَاهُ مُرْتَجٍ لَاجٍ إِلَيْهِ مَا لَهُ مِنْ ثَانِي
 الْوَاعِدُ الْعَبْدَ الْإِجَابَةَ إِنْ دَعَا فِي آتِي بَشْرَى مِنَ الْقُرْآنِ
 بَابَ الَّذِي نَبَأَ الرَّسُولُ بِقُرْبِهِ لِيُبَشِّرَ الْجُهْلَا مِنَ الْعُبْدَانِ
 بَابُ إِذَا لَمْ تَأْتِهِ مُتَذَلِّلًا لَمْ تَحْظَ بِالْإِيمَانِ وَالْغُفْرَانِ
 وَخَسِرْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ تَفْزُ بِمُنَى وَعُدَّتْ بِخَيْبَةٍ وَهَوَانِ
 بَابَ الَّذِي يُغْنِيكَ عَنْ زَيْدٍ وَعَنْ عَمْرٍو وَعَنْ ثَانٍ وَعَنْ أَغْوَانِ
 بَابَ الَّذِي إِنْ يُعْطِ كُلًّا سُؤْلُهُ لَمْ يُلَفْ مُتَقَصِّصًا مَدَى الْأَزْمَانِ
 بَابَ الَّذِي لَوْ يَتَّقِيهِ الْخَلْقُ مَا زَادُوهُ فِي مُلْكٍ وَلَا سُلْطَانِ

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلَمِ
 يَا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلَوَى مَعَ السَّقَمِ
 قَدْ نَامَ وَفَدَكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَانْتَبَهُوا
 وَأَنْتَ عَيْتُكَ يَا قَيُّومُ لَمْ تَنَمْ

هَبْ لِي بِجُودِكَ فَضْلَ الْعَفْوِ عَنْ جُرْمِي
يَا مَنْ إِلَيْهِ أَشَارَ الْخَلْقُ فِي الْحَرَمِ
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يُدْرِكُهُ ذُو سَرَفٍ
فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ بِالكَرَمِ

* * * * *

□ قال الإمام ابن الوزير الصنعاني في التضرُّع والرجاء:

أَرْجِيكَ إِذْ كُنْتَ أَهْلَ الرَّجَا وَأَخْشَاكَ أَنِّي مِنَ الظَّالِمِينَ
وَأَسْأَلُكَ الْعَفْوَ إِذْ كُنْتُ قَدْ عَلِمْتُ بِحُبِّكَ لِلسَّائِلِينَ
وَأَنَّكَ أَنْتَ الْقَرِيبُ الْمَجِيبُ بَعْثُ أَعْلَمْتَنَا ذَاكَ عِلْمًا يَقِينًا
وَفَوْضْتُ أَمْرِي بَعْدَ الدُّعَا بِحَقٍّ إِلَى أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ
إِذَا شِئْتَ عَافِيَتَنِي مِنْ ذُنُوبِي وَسَامَحْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَهَذَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ وَأَنْتَ تَحُتُّ بِهِ الْمُحْسِنِينَ
وَأَنْتَ الَّذِي قُلْتَ لَا تَقْنَطُوا خِطَابًا خَصَصْتَ بِهِ الْمُسْرِفِينَ^(١)
وَقَيَّدْتَ تَعْذِيبَ أَهْلِ النِّفَاقِ وَأَطْلَقْتَ وَعْدَكَ لِلصَّادِقِينَ^(٢)

(١) إشارة إلى قوله - تعالى -: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ سورة الزمر.

(٢) أشار إلى قوله - تعالى -: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾، سورة الأحزاب: آية: ٢٤.

وُثِّبَتْ عَلَى عَابِدِي الْعَجَلِ كَيْ
يَكُونُوا بِذَاكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ^(١)
فَكَيْفَ يَكُونُ امْرُؤٌ مُسْلِمٌ
أَسَا بَعْدَ هَذَا مِنَ الْقَانِطِينَ
وَإِنْ شِئْتَ عَذَّبْتَنِي عَادِلًا
عَذَابًا عَظِيمًا أَلَيْمًا مُهِينًا
وَهَذَا الَّذِي أَنَا أَهْلٌ لَهُ
لَأَنِّي أَثِيمٌ مِنَ الْآثِمِينَ
فَأَرْجُو بَعِزَّكَ يَا سَيِّدِي
وَضَعْفِي وَكَوْنِكَ أَنْتَ الْمَعِينَا
يَكُونُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ
وَأُولَى بِحَمْدِكَ فِي الْحَامِدِينَ
بِذَاكَ أَمَرْتَ الْعَبِيدَ الضُّعَافَ
وَأَنْتَ بِفَضْلِكَ أَطْمَعْتَ فِي
وَجَاءَ بَيَانُهُمْ فِي الصَّحِيحِ
كَتَابِكَ فِي عَفْوِكَ الْخَالِطِينَ^(٢)
وَمَا صَحَّ أَنَّهُمُ التَّائِبُونَ
وَفِي النَّظَرِ الْحَقُّ لِلنَّاطِرِينَ
وَأَطْمَعْتَ فِي الْعَفْوِ فِي آتِيَيْنِ
نَ فَالسَّابِقُونَ مِنَ التَّائِبِينَ
لِذَلِكَ يَوَدُّونَ لَوْ أَنَّهُمْ
لَمَنْ لَا يُعَدُّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(٣)
كَانُوا لِرَبِّهِمْ مُسْلِمِينَ^(٤)

(١) ﴿ثُمَّ أَخَذْنَاهُمُ الْعَجَلِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، البقرة، آية: ٥١ - ٥٢.

(٢) إشارة إلى قوله - تعالى -: ﴿وَأَخْرَجُوا عَفْرًا يُدْثِرُهُمْ﴾.... إلى آخر الآية.

(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ سورة النساء، آية: ١١٦.

(٤) قال الشارح: البيت هكذا في ديوانه، وفيه الزحاف يجنب لو قال:

لذلك يودون لو أنهم لربهم أصبحوا مسلمينا

والبيت إشارة إلى قوله - تعالى -: ﴿زُبَاً يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

وخصّصَتْ في الذِّكْرِ أَهْلَ الْيَمِينِ
وَكَفَّرَتْ أَشْوَأَ أَعْمَالِهِمْ
وَعَدَّدَتْ يَا رَبِّ فِي الْمُصْطَفَيْنِ
وَأَنْتَ وَعَدْتَ الرَّسُولَ الْأَمِينَا
وَلَا سِيَّمًا فِي أَحْبَائِهِ
كَمَا قَالَهُ لِأَبِي طَالِبٍ
فَكَيْفَ بَمَنْ لَمْ يَزَلْ مُؤْمِنًا
وَيَسْمَحُ إِنْ ظَلَمُوا حَقَّهُ
وَيَغْدُو بِإِحْسَانِهِ فَارِحًا
وَيَنْصُرُ مَا قُلْتَهُ مَفْرَدًا
وَلِلَّهِ فِي ذَا أَتَمِّ الثَّنَا
وَقَى وَكَفَى وَهُوَ نَعْمَ الْوَكِيلُ
لَهُ الشُّكْرُ حَتَّى عَلَى شُكْرِهِ
حِينَ يَمُنُّ غَدَا بِالْخَطَايَا رَهِينَا
إِذَا صَدَّقُوا الرُّسُلَ الصَّادِقِينَ
حِينَ قَوْمًا لَأَنْفُسِهِمْ ظَالِمِينَ^(١)
مَقَامًا حَمِيدًا يَسُرُّ الْأَمِينَا
وَفِي نَاصِرِيهِ وَفِي الْأَقْرَبِينَ
إِذَا كَانَ بِالْعَهْدِ سَمَحًا مُبِينًا^(٢)
يَحُثُّ عَلَى حُبِّكَ الْمُؤْمِنِينَ
وَيَدْعُو وَيَغْفُو عَنِ الظَّالِمِينَ
وَبِالذَّنْبِ جِلْفَ هُمُومٍ حَزِينَا
كَمَا قَدْ عَلِمْتُ عَنِ النَّاصِرِينَ
هُدَانِي وَكُنْتُ غَوِيًّا مُبِينَا
وَكَانَ قَوِيًّا عَزِيزًا مُتِينَا
لَقَدْ مَنَّ فِيهِ عَلَى الشَّاكِرِينَ

* * * * *

(١) «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ» فالظالم لنفسه من المصطفين يتوب الله عليه - إن شاء.

(٢) إشارة إلى قوله - عليه الصلاة والسلام - لأبي طالب: «قل: لا إله إلا الله؛ أشهد لك بها يوم القيامة» وقوله: «لأستغفر لك ما لم أنه عنك».

□ وقال - رحمه الله -: ومن قديم ما قلت في الرجاء:

قد قلتُ إذ عَذَّلُونِي فِي الرَّجَاءِ لَكُمْ وَقَطَّعُوا أَمَلِي فِيكُمْ وَأَطْمَاعِي
لَا تَعَذِّلُونِي وَخَلُّونِي عَلَى عِلَّي فَالْقَلْبُ قَلْبِي وَالْأَوْجَاعُ أَوْجَاعِي
إِنِّي أَحْبُّ عَلَى ظُلْمِي وَمَغْصِبِي أَدْعُو الْكَرِيمَ الَّذِي لَا يَحْرِمُ الدَّاعِي
وَأَرْتَجِيهِ لِأَوْزَارِي يُكْفِّرُهَا فَإِنَّهُ مُطْمِعٌ لِي أَيَّ إِطْمَاعٍ
لَمَّا هَدَانِي إِلَى التَّوْحِيدِ مُبْتَدِيًا بِهِ وَمَنْ بِإِيْمَانِي وَإِسْمَاعِي^(١)
وَمَنْ بِالْخَوْفِ مِنْهُ وَالرَّجَاءِ لَهُ وَبِالتَّلَذُّذِ فِي لَيْلِي بِرَجَائِي^(٢)
وَبِالتَّوَكُّلِ وَالتَّفْوِيزِ إِنَّهُمَا لَمُنْتَهَى كُلِّ فِكْرٍ لِي وَإِزْمَاعِي
حَسْبِيَ الَّذِي ابْتَدَأَ الْأَشْيَاءَ عَنْ حَكَمٍ لِلْحَمْدِ وَالْفَضْلِ مُحْمُودًا بِاجْمَاعِي

* * * * *

● وقال - رحمه الله - في الرجاء، وحسن الظن بالله:

عَذَّلِي عَابُوا رَجَائِي عَذَّلِي حَارُوا وَتَاهُوا
كَيْفَ لَا أَرْجُو الَّذِي لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ سِوَاهُ
جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مَنْصُورًا وَكُلُّ قَدْ رَوَاهُ^(٣)
وَهُوَ أَعْلَى رَتْبَةِ الْمَذْ حٍ لِعَفْوِ هُوَ مَا هُوَ

(١) قال الله - تعالى -: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَنِ﴾، وقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ
الْإِيمَنِ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

(٢) ترجيع الدعاء والتضرع.

(٣) يريد ذكر العفو والغفران، ويمدح الله بهما في عدة آيات.

قَصِرَ الْعَفْوُ عَلَيْهِ فَانظُرُوا ذَا الْمَذْحِ مَا هُوَ^(١)
 هُوَ حَقٌّ أَوْ مَحَالٌ أَوْ صَحِيحٌ أَوْ سِوَاهُ
 لَا وَمَنْ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ بَ وَإِنْ جَلَّ سِوَاهُ
 إِنَّهُ لَلْحَقُّ صِدْقًا وَصِدُوقٌ مَنْ رَوَاهُ
 وَسَعِيدٌ مَنْ تَلَقَّا هُ بِصِدْقٍ وَرَجَاهُ
 وَظُلُومٌ مَنْ يُسَمِّيهِ مَنَا خَابَ مَنَاهُ
 الْأَمَانِي رَدَّهُ الْحَقُّ اجْتَهِادًا بِهِوَاهُ
 إِذْ يَرَى أَهْدَى مِنَ الْقُرْ أَنْ نَهَجًا مَا رَاهُ
 وَيَرَى الْبَاطِلَ فِي مَفْ هُومِهِ مَهْمًا تَلَاهُ
 غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ لِلْعَبْدِ بِدِ بِخَوْفٍ ابْتَلَاهُ
 يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى الْخَوْفِ فِي فَمَوْلَانَا قَضَاهُ
 مَا قَضَى الْخَوْفُ عَلَيْنَا غَيْرَ نَحْطِي بِرِضَاهُ
 مَنْ رَجَا خَافَ مِنَ اللَّهِ وَمَنْ خَافَ رَجَاهُ
 وَلِذَا اخْتَصَّ أَوْلُو الْعِدِّ مِ وَمَنْ قَدْ إِضْطَفَاهُ
 بِمَزِيدِ الْخَوْفِ لِلَّهِ مَعَ وَعْدِ رِضَاهُ
 لَوْ رَجَا الْكَافِرُ أَوْ خَا فِ وَقَاهُ وَكَفَاهُ^(٢)
 ذَا رَجَائِي فِيهِ وَالْإِزْجَاءُ زَوْرٌ لَا أَرَاهُ

(١) يشير إلى قول الله: ﴿لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

(٢) فإنه لو رجا لآمن، فإنه لا يرجوه إلا من يؤمن به، ولا يخافه إلا ذلك.

فاعْرِفِ الإِرْجَاءَ تَعْلَمَ أَنَّ رَجْوَاهُ سَوَاءٌ^(١)

● وقال - رحمه الله :-

إِلَيْكَ جَمِيعُ الْأَمْرِ يُرْجَعُ كُلُّهُ

وَمِنْكَ الْأَمَانِي تُرْتَجَى وَالْبَشَائِرُ^(٢)

وَبَعْضُ أَيْادِكَ الْعَوَالِمِ وَالَّذِي

بِهَا وَالْبَحَارُ وَالْثُقَالُ الْمَوَاطِرُ^(٣)

وَمِنْكَ الْعَطَا وَالْمَنْعُ وَالْأَمْرُ كُلُّهُ

إِلَيْكَ وَمَا فِي الْكَوْنِ غَيْرُكَ قَادِرُ^(٤)

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْنَعْ سِوَاكَ فَلَا أَدَى

إِذَا يَيْسَ الضَّخْصَاخُ فَالْبَحْرُ زَاخِرُ^(٥)

(١) حددوا الرجاء بحدود: الأول: ترقب الانتفاع مما سبق له من سبب ما، وقيل: تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلاً، وقيل: ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، وقيل: هو سرور الفؤاد بحسن الميعاد، وقيل: طمع الإنعام مع ترقب الانتقام، وأما الإرجاء فإنه التأخير، قال أهل الإرجاء: إن الله أخر عذاب المؤمنين فلا عذاب عليهم.

(٢) قال الله - سبحانه -: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾،

وقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، وقال - تعالى -: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى * فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾.

(٣) الثقال: السحاب، وقال - تعالى -: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾.

(٤) هو من قوله - عليه الصلاة والسلام -: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ»، وقوله: (وما في الكون غيرك قادر)؛ لأن كل قادر من العباد فالله أعطاه القدرة، فما في الكون قادر بذاته سواء.

(٥) إن منع غيرك لا يؤذيني فإن منعه منع ضحضاح، وهو بضائين معجمتين وحاءين مهملتين، وهو الماء القليل، فإذا ييس الماء القليل فالبحر - وهو عطاء الله وجوده - زاخِر كثير لا نهاية له.

وعَفْوُكَ يَا رَبَّ الْخَلَائِقِ وَاسِعٌ
 تَضِيعُ الْخَطَايَا عِنْدَهُ وَالْكَبَائِرُ
 فَلَوْ يَعْلَمُ الْخَلْقُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
 مِنْ الْعَفْوِ لَمْ يَقْنُطْ مِنَ الْعَفْوِ فَاجِرُ
 وَرَحْمَتِكَ الْعَظْمَى كَتَبَتْ بِسَبْقِهَا
 كِتَابًا كَرِيمًا فَهُوَ عِنْدَكَ حَاضِرُ
 وَأَنْتَ تُحِبُّ الْحَمْدَ وَالْمَدْحَ وَالثَّنَا
 وَوَصَفُ مُحِبِّ الْحَمْدِ وَالْمَدْحِ ظَاهِرُ
 فَوَعْدُكَ أَوْلَى مِنْ وَعِيدِكَ بِالْوَفَا
 لَذَاكَ وَحَظُّ الْفَضْلِ لِلْعَدْلِ قَاهِرُ
 وَقَدْ جَاءَتْ الْبُشْرَى وَصَحَّتْ بَأَنَّنَا
 لَنَا ظَنُّنَا فَالظَّنُّ أَنَّكَ غَافِرُ
 وَلِي حِينَ يَشْتَدُّ الرَّعِيدُ ذَخِيرَةٌ
 سَرِيرَةٌ حَبٌّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ
 تَجَلَّى هَمُومِي فِي فُؤَادِي قَرَارَهَا
 وَأَرْجُو بَقَاهَا يَوْمَ تَفْنَى الذَّخَائِرُ
 وَدِيعَتُكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهَا فَإِنَّهَا
 صَنِيعَتُكُمْ وَالْجُودُ بِالْحَفْظِ أَمْرُ

● ولله دَرَه إذ يقول في «الخوف والرجاء»:

إِذَا خَافَ الْخَلِيلُ وَخَافَ مُوسَى وَأَادُمُ وَالْمَسِيحُ وَخَافَ نُوحُ
لَمْ يَتَشَفَّعُوا لِلْخَلْقِ خَوْفًا فَمَا لِي لَا أَخَافُ وَلَا أَتُوحُ
كَذَاكَ مِنَ الْحِجَارَةِ هَابِطَاتٍ لِحَشْيَتِهِ وَأَمْلَاكِ وَرُوحُ
فَهَذَا خَوْفٌ مَنْ لَمْ يَعْصِ قِطْعًا فَكَيْفَ الْمُسْرِفُ الْعَاصِي الْجُمُوحُ
وَلَسْتُ بِقَانِيطٍ وَاللَّهُ حَسْبِي وَلَا أَغْدُو بِذَاكَ وَلَا أَرْوَحُ
وَلَمْ يَفْتِ الْهُدَى عُبَادَ عِجَلٍ بِتَوْبَةِ رَبِّهِمْ وَهُوَ الْمُنُوحُ^(١)
وَأَطْمَعَ أَكْفَرَ الْكُفَّارِ فِيهَا بِشَرْطٍ فِي الْوَعِيدِ لَهُ وَضُوحُ^(٢)
وَعَقَّبَهُ بِذِكْرِ التَّوْبِ مِنْهَا وَرَجَّحَهُ بِطِيبِ ثَنَا يَفُوحُ
غَدَا فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ نَصًّا فَلَيْسَ لِمُسْرِفٍ عَنْهُ نُزُوحُ
وَكَمْ لِي مِنْ مَرَاهِمٍ فِي التَّرَجِّي وَبِالْإِسْرَافِ تُنْتَقَضُ الْقُرُوحُ^(٣)
أَخَافُ وَأَرْتَجِي أَضْعَافَ خَوْفِي لِأَنَّ اللَّهَ وَهَّابٌ سُمُوحُ

(١) «المانح المعطي» يريد أن مما ينفي القنوط أن عبَّادَ الْعَجَلِ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِفِينَ﴾ قبل الله توبتهم، كما قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَاذْكُرُوا إِلَى بَارِيكُمْ قَاتِلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾.

(٢) أَكْفَرَ الْكُفَّارِ هُمُ الْمُنَافِقُونَ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

(٣) الْقُرُوحُ: الجراحات والآلام، المفرد: قرح؛ بالفتح والضم.

عَفُوٌّ قَادِرٌ مَلِكٌ غَنِيٌّ رَعُوفٌ وَاسِعٌ مَوْلَى صَفُوحٍ
يُعَافِي عَبْدَهُ حِينًا وَيَعْفُو وَمَنْهُ يُرْتَجَى التَّوْبُ النُّصُوحُ
وإن يَعْدِلْ يَعَذِّبُنَا حَمِيدًا وَأَدْمُعُنَا بَرَجُوهُ سَفُوحُ
وَلَسْنَا قَائِمِينَ لَهُ بِحَقٍّ وَإِنْ جَرَحَتْ عَوَاتِقُنَا الْمُسُوحُ^(١)

* * * * *

وَسَبَّحَهُ النَّيْنَانُ وَالْبَحْرُ زَاخِرًا
وَمَا طَمَّ مِنْ شَيْءٍ وَمَا هُوَ مُقْلَدٌ

* * * * *

● قال آخر:

يَا نَفْسُ قَدْ طَابَ فِي إِمْهَالِكَ الْعَمَلُ
فَاسْتَدْرِكِي قَبْلَ أَنْ يَذْنُو لَكَ الْأَجَلُ
إِلَى مَتَى أَنْتِ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ
يَغُرُّكَ الْحَادِعَانِ الْحِرْصُ وَالْأَمَلُ
وَأَنْتِ فِي سُكْرِ لَهْوٍ لَيْسَ يَدْفَعُهُ
عَنْ قَلْبِكَ النَّاصِحَانِ الْعُثْبُ وَالْعَدْلُ
فَزَوِّدِي لِطَرِيقِ أَنْتِ سَالِكَةٌ
فِيهَا فَعَمَّا قَلِيلٍ يَأْتِكَ الْمَثَلُ

(١) المسوح: ما يلبسه العباد من ثياب الصوف.

وَلَا يَغُرِّكَ أَيَّامُ الشَّبَابِ فَفِي
 أَعْقَابِهَا الْمُبِقَانِ الشَّيْبُ وَالْأَجَلُ
 يَا نَفْسُ تَوْبِي مِنَ الْعِصْيَانِ وَاجْتَهِدِي
 وَلَا يَغُرَّنَّكَ الْإِبْعَادُ وَالْمَلَلُ
 ثُمَّ اخْذَرِي مَوْقِفًا صَغْبًا لِشِدَّتِهِ
 يَغْشَى الْوَرَى الْمُتْلِفَانِ الْحُزْنَ وَالْوَجَلَ
 وَيُخْتَمُ الْفَمُ وَالْأَعْضَاءُ نَاطِقَةً
 وَيُظْهِرُ الْمُفْصِحَانِ الْخَطَّ وَالْخَطْلُ
 وَيَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَعْدِلَةً
 فَتُذَكَّرُ الْحَالَتَانِ الْبِرُّ وَالزَّلُّ

* * * *

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعَلَا

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعَلَا
إِلَهِي وَخَلَّاقِي وَسُؤْلِي وَمَوْئِلِي
إِلَهِي لَيْسَ خَيِّبَتَنِي وَطَرَدَتَنِي
إِلَهِي لَيْسَ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيئَتِي
إِلَهِي لَيْسَ أَعْطَيْتُ نَفْسِي سُؤْلَهَا
إِلَهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي
إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُزِغْ
إِلَهِي أَجْزَنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنِّي
إِلَهِي فَأَنْسِنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي
إِلَهِي لَيْسَ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حَجَّةٍ
إِلَهِي أَذِقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا
إِلَهِي لَيْسَ لَمْ تَرْعَنِي كُنْتُ ضَائِعًا
إِلَهِي إِذَا لَمْ تَعْفُ عَنْ غَيْرِ مُحْسِنٍ
إِلَهِي لَيْسَ قَصْرْتُ فِي طَلَبِ التَّقَى
إِلَهِي أَقْلِنِي عَشْرَتِي وَامْحُ زَلَّتِي
تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إِلَيْكَ لَدَى الْإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْزَعُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي عَمَّا أَحَازِرُ يَنْفَعُ
فَعَفْوُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ
وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
فُؤَادِي فَلِي فِي سَيِّبِ جُودِكَ مَطْمَعُ
أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَحْضَعُ
إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوًى وَمَضْجَعُ
فَحَبْلُ رَجَائِي مِنْكَ لَا يَتَقَطَّعُ
بُنُونٌ وَلَا مَالٌ هُنَالِكَ يَنْفَعُ
وَأِنْ كُنْتُ تَرَعَانِي فَلَسْتُ أَضِيعُ
فَمَنْ لِمُسِيءٍ بِالْهَوَى يَتَمَتَّعُ
فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ
فَإِنِّي مُقِرٌّ خَائِفٌ مُتَضَرِّعُ

إِلَهِي لئن خَيَّبْتَنِي وَطَرَدْتَنِي فَمَا حِيلَتِي يَا رَبِّ أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ
 إِلَهِي حَلِيفُ الْحُبِّ بِاللَّيْلِ سَاهِرٌ يُنَاجِي وَيَتَكِي وَالْعُقُولُ يُهَجِّعُ
 إِلَهِي لئن تَعَفُّ فَعَفُوكَ مُنْقِذِي وَإِنِّي يَا رَبَّ الْوَرَى لَكَ أَخْضَعُ

* * * * *

مَا لِي مَعَ اللَّهِ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ سَبَبٍ إِلَّا الشَّهَادَةَ أُخْفِيهَا وَأُبْدِيهَا
 وَسِيلَةً لِي عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً عَنْ كُلِّ مَا لَا يُؤَدِّيهَا أَوْدِيهَا
 تِجَارَةً أَشْتَرِيهَا غَيْرَ بَائِرَةٍ تُضَاعِفُ الرَّبْحَ أَضْعَافًا لِشَارِيهَا
 دَلَالُهَا الْمُصْطَفَى وَاللَّهُ بَائِعُهَا مِمَّنْ يُحِبُّ وَجِبْرِيلُ مُنَادِيهَا

* * * * *

● وقال البرعي - رحمه الله :-

أَغِيبُ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَغِيبُ وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانٍ
 وَأَنْزِلْ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالٍ وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي
 بُلِيْتُ بِهِ نَوَائِبُهُ تُشِيبُ إِلَى مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
 زَمَانُ الْجَوْرِ وَالْجَارِ الْمُرِيبُ فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرِ
 طَوْنُهُ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ الْغُيُوبُ وَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرِ عُسْرِ
 وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ وَمِنْ تَفْرِيجِ نَائِبَةِ تَنْوُبِ

وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ وَمِنْ فَرَجٍ تَزُولُ بِهِ الْكَرُوبُ
وَمَا لِي غَيْرَ بَابِ اللَّهِ بَابُ وَلَا مَوْلَى سِوَاهُ وَلَا حَبِيبُ
كَرِيمٍ مُنْعِمٍ بَرٌّ لَطِيفٌ جَمِيلُ السَّرِّ لِلدَّاعِي مُجِيبُ
حَلِيمٌ لَا يُعَاجِلُ بِالْخَطَايَا رَحِيمٌ غَيْثُ رَحْمَتِهِ يَصُوبُ
فَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ أَقْلُ عِثَارِي فَإِنِّي عَنْكَ أَنَاثِنِي الذُّنُوبُ
وَأَمْرَضَنِي الْهَوَى لِهَوَانِ حَظِّي وَلَكِنْ لَيْسَ غَيْرُكَ لِي طَبِيبُ
وَعَانَدَنِي الزَّمَانُ وَعَيْلَ صَبْرِي وَضَاقَ بِعَبْدِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
فَأَمِنْ رَوْعَتِي وَاكْبِتْ حُسُودًا فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا نُيُوبُ
وَأَنسِنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
وَلِي شَجَنٌ بِأَطْفَالِ صِغَارِ أَكَاذُ إِذَا ذَكَرْتُهُمْ أَذُوبُ
وَلَكِنِّي نَبَذْتُ زِمَامَ أَمْرِي لِمَنْ تَدْبِيرُهُ فِينَا عَجِيبُ
هُوَ الرَّحْمَنُ حَوْلِي وَاعْتِصَامِي بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَهِلًا أَتِيبُ
إِلَهِي أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَالِي فَهَلْ يَا سَيِّدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
فَيَا دَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ فَرَجِ هُمُومًا فِي الْفُؤَادِ لَهَا دَيْبُ
وَصِلْ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَأَنْظُرْ إِلَيَّ وَتُبْ عَلَيَّ عَسَى أَتُوبُ
وَرَاعَ حِمَايَتِي وَتَوَلَّ نَصْرِي وَشُدَّ عُرَايَ إِنْ عَرَّتِ الْخُطُوبُ

وَأَفْنِ عِدَائِي وَافْرُنْ نَجْمَ حَظِّي بِسَعْدٍ مَا لِطَالِعِهِ غُرُوبُ
وَأَلْهَمْنِي لِذِكْرِكَ طُولَ عُمْرِي فَإِنَّ بِذِكْرِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
وَقُلْ عَبْدُ الرَّحِيمِ وَمَنْ يَلِيهِ لَهُمْ فِي رَيْفٍ رَأْفَتًا نَصِيبُ
فَظَنِّي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلٌ وَمَرْعَى ذَوْدِ آمَالِي خَصِيبُ
وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ مَا تَرَنَّمْ فِي الْأَرَاكِ الْعَنْدَلِيبُ

* * * * *

● قال الأُميري - رحمه الله :-

كُلَّمَا أَمَعَنَّ الدُّجَى وَتَحَالَكَ شِمْتُ فِي غُورِهِ الرَّهِيْبِ جَلَالُكَ
وَتَرَاءْتُ لَعَيْنَ قَلْبِي بَرَايَا مِنْ جَمَالٍ آنَسْتُ فِيهَا جَمَالَكَ
وَتَرَامَى لِمَسْمَعِ الرُّوحِ هَمْسُ مِنْ شِفَاهِ النُّجُومِ يَتْلُو الشَّنَا لَكَ
واعتَرَانِي تَوَلَّاهُ وَخُشُوعٌ واحتواني الشعورُ أَنِّي حِيَالُكَ
ما تَمَالَكَتُ أَنْ يَخِرَّ كِيَانِي ساجِدًا واجِدًا، وَمَنْ يَتَمَالَكَ؟! (١)

● ورحمَ اللهُ الإمام السهيلي إذ يقول: (٢)

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ

(١) من ديوانه «مع الله»، ص ٥١.

(٢) الروض الأنف، للسهيلي ص ٢٦، دار الكتب الحديثة.

يا مَنْ خَزَائِنُ مُلْكِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمِنُ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
 مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالافتقارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَرْفَعُ
 مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَنْ رُدِدْتُ فَأَيُّ بَابٍ أَقْرَعُ
 وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يُمْنَعُ؟!
 حَاشَا لِمَجْدِكَ أَنْ تُقَنِّطَ عَاصِيًا وَالْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ خَيْرِ الْأَنَامِ وَمَنْ بِهِ يُسْتَشْفَعُ

* * * * *

الْتِّئَاءُ عَلَى اللَّهِ

عَسَى مِنْ خَفِيِّ اللَّطْفِ سُبْحَانَهُ لُطْفُ
 بِعَظْفَةٍ بِرٍّ فَالْكَرِيمُ لَهُ عَظْفٌ^(١)
 عَسَى مِنْ لَطِيفِ الصَّنْعِ نَظْرَةٌ رَحْمَةٌ
 إِلَى مَنْ جَفَاهُ الْأَهْلُ وَالصَّحْبُ وَالْإِلْفُ^(٢)
 عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ عَاجِلًا
 يُسَرُّ بِهِ الْمَلْهُوفُ إِنْ عَمَّهُ اللَّهْفُ^(٣)

(١) (اللطف) الرفق بعبده، (لطف) رفق. (بعطفة بر) بشفقة حنان.

(٢) (جفاه) الجفاء: نقيض الصلة، ويقصر يقال: جفاه جفوا وجفاء، (والإلف) أي الأليف.

(٣) (الملهوف) أي المظلوم. (إن عمه) أي شمله، وفي رواية: إذ عمه.

عَسَى لِغَرِيبِ الدَّارِ تَدْبِيرُ رَافَةٍ
وَبِرٍّ مِنَ الْبَارِي إِذَا الْعَيْشُ لَمْ يَصْفُ^(١)
عَسَى نَفْحَةٌ فَرْدِيَّةٌ صَمْدِيَّةٌ
بِهَا تَتَقَضَّى الْحَاجَاتُ وَالشَّمْلُ يَلْتَفُ^(٢)
فَإِنِّي وَالشَّكْوَى إِلَى اللَّهِ كَالَّذِي
رَمَى نَفْسَهُ فِي لَجَّةٍ مَوْجُهَا يَطْفُو^(٣)
فَمِنْ مِحَنِ الْأَيَّامِ قَلْبِي مُعَذَّبٌ
أَلَمْ يَرْوِحِي قَبْلَ حَتْفِ الْفَنَاءِ حَتْفُ^(٤)
وَمِنْ فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ قَلْبِي مُقَسَّمٌ
ثَلَاثٌ وَأَرْبَاعٌ وَنِصْفٌ وَلَا نِصْفٌ
وَلَكِنَّ مِثْلِي يَذْخُرُ الصَّبْرُ لِلْأَسَى
وَإِنْ أَبَتْ الْأُحْزَانُ وَالْأَرْبَعُ الذُّرْفُ^(٥)

(١) (من الباري) من الله - تعالى - (إذا العيش لم يصف) إذا لم تصف الحياة. وفي رواية: إذا العيش.

(٢) (نفحة) رحمة، (فردية صمدية) يعني ربانية. (يلتف) يجتمع.

(٣) (في لجة) هي معظم الماء. (يطفو) يعلو.

(٤) (فمن محن الأيام) أي (بلاياها)، (ألم) : نزل، (حتف) : موت.

(٥) (يذخر) بالفتح أي يذخر (الصبر) هو حيس النفس عن الجزع. (للأسى) للحزن. (أبت) امتنعت.

(والأربع الذرف) لكل عين مؤقان ومؤخران، وهذه هي الأربع التي تذرف الدمع،

قال الزمخشري:

وقائلة ما هذه الدرر التي تساقط من عينيك سمطين سمطين

فقلت لها الدر الذي كان قد حشا أبو مضر أذني تساقط من عيني

وذلك أن الدمع يظهر من الموقين عادة، اشتد الحزن: خرج من الموقين ومن المؤخرين، فيكون من كل عين سمطين، فتكون الذرف أربعاً.

وَإِنِّي لَأَرْضَى مَا قَضَى اللَّهُ لِي وَلَوْ
عَبَدْتُ عَلَى حَرْفٍ لَأُزْرَى بِي الْحَرْفُ^(١)
وَلَمْ أَبْنِ حُسْنَ الظَّنِّ فِي سَيِّدِي عَلَى
شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَيَتَهَارُ بِي الْجُرْفُ^(٢)
وَلَكِنْ دَعَوْتُ اللَّهَ يَكْشِفُ كُرْبَتِي
فَمَا كُرْبَةٌ إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا كَشْفُ^(٣)
فَكَمْ بُسِطَتْ كَفٌّ بِسُوءٍ تُرِيدُنِي
فَقَالَ لَهَا الْكَافِي أَلَا غُلَّتِ الْكَفُّ^(٤)
وَكَمْ هَمَّ صَرْفُ الدَّهْرِ يَصْرِفُ نَابَهُ
عَلَيَّ فَجَاءَ الْغَوْثُ وَانْصَرَفَ الصَّرْفُ^(٥)
وَلَمْ أَعْتَصِمَ بِاللَّهِ إِلَّا وَمَدَّ لِي
مِنَ الْبِرِّ ظِلًّا فِي رِضَاءٍ لَهُ وَكُفُّ^(٦)

(١) (ما قضى الله) أي ما حكم. (مع حرف) وجه. وقوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾: أي وجه واحد. وهو أن يعبدوه على السراء دون الضراء. (لأزرى بي الحرف) لأدخل علي عيباً.

(٢) (شفا) طرف. (جرف) جانب. (هار) مشرف على السقوط. (فينهار) فيسقط. (بي الجرف) أي الجانب.

(٣) (كربتني) هي الغم الذي يأخذ بالنفس.

(٤) (الكافي) أي الله - تعالى. (غلّت) أمسكت.

(٥) (صرف الدهر) حدثانه ونوائبه. (يصرف نابه) أي يحتد ويشتد علي. (الغوث) أي المخلص من الشدائد.

(٦) (ولم أعتصم بالله) الاعتصام بالله هو الامتناع بلطفه من المعصية. (وَكُفُّ) أي شدة.

- وَأَنِّي لَمُسْتَغْنٍ بِفَقْرِي وَفَاقَتِي
 إِلَيْهِ وَمُسْتَقْوٍ وَإِنْ كَانَ بِي ضَعْفُ^(١)
 وَفِي الْغَيْبِ لِلْعَبْدِ الضَّعِيفِ لَطَائِفُ
 بِهَا جَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَأَنْطَوَتْ الصُّحُفُ^(٢)
 فَكَمْ رَاحَ رَوْحُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَكَمْ
 غَدَا قَبْلَ أَنْ يَزْتَدَّ لِلنَّاطِرِ الظَّرْفُ^(٣)
 بِقُدْرَةِ مَنْ شَدَّ الْهُوَ وَبَنَى السَّمَاءَ
 طَرَائِقَ فَوْقَ الْأَرْضِ فَهِيَ لَهَا سَقْفُ^(٤)
 وَمَنْ نَصَبَ الْكُرْسِيَّ وَالْعَرْشَ وَاسْتَوَى
 عَلَى الْعَرْشِ وَالْأَمْلَاقُ مِنْ حَوْلِهِ حَفُّوا^(٥)
 وَمَنْ بَسَطَ الْأَرْضِينَ فَهِيَ بِلُطْفِهِ
 لِحَيِّ بَنِي الدُّنْيَا وَمَيِّتِهِمْ ظَرْفُ^(٦)

(١) (لمستغن) لغني. (وفاقتي) أي حاجتي. (ومستقو) أي قوي.

(٢) (في الغيب) هو ما غاب عن الإنسان. (جفت الأقلام) أي ييست. (وانطوت الصحف) أي لُفَّت، وهذا كناية عن قدم المقادير فلا تبديل ولا تغيير.

(٣) (روح الله) أي رحمته. (يرتد) يرجع. (الطرف) العين.

(٤) (شد الهوا) قواه. (طرائق) جمع طريقة لأنها طرق الملائكة. قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي سماوات.

(٥) (واستوى) أي علا وارتفع. (حفوا) أي طافوا به واستداروا، قال الله - تعالى -: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

(٦) (ظرف) وعاء.

وَأَلْقَى الْجِبَالَ الشُّمَّ فِيهَا رَوَاسِيًا
 فَلَيْسَ لَهَا مِنْ قَبْلِ مَوْعِدِهَا نَسْفٌ ^(١)
 وَأَلْبَسَهَا مِنْ سُنْدُسٍ النَّبْتِ بَهْجَةً
 مِنْ الْقَطْرِ مَا صِنْفٌ يُشَابِهُهُ صِنْفٌ ^(٢)
 وَسَخَّرَ مِنْ نَشْرِ السَّحَابِ لَوَاقِحًا
 إِذَا انْتَشَرَتْ دَوَّتْ سَحَائِبُهَا الْوُطْفُ ^(٣)
 وَأَنْشَأَ مِنْ أَلْفَافِهَا كُلَّ جَنَّةٍ
 بِهَا الْأَبُّ وَالرَّيْحَانُ وَالْوَرْدُ وَالْعَصْفُ ^(٤)
 وَيَعْلَمُ مَسْرَى كُلِّ سَارٍ وَسَارِبٍ
 وَمَا أَغْلَثُوهُ مِنْ خَطَايَا وَمَا أَخْفَوْا ^(٥)
 وَيَخْصِي الْخَصْيَ وَالْقَطْرَ وَالثَّبْتَ فِي الثَّرَى
 وَالْأَحْقَافَ عَدًّا قَلٌّ أَوْ كَثْرُ الْحَقْفِ ^(٦)

(١) (الجبال الشم) المرتفعة. (نسف) قلع.

(٢) (من القطر) أي المطر، وفي رواية: من النبات. (صنف) نوع. (يشابهه) يماثله.

(٣) (لواقح) رياحا تلقح السحاب فيمتلئ ماء. (الوطف) نعت، وهو جمع وطفاء، يقال: سحابة وطفاء: مسترخية لكثرة مائها، أو هي الدائمة السح، طال مطرها أو قصر.
 (٤) (من ألفافها) أي أشجارها الملتف بعضها ببعض. (الأب) المرعى. (والريحان) ورق الزرع. (والعصف) ساقه.

(٥) (مسرى) مسعى. (كل سار) أي معاش ليلاً. (خطايا) آثام. (أخفوا) أسرّوا.

(٦) (ويخصي) أي يعد. (والقطر) أي المطر. (في الثرى) أي التراب الندي. (والأحفاف) جمع حقف بالكسر: وهو المعوج من الرمل.

وَيَذَرِي دَيْبَ التَّمَلِّ فِي اللَّيْلِ إِنْ سَعَتْ
وَأِنْ وَقَفَتْ مَا أَمَكَّنَ السَّعْيُ وَالْوَقْفُ^(١)
وَوَزَنَ جِبَالِ كَمْ مَشَاقِيلَ ذَرَّةَ
وَكَيْلِ بَحَارٍ لَا يُغَيِّضُهَا نَزْفُ^(٢)
وَكَمْ فِي غَرِيبِ الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ مِنْ
عَجَائِبٍ لَا يُحْصَى لِأَيْسَرِهَا وَصْفُ^(٣)
فَسُبْحَانَ مَنْ إِنْ هَمَّ وَهَمَّ يَقِيصُهُ
بَكْفٍ وَتَكْيِيفٍ يُلْجِمُهُ الْكَفُ^(٤)
وَلَمْ تُحِطِ السُّتُ الْجِهَاتُ بِذَاتِهِ
فَأَيْنَ يَكُونُ الْأَيْنُ وَالْقَبْلُ وَالْخَلْفُ
إِلَهِي أَقْلَنِي عَشْرَتِي وَتَوَلَّنِي
بِعَفْوٍ فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا عُنفُ^(٥)
خَلَعْتُ عِذَارِي ثُمَّ جِئْتُكَ عَائِدًا
بِعُذْرِي فَإِنْ لَمْ تَغْفُ عَنِّي فَمَنْ يَغْفُو^(٦)

(١) (ويدري) أي يعلم.

(٢) (لا يغيضها) أي لا ينقصها. (نزف) نرح.

(٣) (والمملكوت) أي المملكة. (لأيسرها) لأقلها.

(٤) (بكف) أي نظير. (يلجمه) يمنعه.

(٥) (أقلني عشرتي) اغفر زلتي. (عنف) شدة.

(٦) (خلعت عذارتي) عذار الرجل: شعره النابت في موضع العذار؛ تقول للمنهمك في الغي: خلع عذاره. (عائداً) لاجئاً إليك.

وَأَنْتَ غِيَاثِي عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ
وَكَهْفِي إِذَا لَمْ يَبْقَ لِي فِي الْوَرَى كَهْفٌ^(١)

* * * *

وَكُلِّي مُحْتَاجٌ وَأَنْتَ لَكَ الْغِنَى

وَكُلِّي مُحْتَاجٌ وَأَنْتَ لَكَ الْغِنَى
ومثلي من يُخطي ومثلك من يعفو
وأنت الذي أبدى الودادَ تَكْرُمًا
ومثلك من يرعى ومثلي من يخفُو
وما طابَ عَيْشٌ لم تُكُنْ فِيهِ وَاصِلًا
ولم يَضْفُ، لَا وَاللَّهِ، أَنَّى لَهُ يَضْفُو
عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَتْرَكَ الْكَوْنَ كُلَّهُ
وَأَقْفُو سَبِيلَ الْحُبِّ وَالْجُتْبَى يَقْفُو
شُهُودُكُمْ يَجْلُو الْحَجَابَ لِأَنَّهُ
إِذَا حَقَّقَ التَّحْقِيقَ صَارَ هُوَ الْكَشْفُ
وما أَحْسَنَ الْأَحْبَابَ فِي كُلِّ حَالَةٍ
فَلِلَّهِ مَا يُبْدُوا وَلِلَّهِ مَا يُخْفُوا

(١) (ملمة) أي نازلة. (وكهفي) أي ملجئي. (الورى) الخلق.

وَأَنَّ الْأُولَى لَمْ يَشْهَدُوكَ بِمَشْهَدٍ
 قَلْبُهُمْ عَنْ نَيْلِ سِرِّ الْهَوَى غُلْفُ
 وَأَنْتَ الَّذِي أَظْهَرْتَ ثُمَّ ظَهَرْتَ فِي
 جَمِيعِ الْمَبَادِي مِثْلَمَا شَهِدَ الْعَرْفُ
 ظَهَرْتَ لِكُلِّ الْكَوْنِ فَالْكَوْنُ مُظْهِرٌ
 وَفِيهِ لَهُ أَيْضًا كَمَا جَاءَتِ الصُّخْفُ
 فَأَيُّ فَوَادٍ عَنْ فَوَادِكَ يَنْشَنِي
 وَأَيَّةُ عَيْنٍ بَعْدَ قُرْبِكَ لَنْ تَغْفُو
 وَأَيَّةُ نَفْسٍ لَمْ يُمِلْهَا هَوَاكُمُ
 عَلَى حُبِّكُمْ طَرًّا نَفُوسُ الْوَرَى وَقَفُ^(١)

* * * * *

(١) لابن عطاء الله السكندري.

غَرِيبٌ عَلَى بَابِ الرَّجَاءِ طَرِيحٌ

غَرِيبٌ عَلَى بَابِ الرَّجَاءِ طَرِيحٌ يُنَادِيكَ مَوْضُولَ الْجَوَى وَيُنُوخُ
 يَهُونُ عَذَابُ الْجَسَمِ وَالرُّوحِ سَالِمٌ فَكَيْفَ وَرُوحُ الْمُسْتَهَامِ جُرُوحُ
 وَلَيْسَ الَّذِي يَشْكُو الصَّبَابَةَ عَاشِقًا وَمَا كُلُّ بَاكِ فِي الْغَرَامِ قَرِيحٌ
 يَقُولُونَ لِي غَنٌّ وَبِالْقَلْبِ لَوْعَةٌ أَغْنِي بَهَا فِي خَلُوتِي وَأَنُوخُ
 وَلِي فِي طَرِيقِ الشُّوقِ وَاللَّيْلِ هَائِمٌ مَعَالِمُ تَخْفَى تَارَةً وَتَلُوحُ
 وَلِي فِي مَقَامِ الْوَجْدِ حَالٌ وَلَوْعَةٌ وَدَمْعٌ أَدَارِي فِي الْهَوَى وَيُنُوخُ
 وَأَنْتَ وَجُودِي فِي شُهُودِي وَغَيْبِي وَسِرُّكَ نُورُ الثُّورِ أَوْ هُوَ رُوحُ
 وَمَا دَخَلْتُ إِلَّا إِلَيْكَ مَوَاجِدِي وَدَاعِي الْهَوَى بِالْوَالِهَيْنِ يَصِيحُ
 بِسِرِّ الْهَوَى يَغْدُو وَفِيهِ يَزُوحُ غَرِيبٌ عَلَى بَابِ الرَّجَاءِ طَرِيحٌ^(١)

* * * * *

(١) لطاهر أبو فاشا.

عَرَفْتُ الْهَوَى مُذْ عَرَفْتُ هَوَاكَ

عَرَفْتُ الْهَوَى مُذْ عَرَفْتُ هَوَاكَ وَأَغْلَقْتُ قَلْبِي عَمَّنْ سِوَاكَ
 وَقُمْتُ أَنَا جِيعَ، يَا مَنْ تَرَى خَفَايَا الْقُلُوبِ وَلِسْنَا نَرَاكَ
 (أَحْبَبْتُكَ مُحِبِّينَ حُبَّ الْهَوَى وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِدَاكَ) (١)
 (فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى فَشُغْلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ)
 (وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشْفُكَ لِي الْحُجُبِ حَتَّى أَرَاكَ)
 (فَلَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ)
 وَأَشْتَاقُ شَوْقِينَ شَوْقَ النَّوَى وَشَوْقًا لِقُرْبِ الْخَطِيءِ مِنْ جَمَاكَ
 فَأَمَّا الَّذِي هُوَ شَوْقُ النَّوَى فَمَسْرَى الدُّمُوعِ لِطُولِ نَوَاكَ
 وَأَمَّا اسْتِيقَايَ لِقُرْبِ الْحِمَى فَنَارُ حَيَاةٍ خَبْتُ فِي ضِيَاكَ
 وَلَسْتُ عَلَى الشَّجْوِ أَشْكُو الْهَوَى رَضِيتُ بِمَا شَتَّ لِي فِي هَوَاكَ

* * * *

● ويقول الشاعر

لِغَيْرِكَ مَا مَدَدْتُ يَدَا وَغَيْرِكَ لَا يَفِيضُ نَدَى
 وَلَيْسَ يَضِيقُ بَابُكَ بِي فَكَيْفَ تَرُدُّ مِنْ قَصْدَا

(١) الأبيات الأربعة التي بين الأقواس من شعر «رابعة العدوية».

وركنك لم يزل صمداً فكيف تَدُودُ مَنْ وَرَدَا
ولطفك يا خفي اللط فإِنْ عَادِي الزَّمانِ عَدَا

* * * * *

عَلَى قَلْبِي وَضَعْتُ يَدِي

عَلَى قَلْبِي وَضَعْتُ يَدَا وَنَحْوِكَ قَدْ مَدَدْتُ يَدَا
سَرَى لَيْلِي بِغَيْرِ هُدَى وَلَا أَذْرِي لِأَيِّ مَدَى
يُطَارِدُنِي الْأَسَى أَبَدَا وَيَرْعَانِي الْجَوَى أَبَدَا
وَيَنْشُرُنِي الْهَوَى رُوحَا وَيَطْوِينِي الْجَوَى أَبَدَا
وَأَطْوِي السَّيْدَ طَاوِيَةً كَأَنِّي فِي الْفَضَاءِ صَدَى
نَهَارِي وَالْهَجِيرُ لَطَى وَلَيْلِي وَالظَّلَامُ رَدَى
فَوَاكِدَا إِذَا أَضْحَى وَإِنْ أَمْسَى فَوَاكِدَا
وَلَيْسَ سِوَاكَ لِي سَنَدٌ فَقَدْتُ الْأَهْلَ وَالسَّنَدَا

* * * * *

عَلَى عَيْتِي بَكَتْ عَيْنِي عَلَى رُوحِي جَنَّتْ رُوحِي
هَوَاكَ وَبُعْدُ مَا بَتِي وَبَيْنَكَ سِرٌّ تَبْرِجِي

* * * * *

صَحَا مِنْ شَجْوِهِ كَأَسَى وَقَدْ نَامَ الْخَلِيُونَا

فَكَيْفَ أَفَرُّ مِنْ نَفْسِي إِذَا هَامَ الْمُحِبُّونَا

* * * * *

حَيَائِي مِنْكَ يُبْعِدُنِي وَدَاعِي الشُّوقِ يُذْنِبُنِي
وَوَجْهُ الصَّفْحِ يُخْجِلُنِي وَيَقْتُلُنِي وَيُخَيِّنُنِي

* * * * *

خَلَوْتُ إِلَيْكَ يَا رَبِّي وَقُلْتُ عَسَاكَ تَقْبَلُنِي

* * * * *

مَدَدْتُ يَدِي

إِلَيْكَ وَمِنْكَ يَا رَبِّاهُ

وَمِنْ طُولِ التَّوَيَّاتِ أَوَّاهُ

* * * * *

مُنَاجَاةٌ مِنْ نُورِيَّةِ الْقُحْطَانِي

يَا مُنْزِلَ الْآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ بَنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ
 اشرحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى وَاغْصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ
 يَسِّرْ بِهِ أَمْرِي وَقْضِ مَآرِبِي وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النَّيْرَانِ
 واحطُطْ بِهِ وَزْرِي، وَأَخْلِصْ نَيْتِي واشدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَصْلِحْ شَأْنِي
 واكْشِفْ بِهِ ضُرِّي، وَحَقِّقْ تَوْبَتِي أَرْبِخْ بِهِ بَيْعِي بِلا خُسْرَانِ
 طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي، وَصَفِّ سَرِيرَتِي أَجْمِلْ بِهِ ذِكْرِي، وَأَعْلِ مَكَانِي
 واقْطَعْ بِهِ طَمَعِي، وَشَرِّفْ هِمَّتِي كَثِّرْ بِهِ وَرْعِي، وَأُخِي جَنَانِي
 أسْهِزْ بِهِ لَيْلِي، وَأُظْمِ جَوَارِحِي أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي
 وَاْمَزِجْهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعَ دَمِي وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الْأَضْغَانِ
 أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي، وَخَلَقْتَنِي وَهَدَيْتَنِي لِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ
 أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي، وَرَحَّمْتَنِي وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِي الْقُرْآنِ
 أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي، وَسَقَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ يَدٍ وَلَا دُكَّانِ
 وَجَبَّرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنَصَرْتَنِي وَغَمَّرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
 أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي، وَحَبَّوْتَنِي وَهَدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الْخُذْلَانِ
 وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً وَالْعَطْفَ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ

ونشرت لي في العالمين محاسنًا
 وجعلت ذكري في البرية شائعًا
 والله لو علموا قبيح سريري
 ولأعرضوا عني وملوا صحتي
 لكن سترت معايبي ومثالي
 فلك المحامد والمدائح كلها
 ولقد مننت عليّ، ربّ، بأنعم
 فوَحَقَّ حُكْمُكَ التي آتيتني
 لئن اجتبتني من رضاك معونةً
 لأسبَحَنَّكُ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً
 ولأذكُرَنَّكَ قائمًا أو قاعدًا
 ولأكُتِمَنَّ عن البرية خلّتي
 ولأقْصِدَنَّكَ في جميع حوائجي
 ولأحْسِمَنَّ عن الأنام مطامعي
 ولأجعلَنَّ رضاك أكبر همّتي
 ولأكسُونَّ غيوب نفسي بالثقي
 وسترت عن أبصارهم عصياني
 حتّى جعلت جميعهم إخواني
 لأتّى السّلام عليّ من يلقاني
 ولَبُؤْتُ بَعْدَ كَرَامَةِ بِهِوَانٍ
 وحلّمت عن سقّطي وعن طغياني
 بخواطري وجوّارجي ولساني
 ما لي بشكرٍ أقلّهنّ يدانٍ
 حتّى شددت بنورها بُزْهاني
 حتّى تُقَوِّيَ أَيْدُهَا إِيْمَانِي
 ولتخدمَنَّكَ في الدّجى أَرْكَانِي
 ولأشْكُرَنَّكَ سائر الأحيانِ
 ولأشْكُونََّ إليك جهْدَ زَمَانِي
 مِنْ دُونِ قَصْدِ فَلَانَةٍ وَفَلَانٍ
 بحُسامٍ يَأْسٍ لَمْ تُشْبِهُ بَنَانِي
 ولأضْرِبَنَّ مِنَ الْهَوَى شَيْطَانِي
 ولأقْبِضَنَّ عَنِ الْفُجُورِ عِنَانِي

وَلَا مُنْعَنَ النَّفْسِ عَنْ شَهَوَاتِهَا وَلَا جَعَلَ الزُّهْدَ مِنْ أَعْوَانِي
وَلَا تُلَوَّنَ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الدُّجَى وَلَا حَرَقَنَّ بُنُورِهِ شَيْطَانِي^(١)

* * * * *

● وَلِلَّهِ دَرْ الْقَاتِلِ:

يَا مَنْ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ يَبْتَهِلُ وَكُلُّ حَيٍّ عَلَى رُحْمَاهُ يَتَّكِلُ
يَا مَنْ نَأَى فَرَأَى مَا فِي الْقُلُوبِ وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَحِجَابُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ
يَا مَنْ دَنَا فَنَأَى عَنْ أَنْ تُحِيطَ بِهِ أَلْ أَفْكَارُ طُرًّا أَوْ الْأَوْهَامُ وَالْعِلَلُ
أَنْتَ الْمُتَادَى بِهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ وَأَنْتَ مُلْجَأُ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ الْحِيلُ
أَنْتَ الْغِيَاثُ لِمَنْ سُدَّتْ مَذَاهِبُهُ أَنْتَ الدَّلِيلُ لِمَنْ ضَلَّتْ بِهِ السَّبِيلُ
إِنَّا قَصَدْنَاكَ وَالْآمَالَ وَاقِعةً عَلَيْكَ وَالْكُلَّ مَلْهُوفٌ وَمُبْتَهِلُ
فَإِنْ غَفَرْتَ فَعَنْ طَوْلٍ وَعَنْ كَرَمٍ وَإِنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ الْحَاكِمُ الْعَدِلُ

* * * * *

(١) من نونية القحطاني لأبي محمد الأندلسي.

فُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ

لأحمد محمد الصديق

يا ربَّ أَنْتَ الْمُسْتَعَانُ وَإِنَّا
نَرْجُوكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ.. وَمَا لَنَا
أَنْتَ الْغَنِيُّ وَمَا لِحُودِكَ مُنْتَهَى
لَوْلَاكَ مَا كُنَّا.. وَلَا كَانَتْ لَنَا
لَوْلَاكَ مَا خَفَقَتْ جَوَانِحُنَا وَلَا
مَا اهْتَزَّ غُصْنٌ أَوْ تَرْتَّمْ شَاعِرٌ
أَوْ سَالَ قَطْرٌ أَوْ تَرَفَّقَ جَدُولٌ
لَوْلَاكَ مَا كَشَفَ الْحَقِيقَةَ عَالِمٌ
مَا خَلَقْتَ عَبْرَ الْفَضَاءِ سَفِينَةً
أَبَدَعْتَ هَذَا الْكَوْنَ مِنْ عَدَمٍ وَفِي
مَا كَانَ أَوْ سَيَكُونُ أَوْ هُوَ كَائِنٌ

أَبَدًا لِفَضْلِكَ عَالَةً فُقَرَاءُ
فِي غَيْرِ مَتَكَ يَا كَرِيمُ رَجَاءُ
بِيَدَيْكَ سِرُّ الْخَلْقِ وَالْإِحْيَاءِ
دُنْيَا.. وَلَا عَمَرَتْ بِنَا أَرْجَاءُ
رَعَشَتْ بِآيَاتِ الْهُدَى أَضْوَاءُ
أَوْ كَحَلَّتْ عَيْنَ الْوُجُودِ ذُكَاةُ
وَتَلَأَلَّتْ فِي الرُّوضَةِ الْأَنْدَاءُ
أَوْ كَانَ فِي دُنْيَا الْوَرَى حُكَمَاءُ
أَوْ أَرْسَلَتْ ضَوْءَ النُّجُومِ سَمَاءُ
يَدِكَ التَّصَرُّفُ فِيهِ كَيْفَ تَشَاءُ
يَفْنَى.. وَلَيْسَ لِمَا سِوَاكَ بَقَاءُ

* * * * *

إِنْ كُنْتُ فِي عَرْضِ الْبَحَارِ فَعَرَبَدْتُ
أَوْ طِرْتُ فِي رَحْبِ الْفَضَاءِ فَخَانَنِي

هُوجُ الرِّيَّاحِ وَأَزْعَدْتُ أَنْوَاءُ
حَظٌّ وَأَوْشَكَ أَنْ يَحِينَ قَضَاءُ

أَوْ شَفَّنِي هَمٌّ.. يَنُوءُ بِحَمْلِهِ ظَهْرِي.. وَرَاسَتْ سَهْمَهَا الْأَرْزَاءُ
أَوْ كُنْتُ مَقْطُوعَ الْأَوَاصِرِ نَائِيًا فَلِمَنْ يَكُونُ تَضَرُّعٌ وَدُعَاءُ؟!

* * * * *

وَلِمَنْ تَخِرُّ جِبَاهُنَا.. وَقَلُوبُنَا حَتَّى تَزُولَ بِعَوْنِهِ الْبُأْسَاءُ؟
يَا رَبِّ أَنْتَ الْمُسْتَعَانُ.. وَإِنَّا أَبَدًا إِلَيْكَ جَمِيعُنَا فُقَرَاءُ
مَنْ كَانَ فِي حِفْظِ الْإِلَهِ وَحِزْرِهِ ذَلَّتْ لَهُ الْعَقَبَاتُ وَالْأَعْبَاءُ

* * * * *

أَنَا إِنْ ضَلَلْتُ فَمِنْكَ نُورٌ هِدَايَتِي وَإِذَا عَطِشْتُ فَمِنْ مَعِينِكَ أَسْتَقِي
وَإِذَا عَرِيتُ فَأَنْتَ وَحْدَكَ سَاتِرِي وَإِذَا تَنَكَّبْتُ الطَّرِيقَ رَجَعْتُ فِي
وَسَعَتْ مَكَارِمُكَ الْعِبَادَ بِرَحْمَةٍ يَا رَبِّ خَيْرُكَ لِلْبَرِّيَّةِ نَازِلٌ
يَا رَبِّ جِلْمُكَ لَمْ يَدْعُ لِمَقْصَرٍ لَوْ كَانَ رَبُّكَ بِالْعِقَابِ مُعْجَلًا
وَإِذَا مَرَضْتُ فِي رِضَاكَ شِفَاءُ وَأَوْ جُعْتُ كَانَ بَا رَزَقَتْ غَنَاءُ
وَجَمِيلُ عَفْوِكَ جُنَّةٌ وَرِدَاءُ نَدَمٌ إِلَيْكَ.. فِي حِمَاكَ نَجَاءُ
وَتَتَابَعْتُ مِنْ فَيْضِكَ الْآلَاءُ وَإِلَيْكَ يَصْعَدُ مِنْهُمْ الْإِيذَاءُ
عُذْرًا فَهَلَّا يَزْعَوِي الشَّفَهَاءُ؟! لَأَتِي عَلَى هَذِي الْقُرُونِ عَفَاءُ
لِلَّهِ قَوْمٌ ضَلَالَةٍ تُعَسَاءُ؟!

لَكَأَنَّ هَاتِيكَ الْقُلُوبَ جَلَامِدٌ وَكَأَنَّمَا آذَانُهُمْ صَمَاءُ!
وإِلَى مَتَى هَذَا الْكُتُودُ؟ تَجَرَّدي وَتَعَبَّدي لِلَّهِ يَا أَهْوَاءُ! (١)

* * * * *

يَا إِلَهِي

بِكُلِّ الشُّوقِ فِي قَلْبِي طَرَقْتُ الْبَابَ يَا رَبِّي
وَفِي شَفَتي ضَرَاعَاتُ لِقَلْبٍ ذَابَ فِي جَنْبِي
دُعَاءٌ فِي تَأَلُّقِهِ ضِيَاءٌ غَيْرُ ذِي لَهَبٍ
يَسِيلُ الطُّهْرُ فِي دَمْعِي لِيَغْسِلَ صِدْقَهُ ذَنْبِي
وَحَسْبِي أَنْكَ الرَّحْمَدُ نُنْ فِي رِضْوَانِهِ.. حَسْبِي
تُجِيبُ ضَرَاعَةَ الْمُحْتَاجِ جِ عِنْدَ الْمَوْقِفِ الصَّغْبِ
وَتَهْدِي خُطْوَةَ الْخَيْرِ نِ إِنْ ضَلَّتْ عَلَى الدُّرْبِ
طَلَبْتُ رِضَاكَ يَا رَحْمَدُ نُنْ وَاسْتَرْحَمْتُ فِي طَلْبِي
قَصْدُكَ يَا حِمَى رُوحِي وَيَا غَوْثِي مِنَ الْكُرْبِ
وَيَا حِصْنِي مِنَ الْأَيَا مِ وَالْأَيَّامُ تَعْصِفُ بِي
وَيَا عَوْنِي عَلَى الْإِنْسَا نِ وَالْإِنْسَانُ يَغْدِرُ بِي
وَيَلْبَسُ ثَوْبَ إِنْسَانٍ لِيُخْفِيَ صُورَةَ الذَّنْبِ

(١) من ديوان «نداء الحق» لأحمد محمد الصديق، ص ١١٥ - ١١٧، دار الضياء.

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ تَزِنَا حِ دُنْيَانَا مِنْ اللَّهَبِ
وَأَنْ يَرْتَاخَ صِدْقُ النَّاسِ سِ مِنْ دَوَامَةِ الْكَذِبِ
وَأَنْ يَخْلُو رِحَابُ الْأَزْوَاجِ ضِ مِنْ حَمَالَةِ الْحَطَبِ
وَأَنْ يَرْضَى رِضَاءَ يُنْدِ قِذُّ الدُّنْيَا مِنَ الْغَضَبِ
سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ إِلَيْنَا نِعْمَةَ الْحُبِّ
وَأَنْ يَسْقِيَ ظِمَاءَ الرُّؤُوسِ حِ مِنْ تَيَّارِهِ الْعَذْبِ
وَأَنْ يَسْرِى رَحِيقُ الْحُبِّ مِنْ قَلْبٍ إِلَى قَلْبٍ
فَنَشْعَدَ كُلَّمَا ضَمَّتْ خُطَانَا لِمَسَّةِ الْقُرْبِ
سَأَلْتُ اللَّهَ وَالْمُسْتَوْدِعَ لُ فَوْقَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
هُوَ الْمُعْطِي بِلَا مَنْ عَطَاءٍ غَيْرَ مُقْتَضِبِ
دَعَوْتُ وَخُلِمِي الْمَأْمُورُ لُ يَبْدُو الْيَوْمَ عَنْ كَثْبِ
تَعَالَى اللَّهُ مِنْ دَانٍ إِلَى الدَّاعِي وَمُقْتَرِبِ^(١)

* * * * *

(١) قصيدة «دعائي في ليلة القدر» لمحمد التهامي، من ديوان «يا إلهي»، دار البشير.

رَبِّ إِنِّي لَكَ عُذْتُ

● قال الشاعر محمود حسن إسماعيل في قصيدته «الْعُودَةُ إِلَى اللَّهِ»: «في طريقي إلى الثور ذرفت هذه الدموع...»

رَبِّ إِنِّي لَكَ عُذْتُ مِنْ سَرَابٍ فِيهِ تُهْتُ
وَعَلَى وَجْهِي شَطَايَا نَدَمٍ فِيهِ انْتَهَيْتُ
وَكُھُوفٌ مِنْ خَطَايَا، تَحْتَهَا نَارٌ وَصَمْتُ
وَطُيُورٌ ذَرَفَتْ سِرِّي وَطَارَتْ حَيْثُ طَرْتُ
وَتَلَاشْتُ فِي زَوَايَا خَلْدِي أَنَّى سَرَيْتُ
فَإِذَا أَبْكِي، أَرَاهَا أَذْمَعًا مِمَّا بَكَيْتُ
وَإِذَا أَشْكُو، أَرَاهَا كُلَّ مَا مِنْهُ اشْتَكَيْتُ
وَإِذَا أَهْرُبُ كَأَنَّكَ كُلَّ دَرْبٍ قَدْ سَلَكْتُ
وَإِذَا أَعْفُو، أَرَاهَا كُلَّ حُلْمٍ قَدْ رَأَيْتُ
وَإِذَا أَفْرَعُ لِلْأَوْهَامِ، كَأَنَّكَ مَا وَهَمْتُ
وَإِذَا غَنَيْتُهَا النَّسِيَانَ، غَنَّتْ مَا ذَكَرْتُ
وَمَحَتْ ذَاتِي، وَعَادَتْ لِي بِمَا كُنْتُ دَفَنْتُ

رَبِّ جَنَّبْنِي صَدَاها، فَهِيَ أَعَدَى مَنْ عَرَفْتُ
 هِيَ نَفْسِي، وَهِيَ شَيْطَانِي الَّذِي مِنْهُ هَرَبْتُ
 سَكَنْتُ فِيَّ، وَفِي صَحْرَائِهَا الْكُبْرَى سَكَنْتُ
 وَعَلَى مِضْبَاحِهَا الْمَخْنُوقِ فِي السَّفْحِ أَقَمْتُ
 وَكَمَا شَاءَتْ عَلَى الْأُدْغَالِ وَالرَّيْحِ ارْتَمَيْتُ
 وَكَمَا يَنْطَلِقُ الْإِعْصَارُ فِي اللَّيْلِ انْطَلَقْتُ
 وَتَسَلَّلْتُ الْفِجَاجَ الشُّودَ فِيهِ وَمَضَيْتُ
 رَاهِبًا ضَلَّتُ مُسَوِّجِي فِي هُدَاها وَضَلَلْتُ
 وَيَحْ غُمْرِي مَا الَّذِي كُنْتُ عَلَى الرَّمْلِ كَتَبْتُ؟
 قِصَّةٌ.. مَا زَالَ حَوْلِي كُلُّ مَا فِيهَا رَوَيْتُ
 الْأَسَى، وَالْإِثْمَ، وَالْعِصْيَانُ، هَذَا مَا حَمَلْتُ..
 فَإِذَا التَّوْبَةُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا عِنْدِي، رَحَلْتُ
 وَإِذَا الْأَوْزَارُ حَطَّتْ، حَطَّ قَلْبِي وَانْتَشَيْتُ
 وَإِذَا رَكْبُ الْخَطَايَا لَاحَ لِلْعَيْنِ، هَفَوْتُ
 وَكَمَا يَنْتَفِضُ الطَّائِرُ لِلْفَجْرِ انْتَفَضْتُ

وَتَلَفَعْتُ بِسِرِّي فِي الدِّيَاجِي وَانْسَلَلْتُ
مَثَلَمَا يَنْسَلُّ مَنْنِي خَاطِرٌ مِنْهُ بَرِمْتُ

* * * * *

هذه قصه بُسْتَانٍ به كُنْتُ عَبْرْتُ
حَاطِبًا أَجْمَعُ نَارًا.. وَأَسَى فِيمَا جَمَعْتُ
لَيْسَ لِي فَاسٌ، وَلَا غَزَسٌ، وَلَكِنِّي احْتَطَبْتُ
مِنْ رِيْعٍ، لَيْسَ لِي فِيهِ سِوَى أَنِّي وَجَدْتُ

* * * * *

وَرَحِيقٍ، كُلُّ مَا أَعْلَمُ.. أَنِّي قَدْ شَرِبْتُ
وَعَبِيرٍ، كُلُّ مَا أَذْرِيهِ أَنِّي قَدْ شَمَمْتُ
وِثْمَارٍ كُلُّ وَغِييٍ أَنَّنِي مِنْهَا قَطَفْتُ
وَعُضُونٍ ظَلُّهَا يَجْهَلُ عَنِّي مَا جَهِلْتُ
بِعَثْرَتِ سِرِّي وَعَادَتِ، وَهِيَ لِلْإِيْمَانِ نَيْتٌ..
جَلَّ رَبِّي كُلُّ هَذَا مَا الَّذِي كُنْتُ ارْتَكَبْتُ
أَذْنُوبٌ؟ أَمْ دُرُوبٌ فِي مَهَاوِيهَا جُرِفْتُ؟

أَنَا كَذَّابٌ، وَلَكِنْ كُلُّ مَا قُلْتُ صَدَقْتُ
 نَقَلْتُ نَفْسِي عَنْ نَفْسِي الَّذِي كُنْتُ ادَّعَيْتُ
 فَهُوَ زُورٌ، وَهُوَ حَقٌّ، وَهُوَ سِرٌّ فِيهِ حِرْتُ
 أَنَا نَفْسِي ذَلِكَ الْإِثْمُ الَّذِي مِنْهُ هَرَبْتُ
 أَنَا نَفْسِي ذَلِكَ الزُّورُ الَّذِي مِنْهُ جَزَعْتُ
 كُلُّ مَا أَشْكُوهُ، مِنْهَا ذَنْبُهُ، مَهْمَا بَرِئْتُ!

* * * * *

عَذَّبْتَنِي بِخَطَايَا، وَهَوَاهَا فَاسْتَجَرْتُ
 وَإِلَى قُدْسٍ عَلَيَّ، مِنْ ضَفَافِ النُّورِ طَرْتُ
 بَعْدَمَا جَرَّدْتُ ذَاتِي، وَعَنِ النَّفْسِ انْفَضَلْتُ
 وَإِلَى اللَّهِ بَنَوَحِي، وَعَذَابَاتِي، اتَّجَهْتُ
 وَشَبَبْتُ الْجِسْمَ نَارًا، وَهَشِيمًا، وَاشْتَعَلْتُ
 رَبِّ! مِنْ بُقْيَا رَمَادِي، وَحَصَادِي، لَكَ جِئْتُ
 رَبِّ غُفْرَانِكَ! إِنِّي فِي ظَلَامِي قَدْ وُئِدْتُ! (١)

* * * * *

(١) من ديوان «قَاب قَوْسِينَ» للشاعر محمود حسن إسماعيل، نقلًا عن الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل. ص ٧٥ - ٧٩.

مُنَاجَاةٌ

لِلْأَمِيرِي

هَآكَ نَفْسِي، وَكُلُّ أَهْوَاءِ نَفْسِي
وَجَوَى غُلَّتِي، وَتَبْرِيحَ بُؤْسِي
وَاضْطِرَاعَ الطُّمُوحِ مِلءَ جَنَانِي
وَاضْطِرَابِي مَا بَيْنَ عَزَمٍ وَيَأْسٍ
هَآكَ ذَاتِي، وَأَنْتَ بَارِئُ ذَاتِي
وَصِفَاتِي وَأَنْتَ مُرْهِفُ حِسِّي
بَيْنَ جِسْمِي وَبَيْنَ رُوحِي جَهَادٌ
أَزَلِّي الْجُدُورِ مُذْ كَانَ جِنْسِي
هَآكَ شَجْوِي وَخَيْرَتِي وَحَنِينِي
وَأَيْنَ الِهُمُومِ فِي قَلْبِ أُنْسِي
قَلْبِ أُنْسِي؟ وَأَيْنَ أُنْسِي هَذَا؟
إِنَّهُ الْوَهْمُ فِي غِمَارِ التَّأْسِي
وَحَيَاتِي، يَا رَبِّ، إِنَّ حَيَاتِي
غُرْبَةٌ فِي غَدِي وَيَوْمِي وَأُمْسِي
وَمُرَادٌ مُحَلَّقٌ فِي الْأَعَالِي
لَمْ يَزَلْ نَحْوَهُ تَوَجُّهُ رَأْسِي

وفؤادٌ يُؤجُّ فيه هَواهُ..
 ورؤى كاليقين تملأُ حُدُسي
 في كياني - يا ربّ - رُوحِي يشكو
 قلقَ السَّعي بين مَهدي ورَمَسي
 أسبغ الرِّحمةَ الرُّؤومَ عليه
 وازعِ عَزَمِي، ولا تَكِلني لِنَفْسي
 أنتَ صَيَّرتني لِقَوسِكَ سَهْمًا
 كَيْفَ أزمي إنْ لَمْ أَشَدَّ بِقَوسِ
 أنتَ قَدَّرْتَ لي الأمانةَ عِبًّا
 فأعِنِّي وامنِّدْ ببأسِكَ بأُسي
 واصطنعِ لِلوُجودِ قَلْبِي شَمْسًا
 لِأُنِيرَ الوُجودَ ما دُمْتَ شَمْسِي^(١)

* * * * *

رَحْمَنٌ .. وَإِنْسَانٌ

لِلْأَمِيرِ

أَهْوَاكَ... وَأَغْفُلُ عَنْ مَثَلٍ غُلِيَا لِهَوَاكَ .. وَأَهْوَاكَ
 لَا نَكْصًا^(١) فِي الدَّزْبِ وَنَقْصًا فِي الْحُبِّ، وَنَقْصًا لِرِضَاكَ
 لَكِنْ شَرَدَاتُ الْعَيْنِ وَقَدْ أَغْشَاهَا^(٢) إِشْرَاقُ سَنَاكَ
 وَيَقِينِي أَنَّكَ رَحْمَنٌ بِالرَّأْفَةِ عَمَّ الْأَفْلَاكَ
 وَشُعُورِي أَنِّي إِنْسَانٌ هَلْ أُذْنِبُ لَوْ كُنْتُ مَلَكَ؟^(٣)

* * * * *

فِي الْأَعَالِي

لِلْأَمِيرِ

مَعَ الشَّمْسِ فِي الْبَحْرِ أَحْبُو رُؤَيْدًا رُؤَيْدًا... وَيَغْمُرُ نَفْسِي غُرُوبُ
 وَحَوْلِي الْجَمَالُ.. وَحَوْلِي الْحَيَاةُ وَذَوْقُ الْحَيَاةِ ضُرُوبٌ.. ضُرُوبُ
 وَكُنْهِيَ يَنْسَابُ مِنْ أَرْضِهِ وَيَزْنُو.. وَيُضْعِدُ نَحْوَ الْغُيُوبِ

* * * * *

(١) نَكَصَ: نَكَصَ عَلَى عَقِيئِهِ نَكْصًا: رَجَعَ إِلَى الْخَلْفِ.

(٢) أَغْشَاهَا: أَغْبَشَهَا وَأَضْعَفَ نَظَرَهَا.

(٣) مِنْ دِيْوَانِ «قَلْبُ وَرَب».

يُفِذُ هُنَاكَ... وَيُسْرِي هُنَا وَقَدْ جَادَبْتُهُ الدُّرُوبُ
يُغَالِبُ فِي الدَّهْرِ إِعْصَارَهُ وَكَمْ ذَا يُعَانِي؟ وَلَا.. لَا يَثُوبُ
طَبِيعَةُ رُوحِ سَمَاوِيَّةٍ نَسِيمٌ لَهُ فِي الْأَعَالِي هُبُوبُ
وَجِسْمٌ إِلَى حَمًا يَنْتَمِي يُلِخُّ عَلَيْهِ غَرَامُ دُءُوبُ
وَأَبْسَمُ.. وَالنَّارُ فِي أَضْلَعِي وَيَنُمُو جَنَانِي.. وَعُمْرِي يَذُوبُ
فِيَا رَبِّ.. حَتَّامَ هَذَا الشَّجَا أَلُوبُ.. أَلُوبُ.. فَأَنْتَى أَثُوبُ
إِلَهِي إِلَيْكَ كِيَانِي وَشَانِي وَأَنْتَ حَكِيمٌ بِطَبِّ الْقُلُوبِ^(١)

* * * * *

خَلَايَا تُسَبِّحُ اللَّهَ

لِلْأَمِيرِيِّ

أَقْصُرُ، يَا رَبِّي، وَأَذْنِبُ مُخْطِئًا وَفِي غَوْرِ ذَرَاتِي وَذَاتِي تَعْبُدُ
فَذَنْبِي فِي سَطْحِ الْإِرَادَةِ غَفْلَةٌ وَزَيْغٌ، وَعَنْ عَزَمِ السَّدَادِ تَرَدُّدُ
وَلَكِنْ خَلَايَايَ الَّتِي مِنْ نَمَائِهَا وَجُودِي فِي إِصْعَارِهِ يَتَجَدَّدُ

* * * * *

تُسَبِّحُ، لَا تَنْفَكُ، فِي مَحْضِ طَاعَةٍ وَتَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَنَ دُأْبًا وَتُحَمَّدُ

(١) من ديوان «قلب ورب» للأميري ص ٦٥ - ٦٧

فأحيا، ولو في قلبِ ذَنْبِي خَاشِعًا لربي، أحيا ذِكْرُهُ، وَأَمَّجِدُ^(١)

نَلُودُ بِاللَّهِ

لِلْأَمِيرِي

يُقَبَّلُ آيَاتِ الرَّجَاءِ تَضَرُّعًا وَيَنْشَقُّ مِنْهَا عَرْفَ رَحْمَةِ رَبِّهِ
بِهَا يَمْسَحُ الْعَيْنَيْنِ وَالْقَلْبَ لَائِدًا بَمَنْ عَنْهُ لَا تَخْفَى حَقِيقَةُ قَلْبِهِ
لِيَقْبَلَهُ عَبْدًا أَبْيَا مُجَاهِدًا.. وَيَمِضِي بِهِ مَا عَاشَ فِي عَدَلِ دَرْبِهِ
هُوَ اللَّهُ يَدْعُوهُ بِذِلَّةٍ ذَنْبِهِ هُوَ اللَّهُ يَدْعُوهُ بِعِزَّةٍ حُبِّهِ
يَلُودُ بِهِ وَالْدَّمْعُ فِي زَفَرَاتِهِ يَجِيشُ، لِكَرْبِ الْمُسْلِمِينَ وَكَرْبِهِ
لِيُكْشِفَ ضُرًّا - قَدْ يَكُونُ جَزَاءَنَا وَفَاقًا، وَلَكِنَّا نَلُودُ بِهِ.. بِهِ^(٢)

* * * * *

بَيْنَ الثَّرَى وَالثَّرِيَّا

طَرُ بِجَسْمِي إِلَى سَمَائِكَ حَيًّا يَا إِلَهِي، حَتَّى أَعِيشَ نَقِيًّا
عَكَّرْتَنِي ذَنْبَهَا «أَهْبَطُوا» بِأَذَاهَا جَرَحْتُ بِي سُمُومَ رُوحِكَ فَيَّا
وَجَهَادِي لَا يَنْتَهِي، وَكِبَادِي «خَضَّ» ذَاتِي بَيْنَ الثَّرَى وَالثَّرِيَّا

(١) من ديوان «قلب ورب».

(٢) من ديوان «قلب ورب» ص ١٠٩ - ١١٠.

يا لِقَلْبِي، قد كِدْتُ أَفْقِدُ قَلْبِي! كم يُعَانِي حَتَّى أَظْلَّ أَبْيَا؟!
 رَحْمَةُ اللَّهِ.. أَذْرِكِي.. أَذْرِكِينِي.. بَادِرِي.. بَادِرِي.. إِلَيَّ إِلَيَّا^(١)

* * * * *

مِنْكَ إِلَيْكَ

مُخْلِصٌ، يَا رَبِّ، عَبْدٌ مُخْلِصٌ قَلْبُهُ.. إِيْمَانُهُ.. بَيْنَ يَدَيْكَ
 فَأَجِرْنِي مِنْ غَرُورٍ لَا يَنِينِي نَاصِبًا لِي شَرَكًا إِثْرَ شُرَيْكَ
 وَبَعَيْنِ الصَّوْنِ وَالْعَوْنِ ارْزَعْنِي يَا إِلَهِي بِكَ أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ
 مَالِكَ الْمُلْكِ، وَتَوْتِي الْمُلْكَ مَنْ شِئْتَ، يَا رَبِّي، فَهَبْ هَذَا الْمُلْكَ
 نُورَ رِضْوَانِكَ وَامْنَحْهُ التَّقَى وَاصْطَنِعْهُ.. إِنَّهُ مِنْكَ إِلَيْكَ^(٢)

* * * * *

لَا نِهَايَاتُ النُّورِ

إِلَهِي.. كَمَا يَتَجَاوَزُ ضَيْقُ حُدُودِ السُّجُودِ.. اتَّسَاعَ الْمَدَى
 فَتَعَرَّجُ بِالرُّوحِ «سُبْحَانَ رَبِّي» إِلَى لَا نِهَايَاتِ نُورِ الْهُدَى
 إِلَهِي! فَاجْعَلْ نِهَايَةَ عُمْرِي وَخُفْرَةَ قَبْرِي وَضَيْقَ الرَّدَى

(١) من ديوان «إشراق» للأُميري ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) من ديوان «إشراق» للأُميري ص ١٦٦ - ١٦٧.

كَعَرَضِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ اتَّسَاعًا وَهَبَ فِي رِحَابِكَ لِي مَرْقَدًا
وَنُورَ رُفَاتِي لَتَبْقَى وَتَبْقَى تُسَبِّحُ بَارِئَهَا سُجَّدًا^(١)

* * * * *

اِخْتِلَاجَةُ نُورٍ

إِلَهِي! شَكَاتِي وَشُكْرِي مَعًا ثَنَاءً وَتَسْلِيمَ قَلْبٍ سَلِيمٍ
وَمَا أَنَا إِلَّا اِخْتِلَاجَةُ نُورٍ قَدْ انْقَدَحَتْ مِنْ سَنَّاكَ الْعَظِيمِ
إِذَا مَا تَجَلَّيْتَ كَانَ الرِّضَا.. وَأَمَسْتُ هُمُومِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ
فَأَشْرِقْ وَأَغِدِقْ وَأَنْجِدْ وَزِدْ.. فَأَنْتَ الْكَرِيمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ^(٢)

* * * * *

إِشْرَاقٌ

يَا إِلَهِي! مِنْ رُوحِكَ الْفَذُّ رُوحِي سَبَبٌ لَا يَحُورُ، يَنْمُو وَيُوجِي
فَتَعَهَّدْ عَزْمِي وَسَدِّدْ طُمُوحِي فِي صُدُورِي وَمَدْرَجِي وَنُزُوجِي

* * *

فَأَنَا، مُنْذُ كُنْتُ، صُنْعُ يَدَيْكَ يَا إِلَهِي! وَمِنْكَ أَمْضِي إِلَيْكَ

(١) من ديوان «إشراق» لعمر بهاء الدين الأميري ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) من ديوان «إشراق» لعمر بهاء الدين الأميري ص ١٨٨ - ١٨٩.

يا مَلِيكًا قَدْ صُغْتَ مِنِّي مُلَيْكًا كَيْفَ أَحْيَا دُونَ اعْتِمَادٍ عَلَيْكَ

* * * * *

لَا بَطِّينَ التَّكْوِينِ، حُرًّا نَقِيًّا أَنْتَ سَلَسَلْتَهُ فَعَادَ زَكِيًّا
قَدْ تَخَلَّفْتُ، يَا إِلَهِي سَوِيًّا عَبَقَرِيًّا، لَكِنْ بِنَفْحِكَ فَيَّا

* * * * *

أَنْتَ كَرَّمْتَنِي رِضًا وَعَطَاءً أَنْتَ سَخَّرْتَ لِي الثَّرَى وَالسَّمَاءَ
أَنْتَ أَفْعَمْتَ خَافِقِي رَجَاءً وَبَذَلْتَ الْهُدَى، فَرَدَّنِي مَضَاءً

* * * * *

يا إِلَهِي! جَاوِزَ بِي الْآفَاقَا فَمَدَّاهَا عَنْ حُلْمِ رُوحِي ضَاقَا
وَالصَّدَى اشْتَدَّ وَاسْتَبَدَّ وَعَاقَا وَالْمُنَى وَالْمُنُونُ تَعْدُو سَبَاقَا
فَاخْبُنِي مِنْ إِسَارِ جِسْمِي انْعِتَاقَا وَارْقَ بِي فِي السَّمَاءِ سَبْعًا طِبَاقَا
وَأُنِخْ لِي مِنَ الْهُيَامِ بُرَاقَا وَارْضَ عَنِّي لِأَبْلُغَ الْإِشْرَاقَا^(١)

* * * * *

(١) من ديوان «إشراق» لعمر بهاء الدين الأميري.

تَسْلِيمٌ .. وَضَرَاةٌ

يا إِلَهِي وَكُلُّ نُورِكَ وَجْهٌ يا إِلَهِي وَكُلُّ وَجْهِكَ نُورٌ
وَشُعَاعٌ مِنْ نُورِكَ الْفَذُّ كَافٍ لِيَبِيدَ الْقَتَامُ وَالْدَّيْجُورُ
يا إِلَهِي! فَجُدْ عَلَيَّ يَوْمَضٍ من شُعاعٍ، فَالْقَلْبُ قَلْبُ طَهُورٍ
بَيْدَ أَنِّي وَلِلْحَيَاةِ شُئُونٌ وشجونٌ وَوَسْوَساتٌ غُرُورُ
وَبِنَفْسِي - وَأَنْتَ سَوَّيْتَ نَفْسِي - فِي صَمِيمِ التَّقْوَى يَلُوحُ فُجُورُ
لَكَ أَسْلَمْتُ كُلَّ نَفْسِي وَعَقْلِي واختياري وَأَنْتَ بَرٌّ غَفُورُ
فَتَخَيَّرَ لِعَبْدِكَ الْحُرُّ دَرْبًا فَهُوَ فِي مُلْتَمَى الدَّرُوبِ يَدُورُ
يَبْتَغِي الْخَيْرَ، وَالْذَّنَا بِنَيْيَهَا - وَهُوَ مِنْهُمْ - تَعُجُّ فِيهَا شُرُورُ
كَمْ تَمَنَّيْتُ لَوْ تَصَاوَلْتُ عَنْهَا وتخطَّيْتُهَا وَهَمْتُ أَصُورُ
فِي السَّمَاوَاتِ، فِي عَوَالِمِ فَيْضِ الْوَاهِ مِنْ هَيْكَلِي وَمَحَبِّسِ رُوحِي قُدُسٍ، حَيْثُ السَّنَا.. وَحَيْثُ الْحُبُورُ
قَاصِرٌ، عَاثِرٌ إِذَا كُنْتُ وَحْدِي أَنَا فِيهِ مُكَبَّلٌ مَحْجُورُ
فَإِذَا كُنْتُ لِي أَكُونُ سَلِيمًا لَايِدٌ، رَاكِدٌ، أَكَادُ أَغُورُ
وَتَصِيرُ الْعُرُوشُ قَبْلَ ائْتِدَادِ الطَّرْفِ، فِي حُوزَتِي، وَتُبْنَى الْقُصُورُ نَ تَصَاغُ الْجِفَانُ لِي وَالْقُدُورُ
وَتَكُونُ الدُّهُورُ سِفْرًا لَتَارِيخِي فَتَشْدُو بِمَا أَقُولُ الدُّهُورُ

يا إلهي! والكُونُ ضَجَّ نفورًا مِنْ فَسَادِ الْوَرَى... وماذَا التُّفُورُ؟
 والطَّوَاعِيتُ تَسْتَبْدُ وَتَسْعَى فِي خَرَابٍ... سَعْيِ الطَّوَاعِيتِ بُورُ
 قد أَضْرَّتْ بِالنَّاسِ عُصْبَةُ سُوءٍ لَا تَنِي تَسْتَذِلُّهُمْ وَتَجُورُ
 وأنا مُوثَّقٌ بِغُرْبَةٍ عُمْرِي أَحْكَمْتُ حَوْلِي الرِّتَاجَ صُخُورُ
 مَعَزِلٌ قَابِعٌ، عَلَى الْبَحْرِ، نَاءٍ وَبِنَفْسِي مِنْ الْهُمُومِ بُحُورُ
 نابضٌ، رابضٌ، كَبُورَةٌ بُزْكَاءٍ نِ وَقَلْبِي يَغْلِي أَسَى وَيَفُورُ
 هَذِهِ أُمَّتِي.. وَهَذَا بَلَائِي يَا إِلَهِي! إِلَيْكَ تُزَجِّي الْأُمُورُ
 فاصْطِنِعْنِي وَاَنْفَخْ بِعَزْمِي صُورًا قَبْلَ أَنْ يُعَجَلَ الْقِيَامَةُ صُورُ
 فَالْتُّشُورُ الْمُنْشُودُ فِي هَذِهِ الدُّنْىَا يَا جِهَادَ بِهِ يَكُونُ النُّشُورُ
 يَا إِلَهِي فَجُدْ وَأَشْرِقْ، وَأَطْلِقْ قُدْرَتِي يَنْطَلِقُ بِي الْمَقْدُورُ^(١)

* * * * *

(١) من ديوان «إشراق» للأميري ص ١٩٨ - ٢٠٢.

الله ... والتَّوبَةُ

● «وشقت بزورتها لجة الظلام.. إلى الشاطئ فأعيها الوصول»

وشاطئي في يديه	كفارة لخطايا
ذهبت يوماً إليه	بأدمعي وشقايا
وبالمعاصي اللواتي	صحبتها في سرايا
ورحلت ألقى عليه	تبثلي وهدايا
فصرت قبراً غريباً	تناهشته المنايا
زقوا عليه غصوناً	منضرات صبايا
وحملوه طيوراً	لقننها من غنايا
وصرت بغض صلاة	تضم بغض الخطايا
وتوبة في خطايا	تمشي الذنوب عرايا
كأنها من عذاب	للإثم صارت مطايا
أو أنها من رياء	أضحت لديه مرايا
ذهبت يوماً ونفسي	جريحة تتعايا
وللمعاصي عواء	مدمدم في الخنايا
كأنه صوت ذئب	تغافلته العشايا
أو فح أفعى شوئها	من الهجير شظايا
أو نوح تكلى أهاجت	لها القبور خفايا

أَوْ وَخَزَّةٌ مِنْ صَمِيرٍ	لِلْعَارِ فِيهِ بَقَايَا
أَوْ صَرْخَةٌ مِنْ يَتِيمٍ	تَلَقَّفَتْهُ الرِّزَايَا
حَمَلْتُهَا وَكَأَنِّي	حَمَلْتُ هَوْلَ الْمَنَايَا
وَجِئْتُ نَذْمَانَ أَزْجِي	إِلَى الْمَتَابِ خَطَايَا
خَيْرَانَ ضَلَّ أَمَامِي	وَضَلَّ خَلْفِي وَرَايَا
وَضَلَّ أَفْقِي وَضَجَّ	أَرْضِي لَهُ وَسَمَايَا
أَبْكِي وَتَبْكِي وَيَبْكِي	دَمْعِي وَيَبْكِي بُكَايَا
وَفِي يَدَيَّ غِنَاءٌ	مَوْلُودٌ مِنْ أَسَايَا
وَحِفْنَةٌ مِنْ دُعَاءٍ	غَرَفْتُهُ مِنْ دِمَايَا
مُهْمَمِهِمْ فِي صَبَاحِي	مُزْمِرٌ فِي مَسَايَا
كَأَنَّهُ صَوْتُ رُؤْيَا	سَجِينَةٍ فِي الْخَفَايَا
أَوْ حُزْنُ طَيْرٍ غَرِيبٍ	فِي اللَّيْلِ يَنْفُخُ نَايَا
أَوْ مُسْتَجِيرٌ ثَلَبِي	صَدَاهُ نَفْسُ الرِّزَايَا
أَوْ مُسْتَغِيثٌ عَلَيْهِ	يَرُدُّ صَوْتُ الْبَلَايَا
أَوْ ضَارِعٌ فِي زَوَالٍ	دُعَاؤُهُ مِنْ دُعَايَا
يَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا	إِثْمِي وَهَذِي تُقَايَا
وَذَاكَ دَرْبِي وَهَذِي	عَلَى الطَّرِيقِ عَصَايَا
مَا كُنْتُ أَغْمَى وَلَكِنْ	أَغْمَى الْمُغْنَى شَجَايَا
دَقَّ الدُّفُوفَ فَطَارَتْ	إِلَيْهِ دُنْيَا هَوَايَا

وَطَرْتُ عَبْدًا أَنَادِي فِي سِحْرِهِ مُشْتَهَايَا
رَبَّاهُ عَفْوَكَ إِنِّي لِلنُّورِ مُدَّتْ يَدَايَا
نَزَعْتُ أَسْرَارَ قَلْبِي وَجِئْتُ أَلْقِي أَسَايَا
وَأَشْتَكِي طَيِّ صَدْرِي دَرْبًا سَحِيقَ الطَّوَايَا
بِهِ بَدَأْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَذِرْ مَا مُنْتَهَايَا
لَمْ أَذِرْ يَأْسِي فِيهِ وَلَا عَرَفْتُ هُدَايَا
وَلَا عَرَفْتُ ظَلَامِي وَلَا عَرَفْتُ ضَحَايَا
وَلَا لِغَيْرِكَ دَوَى يَا رَبِّ يَوْمًا نِدَايَا
إِلَيْكَ.. أَنْتَ صَبَاحِي مُصَفِّدٌ فِي مَسَايَا
عَبْدَانِ فِي الشُّوقِ تَاهَا وَتُهْتُهَا بِالْخَطَايَا
فَاسْكُبْ ضِيَاءَكَ إِنِّي ظَمَأَنْ ضَلَّ صَدَايَا
لَمْ أَذِرْ مِنْ أَيِّ نَبْعٍ أَسْقِي جَنِينَ الرُّكَايَا
وَالشَّطُّ لَا مَاءَ فِيهِ يُطْفِي اللَّظَى فِي حَشَايَا
رُحْمَاكَ يَا رَبِّ إِنِّي وَزَوْرَقِي وَالْخَطَايَا
فِي لُجَّةٍ لَيْسَ فِيهَا مِنَ الضُّيَاءِ بَقَايَا
جَفْتُ وَغَاضَتْ وَلَكِنْ مَا زِلْتُ أَرْجِي رَجَايَا
غَفَرْتَ أَمْ لَمْ.. فَإِنِّي مَا زِلْتُ أَدْعُوكَ يَا.. يَا
* يَا رَبُّ !! (١)

تَاهَتْ فِي الْعَبِيرِ (١)

محمود حسن إسماعيل

رَبِّ سُبْحَانَكَ دَوْمًا يَا إِلَهِي
نِعْمَةً تَسْرِي بِقَلْبِي وَشِفَاهِي

كُلَّمَا غَرَّدَ طَيْرٌ فِي خَمِيلِهِ
وَصَفَتْ لِلْحُبِّ دُنْيَاهُ الْجَمِيلَةَ

وَتَهَادَى الْعِطْرُ فِي الرَّبْدِ مَوْءَةً مِنْ دَرْبٍ لَدَرْبٍ
عَاشِقًا يَبْحَثُ فِي الْبُؤْسِ تَانٍ عَنْ قَلْبٍ وَحُبِّ

نَسِيَ الْعِطْرُ خُطَاهُ وَخَبَا شَذُو الطُّيُورِ
وَنَهَلْتُ السُّحْرَ وَالْإِيَّامَانَ مِنْ صَمْتِ الزُّهُورِ

وَرَأَيْتُ الْحُبَّ يَنْسَا بَدْءَ دُعَاءٍ مِنْ شِفَاهِي
وِغْنَاءٍ مِنْ صَفَاءِ الرُّوحِ يَجْرِي يَا إِلَهِي

كُلَّمَا قَبَلَ ضَوْءُ الشَّمْسِ زَهْرَهُ
وَانْحَنَى الْغُصْنُ لَهَا يَنْقُلُ سِرَّهُ

لَا حَ لِي نَوْرَكَ فِي كُلِّ شُعَاعٍ يَتَجَلَّى
يَمْلَأُ الْأَيَّامَ عِطْرًا وَأُنَاشِيدَ وَظِلًّا
سَاقِي الْإِيمَانِ مِنْ نُورِكَ طُفْ بِالْكَأْسِ وَامْلَأْ

وَاسْقِنِي وَاشْرَبْ.. وَلَا تَحْزَنْ مِنْ النُّورِ شِفَاهِي
فَأُغْنِي.. رَبِّ سُبْحَا نَكَ دَوْمًا يَا إِلَهِي

كُلَّمَا أَشْرَقَ بِالْإِيمَانِ صَدْرِي
وَهَمَّتْ أَشْوَاقُهُ الْكُبْرَى بِشَغْرِي

ثَمَلْتُ رُوحِي مِنَ الْحُبِّ وَلَاذْتُ عِنْدَ بَابِكَ
وَرَنَا قَلْبِي فَشَاهَدْتُ السَّنَا خَلْفَ حِجَابِكَ

قُوَّتِي مِنْكَ وَمِنْهَا تَنْهَلُ الْحَمْدَ شِفَاهِي

وَتُغْنِي الرُّوحَ تَسْبِيحًا وَشُكْرًا يَا إِلَهِي

* * * * *

إِنْ يَكُنْ ذَنْبِي تَوَارَى عَنْ ضَمِيرِي
وُخْطَا التَّوْبَةِ تَاهَتْ فِي الْمَسِيرِ

* * * * *

فَأَنَا فِي كُلِّ خَطْوِي لَكَ حَمْدٌ وَمَتَابُ
وَحْنِيَنَّ رَدَّدَتْهُ حَوْلَ أَيَّامِي الشُّعَابُ

* * * * *

فَاسْكُبِ النُّورَ لِقَلْبِي وَازِرِ بِالسَّحْرِ شِفَاهِي
فَأُغْنِي رَبِّ سَبْحًا نَكَ دَوْمًا يَا إِلَهِي

* * * * *

الْمَلِكُ لِلَّهِ

□ [بِجَنبِي طَيْرٌ غَرِيبُ الْجَنَاحِ] لمحمد حسن إسماعيل

عَلَى الْأَرْضِ نُورٌ.. وَفِي الْأُفُقِ نُورٌ..
وَفِي كُلِّ قَلْبٍ شُعَاعٌ يَدُورُ
وَلَحْنٌ يُسَبِّحُ طَيِّ الصُّدُورِ
وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ
وَيَدْعُوكَ يَا رَبِّ أَنْتَ الْمُلَبِّي
وَلَبَّيْكَ.. أَنْتَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ..

* * * * *

إِلَهِي... تَبَارَكْتَ رَبَّ السَّمَاءِ
مَعَ اللَّيْلِ تَبَعْتُ فَجَرَ الضُّيَاءِ
وَتَفَتَّحَ لِيَأْسِ بَابَ الرَّجَاءِ
وَمَا خَابَ مَنْ ظَلَّلَتْهُ يَدَاكَ
وَلَا ضَلَّ فِي خَطْوِهِ مَنْ دَعَاكَ
فَأَنْتَ السَّمِيعُ بِهِمْسِ الدُّعَاءِ..

* * * * *

لَكَ الْمَلِكُ وَالْحَمْدُ.. أَنْتَ النَّصِيرُ
وَأَنْتَ الْأَمَانُ لِمَنْ يَسْتَجِيرُ
وَأَنْتَ لِمَنْ قَالَ: يَا رَبِّ.. نُورُ..
يَرُدُّ السَّكِينَةَ لِلْحَائِرِينَ
وَيَسْكُبُ لِلرُّوحِ نُورَ الْيَقِينِ
وَيَمْحُو الْأَسَى مِنْ ظَلَامِ الصُّدُورِ..

* * * * *

إِلَهِي دَعْوَتُكَ! فَاقْبَلْ دُعَائِي
وَنَادَيْتُ يَا رَبِّ.. فَاسْمَعْ نِدَائِي
وَمَنْ غَيْرُ بَابِكَ يُحْيِي رَجَائِي؟
فَأَمْضِي إِلَى النُّورِ خَلْفَ الْحِجَابِ
صَلَاةً تُغْنِي بِقُدْسِ الضِّيَاءِ

* * * * *

بِجَنَبِي طَيْرٌ غَرِيبُ الْجَنَاحِ
يُغْنِي، وَتُضْغِي إِلَيْهِ جِرَاحِي

وَيَبْسُطُ كَفَّيْهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ:
إِلَهِي! أَعِنِّي، وَبَارِكْ صَلَاتِي
وَبِالْعَفْوِ طَهِّرْ خُطَا، مَعْصِيَاتِي
وَيَا رَبُّ بِالنُّورِ سَاعِدْ جَنَاحِي

إِلَهِي وَمَا لِي دَعَاءٌ سِوَاكَ
وَلَا لِي مَعَ الصُّبْحِ إِلَّا ضِيَاكَ
وَلَا عَوْنَ لِلرُّوحِ إِلَّا يَدَاكَ
إِذَا رَفَرَفْتَ كُنْتُ فِيهَا الدُّعَاءُ
وَإِنْ هَتَفْتَ كُنْتُ نُورَ الرَّجَاءِ
فَمَا لِي، وَلَا لِي، مُجِيرٌ عَدَاكَ!!^(١)

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ١٧٧٥/٤ - ١٧٧٧.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

يَا رَبَّنَا لَكَ الصَّلَاةُ
وَالْحَمْدُ مِنْ كُلِّ الْحَيَاةِ

مِنْ زَهْرَةٍ عَلَى الْغُصُونِ لَهْفَانَةٍ إِلَى نَدَاكَ
مِنْ دَمْعَةٍ عَلَى الْجَفُونِ ظَمَانَةٍ إِلَى رِضَاكَ
مِنْ بَسْمَةٍ عَلَى الْعُيُونِ وَلَهَانَةٍ إِلَى ضِيَاكَ

مِنْ تَائِبٍ إِلَى حِمَاكَ هَلَلَتْ خُطَاةُ
مِنْ ضَارِعٍ إِلَى عُلاكَ كَبُرَتْ يَدَاةُ

«يَا رَبَّنَا لَكَ الصَّلَاةُ»
«وَالْحَمْدُ مِنْ كُلِّ الْحَيَاةِ»

يَا رَحْمَةً لِلتَّائِبِينَ لِلْعَفْوِ لَا نَرْجُو سِوَاكَ
يَا مَوْئِلًا لِلْحَائِرِينَ طَوْبَى لِمَنْ يَلْقَى هَذَاكَ
يَا غَوْثَ كُلِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا لِمَا تُعْطِي يَدَاكَ
بِكُلِّ مَا تَحْيَا الْحَيَاةُ نَعْبُدُكَ

وَكُلُّ مَا فَوْقَ الثَّرَى يُوحِّدُكَ
وَكُلُّنَا نَدْعُوكَ يَا رَبَّنَا
يَا رَبَّنَا لَكَ الصَّلَاةُ
وَالْحَمْدُ مِنْ كُلِّ الْحَيَاةِ! (١)

* * * * *

سُبْحَانَ اللَّهِ

رَبِّ سُبْحَانَكَ فِي أَعْلَى عِلَاقٍ
كُلَّمَا نَدْعُوكَ.. تُعْطِينَا يَدَاكَ

* * * * *

خَيْمَ اللَّيْلِ، فَنَادَيْتُ.. إِلَهِي
فَإِذَا الْكَوْنُ ضِيَاءُ
وَجَرَى الدَّمْعُ فَنَادَيْتُ.. إِلَهِي
فَإِذَا الدُّنْيَا صَفَاءُ
وَالرِّضَا يَغْمُرُ قَلْبِي وَشِفَاهِي

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج٤/ ١٧٧٩ - ١٧٨١.

وَتُنَاجِيزِي السَّمَاءَ
«رَبِّ سُبْحَانَكَ فِي أَعْلَى عِلَاقٍ»
«كُلَّمَا نَدَعُوكَ تُعْطِينَا يَدَاكَ»

كُلَّمَا تُشْرِقُ شَمْسٌ أَوْ تَغِيبُ
يَمْلَأُ الْقَلْبَ ضِيَاكَ
وَإِذَا ضَاقَتْ مِنَ الْيَأْسِ الْقُلُوبُ
يَغْمُرُ الرُّوحَ هُدَاكَ
وَإِذَا مَلَّتْ مِنَ الْعَفْوِ الذُّنُوبُ
صَافَحَ النَّفْسَ رِضَاكَ
«رَبِّ سُبْحَانَكَ فِي أَعْلَى عِلَاقٍ»
«كُلَّمَا نَدَعُوكَ.. تُعْطِينَا يَدَاكَ»^(١)

يرحم الله محمود حسن إسماعيل حيث يقول:

أُرِيدُ لِقَاءَ اللَّهِ... لَا لِتَابَةٍ
فَفِي كُلِّ سِرٍّ مِنْهُ تَسْكُنُ تَوْبَتِي
أُرِيدُ لِقَاءَ اللَّهِ... دَعْوَةُ حَائِرٍ
تَلَاثْتُ خُطَاةً عِنْدَ بَابِ الْحَقِيقَةِ
أُرِيدُ لِقَاءَ اللَّهِ.. تَضَرَّعُ رَاخِتِي
وَيَضَرَّعُ طَيْرٌ مُؤْمِنٌ فِي سَرِيرَتِي
وَتَضَرَّعُ أَيَّامِي كَأَنَّ دُرُوبَهَا
بَسَاتِينٌ، لَمْ تُقَرَّعْ بِغَيْرِ الْخَطِيئَةِ
إِلَهِي.. وَأَنْتَ الثُّورُ لَمْ يَخُبْ مَرَّةً
سَنَاهُ، إِذَا أُغْشَى الضُّيَاءُ بِصِيرَتِي
أَعْنِي عَلَى هَذَا السَّتَارِ.. فَإِنِّي
عَجَزْتُ، وَلَمْ تَهْدَأْ بَرَائِكُنْ حِيرَتِي^(١)

* * * * *

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج ٢/ ١١٦٣ - ١١٦٤. من قصيدة «الوجه المسدود».

رَبِّ إِنْ شِئْتَ فَالْفَضَاءُ مَضِيقٌ

رَبِّ إِنْ شِئْتَ فَالْفَضَاءُ مَضِيقٌ وَإِذَا شِئْتَ فَالْمَضِيقُ فَضَاءُ
أَنْتَ أَنْسُ لَنَا إِذَا بَعْدَ الْأَنْدَسِ وَأَنْتَ الْحَيَاءُ وَالْأَحْيَاءُ
يَتَوَلَّى الْبِحَارَ مَهْمَا اذْلَهَمْتَ مِنْكَ فِي كُلِّ جَانِبٍ لَأَلَاءُ
فَإِذَا رَأَاهَا جَلَالُكَ خَرَّتْ هَيْبَةً فَهِيَ وَالْبِسَاطُ سَوَاءُ^(١)

* * * * *

وقال الفخر الرازي:

إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ وَجْهِي وَوَجْهَتِي وَأَنْتَ الَّذِي أَدْعُوهُ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
وَأَنْتَ غِيَاثِي عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ وَأَنْتَ مَلَاذِي فِي حَيَاتِي وَفِي قَبْرِي

* * * * *

إِلَيْكَ دُعَائِي خُفْيَةً وَتَضَرُّعًا

قال أحمد مظهر العظمة:

إِلَيْكَ دُعَائِي خُفْيَةً وَتَضَرُّعًا وَحَوْلِي قُلُوبُ الْكَوْنِ نَشْوَى تَضَرُّعُ
يُنَاجِيكَ كُلُّ خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا وَأَنْتَ إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ تَسْمَعُ
وَرَعْدُ رَهَيْبٍ قَاصِفٌ وَمُهْدَدٌ وَرِيحُ غَضُوبٍ عَاصِفٌ وَمُزْعِزُ

(١) لأحمد شوقي - الشوقيات ١٧/١.

وَمَوْجٌ تَعَالَى مُنْشِدًا وَمُصَفِّقًا وَشَمْسٌ تُوَالِي لَا تَكِلُ وَتَهْلُعُ
فَكُلُّ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ مُسَبِّحٌ بِتَكْوِينِهِ لِلَّهِ، وَالْعِلْمُ يَخْضَعُ
دَقَائِقُ مِنْ صُنْعِ الْإِلَهِ كَأَنَّهَا مَرَايَا جَلَالٍ بِالْبَدَائِعِ لَمْعُ
فَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ مَجْدُكَ جَامِعٌ وَأَنْتَ لِكُلِّ الضَّارِعِينَ الْمَفْرَعُ^(١)

* * * * *

● وقال البارودي:

لَكَ الْحَمْدُ، إِنَّ الْخَيْرَ مِنْكَ، وَإِنِّي لِصُنْعِكَ يَا رَبَّ السَّمَاوَاتِ شَاكِرُ
فَأَنْتَ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي كُلَّ نِعْمَةٍ وَهَذَّبْتَنِي حَتَّى اضْطَفْتَنِي الْعَشَائِرُ
فَقَرَّبْتُ لِي الْخَيْرَ الَّذِي أَنَا رَاغِبٌ وَبَاعِدْتَنِي الشَّرَّ الَّذِي أَنَا حَاذِرُ
فَلَيْسَ لِمَنْ تُقْصِيهِ فِي النَّاسِ نَافِعٌ وَلَيْسَ لِمَنْ تُذْنِبُهُ فِي النَّاسِ ضَائِرُ
وَلَا لِأَمْرِي أَلْهَمْتَهُ الرُّشْدَ خَاذِلُ وَلَا لِأَمْرِي أَوْرَدْتَهُ الْغَيَّ نَاصِرُ^(٢)

* * * * *

● وقال عمر الأميري:

فَجَرِ اللَّهُمَّ فِي عَزِّ مِي مِنْ نُورِكَ نُورًا
وَاضْطَنِغْنِي، لِعَدِ الْإِنِّ سَانٍ، فِي الْآفَاقِ صُورًا
حَاكِمًا عَدَلًا، يَهْدِي اللَّهَ هِ، صَبَارًا شُكُورًا

(١) رقائق الشعر ص ١٨.

(٢) الديوان ١٢٥/٢.

أَنَا يَا أَلَّهُ مِنْ رُوحِكَ لَنْ يَخُورَا
 فَأَنَا لِلْحَقِّ كَالْبُزْ كَانَ لَا يَشْرُكَ زُورَا
 وَعَلَى الْبَاطِلِ كَالْبُزْ كَانَ وَيَلَا وَثُبُورَا
 أَنَا جُنْدِيكَ فَابْعَثْنِي لِأَقْتَادِ الدُّهُورَا
 وَأَقِمْ حَوْلِي مِنْ سَرِّ مَقَادِيرِكَ سَوْرَا^(١)

* * * *

عَلَى الْوَرَى لَكَ فَضْلُ

قال عبد الرضا بن عبد الصمد:

وَجُودَكَ الْعَمْرُ جَزُلُ	عَلَى الْوَرَى لَكَ فَضْلُ
بِمَا لَهُ أَنْتَ أَهْلُ	عَلَيْكَ يَا رَبُّ نُثْنِي
عَنْ أَنْ يُدَانِيهِ مِثْلُ	يَا مَنْ تَقَدَّسَ شَأْنَا
وَنَالَهُ مِنْكَ وَضْلُ	طُوبَى لِمَنْ حَازَ قُرْبَا
لَهُ بِهِ الشَّأْنُ يَغْلُو	وَأَنْفَقَ الْعَمْرَ فِيمَا
وَلَا لَهُمْ عَنْكَ شُغْلُ	قَوْمَ لَهُمْ بِكَ شُغْلُ
طَوْعًا فَعَزُّوا وَجَلُّوا	بَابَ الرِّضَا لَازِمُوهُ
وَفِي ذُرَى الْعِزِّ حَلُّوا	وَطَاوَلُوا السَّبْعَ فَخَرُوا

يا لَيْتِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَيْنَ حَلُّوا أَحَلُّ
يا رَبُّ إِن جَلَّ ذَنْبِي فَالْعَفْوُ مِنْكَ أَجَلُّ
وإِنَّ غُفْرَانَ حَوْبِي عَلَيْكَ يا رَبُّ سَهْلٌ^(١)

* * * * *

وقال عمر بهاء الأميري في ديوانه القيم «مع الله» ص ٤٦:

غَمَرْتَنِي نَعْمَاؤُهُ وَتَبَدَّتْ لِضَمِيرِي فِي قَلْبِ أَنْسِي وَبُؤْسِي
وَتَجَلَّتْ آلاؤُهُ فِي حَيَاتِي وَاطْمَأْنَنْتُ فِي كُنْهِ عَقْلِي وَحِسِّي
أَتَلَقَّى سَرَاءَهُ فِي صَبَاحِي وَأَوْقَى ضَرَاءَهُ حِينَ أُمْسِي
وَأَرَانِي أَسْمُو بِسَعْيِي وَوَعْيِي عَنْ جَزَاءٍ مِنْ مَعْدِنِ الْأَرْضِ بِخَسِ
حَسْبُ نَفْسِي مِنَ الْجَزَاءِ شُعُورِي أَنَّنِي فِي الْإِلَهِ أَبْذُلُ نَفْسِي

* * * * *

مَنْ لِي بِسِتَار

قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ نَفْسًا أَذْنَبْتُ وَأَتَيْتُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْإِفْرَارِ
وَجَعَلْتُ أَشْثُرَ عَنْ سِوَاكَ ذُنُوبَهَا حَتَّى عَيَيْتُ فَمَنْ لِي بِسِتَار

* * * * *

● قال أبو نواس:

أَيَا مَنْ لَيْسَ لِي مِنْهُ مُجِيرُ بِعَفْوِكَ مِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِيرُ
أَنَا الْعَبْدُ الْمُقْرُ بِكُلِّ ذَنْبٍ وَأَنْتَ السَّيِّدُ الْمَوْلَى الْغَفُورُ
فَإِنْ عَذَّبْتَنِي فَبِسُوءِ فِعْلِي وَإِنْ تَغْفِرَ فَأَنْتَ بِهِ جَدِيرُ
أَفِرُّ إِلَيْكَ مِنْكَ وَأَيْنَ إِلَّا يَفِرُّ إِلَيْكَ مِنْكَ الْمُسْتَجِيرُ^(١)

* * * * *

تَبَارَكَ ذُو الْجَلَالِ وَذُو الْمَحَالِ

وقال يحيى بن معاذ - رحمه الله:

تَبَارَكَ ذُو الْجَلَالِ وَذُو الْمَحَالِ عَزِيزُ الشَّانِ مَحْمُودُ الْفِعَالِ
فِيَا ذَا الْعِزِّ! يَا ذَا الْجُودِ! جُدْ لِي وَغَيْرُ مَا تَرَى مِنْ سُوءِ حَالِي^(١)

* * * * *

أَنَا إِنْ تُبْتُ مَنَانِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ رَجَائِي
وَإِنْ أَدْبَرْتُ نَادَانِي وَإِنْ أَقْبَلْتُ أَذْنَانِي
وَإِنْ أَحْبَبْتُ وَالَانِي وَإِنْ أَخْلَصْتُ نَاجَانِي
وَإِنْ قَصَرْتُ عَافَانِي وَإِنْ أَحْسَنْتُ جَارَانِي
حَبِيبِي أَنْتَ رَحْمَانِي أَلَا أَصْرِفُ عَنْ أَحْزَانِي
إِلَيْكَ الشُّوقُ مِنْ قَلْبِي عَلَى سِرِّي وَإِعْلَانِي
فِيَا أَكْرَمَ مَنْ يُرْجَى وَأَنْتَ قَدِيمُ إِحْسَانِي
وَمَا كُنْتُ عَلَى هَذَا - إِلَهَ النَّاسِ - تَنَسَانِي
لَدَى الدُّنْيَا وَفِي الْعُقْبَى عَلَى مَا كَانَ مِنْ شَانِي^(٢)

* * * * *

(١) الحلية، (٣٦/١٠).

(٢) الحلية، (٦٢/١٠).

يا أَرْحَمَ الرَّحْمَاءِ مَا لِي حِيلَةٌ

وقال محمد الحامد:

يا أَرْحَمَ الرَّحْمَاءِ مَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا الرُّجُوعُ إِلَيْكَ يَا رَبَّاهُ
 أَنَا قَدْ أَسَأْتُ، وَأَنْتَ رَبٌّ غَافِرٌ غَوَّاهُ مِمَّا قَدْ عَرَا غَوَّاهُ
 يَا سَيِّدِي يَا مَنْ إِلَيْهِ شَكَائِي أَوَّاهُ مِمَّا نَابَنِي أَوَّاهُ
 أَدْرِكْ بِلُطْفِكَ نَادِمًا ذَا حَسْرَةٍ مُسْتَغْفِرًا مِمَّا جَنَّتُهُ يَدَاهُ
 مَا لِلضَّعِيفِ إِذَا أَلَمَتْ كُرْبَةٌ إِلَّا الدُّعَاءُ: اللَّهُ يَا أَلَلَّهُ
 يَا رَبِّ نَفْسٌ عَنْ عُيُودِكَ كُرْبَةٌ وَأَرْخُهُ مِمَّا قَدْ عَنَا وَدَهَاهُ^(١)

● قال أيضًا:

تَاللَّهِ بَابُ الْعَفْوِ بَابٌ وَاسِعٌ هُوَ لِلْأَلَى عَكْفُوا عَلَى الْأَوْزَارِ
 وَبِرَحْمَةِ الْعَفَّارِ أَطْمَعُ أَنْ أُرَى أَبَدًا بَعِيدًا مِنْ عَذَابِ النَّارِ
 يَا رَبِّ إِنَّ الذَّنْبَ أَثْقَلَ كَاهِلِي وَعَدَوْتُ مُحْسُوبًا مِنَ الْأَشْرَارِ
 بَدَّلْ بِفَضْلِكَ حَالَتِي وَإِسَاءَتِي حَتَّى أَضَافَ لِزُمْرَةِ الْأَخْيَارِ
 يَا قَلْبُ حُلِّ عَزِيمَةِ الْإِضْرَارِ وَالْجَأُ إِلَى الرَّبِّ الْكَرِيمِ الْبَارِي
 فَعَسَاهُ يَرْحَمُ مُثْقَلًا بِقُيُودِهِ وَيُجِلُّهُ أَمْنًا وَحُسْنِ جَوَارِ^(٢)

(١) مجلة حضارة الإسلام، العدد: ٣ ص ٨٣، من السنة العاشرة، من جمادى الأولى سنة

١٣٨٩هـ.

(٢) المرجع السابق.

وقال أحمد مظهر العظمة:

وَعَدْتَ إِلَهِي مَنْ دَعَاكَ تَفَضُّلاً
لَكَ الْمُلْكُ وَالسُّلْطَانُ وَالْعَفْوُ وَالْهُدَى
وَمَثْوَايَ أَكْرَمَ يَوْمَ حَشِيرٍ وَكُرْبَةٍ
وَرُدَّ شُعُوبَ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَةٍ
فَقَدْ غَفَلُوا عَنْ شِرْعَةٍ ذَاتِ عِزَّةٍ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا نَدَاكَ لِيَرْجِعُوا
فَكُنْ لِي مُعِينًا بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
فَهَبْ لِي عَفْوَاً يَا رَجَائِي وَمَوْئِلِي
بِفِرْدَوْسِ إِكْرَامٍ وَقُرْبِ مُؤَمِّلِ
إِلَيْكَ وَهَبْهُمْ ثَوْبَ مَجْدٍ مُؤَثِّلِ
وَنُورٍ وَعَاشُوا فِي ظِلَامٍ مُضَلِّلِ
هُدَاةَ الْمَعَالِي كَالزَّمَانِ الْأَوَّلِ^(١)

* * * * *

يا واحداً صَمَدًا بغيرِ قرين

يا واحداً صَمَدًا بغيرِ قرين
واعطِفْ عَلَيَّ إِذَا وَقَفْتُ مُرَوَّعًا
يا حَسْرَتَا بَيْنَ الْعِبَادِ إِذَا هُمُ
لَا حِيلَةَ عِنْدِي وَلَا لِي مَوْئِلٌ
يا رَبِّ لَا تَتْرُكْ عُيُودَكَ هَالِكًا
وَارْحَمْ ضَرَاعَةَ عَبْدِكَ الْمُسْكِينِ
حَيْرَانَ بَيْنَ يَدَيْكَ يَوْمَ الدِّينِ
خَافُوا الْحِسَابَ فَخَفَّ عَنْهُمْ دُونِي
إِنْ خَانَنِي طَمَعِي وَحُسْنُ ظُنُونِي
وَارْحَمْ بِفَضْلِكَ عَبْرَتِي وَشُؤُنِي^(٢)

* * * * *

(١) من ديوان «نفحات» لعبد الوهاب عزام.

(٢) بستان الواعظين، (٤٨).

يَا مُنْتَهَى أَمَلِي

● قال ابن الرومي يصف عبداً:

بَاتَ يَدْعُو الْوَاحِدَ الصَّمَدَا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ مُنْفَرِدَا
 خَادِمٌ لَمْ تُبْقِ خِدْمَتُهُ مِنْهُ لَا رُوحًا وَلَا جَسَدَا
 قَدْ جَفَتْ عَيْنَاهُ غَمُضُهُمَا وَالْخَلْيُ الْقَلْبُ قَدْ رَقَدَا
 فِي حَشَاةٍ مِنْ مَخَافَتِهِ حُرَقَاتٌ تَلْدُغُ الْكَبِدَا
 لَوْ تَرَاهُ وَهُوَ مُنْتَصِبٌ مُشْعِرٌ أَجْفَانُهُ الشَّهَدَا
 كُلَّمَا مَرَّ الْوَعِيدُ بِهِ سَحَّ دَمْعُ الْعَيْنِ فَاطْرَدَا
 وَوَهَتْ أَرْكَانُهُ جَزَعًا وَارْتَقَتْ أَنْفَاسُهُ صُغَدَا
 قَائِلٌ: يَا مُنْتَهَى أَمَلِي نَجْنِي مِمَّا أَخَافُ غَدَا
 أَنَا عَبْدٌ غَرَّنِي أَمَلِي وَكَأَنَّ الْمَوْتَ قَدْ وَرَدَا
 وَخَطِئَاتِي الَّتِي سَلَفَتْ لَسْتُ أُحْصِي بَعْضَهَا عَدَدَا
 فَلِي الْوَيْلُ الطَّوِيلُ غَدَا لَيْتَ عُمْرِي قَبْلَهَا نَفَدَا
 وَيَحَ عَيْنِي سَاءَ مَا نَظَرْتُ وَيَحَ قَلْبِي سَاءَ مَا اعْتَقَدَا
 لَيْتَ عَيْنِي قَبْلَ نَظَرَتِهَا كُحِلَتْ أَجْفَانُهَا رَمَدَا
 فَإِذَا مَرَّ الْوَعِيدُ بِهِ كَادَ يُفْنِي رُوحَهُ كَمَدَا
 وَإِذَا مَرَّ الْوَعُودُ بِهِ شَدَّ مِنْهُ الْقَلْبُ وَالْعَصْدَا^(١)

(١) ديوان ابن الرومي، (٢/٦٧٧، ٧٧٧).

إِلَيْكَ أَفِرُّ مِنْ زَلِّي

● قال المقرئ :

إِلَيْكَ أَفِرُّ مِنْ زَلِّي	فِرَارَ الْخَائِفِ الْوَجِلِ
فَخُذْ بِيَدَيَّ غَرِيقِي فِي	بِحَارِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَهَبْ لِي مِنْكَ عَارِفَةً	تُعَرِّفُ مَا تَنْكَرُ لِي
وَتَهْدِينِي إِلَى رَشْدِي	وَتَمْنَعُنِي مِنَ الزَّلَلِ
وَتَحْمِلُنِي عَلَى سَنِي	يُؤَمِّتُنِي مِنَ الْوَجَلِ
فَأَنْتَ دَلِيلُ مَنْ عَمِيتْ	عَلَيْهِ مَسَالِكُ الشُّبُلِ
عَلَى جَذْوَاكَ مُعْتَمِدِي	فَأَنْقِذْنِي مِنَ الدَّخْلِ
وَأَلْحِقْنِي بِجَنَّاتِ	لَدَى دَرَجَاتِهَا الْأُولِ
بِصَدِّيقِي وَفَارُوقِي	وَعُثْمَانَ الرَّضِيِّ وَعَلِي
فَأَنْتَ مَلَأْهُ مُعْتَصِمِ	وَأَنْتَ عِمَادُ مُتَّكِلِ ^(١)

* * * * *

(١) نفح الطيب، (٦٥/١)، (٧٥).

تَبَارَكْتَ رَبَّنَا هَادِيًا وَمُوفِّقًا

قال محمد الناصر الصدام:

عَلَيْكَ اعْتِمَادِي فِي الْمَلَمَّاتِ، خَالِقِي
 فَمَا لِي سِوَى رُحْمَاكَ عِنْدَ الْمَضَائِقِ
 فَكُم نِعَمٍ أَوْلَيْتَنِي، وَلَطَفْتَ بِي
 وَكُنْتَ مَجِيرِي فِي الْخُطُوبِ الطَّوَارِقِ
 وَيَسَّرْتَ لِي أَمْرِي وَفَرَّجْتَ كَرْبِي
 وَكَمْ قَدَمٍ لِي صُنَّتْهَا فِي الْمَزَالِقِ
 أَضِلُّ فَتَهْدِينِي السَّبِيلَ رِعَايَةً
 فَإِنَّكَ لَا تَخْفَى عَلَيْكَ حَقَائِقِي
 وَأَهْمُو فَتَغْفُو رَحْمَةً وَتَحْنُنًا
 عَلَى مُذْنِبٍ قَدْ تَابَ تَوْبَةً صَادِقِ
 تَبَارَكْتَ رَبَّنَا هَادِيًا وَمُوفِّقًا
 لِمَنْ كَانَ عَبْدًا مُخْلِصًا غَيْرَ آبِقِ
 هُوَ الْبَدِيعُ الْبَارِي، لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
 يُدَبِّرُهُ فِي مَغْرِبٍ أَوْ مَشَارِقِ
 لِسُلْطَانِهِ تَغْنُو الْوُجُوهُ جَلَالَةً
 وَخَوْفًا، وَيُخْزِي كُلَّ عَاصٍ وَفَاسِقٍ^(١)

* * * * *

يَا رَبِّ إِنِّي تَائِبٌ

● قال العجلوني - وأبياته هذه تخميس لأبيات أبي نواس:

يَا رَبِّ إِنِّي تَائِبٌ لَكَ تَوْبَةً تَمْحُو بِهَا ذُنُوبِي وَأَرْجُو رَحْمَةً
فَإَمْنٌ عَلَيَّ بِهَا وَأَيْضًا رَأْفَةٌ يَا رَبِّ إِنَّ عَظُمْتَ ذُنُوبِي كَثَرَتْ
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

يَا رَبِّ إِنِّي سَائِلٌ لَكَ مُوقِنٌ أَنَّ النَّعِيمَ مَصِيرُ عَبْدٍ يُؤْمِنُ
حَقًّا وَإِنْ هُوَ بِالْخَطَايَا يُغْلِنُ إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنُ
فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ؟

يَا رَبِّ إِنِّي قاصِدٌ لَكَ مُسْرِعًا حَتَّى أَكُونَ بِيَابِ جُودِكَ مُسْرِعًا
ذُنُوبِي فَأَرْجُو سِتْرَهُ مُتَضَرِّعًا أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرِّعًا
فَإِذَا رَدَدْتَ يَدَيَّ فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ

يَا رَبِّ أَنْتَ الْمُقْتَفَى وَالْمُرْتَجَى فِي كُلِّ أَمْرٍ نَبْتَغِيهِ وَنُورَتَجَى
أَنْتَ الرَّحِيمُ وَعَفْوُ فَضْلِكَ مُرْتَجَى مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا
وَجَمِيلُ عَفْوَكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمٌ

يَا رَبِّ فَارْزُقْنِي حَيَاةً، عَابِدًا فِيهَا لَوْجْهِكَ، يَا إِلَهِي، زَاهِدًا

حَتَّى أَكُونَ مُقَرَّبًا وَمُشَاهِدًا يَا رَبِّ قَدْ أَقْبَلْتُ نَحْوَكَ قَاصِدًا
 أَرْجُو بِمَنِّكَ أَنْ يَصِيرَ تَرْحُمُ
 يَا رَبِّ فَارْحَمْنِي فَأَنْتَ الْمُتَعَيُّ فِي كُلِّ هَوْلٍ هَائِلٍ يَوْمَ الْوَعَى
 وَجَمِيعِ أَحْوَالِي، وَسَامِعَ مَنْ طَعَى يَا رَبِّ مَنْ يَقْصِدُ سِوَاكَ وَيُتَعَيُّ
 يَوْمًا يَشِيبُ الطُّفْلُ بَلَّ وَالْمَجْرُمُ
 يَا رَبِّ إِنِّي عاجِزٌ وَمُقْصِرُ مِنْ قُبْحِ أَفْعَالِي أَنَا مُتَحَيِّرُ
 أَدْعُو بِفَضْلِكَ أَنْ يَكُونَ تَسْتُرُ يَا رَبِّ فَارْحَمْ لَا يَكُونُ تَكْذُرُ
 فِي كُلِّ أَحْوَالِي فَأَنْتَ الْمُنْعِمُ (١)

* * * * *

وَبِاسْمِكَ أَحْبَبْنَا نَبِيَّكَ أَحْمَدًا

جَلَالُكَ يَدْعُونِي إِلَى سَاحَةِ الْهُدَى وَفِيضُكَ يَهْدِينِي إِلَى مَنَبَعِ النَّدَا
 وَذِكْرُكَ نُورٌ فِي الْقُلُوبِ وَرَحْمَةٌ تَطْيِبُ عَلَى الْأَيَّامِ نَبْعًا وَمَوْرِدًا
 عَبْدُكَ حُبًّا فِي الضَّمِيرِ وَخَشْيَةً وَوَقَفْتَنَا كَيْمَا نُحِبُّ وَنَعْبُدَا
 وَبِاسْمِكَ صَلَّيْنَا وَصُمْنَا هِدَايَةً وَبِاسْمِكَ أَحْبَبْنَا نَبِيَّكَ أَحْمَدًا

* * * * *

(١) كشف الخفاء، للعجلوني، (٢/٢٦).

● وقال آخر:

إِنِّي وَجَدْتُ الدَّهْرَ لَيْلًا حَالِكًا
فَجَعَلْتُ حُبَّ اللَّهِ فِيهِ ضِيَائِي
غُفْرَانَكَ اللَّهُمَّ جِئْتُكَ نَادِمًا
فَهَبِ الطَّرِيقَ الْحَقَّ فِي ظُلُمَائِي
إِنْ كُنْتُ يَوْمًا قَدْ عَصَيْتُكَ عَامِدًا
فاجْعَلْ جَمِيلَ الصَّفْحِ مِنْكَ جَزَائِي

* * * * *

● وقال آخر:

مَوْلَايَ جِئْتُكَ وَالذُّنُوبُ كَثِيرَةٌ وَطَمَعْتُ فِيكَ وَأَنْتَ غَايَةُ مَقْصِدِي
وَرَجَوْتُ مِنْكَ لُبَانَةً أَمْحُو بِهَا فَحَوَى كِتَابِ الذُّنُوبِ مُسَوِّدِ
فَأَمِدَّنِي بِيَدٍ تَطُولُ بِهَا يَدِي وَصَنِيعَةً يُرَوِّى بِهَا قَلْبِي الصَّدِي
وَاعْطِفْ بِرَّادٍ بَعْدَ ذَاكَ مُبَلِّغِ وَبِكُسُوتَيْنِ لِمُنْشِيٍّ وَلِمُنْشِدِ
لِأَعْوَدَ مِنْكَ بِخَيْرٍ مَا أَمَلْتُهِ مُتَرَوِّيًا مِنْ جُودِكَ الْمَتَرُودِ

* * * * *

يا ربّ هذا الكونِ يأللهُ

● قال يحيى حاج يحيى:

يا ربّ هذا الكونِ يأللهُ من ذا دعاكَ فما استجبتَ دُعاهُ
اليومَ جئتُكَ حاملاً لِحِطِّيئَتِي فاغفرْ لِعَبْدٍ ما جَنَّتُهُ يَدَاهُ
وَوَقَفْتُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ مُنَادِياً: أَللهُ، يأللهُ، يأللهُ
إِنْ كُنْتُ مِمَّنْ سَارَ خَلْفَ جَهَالَةٍ فالعفوُ عِنْدَكَ لا يَحِيدُ مَدَاهُ
يا وِليَّتِي والذَّنْبُ أَثْقَلَ عَاتِقِي فَبأيِّ وَجْهِ فِي غَدٍ أَلْقَاهُ
إِنِّي بَسَطْتُ يَدِي إِلَيْكَ تَضَرُّعاً أَوَاهُ مِمَّا قَدْ جَنَّتْ أَوَاهُ
يا نَفْسُ ما هَذي بِدَارِ إِقَامَةٍ فحَذَارٍ مِمَّنْ هُمُّهُ ذُنْيَاهُ
يا مُغْنِيَا هَذَا الْوُجُودَ بِفَضْلِهِ حاشَا أَشْكَ بِجُودِهِ وَغِنَاهُ
فاقْبَلْ - إِلَهِي - تَوْبَةً مِنْ تَائِبٍ واجْعَلْ كِتَابَ الْحَقِّ فِي مُيْمَنَاهُ^(١)

* * * * *

□ قال الصدام:

يا رَبُّ إِنْ ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي فرجاءُ عَفْوِكَ بَابُهُ لا يُوصَدُ
الطُّفْ بِعَبْدِكَ فِي قَضَائِكَ إِنَّنِي لَمْ يَنْقُ لِي صَبْرٌ به أَتَجَلَّدُ
فَرِّجْ كُرُوبِي لَيْسَ لِي أَحَدٌ سِوَى رَبِّي الَّذِي أَسْعَى إِلَيْهِ وَأُخْفِدُ

يا خَالِقِي يا رَازِقِي يا حَافِظِي إِنِّي عُبيدُكَ، هل عُبيدُكَ يُطْرَدُ
فَاللَّهِ أَشْهَدُ لَا إِلَهَ سِوَاهُ لِي رَبًّا، وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ وَأَعْبُدُ^(١)

* * * * *

هَبْ ذُنُوبِي لِتَوْحِيدِي

● قال أحمد بن زكريا اللغوي:

يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي قَدْ أَحْطَتْ بِهَا
عِلْمًا، وَبِي، وَبِإِعْلَانِي وَإِسْرَارِي
أَنَا الْمُوَحِّدُ، لَكِنِّي الْمَقْرُؤُ بِهَا
فَهَبْ ذُنُوبِي لِتَوْحِيدِي وَإِقْرَارِي^(٢)

* * * * *

(١) ابتهالات، (٩٢، ٩٣، ٩٥).

(٢) البداية والنهاية، (٢٩٦/١١).

يَا كَاشِفَ الضُّرِّ صَفْحًا عَنْ جَرَائِمِنَا

يَا كَاشِفَ الضُّرِّ صَفْحًا عَنْ جَرَائِمِنَا
 نَشْكُو إِلَيْكَ خَطُوبًا، لَا نُطِيقُ لَهَا
 زَلَزِلَ تَخْشَعُ الصُّمُّ الصَّلَابُ لَهَا
 فَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْمَكْنُونِ إِنْ عَظُمَتْ
 فَاسْمَعْ وَهَبْ وَتَفَضَّلْ وَامْحُ وَاغْفُ وَجُدْ
 فَقَوْمُ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كُشِفَ الـ
 وَنَحْنُ أُمَّةٌ هَذَا الْمُضْطَفَى وَلَنَا
 هَذَا الرُّسُولُ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا سُلِكَتْ
 فَارْحَمْ، وَصَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا خَطَبْتَ
 لَقَدْ أَحَاطَتْ بِنَا - يَا رَبِّ - بِأَسَاءِ
 حَمَلًا، وَنَحْنُ بِهَا حَقًّا أَحِقَاءُ
 وَكَيْفَ يَقْوَى عَلَى الزَّلْزَالِ سَمَاءُ
 مَنَا الذُّنُوبُ وَسَاءَ الْقَلْبُ أَسْوَاءُ
 وَاصْفَحْ، فَكُلُّ لِفَرْطِ الْجَهْلِ خَطَاءُ
 حَذَابُ عَنْهُمْ، وَعَمَّ الْقَوْمَ نَعْمَاءُ
 مِنْهُ إِلَى عَفْوِكَ الْمَرْجُو دَعَاءُ
 مُحَجَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَيْضَاءُ
 عَلَى غُلَا مُنْبِرِ الْأُورَاقِ وَرَقَاءُ^(١)

* * * *

(١) البداية والنهاية، (١٣/١٩١).

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ

● قال ابن الأَقلش المتوفى ٥٥١هـ:

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالِفُ
 قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا، وَجَهْلًا، وَغِرَّةً وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفُ
 ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّيْتُ كَأَنَّهَا حُلُومٌ تَقَصَّصْتُ أَوْ بُرُوقٌ خَوَاطِفُ
 وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُثْذِرُ الْمَرْءَ أَنَّهُ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّيْبَةُ تَالِفُ
 فَجُدْ بِالذُّمُوعِ الْحُمُرِ حُزْنًا وَحَسْرَةً فَدَمْعُكَ يُنْبِي أَنَّ قَلْبَكَ يَأْسَفُ^(١)

* * * *

● ولله در القائل:

سَبَّحِي نَفْسِي وَصَلِّي عِنْدَ سَطْرِ الْعَادِيَاتِ
 فَإِذَا الْقَلْبُ تَنَزَّى مِنْ تَبَارِيحِ الْحَيَاةِ
 رَفَّرِقِي النَّفْسَ دُمُوعًا وَاسْكُبِيهَا فِي الصَّلَاةِ
 فَإِنَّهُ الْكَوْنُ يُضْغِي لِلنُّفُوسِ الْبَاكِياتِ

* * * *

(١) عصر المرابطين، (١/٤٦٨).

فطرت حياتي عَلَى الفقر لك

● قال عبد الرحمن حبنكة:

فَطَرْتُ حَيَاتِي عَلَى الْفَقْرِ لَكَ وَفَكَّرِي وَقَلْبِي عَلَى الْعِلْمِ بِكَ
وَنَفْسِي عَلَى حُبِّ مَا قَدْ وَهَبْتَ وَرُوحِي عَلَى الْأُنْسِ فِي حَضْرَتِكَ
لِذَلِكَ يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ خُضُوعًا وَحُبًّا وَأَسْلَمْتُ لَكَ
عَلَى رَغَمِ أَنْفِ الْجَحُودِ الْكَنُ دِ آمَنْتُ بِكَ ثُمَّ آمَنْتُ بِكَ
رَضِيْتُكَ رَبًّا فَأَذَلْتُ قَلْبًا وَرُوحًا وَلُبًّا إِلَى عِزَّتِكَ
وَأَخَضَعْتُ نَفْسِي وَفَكَّرِي وَحِسِّي وَوَجَّهِي وَرَأْسِي إِلَى قُدْرَتِكَ
وَسَلَّمْتُ أَمْرِي بِجَهْرِي وَسِرِّي وَخَيْرِي وَشَرِّي إِلَى حِكْمَتِكَ
صَلَاتِي وَنُسُكِي خُشُوعِي وَحُبِّي خُضُوعِي وَقُرْبِي إِلَى حَضْرَتِكَ
وَمَحْيَايَ رَبِّي وَغُفْرَانُ ذَنْبِي وَمَوْتِي وَبَعْثِي إِلَى رَحْمَتِكَ
إِلَهِي إِلَهِي تَبَارَكْتَ فِي عِلَاكَ فَإِنِّي آمَنْتُ بِكَ
إِلَهِي إِلَهِي تَعَالَيْتَ فِي سَنَّاكَ فَإِنِّي أَسْلَمْتُ لَكَ^(١)

* * * * *

إِلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ وَجْهَتْ وَجْهَتِي

● قال محمد الناصر الصدام:

إِلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ وَجْهَتْ وَجْهَتِي
فَإِنْ لَمْ تُؤَيِّدْنِي بِنَصْرِ فَلَيْسَ لِي
وَإِنْ يَكْ ذَنْبٌ ثُبْتُ مِنْهُ يَعُوقُنِي
وإِحْسَانُ رَبِّي فَوْقَ مَا الْعَقْلُ مُدْرِكُ
وإِنِّي لِأَرْجُو عَفْوَ رَبِّي وَصَفْحَهُ
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا الْجِسْرُ بَيْنَ حَيَاتِنَا
صِرَاطٌ كَحَدِّ السِّيفِ صَعْبٌ غُبُورُهُ
فَإِمَّا شَقَاءٌ لَا سَعَادَةَ بَعْدَهُ

فَأَنْتَ غِيَاثِي فِي حَيَاتِي وَعُمْدَتِي
سِوَاكَ إِلَهٌ أَرْتَجِيهِ لِنُصْرَتِي
فِيَا سُؤْمَ أَيَّامِي وَيَا طُولَ حَسْرَتِي
وَرَحْمَةً رَبِّي لَا تُقَاسُ بِرَحْمَةِ
وَرَبِّي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ سَرِيرَتِي
وَبَيْنَ حَيَاةِ الْخُلْدِ أَسْعِدِ عَيْشَتِي
بِهِ السَّابِقُ النَّاجِي يَمُرُّ كَوْمُضَةٍ
وَإِمَّا نَعِيمٌ لَا يُشَابُ بِشَقْوَةٍ

* * * * *

● قال ابن دقيق العيد - رحمه الله :-

عَظِيَّتُهُ إِذَا أُعْطِيَ سُرُورٌ
فَأَيُّ النُّعْمَتَيْنِ أَعَدُّ فَضْلًا
أَنْعَمَتُهُ الَّتِي كَانَتْ سُرُورًا
أَمْ الْأُخْرَى الَّتِي جَلَبَتْ ثَوَابًا

فَإِنْ سَلَبَ الَّذِي أُعْطِيَ أَثَابًا
وَأَحْمَدُ عِنْدَ عُقْبَاهَا إِثَابًا

* * * * *

● وقال:

أُفَكِّرُ فِي حَالِي وَقُرْبِ مَنِيَّتِي وَسِيرِي حَيْثَا فِي مَصِيرِي إِلَى الْقَبْرِ
 فَيُنْشِئُ لِي فِكْرِي سَحَابَ لِأَسَى تَسِيحُ هُمُومًا دُونَهَا وَابِلُ الْقَطْرِ
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ وُجُودِي فَإِنِّي تَعِبْتُ بِهِ مُذْ كُنْتُ فِي مَبْدَأِ الْعُمْرِ
 تَرُوحُ وَتَعْدُو لِلْمَنَايَا فَجَائِعَ تُكَدِّرُهُ وَالْمَوْتُ خَاتِمَةُ الْأَمْرِ

اسْمَحْ لِدَمْعِكَ أَنْ يَذِلَّ لِرَبِّهِ

● قال عبد الرحمن حبنكة:

اللَّهُ رَبُّكَ أَطْلِقِ الْأَمَالَ وَاسْأَلْهُ: رَبِّي أَصْلِحِ الْأَحْوَالَ
 مَا شِدَّةٌ إِلَّا وَيَعْقُبُ لَيْلَهَا فَجَرُّ يُكْسِرُ فَوْقَهَا الْأَغْلَالَ
 فَإِذَا تَعَكَّرَ صَفْوُ عَيْشِكَ وَالتَّوْتُ طُرُقَاتُ سَعْدِكَ وَاکْتَسَتْ أَهْوَالَ
 فَالْجَأُ إِلَى الْمُؤَلَى الْقَدِيرِ وَلِذْ بِهِ وَأَرِخْ فُؤَادَكَ وَاهْجُرِ الْبَلْبَالَ
 وَاجْأزْ إِلَيْهِ بِدَعْوَةٍ تَدْعُو بِهَا وَاحْشَعْ إِلَيْهِ وَطَهِّرِ الْأَعْمَالَ
 وَاسْمَحْ لِدَمْعِكَ أَنْ يَذِلَّ لِرَبِّهِ وَأَنْبِ إِلَيْهِ وَتُبْ وَكُنْ مِفْضَالَ
 تَلَقَّ الْهَنَاءَ قَرِيبَةً أَسْبَابُهُ وَالسَّعْدَ أَقْبَلَ نَجْمُهُ إِقْبَالَ^(١)

* * * * *

● وقال أبو العتاهية:

سُبْحَانَ مَنْ وَسَّعَ الْعِبَادَ دَ بَعْدْلِهِ فِي حُكْمِهِ
وَبَغْفُورِهِ وَبِعَظْفِهِ وَبِلُطْفِهِ وَبِحِلْمِهِ
وَجَمِيعِ مَا هُوَ كَائِنٌ يَجْرِي بِسَابِقِ عِلْمِهِ
قَدْ أَسْعَدَ اللَّهُ أَمْرًا أَرْضَاهُ مِنْهُ بِقَسْمِهِ^(١)

* * * * *

سُبْحَانَكَ

● قال محمد الناصر الصدام:

سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ عَمَّا يَقُولُ الْعَابِثُ الْمُسْتَهْتِرُ
سُبْحَانَ مَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ وَزَانَهَا لِلنَّاطِرِينَ بِمَا يَرُوقُ وَيُبْهِرُ
سُبْحَانَ مَنْ أَرْسَى الْجِبَالَ فَلَمْ تَمُدَّ أَبَدًا بِهَا أَرْضٌ وَتَطْغَى أَبْحُرُ
خَلَقَ الْحَيَاةَ كَمَا أَرَادَ يُفْصِّلُ الْآيَاتِ فِي أَكْوَانِهِ وَيُدَبِّرُ
آيَاتُ رَبِّكَ يَطْمَئِنُّ وَيَهْتَدِي بِظُهُورِهَا الْقَلْبُ النَّقِيُّ الْأَطْهَرُ^(٢)

* * * * *

(١) ديوان أبي العتاهية، (٣٥٩).

(٢) ابتهالات، (٢٢).

مُقِيلَ الْعَاثِرِينَ أَقِلَّ عِثَارِي

● قال الشاعر:

وَحُذِّ لِي مِنْ بَنِي زَمَنِي بِثَارِي	مُقِيلَ الْعَاثِرِينَ أَقِلَّ عِثَارِي
مِنْ الْأَمْرَاضِ وَالْعِلَلِ الطَّوَارِي	وَجَمِّلْنِي بِعَافِيَةٍ وَعَفْوٍ
بِعِزِّ عُلاكَ مِنْ ثَانٍ وَدَارِي	فَيَا فَرْدًا بِلَا ثَانٍ أَجْزَنِي
إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ نَظَرَ اخْتِيَارِ	وَلَا تُشِمِّتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَانْظُرْ
فَجُودَكَ بِالَّذِي أَرْجُوهُ جَارِي	فَإِنْ يَكُ عَقْنِي صَحْبِي وَجَارِي
يَعُودُ عَلَيَّ اخْتِسَائِي وَاضْطِبَّارِي	فَهَلْ لَكَ يَا خَفِيَّ اللَّطْفِ لُطْفٌ

* * * *

يا بَارِئَ الْخَلْقِ إِيجَادًا مِنَ الْعَدَمِ

● قال تاج الدين بن أحمد:

يا بَارِئَ الْخَلْقِ إِيجَادًا مِنَ الْعَدَمِ
يا بَادِئَ الْعَبْدِ بِالْإِحْسَانِ وَالنَّعَمِ
يا سَاتِرَ الْعَيْبِ يَا مُبْدِي الْجَمِيلِ وَيَا
ذَا الْحِلْمِ وَاللُّطْفِ وَالتَّذْبِيرِ وَالْحِكْمِ
أَنْتَ اللَّطِيفُ، فَلَا يَنْفَكُ لُطْفُكَ عَنْ
قَضَائِكَ الْمُبْرَمِ الْحَثُومِ فِي الْقَدَمِ
فَاللُّطْفُ بِذِي أَسْفٍ يُذْمِي أَنَامِلَهُ
عَضًا، وَيَفْرُغُ مِنْهُ سَنٌ ذِي نَدَمِ
فَاغْفِرْ وَسَامِخْ وَقَابِلْ بِالرِّضَا كَرَمًا
وَالْعَفْوُ عَنْ سَالِفِ التَّقْصِيرِ فِي الْخَدَمِ
وَاجْعَلْ عَلَى قَدَمِ التَّوْفِيقِ سِيرِي فِي
مُسْتَقْبَلِي وَاحْمِنِي مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ
وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي وَلَا عَمَلِي
وَاجْعَلْ مَمَاتِي عَلَى الْإِسْلَامِ مُحْتَمِي
وَأَمَلًا فُؤَادِي إِيْمَانًا يُضِيءُ إِذَا
أَمْسَيْتُ فَرْدًا زَهَيْنَ الرُّمَسِ وَالظُّلَمِ

وَأَرْضٍ عَنِّي خُصُومِي يَوْمَ لَا وَلَدٌ
يُغْنِي عَنِ الْأَبِ عِنْدَ الْعَادِلِ الْحَكَمِ
يَا ذَا الْعَطَاءِ الَّذِي قَدْ عَمَّ نَائِلُهُ
لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ مِنْ غُرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
فَامْنُنْ بِإِذْخَالِنَا يَا رَبَّ قَاطِبَةً
جَنَّاتٍ عَدْنٍ بِمَحْضِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ^(١)

* * * * *

قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ: خَلَوْتُ، وَلَكِنْ فِي الْخَلَاءِ رَقِيبٌ
 وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً وَلَا أَتَمَّا نُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ
 لَهُوْنَا عَنِ الْآثَامِ حَتَّى تَتَابَعْتَ ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبٌ
 فَيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى وَيَأْذُنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَتَتُوبُ
 أَقُولُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي وَحَلَّتْ بِقَلْبِي لِلْهُمُومِ نُدُوبٌ
 لِيَطُولَ جَنَائِيَّاتِي وَعِظَمَ خَطِيئَتِي: هَلَكْتُ، وَمَا لِي فِي الْمَتَابِ نَصِيبُ
 وَأَغْرَقُ فِي بَحْرِ الْمَخَافَةِ آيسًا وَتَرْجِعُ نَفْسِي تَارَةً فَتَتُوبُ
 تُذَكِّرُنِي عَفْوَ الْكَرِيمِ عَنِ الْوَرَى فَأُحْيَا وَأَرْجُو عَفْوَهُ فَأُنِيبُ
 وَأَخْضَعُ فِي قَوْلِي وَأَرْغَبُ سَائِلًا عَسَى كَاشِفُ الْبَلَوَى عَلَيَّ يَتُوبُ^(١)

* * * * *

(١) للحسن بن هانئ، انظر: البداية والنهاية، (١/ ٢٣٢).

يَا جَلَالاً عَمَّ الْوُجُودَ بِلُطْفٍ

رَبِّ هَبْ لِي هُدًى وَأُطْلِقْ لِسَانِي	وَأَنْزِ خَاطِرِي وَثَبِّتْ جَنَانِي
كُنْ مُعِينِي إِنْ أَعْجَزْتَنِي الْقَوَافِي	وَنَصِيرِي فِي سَامِيَاتِ الْمَعَانِي
أَنْتَ قَضَيْتَ، وَغَايَتِي، وَرَجَائِي	مَالِكَ الْمُلْكِ، مُبْدِعِ الْأَكْوَانِ
يَا جَلَالاً عَمَّ الْوُجُودَ بِلُطْفٍ	وَسَلَامٍ وَرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
وَاقْتِدَارًا أَحَاطَ بِالْكَوْنِ عِلْمًا	نَظَمْتَ عِقْدَهُ يَدُ الْإِثْقَانِ
وَجَمَالًا فِي كُلِّ شَيْءٍ تَجَلَّى	سَبَّحَ الْحُسْنُ فِيهِ لِلرَّحْمَنِ ^(١)

* * * * *

نَوْحِ الْحَمَامِ عَلَى الْغُصُونِ شَجَانِي	وَرَأَى الْعَذُولُ صَبَابَتِي فَبَكَانِي
إِنَّ الْحَمَامَ يَنُوحُ مِنْ أَلَمِ النَّوَى	وَأَنَا أَنُوحُ مَخَافَةَ الرَّحْمَنِ
وَلَيْتَ بَكَيتُ فَلَنْ أُلَامَ عَلَى الْبُكَاءِ	فَلَطَلَمَا اسْتَغْرَقْتُ فِي الْعِصْيَانِ
يَا رَبِّ عَبْدُكَ مِنْ عَذَابِكَ مُشْفِقٌ	بِكَ مُسْتَجِيرٌ مِنْ لُطَى النَّيرانِ
فَارْحَمْ تَضَرُّعَهُ إِلَيْكَ وَحُزْنَهُ	وَامْنُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ بِالْغُفْرَانِ

* * * * *

(١) لإسماعيل صبري، انظر: ديوان إسماعيل صبري، (٧٢).

● ولله در القائل :

سَهْرِي عَلَيْكَ أَلَدُّ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى وَيَلَدُّ فِيكَ تَهْتِكِي بَيْنَ الْوَرَى
وَسَوَى جَمَالِكَ لَا يَرُوقُ لِنَاطِرِي وَعَلَى لِسَانِي غَيْرُ ذِكْرِكَ مَا جَرَى
قَسَمًا بِذَاتِكَ لَوْ بَدَلْتُ حُشَاشَتِي لِمُبَشِّرِي بِرِضَاكَ كُنْتُ مُقْصِرًا
أَنَا عَبْدُ ذَاتِكَ لَا أَحُولُ عَنِ الْهَوَى يَوْمًا وَإِنْ لَمْ أَلْعُدُولُ وَأَكْثَرًا

* * * * *

● ولله درُ القائل:

تَصَاعَدُ أَنْفَاسِي إِلَيْكَ جَوَابُ وَكُلُّ إِشَارَاتِي إِلَيْكَ خِطَابُ
فَلَيْتَكَ تَحَلُّوْا وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابُ
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ
إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوُدُّ فَالْكُلُّ هَيِّنٌ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ الثَّرَابِ تُرَابُ
فِيَا لَيْتَ شُرْبِي مِنْ وَرَادِكَ صَافِيًا وَشُرْبِي مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ سَرَابُ
مَتَى لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ رِيَّةٌ فَكُلُّ نَعِيمٍ صَدَّ عَنْكَ عَذَابُ
فَكَيْفَ تَوَانَى الْخَلْقُ عَنْكَ وَقَدْ بَدَا جَمَالُ بِهِ قَدْ هَامَتِ الْأَلْبَابُ
أَقُولُ لِعُدَّالِي مَدَا الدَّهْرِ أَقْصَرُوا فَكُلُّ الَّذِي يَهْوَى سِوَاهُ يُعَابُ

* * * * *

أَتَيْتُ إِلَيْكَ يَا رَبَّ الْعِبَادِ

<p>أَتَيْتُ إِلَيْكَ يَا رَبَّ الْعِبَادِ وَهَا أَنَا واقِفٌ بِالْبَابِ أَبْكِي عَسَى عَفْوٌ يُبَلِّغُنِي الْأَمَانِي فَأَنْتَ ذَخِيرَتِي وَبِكَ انْتِصَارِي وَعَنْكَ إِشَارَتِي وَإِلَيْكَ قَضَايَ وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي وَلَوْ أَقْصَيْتَنِي وَقَطَعْتَ حَبْلِي فَجُدْ بِالْعَفْوِ يَا مَوْلَايَ وَارْحَمْ</p>	<p>بِإِفْلَاسِي وَذُلِّي وَانْفِرَادِي زَمَانًا مَا بَلَغْتُ بِهِ مُرَادِي فَقَدْ بَعْدَ الطَّرِيقِ وَقَلَّ زَادِي وَفِيكَ تَأَلَّهِي وَبِكَ اعْتِمَادِي وَمِنْكَ مَسَرَّتِي وَلَكَ انْقِيَادِي وَفِيكَ عَلَى الْمَدَى حُسْنُ اعْتِقَادِي وَحَقِّكَ لَا أَحُولُ عَنِ الْوَدَادِ عُبَيْدًا ضَلَّ عَنْ طُرُقِ الرَّشَادِ</p>
--	--

* * * * *

● وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ:

<p>عَلَى أَبْوَابِكُمْ عَبْدٌ ذَلِيلُ لَهُ أَسْفٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ يُمْدُ إِلَيْكُمْ كَفَّ افْتِقَارِ يَرَى الْأَحْبَابَ قَدْ وَرَدُوا جَمِيعًا أَكُونُ نَزِيلَكُمْ وَيُضَامُ قَلْبِي</p>	<p>كَثِيرُ الشَّوْقِ نَاصِرُهُ قَلِيلُ وَحُزْنٌ مِنْ مَعَاصِيهِ طَوِيلُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ مُنْهَمِلٌ يَسِيلُ وَلَيْسَ لَهُ إِلَى وَرْدِ سَبِيلُ وَحَاشَا أَنْ يُضَامَ لَكُمْ نَزِيلُ</p>
---	---

فَإِنْ يُرْضِيكُمْ طَرْدِي وَبُعْدِي فَصَبِّرِي فِي مَحَبَّتِكُمْ جَمِيلُ
وَحَقُّ وَلَائِكُمْ وَشَدِيدِ شَوْقِي سَلُّوِي عَنْ هَوَاكُم مُّسْتَحِيلُ
قَضَيْتُ بِحُبِّكُمْ أَيَّامَ عُمْرِي فَلَا أَسْأَلُو وَهَلْ يُسْأَلِ الْجَمِيلُ

* * * * *

● ورحم الله من قال:

يَا رَبِّ عَبْدٌ خَاضِعٌ مُّتَضَرِّعٌ يَشْكُو إِلَيْكَ بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ
يَا رَبِّ عَبْدٌ مُذْنِبٌ وَمُخْلَطٌ آوَى إِلَيْكَ بِذُلِّهِ وَسُؤَالِهِ
يَا رَبِّ عَبْدٌ مُجْرِمٌ وَمُقَيَّدٌ فِي كُلِّ ذَنْبٍ مِنْ وَثِيقِ حِبَالِهِ
يَا رَبِّ عَبْدٌ مُخْطِئٌ وَمُقْصَرٌ فِي حَالِهِ وَمَقَالِهِ وَفِعَالِهِ
يَا رَبِّ عَبْدٌ نَاقِصٌ فِي نَفْسِهِ فَاْمُنُّ عَلَيْهِ بِرُشْدِهِ وَكَمَالِهِ
يَا رَبِّ عَبْدٌ أَوْبَقْتُهُ ذُنُوبُهُ وَلِذَا تَرَاهُ مُشْتَتَا فِي حَالِهِ
مَا لِي سِوَى عَجْزِي وَقَلَّةِ حِيلَتِي يَا رَبِّ فَارْحَمْ عَاجِزًا فِي حَالِهِ

* * * * *

● وقال الشاعر:

بِذِكْرِكَ يَا مَوْلَى الْوَرَى نَتَنَعَّمُ وَقَدْ خَابَ قَوْمٌ عَنْ سَبِيلِكَ قَدْ عَمُوا
شَهِدْنَا يَقِينًا أَنَّ عِلْمَكَ وَاسِعٌ وَأَنْتَ تَرَى مَا فِي الْقُلُوبِ وَتَعْلَمُ
إِلَهِي تَحَمَّلْنَا ذُنُوبًا عَظِيمَةً أَسْأَلُكَ وَقَصْرُنَا وَجُودَكَ أَعْظَمُ

سَتَرْنَا مَعَاصِينَا عَنِ الْخَلْقِ غَفْلَةً
 وَحَقَّقَكَ مَا فِيْنَا مُسِيءٌ يَسُرُّهُ
 سَكَنَتْنَا عَنِ الشُّكُوى حَيَاءٌ وَهَيْبَةٌ
 إِذَا كَانَ ذُلُّ الْعَبْدِ بِالْحَالِ نَاطِقًا
 إِلَهِي فَجِدْ وَاصْفَحْ وَأَصْلِحْ قُلُوبَنَا
 أَلَسْتَ الَّذِي قَرَّبْتَ قَوْمًا فَوَافَقُوا
 فَقُلْتَ اسْتَقِيمُوا مِنِّي وَتَكَرَّمَا
 لَهُمْ فِي الدُّجَى أَنَسٌ بِذِكْرِكَ دَائِمًا
 نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً بِتَعَطُّفٍ
 لَكَ الْحَمْدُ عَامِلِنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ

* * * *

● ورحم الله القائل:

قَضَدْتُ بَابَ الرِّضَا وَالنَّاسُ قَدَرَقَدُوا
 وَقُلْتُ يَا أَمَلِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
 أَشْكُو إِلَيْكَ أُمُورًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا
 وَقَدْ بَسَطْتُ يَدِي بِالذُّلِّ مُفْتِقِرًا
 وَبِئْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
 يَا مَنْ عَلَيْهِ بِكَشْفِ الضَّرِّ اعْتِمِدُ
 مَا لِي عَلَى حَمْلِهَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدُ
 إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ

فَلَا تَرُدُّنَهَا يَا رَبَّ خَائِبَةً فَبَحْرُ جُودِكَ يَزْوِي كُلَّ مَنْ يَرُدُّ

* * * *

● وقال الآخر:

يَا مَنْ يَرَى حَالِي وَيَعْلَمُ كُرْبَتِي وَتَذَلُّلِي دُونَ الْعِبَادِ وَلَوْعَتِي
يَا مَنْ لَهُ أَمْرٌ وَحُكْمٌ نَافِذٌ فِي خَلْقِهِ يَقْضِي بِكُلِّ قَضِيَّةٍ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا وَلَهُ الْقَضَا وَلَهُ بَدِيعُ الْحِكْمَةِ
أَنْتَ الْكَرِيمُ الْحَاكِمُ الْعَدْلُ الَّذِي هُوَ عَالِمٌ بِمَذَلَّتِي وَخَطِئَتِي
وَلِذَا وَقَفْتُ بِبَابِكُمْ مُتَذَلِّلًا يَا فَارِجَ الْكُرَبَاتِ فَرِّجْ كُرْبَتِي

* * * *

إِلَهِي مَنْ أَدْعُو سِوَاكَ

إِلَهِي مَنْ أَدْعُو سِوَاكَ، وَمَنْ لَنَا إِذَا مَسَّنَا ضُرٌّ، أَوْ انْتَابَنَا عَنَّا
وَمَنْ نُرْتَجِيهِ فِي حُلُولِ نَوَائِبِ تَذِلُّ لَهَا أَعْنَاقُنَا وَنُفُوسُنَا
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا رِحَابُكَ سَيِّدِي نَعِزُّ بِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُذِلُّنَا
وَأَسْمَاؤُكَ الْحُسْنَى هِيَ الْغَوْثُ وَالرَّجَا نُلَوِّذُ بِهَا حَتَّى نُلَاقِيَ نَجَاتَنَا

اللَّهُ

يَا رَبِّ، يَا «اللَّهُ» هَبْنَا تَفَضُّلاً لِنَنْجُو مِنَ الْبَلَوَى وَمِنْ سَيِّئَاتِنَا

الرَّحْمَةُ

وَيَا رَبِّ يَا «رَحْمَتُ» فَارْحَمْ لِضَعْفِنَا وَهَيِّئْ مَدَى الْأَيَّامِ نُورًا يَحْفُنَا

الرَّحِيمُ

«رَحِيمُ» بِكُلِّ الْخَلْقِ وَفَّقْ سَبِيلَنَا لِنَلْقَاكَ فِي الْأُخْرَى أَمَانًا لِحُوفِنَا

الْمَلِكُ

وَيَا «مَلِكُ» مَلِكُ لَنَا كُلِّ أَمْرٍ فَلَا تَزَيِّبْ إِنَّمَا وَلَا نَكْتَسِبْ خِيَانَا

الْقُدُّوسُ

وَيَا رَبِّ يَا «قُدُّوسُ» قَدِّسْ سَرِيرَتِي لِتَصْفُو مِنِّي الْأَكْدَارِ وَاشْتُرْ عُيُوبَنَا

السَّلَامُ

«سَلَامُ» فَسَلِّمْنَا لِنَنْجُو مِنَ الْأَذَى وَنَنْظُرَ بِالْحُسْنَى، وَطَهِّرْ قُلُوبَنَا

الْمُؤْمِنُ الْمُعْتَمِدُ

ويا «مُؤْمِنٌ» اَمَّنْ بِفَضْلِكَ رَوْعَنَا «مُهِينٌ» هَيِّمِنْ كُلِّ أَمْرٍ يُهْمُنَا

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ

«عَزِيزٌ» إِلَهِي جُدْ لَنَا بِمَعَزَةٍ وَبِالْجَبْرِ يَا «جَبَّارُ» فَاجْبِرْ لِكِسْرِنَا

الْمُتَكَبِّرُ

ويا رَبِّ يَا قَهَّارُ، يَا «مُتَكَبِّرٌ» عَلَوْتَ عَنِ الْأَغْيَارِ لُطْفًا بِحَالِنَا

الْخَالِقُ

ويا «خَالِقُ» الْخَلْقِ الْعَظِيمِ بِقُدْرَةٍ تَجِلُّ عَنِ الْأَوْصَافِ أَعْلَى لِقُدْرِنَا

الْبَارِئُ

ويا «بَارِئُ» الْكَوْنِ الْكَبِيرِ بِأَسْرِهِ فَكَيْفَ بِأَكْوَانٍ نَرَاهَا بِسِرِّنَا

الْمُصَوِّرُ

«مُصَوِّرُ» صَوَّرَنَا بِأَحْسَنِ صُورَةٍ مِنَ الْخَلْقِ وَالْأَخْلَاقِ رَاضٍ لِفِعْلِنَا

الْغَفَّارُ

ويا رَبِّ يَا «غَفَّارُ» هَبْنَا هِدَايَةً وَلُطْفًا وَإِحْسَانًا يُمَحِّي ذُنُوبَنَا

الْقَهَّارُ

وَيَا رَبِّ يَا «قَهَّارُ» فَاقْهَرْ مُعَانِدًا يُرِيدُ بِنَا الْإِيْدَاءَ وَاتَّكِبْ عَدُوَّنَا

الْوَهَّابُ

تَبَارَكْتَ يَا «وَهَّابُ» مِنْ مُتَفَضِّلٍ وَهَبْتَ لَنَا صِدْقَ الْيَقِينِ يَحْفُنَا

الرَّزَّاقُ

وَبِالرِّزْقِ، يَا «رَزَّاقُ» أَحْسَنْتَ حَالَنَا بِفَضْلِكَ يَا مَوْلَايَ أَحْسِنْ مَالَنَا

الْفَتَّاحُ

و«فَتَّاحُ» فَافْتَحْ مِنْ شَائِبِ رَحْمَةٍ عَلَيْنَا لِحَوٍّ مِنْ قَبِيحِ غُيُوبِنَا

الْعَلِيمُ

«عَلِيمُ» فَعَلِّمْنَا الْهُدَى نَسْتَلِذْهُ لِنَتَطَفَّرَ بِالْحُسْنَى لَدَيْكَ، وَبِالْمُنَى

الْقَابِضُ

وَيَا «قَابِضُ» اقْبِضْنَا عَلَى خَيْرِ مِلَّةٍ لِنَحْظِيَ بِجَنَّاتِ الْخُلُودِ جَزَاءَنَا

الْبَاسِطُ

وَيَا «بَاسِطُ» ابْسِطْ عَلَّمْنَا بِمَعَارِفٍ تُوجِّهُنَا لِلْحَقِّ، وَابْسِطْ لِرِزْقِنَا

الْخَافِضُ

وَيَا «خَافِضُ» اخْفِضْ مَنْ يُرِيدُ إِذَايَةً بِنَا وَلَنَا ثُمَّ اغْفُ عَنَّا وَعَافِنَا

الرَّافِعُ

وَيَا «رَافِعُ» هَبْ لِي بِفَضْلِكَ رِفْعَةً عَنِ الذَّنْبِ وَالْآثَامِ وَارْفَعْ لِقَدْرِنَا

أُطْعِزُ الْمَذِلُّ

«مُعِزُّ» تُعِزُّ الْعَبْدَ مِنْ بَعْدِ ذِلَّةٍ «مُذِلُّ» فَأَرْجُو مِنْكَ أَلَّا تُذِلَّنَا

السَّمِيعُ

«سَمِيعٌ» فَاسْمِعْنَا الْهِدَايَةَ سَيِّدِي نَسِيرُ بِهَا دَوْمًا لِيَزِدَادَ قُرُونَنَا

الْبَصِيرُ

«بَصِيرٌ» بِنَا فَالْطُّفَ بِحَقِّكَ سَيِّدِي لِتُلْهِمَنَا نُطْقَ النَّجَا عِنْدَ مَوْتِنَا

الْحَكَمُ الْعَدْلُ

وَيَا «حَكَمٌ» احْكُمْ بِالَّذِي فِيهِ خَيْرُنَا وَيَا «عَدْلُ» نَرْجُو مِنْكَ عَدْلًا لِأَمْرِنَا

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

«لَطِيفٌ» بِنَا يَا رَبِّ فِي كُلِّ حَالَةٍ «خَبِيرٌ» فَأَلْهِمْنَا الْهُدَى وَتَوَلَّنَا

الْحَلِيمُ

«حَلِيمٌ» بِكُلِّ الْخَلْقِ تَغْفُو عَنِ الَّذِي أَسَاءَ فَتَرْجُو الْعَفْوَ عَنْ سَيِّئَاتِنَا

الْعَظِيمُ

«عَظِيمٌ» تَعَالَى رَبُّنَا عَنْ مُمَائِلٍ فَعَظَّمْ إِلَهِي أَمْرَنَا وَالطُّفَنُ بِنَا

الْغَفُورُ

«غَفُورٌ» لَنَا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ مُخَاوِرٍ سَأَلْنَاكَ غُفْرَانًا لِكُلِّ ذُنُوبِنَا

وَتُبَدِّلُهَا حُسْنَى مَكَانَ إِسَاءَةٍ فَقَدْ قُلْتَ هَذَا فِي كِتَابِكَ رَبَّنَا

وقد تُبْتُ يَا مَوْلَايَ تَوْبَةً صَادِقٍ فَلَمْ أَرْتَكِبْ إِثْمًا، وَلَمْ أَكْتَسِبْ خَنَا
وَأَذِلْتُ نَفْسِي لِلْعَزِيزِ، وَشَدَّنِي إِلَى دِينِكَ الْمَرْجُوِّ نُصْحَكَ مُغْلَنَا
وَأَمَنْتُ أَنْ لَا رَبَّ دُونَكَ يُؤْتَجَى وَمَا مِنْ إِلَهٍ أَصْطَفِيهِ إِلَهَنَا
وَمَا هِيَ أَعْمَالِي إِلَيْكَ رَغِيْبَةً فَجُدْ لِي أَيَا مَوْلَايَ بِالْعَطْفِ وَالْهَنَا

الشُّكْرُ الْعَلِيُّ

«شُكْرٌ» فَوَقَّفْنَا لِشُكْرِكَ سَيِّدِي «عَلِيٌّ» فَأَعْلَى شَأْنَنَا وَأَمْدَنَا

الْكَبِيرُ الْخَفِيفُ

«كَبِيرٌ» عَنِ الْمَخْلُوقِ وَالْخَلْقِ كُلِّهِمْ «خَفِيفٌ» عَلَيْنَا مِنْ أُمُورِ تَسْوِئَنَا

الْمُقِيْتُ الْحَسِيبُ

«مُقِيْتُ» أَقْتَنَّا خَيْرَ قُوَى تُحِلُّهُ «حَسِيبٌ» إِلَيْكَ الْمُتَنَهَى فِي حِسَابِنَا

الْبَلِيدُ الْكَرِيمُ

«بَلِيدٌ» فَجَلَّ اللَّهُ فِي عَلَيَّائِهِ «كَرِيمٌ» سَأَلْنَاكَ الْكَرَامَةَ فَارْعَنَا

الرَّقِيبُ الْمَجِيبُ

«رَقِيبٌ» فَارَاقَبْنَا لِيَصْلُحَ أَمْرُنَا «مَجِيبٌ» أَحَبُّ مَا نَبْتَغِيهِ، وَكُنْ لَنَا

الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ

وَيَا «وَاسِعٌ» الْفَضْلُ، الْجَزِيلُ عَطَاؤُهُ «حَكِيمٌ» فَأَحْكِمْ أَمْرَنَا وَفَعَّالَنَا

الْوَدُودُ الْمَجِيدُ

«وَدُودٌ» فَمِنْكَ الْوُدُّ وَالْفَضْلُ دَائِمًا «مَجِيدٌ» فَهَبْنَا الْمَجْدَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنَا

الْبَاعِثُ

وَيَا «بَاعِثُ» ابْعَثْنَا بِنُورِ مُحَمَّدٍ عَلَى خَيْرِ حَالٍ فِي الْقِيَامِ شَفِيعَنَا

الشَّهِيدُ

«شَهِيدٌ» فَأَشْهَدْنَا الْهُدَى عَنْ مَحَبَّةٍ وَعَنْ حُسْنِ إِيمَانٍ، وَتَبَّتْ يَقِينَتَا

الْحَقُّ

وَيَا «حَقٌّ» يَا أَلَلَّهُ، يَا وَاسِعَ الْعَطَا سَأَلْنَاكَ حَقَّقْ فِيكَ خَيْرَ ظُنُونِنَا

الْوَكِيلُ

«وَكِيلٌ» تَوَكَّلْنَا عَلَيْكَ، وَحَسَبْنَا رِضَاكَ إِلَهِي أَنْتَ فِي الْكَوْنِ حَسْبُنَا

الْقَوِيُّ الْمَتِينُ

«قَوِيٌّ مَتِينٌ» قُوِّ عَزْمِي وَهَمَّتِي لِبَطَاعَتِكَ الْمُثْلَى لِنَلْقَى سُرُورَنَا

الْوَلِيُّ

«وَلِيٌّ» يَلِي أَمْرِي لِأَسْعَدَ دَائِمًا بَلْقِيَاهُ أَحْسِنَ يَا إِلَهِي خِتَامَنَا

الْحَمِيدُ

«حَمِيدٌ» لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَى نِعَمٍ أَضْفَيْتَهَا لَمْ تَكُنْ لَنَا
فِيَا رَبِّ أَضْلِحْ حَالَنَا وَمَالَنَا لِنُضْبِحَ أَهْلًا لِلَّذِي قَدْ وَهَبْتَنَا

الْمُخْصِي

وَيَا رَبِّ يَا «مُخْصِي» لِكُلِّ غُيُوبِنَا سَأَلْنَاكَ غُفْرَانًا لِكُلِّ ذُنُوبِنَا

الْمُبْدِي

وَيَا «مُبْدِي» فِي كُلِّ شَيْءٍ تُرِيدُهُ بِأَحْسَنِ حَالٍ أَحْسَنَ لَا يَتَدَايِنَا
وَأَوْجَدْتَنَا فِي الْكَوْنِ حُسْنًا وَدَقَّةً لَنَا مِنْ ظُهُورِ الْغَيْبِ مَا شِئْتَ رَبَّنَا
فَأَحْسِنْ لِدُنْيَانَا، وَأَحْسِنْ لِدِينِنَا بِرَحْمَتِكَ الْعُظْمَى بَدَأْتَ نُفُوسَنَا
فَهَيِّئْ لَنَا مَا نَرْجِيهِ وَكُنْ لَنَا حَفِظًا مِنَ الْآثَامِ وَالشُّوءِ وَالْعَنَاءِ

الْمُعِيدُ

«مُعِيدُ» أَعِدْنَا لِلْهِدَايَةِ وَالتَّقَى لِنَحْظِيَ بِجَنَابِ، وَنُظْفَرَ بِالْمُنَى

الْمُخَيِّ

وَيَا رَبِّ، يَا «مُخَيِّ» الْعِبَادِ بِقُدْرَةِ إِلَيْكَ إِلَهِي الْمُنْتَهَى فَالْطَّفَنُ بِنَا

الْمُمِيتُ

«مُمِيتُ» لِكُلِّ الْخَلْقِ بَعْدَ حَيَاتِهِمْ أَمِتْنَا إِلَهِي خَيْرَ مَوْتٍ، هَنَّا

الْكَيُّ الْقَيُّومُ

وَيَا «حَيِّ» يَا «قَيُّومُ» هَبْنَا مَعَارِفًا وَجُودًا وَإِحْسَانًا وَلُطْفًا يَعْمُنَا

الْوَاجِدُ

وَيَا «وَاجِدُ» أَوْجَدْتَنَا فِي مَهَامِهِ يَضِلُّ بِهَا السَّارِي فَأَحْسِنْ مَسَارَنَا

الْمَاجِدُ

وَيَا «مَاجِدٌ» مَجْدُ بِفَضْلِكَ فَعَلْنَا لِنَلْقَاكَ رَاضٍ حُبَّنَا وَاتِّبَاعَنَا
وَهَيَّئْ لَنَا مَا نَبْتَغِيهِ وَكُنْ لَنَا حَفِيزًا مِنَ الْآثَامِ وَالْبُؤْسِ وَالضَّنَا

الْوَاحِدُ

وَيَا «وَاحِدٌ» مِنْ غَيْرِ عَدٍّ، وَغَيْرُهُ يُعَدُّ وَيُخْصَى بِالثَّوَابِ أَمِدَّنَا

الصَّمَدُ

وَيَا «صَمَدٌ» لَا يُزْتَجَى غَيْرُهُ إِذَا بُلِينَا فَتَرْجُو مِنْكَ عِصْمَةً أَمَرْنَا

الْقَادِرُ

وَيَا «قَادِرٌ» اقْدُرْ لِي جِنَانَكَ مِنِّي لِنَحْظِيَ بِرِضْوَانِ الْمَلِكِ حَيَالَنَا

الْمُقَدِّرُ

و«مُقَدِّرٌ» يَسِّرْ لَنَا فِي حَيَاتِنَا وَأُحْسِنْ لِقَانَا رَحْمَةً عِنْدَ مَوْتِنَا

الْمُقَدِّمُ الْآخِرُ

«مُقَدِّمٌ» قَدِّمْ لِي السَّعَادَةَ مِنْحَةً «مُؤَخِّرٌ» أَخِّرْ كَرْبَنَا وَعَذَابَنَا

الْأَوَّلُ الْآخِرُ

وَيَا «أَوَّلٌ» مِنْ غَيْرِ بَدْءٍ وَ«آخِرٌ» بِغَيْرِ انْتِهَاءٍ جَلَّ شَأْنُكَ رَبَّنَا
تَعَالَيْتَ يَا مَوْلَايَ عَنْ وَصْفٍ وَاصِفٍ وَعَنْ صِفَةِ الْخُلُقِ أَنْتَ إِلَهْنَا

الظَاهِرُ

وَيَا «ظَاهِرًا» فِي كُلِّ شَيْءٍ بُلْطَفِهِ سَأَلْنَاكَ يَا مَوْلَايَ لُطْفًا بِحَالِنَا
فَلَا نَعُدُّ أَحْكَامًا أَمَرْتَ بِفِعْلِهَا وَلَا نَعُدُّ نَهْيًا أَنْتَ عَنْهُ نَهَيْتَنَا

الْبَاطِنُ

وَيَا «بَاطِنًا» رَغَمَ الظُّهُورِ، وَنُورُهُ بِغَيْرِ خَفَاءٍ أَنْتَ فِي الْكَوْنِ نُورُنَا

الْوَالِي

وَيَا رَبِّ يَا «وَالِي» تَوَلَّ أُمُورَنَا لِتُنْقِذَنَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ يُصِيبُنَا

الْمُتَعَالِ

وَيَا «مُتَعَالٍ» اِرْحَمْ عُبَيْدَكَ إِنَّهُ ذَلِيلٌ، وَيَكْفِينَا إِلَيْكَ أَنْتَسَابُنَا
فَأَنْتَ إِلَهُ الْكُلِّ، يَا مُتَفَضِّلٌ عَلَيْنَا، وَبِالْإِحْسَانِ أَعْجَزْتَ أَلْسِنَا

الْبَدُّ

وَيَا «بَدُّ» بِالْعَاصِي ثَقِيلُ ذُنُوبُهُ فَكَيْفَ يَمُنُّ قَدْ جَاءَ يَدْعُوكَ مُحْسِنًا
وَمَا هُوَ إِحْسَانٌ وَلَكِنْ مَوَدَّةٌ فَتَسْتُرُنَا سِتْرًا جَمِيلًا، وَكُنْ لَنَا

الدَّوَابُّ الْمُتَنَقِمَةُ

و«تَوَابٌ» فَأَقْبَلْ تَوْبَتِي وَتَضَرَّعِي وَ«مُتَنَقِمَةٌ» هَاكَ انْتَقِمَ مِنْ عَدُوِّنَا

الْعَفْوُ

«عَفْوٌ» فَمِنْكَ الْعَفْوُ يُزَجِّي وَيُزَجِّجِي فَكَفِّرْ ذُنُوبِي كُلَّهَا، وَارْأَفِنِ بَنِي

الرُّؤْفُ

«رُؤْفُ» بَنَّا فِي كُلِّ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ بِرَأْفَتِكَ الْعُظْمَى إِلَهِي فَحُفَّنَا

هَالِكُ الْمُلْكِ

وَيَا «مَالِكَ الْمُلْكِ» الْعَظِيمِ أَمِدَّنَا بِسِرِّ نَرَى فِيهِ حَقِيقَةَ أَمْرِنَا

ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

وَيَا «ذَا الْجَلَالِ» اَرْحَمْ بِفَضْلِكَ سَيِّدِي لِضَعْفِي، وَاَرْفَعْ فِي عُلَاكَ شُؤْنَنَا

وَيَا صَاحِبَ «الْإِكْرَامِ» أَكْرِمْ وَقَادَتِي عَلَيْكَ بِإِحْسَانٍ يُعْطِي دُنُوبَنَا

فَلَيْسَ لَنَا مِنْ دَافِعٍ لِمَسَاءَةٍ وَلَيْسَ لَنَا مِنْ سَاتِرٍ لِعُيُوبِنَا

سَأَلْنَاكَ يَا رَبِّي وَلَيْسَ لَنَا سِوَى نَدَاكَ فَأَكْرَمْنَا وَأَحْسِنَ لِحَالِنَا

الْمُقْسِطُ

وَيَا «مُقْسِطُ» لِلْمُقْسِطِينَ جَزَاءَهُمْ بِحَقِّكَ تَغْفُو عَنْ عَظَائِمِ جُرْمِنَا

الْبَاجِعُ

وَيَا «بَاجِعُ» اجْمَعْ عَنِّي بِأَحْبَابِكَ الْأَلَى أَطَاعُوكَ فَضْلًا مِنْ لَدُنْكَ إِلَهَنَا

الْغَنِيُّ

«غَنِيٌّ» إِلَهِي أَغْنِنِي وَتَوَفَّنِي سَعِيدًا بِلُقْيَا مَنْ أَحَبُّ، وَرَضْنَا

الْمُعْزِي

وَيَا «مُعْزِيًا» لِلنَّاسِ طَرًّا وَ«مُعْطِيًا» لَهُمْ مِنْ جَزِيلِ الرَّفْدِ أَجْزِلَ عَطَاءِنَا

الْمَانِعُ الضَّارُّ

وَيَا «مَانِعُ» اَمْنَعْ كُلَّ شَرٍّ يَنْوَسُنَا وَيَا «ضَارُّ» أَبْعِدْ كُلَّ ضَرٍّ يَتُوبِنَا

النَّافِعُ النُّورُ

وَيَا «نَافِعُ» انْفَعْنَا بِفَيْضِكَ سَيِّدِي وَيَا «نُورُ» نَوِّرْ مِنْ هُدَاكَ قُلُوبَنَا

الْهَادِي

وَيَا «هَادِي» الْعَجَمَاءِ فِي كُلِّ أَمْرِهَا وَنَحْنُ بَنُو الْإِنْسَانِ نَدْعُوكَ فَاهِدِنَا
وَوَفَّقْ^(١) يَا رَبِّي لِخَيْرِ شَرِيعَةٍ شَرِيعَةٍ مَوْلَانَا الْحَبِيبِ نَبِيِّنَا
لِنَلْقَاهُ رَاضٍ فِي الْقِيَامَةِ شَافِعًا لَنَا مِنْ ذُنُوبٍ أَنْقَضْتَ لِظُهُورِنَا

الْبَدِيعُ

«بَدِيعُ» لِكُلِّ الْخَلْقِ طَرًّا وَمُبْدِعُ لِكُلِّ صَنِيعٍ فَاهِدِنَا رَبِّ سُبُلَنَا

الْبَاقِي الْوَارِثُ

وَيَا «بَاقِيًا» بَعْدَ الْفَنَاءِ لَكَ الْعُلَا وَيَا «وَارِثًا» لِلْمَلِكِ بَارِكْ لِإِرْثِنَا

الرَّشِيدُ

«رَشِيدُ» فَوَفَّقْنَا إِلَى رُشْدِنَا الَّذِي أَطَاحَتْ بِهِ الْآثَامُ وَالشُّوْءُ وَالْعَنَا

الصَّبُورُ

«صَبُورُ» أَعِزَّنَا الصَّبْرَ فِي كُلِّ حَادِثٍ لِنَلْقَاكَ رَاضٍ فِعْلَنَا وَاضْطِيبَارَنَا
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى دَعْوَنَاكَ سَيِّدِي لِتُدْرِكَنَا قَبْلَ الْمَمَاتِ أَمِدَّنَا

(١) حذف الألف من لفظة «ووفقنا» لضرورة الوزن.

يُنُورِ الْهُدَى نَحْطَى بِهِ وَنُعِدُّهُ
وَلَمْ أَكْ أَهْلًا لَامِتِدَاحِكَ سَيِّدِي
وَإِنِّي هَيْمَانٌ وَلَمْ أَكْ شَاعِرًا
وَلَكِنَّهُ جَهْدُ الْمُقِلِّ فَتَارَةٌ
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى الَّتِي تُورَثُ بِهَا
وَهَلْ بَعْدَ أَسْمَاءِ الْكَرِيمِ تَوْسُلُ
فَيَا رَبِّ يَا قُدُّوسُ يَا مُتَكَبِّرُ
أَتَرْجِعُنَا صُفْرَ الْيَدَيْنِ لِحَاجَةٍ
فَيَا رَبِّ وَفَّقْنِي لِأَدْعُوكَ دَائِمًا
وَهَبْنِي إِخْلَاصًا، وَهَبْنِي تَوَاضَعًا
وَزِدْنِي أَيَا مَوْلَايَ نُورًا وَحِكْمَةً
بِرَحْمَتِكَ الْعُظْمَى الَّتِي وَسِعَتْ لَنَا
سَأَلْتُكَ يَا مَوْلَايَ لُطْفًا بِحَالَتِي
لِأَدْخُلَ فِي بَابِ الْغُفُورِ مُبَرَّرًا
حَبِيبِي إِلَهِي أَطْلُبُ الْعَفْوَ دَائِمًا
وَإِنْ أَنْتَ آخَذْتَ الْمَسِيءَ بِفِعْلِهِ

لِلْقِيَاكَ فَارْحَمْ ذُلَّنَا وَأَعِزَّنَا
وَلَكِنِّي أَقْحَمْتُ نَفْسِي مِنَ الضَّنَا
فَبْتَ هَيَامِي ذَلِكَ الشُّعْرُ مُتَقَنَّا
يُوفِي وَطُورًا لَا يُوفِي بِمَا جَنَى
جَنَانُكَ نَدْعُو رَبَّنَا فَاسْتَجِبْ لَنَا
نُبَاهِي بِهِ الْأَمْلاكَ فِي الْقَدْرِ وَالسَّنَا
أَتَيْنَاكَ نَشْكُو حَالَنَا وَمَالَنَا
إِلَى الْعَطْفِ لَا وَاللَّهِ بَلْ أَنْتَ ذُخْرُنَا
بِصَدْقٍ وَإِخْلَاصٍ بَعِيدًا عَنِ الْأَنَا
وَزِدْنِي بِفَرْطِ الْحُبِّ فِيكَ تَفَقُّنَا
وَعِلْمًا، وَتَوْفِيقًا، وَبِالْخَيْرِ خُصَّنَا
وَكُلِّ الْأَلَى ضَاقَتْ بِهِمْ رَحَبَاتُنَا
فَتَفَسَّحْ لِي بَابَ النَّجَاةِ تَحَنُّنًا
مِنَ الذَّنْبِ وَالْآثَامِ سِرًّا وَمُعْلِنًا
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِي سَيِّدِي مَنْ يَكُنْ لَنَا؟
فَيَا وَيْلَنَا مِمَّا عَلَيْنَا، وَمَا بَنَا

ووالله إنني خائفٌ من مآثمٍ
 ولكنني أدعو الذي إن رجوته
 يقولون لي من أنت؟ قلت أنا الذي
 وأرجو لقاءً آمناً من مخاوفي
 وقد وعد المولى بعفوٍ لزلّتي
 إذا سألوا عني عجبْتُ لقولهم
 لقد تُهت عن نفسي وعن كلِّ ما أرى
 أريدُ سلاماً في الحياة ورَحمةً
 وليس بأعمالي فليس بِنَفعي
 فأدخلُ جنّاتِ الخلودِ بِذلّتي
 تباركت يالله من مُتفضّلٍ
 وبارك لنا في ديننا ومَعاشِنَا
 وصَلِّ إلهي دائماً كُلَّ لَحْةٍ
 وسَلِّم سلاماً لا تنَاهي لَحْدَه
 إذا احتسبتُ لم ألقَ عَطفاً ولا هِناً
 حمَدْتُ إِيَّايَ عِنْدَه ومَالَنَا
 طَلَبْتُ رِضَا المُولَى وأَدْعُوهُ آمِناً
 ومُلْتَمِساً عَفْواً عَنِ الإِثْمِ والضَّنَا
 وأوْعَدَ غَيْرِي مَنْ أَصَرَ عَلَى الحِنَا
 وقلتُ لَهُمْ: مَا لي؟ أَنَا لَمْ أَكُنْ أَنَا
 وَلَيْسَ أَمَامِي غَيْرَ رِضْوَانِ رَبَّنَا
 بِأُخْرَى وَفَضْلاً مِنْ لَدُنْكَ يَحْفُنَا
 سِوَى رَحْمَةٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي تَعْمُنَا
 فَيَا رَبِّ نَوَلْنِي السَّعَادَةَ والمُنَى
 عَظِيمَ فَتَرْجُوكَ الهِدَايَةَ فَاهْدِنَا
 تَعَالَيْتَ يَا مَوْلَايَ لُطْفَكَ رَبَّنَا
 عَلَى المُصْطَفَى خَيْرِ الأَنَامِ نَبِيَّنَا
 عَلَيْهِ لِنَلْقَى فِي القِيَامَةِ سُؤْلَنَا

مُنَاجَاةٌ لِحَادِي الْأَزْوَاجِ

ابن قَيِّمِ الْجُوزِيَّةِ

بِحَيَاةٍ وَجْهِكَ خَيْرٌ مَشْئُولٍ بِهِ وَبِحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَهَا
وَبِحَقِّ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ جَمِيعَ مِنْ غَيْرِ مَا عَوَضٍ وَلَا أَثْمَانٍ
وَبِحَقِّ أَسْمَاءِ لَكَ الْحُسْنَى مَعَا عِ الْخَلْقِ مُحْسِنَتُهُمْ كَذَاكَ الْجَانِي
وَبِحَقِّ حَمْدِكَ وَهُوَ حَمْدٌ وَاسِعٌ الْأَكْوَانِ نِيهَا نُعُوثُ الْمَدْحِ لِلرَّحْمَنِ
وَبِأَنَّكَ اللَّهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ مَعْدُ بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ فَبَاطِلٌ
بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ أَزْدُ مِنْ دُونِ عَرْشِكَ لِلثَّرَى التَّحْتَانِي
وَبِكَ الْمَعَاذُ وَلَا مَلَاذَ سِوَاكَ أَزْدُ تَ غِيَاثُ كُلِّ مُلْدِدٍ لَهْفَانٍ
مَنْ ذَاكَ لِلْمُضْطَرِّ يَسْمَعُهُ سِوَا كَ يُجِيبُ دَعْوَتَهُ مَعَ الْعِصْيَانِ
إِنَّا تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ تُرْضِيكَ طَالِبُهَا أَحَقُّ مُعَانٍ
فَاجْعَلْ قَضَاهَا بَعْضَ أَنْعَمِكَ الَّتِي سُبِعَتْ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانٍ
انصُرْ كِتَابَكَ وَالرَّسُولَ وَدِينَكَ الِ عَالِي الَّذِي أَنْزَلْتَ بِالْبُرْهَانِ
وَاخْتَرْتَهُ دِينًا لِنَفْسِكَ وَاصْطَفَيْتَهُ تَ مُقِيمَهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
وَاخْتَرْتَهُ دِينًا لِمَنْ تَرْضَاهُ مِنْ هَذَا الْوَرَى هُوَ قَيِّمُ الْأَدْيَانِ

وَأَقْرَعَيْنَ رَسُولَكَ الْمُبْعُوثَ بِالْأَدِينِ
وَانصُرْهُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ كَمِثْلِ مَا
يَا رَبِّ وَانصُرْ خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلَى
يَا رَبِّ وَاجْعَلْ شَرَّ حِزْبَيْنَا فِدَى
يَا رَبِّ وَاجْعَلْ حِزْبَكَ الْمَنْصُورَ أَهْدَى
يَا رَبِّ وَارْحَمْهُمْ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي
يَا رَبِّ جَنَّبَهُمْ طَرَائِقَهَا الَّتِي
يَا رَبِّ وَاهْدِهِمْ بِنُورِ الْوَحْيِ كَيْ
يَا رَبِّ كُنْ لَهُمْ وَلِيًّا نَاصِرًا
وَانصُرْهُمْ يَا رَبِّ بِالْحَقِّ الَّذِي
يَا رَبِّ إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ
يَا رَبِّ قَدْ عَادُوا لِأَجْلِكَ كُلِّ هـ
قَدْ فَارَقُوهُمْ فِيكَ أَحْوَجَ مَا هُمْ
وَرَضُوا وَلَا يَتَكَ الَّتِي مَنْ نَالَهَا
وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ وَمَا ارْتَضُوا
يَا رَبِّ ثَبِّتْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَاجِدْ
وَانصُرْ عَلَى حِزْبِ الثُّفَاةِ عَسَاكِرَ الْإِنْبَاتِ أَهْلَ الْحَقِّ وَالْعِرْفَانِ

الْحَنِيفِ بِنَصْرِهِ الْمُتَدَانِ
قَدْ كُنْتَ تَنْصُرُهُ بِكُلِّ زَمَانٍ
حِزْبِ الضَّلَالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ
لِحَيَارِهِمْ وَلِعَسْكَرِ الْقُرْآنِ
لَمْ تَرَاحِمِ وَتَوَاضَلِ وَتَدَانِ
قَدْ أُحْدِثْتَ فِي الدِّينِ كُلَّ زَمَانٍ
تُفْضِي بِسَالِكِهَا إِلَى النِّيرَانِ
يَصِلُوا إِلَيْكَ فَيُظْفَرُوا بِجَنَانِ
وَاحْفَظْهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْفِتَانِ
أَنْزَلْتَهُ يَا مَنْزِلَ الْقُرْآنِ
لَجِئُوا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ
ذَا الْخَلْقِ إِلَّا صَادِقَ الْإِيمَانِ
دُنْيَا إِلَيْهِمْ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
نَالَ الْأَمَانَ وَنَالَ كُلَّ أَمَانِي
بِسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الْهَدْيَانِ
عَلَّهُمْ هُدَاةَ التَّائِيهِ الْحِيرَانِ
وَالْعِرْفَانِ

وَأَقِمِ لِلْأَهْلِ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ الْأَنْصَارَ وَانصُرْهُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ
 وَاجْعَلْهُمْ لِلْمُتَّقِينَ أَيْمَةً وَارزُقْهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِيقَانِ
 تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَخَذْتُوا وَدَعَوْا إِلَيْهِ النَّاسَ بِالْعُدْوَانِ
 وَأَعِزَّهُمْ بِالْحَقِّ وَانصُرْهُمْ بِهِ نَصْرًا عَزِيزًا أَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
 وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ فَلَأَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
 وَلَكَ الْحَمْدُ كُلُّهَا حَمْدًا كَمَا يُؤْضِيكَ لَا يَفْنَى عَلَى الْأَزْمَانِ
 مِلءَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ وَالْإِمَّا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ
 وَمَا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ حَمْدًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ بِزَمَانٍ
 وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالتَّسْلِيمِ مِنْكَ وَأَكْمَلُ الرِّضْوَانِ
 وَعَلَى صَحَابَتِهِ جَمِيعًا وَالْأُلَى تَبِعُوهُمْ مِنْ بَعْدِ بِالْإِحْسَانِ

الْمُحِبُّونَ لِلَّهِ

كُلُّ مَحْبُوبٍ سِوَى اللَّهِ سَرَفٌ

كُلُّ مَحْبُوبٍ سِوَى اللَّهِ سَرَفٌ وَهُمُومٌ وَغُمُومٌ وَأَسَفٌ
كُلُّ مَحْبُوبٍ فَمِنْهُ لِي خَلَفٌ مَا خَلَا الرَّحْمَنَ مَا مِنْهُ خَلَفٌ
إِنَّ لِلْحُبِّ دَلَالَاتٍ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْ صَاحِبِ الْحُبِّ عُرْفٌ
صَاحِبُ الْحُبِّ حَزِينٌ قَلْبُهُ دَائِمُ الْغُصَّةِ ^(١) مَغْمُومٌ دَنِفٌ ^(٢)
هَمُّهُ فِي اللَّهِ لَا فِي غَيْرِهِ ذَاهِبُ الْعَقْلِ وَبِاللَّهِ كَلِيفٌ
أَشَعْتُ الرَّأْسِ خَمِيضٌ ^(٣) بَطْنُهُ أَصْفَرُ الْوَجْهِ وَالطَّرْفُ ^(٤) ذَرِفٌ
دَائِمُ التَّذْكَارِ ^(٥) مِنْ حُبِّ الَّذِي حُبُّهُ غَايَةٌ غَايَاتِ الشَّرَفِ
فَإِذَا أَمْعَنَ فِي الْحُبِّ لَهُ وَعَلَاهُ الشَّوْقُ مِمَّا قَدْ كَشَفٌ ^(٦)

(١) الْغُصَّةُ: الشَّجَى، وَهُوَ: الْهَمُّ وَالْحَزَنُ. انظر: الصُّحَّاح، لإسماعيل الجوهري.

(٢) الدَّنِفُ، بفتح الدال: المرض الملازم. انظر: القاموس المحيط.

(٣) الخَمَصَةُ، بالفتح: الجوعة، والخمصة: المجاعة. انظر: القاموس المحيط.

(٤) في نسخة أخرى: وفي الطَّرْفِ، والطَّرْفُ: الْعَيْنُ، وَلَا يُجْمَعُ؛ لَأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرٌ، فَيَكُونُ وَاحِدًا وَجَمْعًا، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ أَسْوَادٌ﴾؛ أَي: أَبْصَارُهُمْ شَاخِصَةٌ ظَاهِرَةٌ، مَدِيمُو النَّظَرِ، لَا يَطْرُقُونَ لَحْظَةً؛ لَكثْرَةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْفِكْرَةِ وَالْخَافَةِ لَمَّا يَحُلُّ بِهِمْ. انظر: القاموس المحيط، ومختصر تفسير ابن كثير، (٢/ ٣٠٣).

(٥) في نسخة أخرى: التذكير.

(٦) في نسخة أخرى: من داء كشف.

بَاشَرَ الْحِرَابَ يَشْكُو بَثَّهُ^(١) وَأَمَامَ اللَّهِ مَوْلَاهُ وَقَفَ
 قَائِمًا قُدَّامَهُ مُنْتَصِبًا لَهْجًا يَثْلُو بِآيَاتِ الصُّحُفِ
 رَاكِعًا طَوْرًا وَطَوْرًا سَاجِدًا بَاكِيًا وَالدَّمْعُ فِي الْأَرْضِ يَكِفُ
 أَوْرَدَ الْقَلْبَ عَلَى حُبِّ الَّذِي فِيهِ حُبُّ اللَّهِ حَقًّا فَعَرَفَ
 ثُمَّ جَالَتْ كَفُّهُ فِي شَجَرٍ يُنْبِتُ الْحُبَّ فَسَمِيَ وَاقْتَطَفَ
 إِنَّ ذَا الْحُبِّ لِمَنْ يَعْنِي بِهِ^(٢) لَا يَدَارِ ذَاتَ لَهْوٍ وَطَرَفٍ
 لَا وَلَا الْفِرْدَوْسُ لَا يَأْلُفُهَا لَا وَلَا الْحَوْرَاءُ مِنْ فَوْقِ غُرْفٍ

* * * * *

● وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ:

تَشَاغَلَ قَوْمٌ بِدُنْيَاهُمْ وَقَوْمٌ تَخَلَّوْا لِمَوْلَاهُمْ
 فَأَلْزَمَهُمْ بَابَ مَرْضَاتِهِ وَعَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ أَغْنَاهُمْ
 فَمَا يَعْرِفُونَ سِوَى حُبِّهِ وَطَاعَتِهِ طُولَ مَحْيَاهُمْ
 يَصِفُّونَ بِاللَّيْلِ أَقْدَامَهُمْ وَعَيْنُ الْمُهَيِّمِ تَرْعَاهُمْ
 فَطَوْرًا يُنَاجُونَهُ سُجَّدًا وَيَبْكُونَ طَوْرًا خَطَايَاهُمْ
 إِذَا فَكَّرُوا فِي الَّذِي أَسْلَفُوا أَذَابَ الْقُلُوبَ وَأَبْكَاهُمْ
 وَإِنْ يَسْكُنُ الْخَوْفُ لِأَذْوَا بِهِ وَبَاخُوا إِلَيْهِ بِشَكْوَاهُمْ

(١) البث: الحال، وأشدُّ الحزن.

(٢) في نسخة أخرى: بنا.

وَأَضَحُوا صِيَامًا عَلَى جُهْدِهِمْ تَبَارَكَ مَنْ هُوَ قَوَاهُمْ
هُمْ الْقَوْمُ أَغْطَوْا مَلِكَ الْمُلُوكِ صَدَقَ الْقُلُوبِ قَوْلَاهُمْ
هُمْ الْمُجْتَبُونَ بِنِيَّاتِهِمْ أَرَادُوا رِضَاهُ فَأَعْطَاهُمْ
وَأَسْكَنَهُمْ فِي فَرَادَيْسِهِ وَأَعْلَا الْمَنَازِلِ بَوَاهُمْ
فَنَالُوا الْمَرَادَ وَفَازُوا بِهِ فَطُوبَى لَهُمْ ثُمَّ طُوبَاهُمْ

* * * * *

لَا تَخْذَعَنَّ فَلِلْحَبِيبِ دَلَائِلُ

لَا تَخْذَعَنَّ فَلِلْحَبِيبِ دَلَائِلُ
وَلَدَيْهِ مَنْ تَخَفِ الْحَبِيبِ وَسَائِلُ
مِنْهَا تَنْعَمُهُ بِمُرِّ بَلَائِهِ
وَسُرُورُهُ فِي كُلِّ مَا هُوَ فَاعِلُ
فَالْمَنْعُ مِنْهُ عَطِيَّةٌ مَقْبُولَةٌ
وَالْفَقْرُ إِكْرَامٌ وَبِرٌّ عَاجِلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ تَرَى مِنْ عَزَمِهِ
طَوْعَ الْحَبِيبِ وَإِنْ أَلَحَّ الْعَاذِلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ يُرَى مُتَبَسِّمًا
وَالْقَلْبُ فِيهِ مِنَ الْحَبِيبِ بَلَابِلُ

وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ يُرَى مُتَفَهِّمًا
لِكَلَامٍ مَنْ يَخْطِي لَدَيْهِ السَّائِلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ يُرَى مُتَقَشِّفًا
مُتَخَطِّفًا مِنْ كُلِّ مَا هُوَ قَائِلُ

* * * * *

● فقال يحيى بن معاذ السيد المحب:

وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ تَرَاهُ مُشْمَرًا
فِي خِرْقَتَيْنِ عَلَى شُطُوطِ السَّاحِلِ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ حُزْنُهُ وَنَحِيبُهُ
جَوْفَ الظَّلَامِ فَمَا لَهُ مِنْ عَاذِلِ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ تَرَاهُ مُسَافِرًا
نَحْوَ الْجِهَادِ وَكُلِّ فِعْلٍ فَاضِلِ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ زُهْدُهُ فِيمَا يَرَى
مِنْ دَارِ ذُلٍّ وَالتَّعِيمِ الزَّائِلِ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ تَرَاهُ بَاكِيًا
أَنْ قَدْ رَاهُ عَلَى قَبِيحِ فَعَائِلِ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ تَرَاهُ مُسَلِّمًا
كُلَّ الْأُمُورِ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ

وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ تَرَاهُ رَاضِيًا
بِمَلِيكَهِ فِي كُلِّ حُكْمٍ نَازِلٍ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ صِحْحُهُ بَيْنَ الْوَرَى
وَالْقَلْبُ مَحْزُونٌ كَحُزْنِ الشَّاكِلِ^(١)

* * * * *

مُحِبُّ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا عَلِيلٌ

مُحِبُّ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا عَلِيلٌ تَطَاوَلَ سُقْمُهُ فَدَوَاهُ دَاهُ
كَذَا مَنْ كَانَ لِلْبَارِي مُحِبًّا يَهِيمُ بِذِكْرِهِ حَتَّى يَرَاهُ
وَيَزْهَدُ فِي قُصُورٍ مَعَ نَعِيمٍ وَفِي الدُّنْيَا وَيَفْنَى عَنْ هَوَاهُ
وَفِي سُعْدَى وَفِي سَلَمَى وَلَيْلَى وَلَا يَرْضَى بِصُحْبَةٍ مِنْ سِوَاهُ
مِنَ الشُّوقِ يَحْنُ حَيْنَ ثُكْلَى تَرَقُّ لَهُ الْحِجَارَةُ لَوْ تَرَاهُ
وَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَبْدَى عِتَابًا فَلَمَّا ذَاقَ مَا ذَاقَ اشْتَهَاهُ
فَسَلَّمَ لِلرِّجَالِ وَلَا تُكَابِرُ فَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ لِمَنْ رَاهُ

* * * * *

الْحُبُّ الْمُتَهَجِّدُ

قَلِيلُ الْعَزَاءِ كَثِيرُ النَّدَمِ
 طَوِيلُ النَّحِيبِ عَلَى مَا اجْتَرَمَ^(١)
 جَرَى دَمْعُهُ فَبَكَى جَفْنُهُ
 فَصَارَ الْبُكَاءُ بِدَمْعٍ وَدَمٌ
 يَخَافُ الْبَيَاتَ لِهَجْمِ^(٢) الْمَمَاتِ
 وَفَقَدَ الْحَيَاةَ بِضُرِّ السَّقَمِ
 وَيُخْفِي مَحَبَّةَ رَبِّ الْغَلَا
 فَتُظْهِرُ أَنْفَاسُهُ مَا اكْتَمَ
 وَأَسْبَلَ مِنْ طَرَفِهِ عِبْرَةً
 عَلَى الصَّخْنِ مِنْ خَدِّهِ فَانْسَجَمَ
 وَبَاتَ مُحَارِبَ مِخْرَابِهِ
 وَلَمْ تَزَلْ قَدَمٌ عَنْ قَدَمٍ
 فَلَمَّا تَفَتَّتْ أَحْشَاؤُهُ
 مِنْ الشَّوْقِ رَقَّ^(٣) عَلَيْهِ الْأَلَمُ

(١) اجترم؛ أي: أذنب، والجُرم والجريمة: الذَّنْب، تقول: جرم واجترم؛ أي: أذنب. انظر: القاموس المحيط.

(٢) في نسخة أخرى: يهجم.

(٣) في نسخة أخرى: رقا.

وَكَمْ لَيْلَةٍ رَامَ فِيهَا الْمَنَامَ
 فَصَاحَ بِهِ حُبُّهُ: لَا تَنَمْ
 وَنَاحَ عَلَى جَسَدِ نَاحِلٍ
 أَطَالَ النُّحُولُ بِهِ فَأَنهَدَمْ
 أَنَابَ إِلَى اللَّهِ مُسْتَغْفِرًا
 فَصَارَ لَهُ مِنْ أَعَزِّ الْخَلَمِ^(١)

(١) استنشاق نسيم الأنس، لابن رجب الحنبلي، (٩٢).

له في كل يوم ألف عيد

الحب لله وَعَجَّلَ له في كل يوم ألف عيد؛ فالعاقل إنما يفرح بسيده ومولاه،
والغافل إنما يفرح بلهوه وهواه، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد.

قَرِيبُ الْوَجْدِ ذُو مَرْمَى بَعِيدِ
عَنِ الْأَخْرَارِ مِنْهُمْ وَالْعَبِيدِ
غَرِيبُ الْوَصْفِ ذُو عِلْمٍ غَرِيبِ
كَأَنَّ فُؤَادَهُ زُبْرُ الْحَدِيدِ
لَقَدْ عَزَّتْ مَعَايِهِ وَجَلَّتْ
عَنِ الْأَبْصَارِ إِلَّا لِلشَّهِيدِ
يَرَى الْأَعْيَادَ فِي الْأَوْقَاتِ تَجْرِي
لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ عِيدٍ^(١)

* * * * *

عَرَاصًا بِقُرْبِ اللَّهِ فِي ظِلِّ قُدْسِهِ

قال الجنيد - رحمه الله :-

سَرَتْ بِأُنَاسٍ فِي الْغُيُوبِ قُلُوبُهُمْ فَحَلُّوا بِقُرْبِ الْمَاجِدِ الْمُتَفَضِّلُ
عَرَاصًا بِقُرْبِ اللَّهِ فِي ظِلِّ قُدْسِهِ تَجَوَّلُ بِهِمْ أَرْوَاحُهُمْ وَتَنَقَّلُ
مَوَارِدُهُمْ فِيهَا عَلَى الْعِزِّ وَالنُّهَى وَمَصْدَرُهُمْ عَنْهَا لِمَا هُوَ أَكْمَلُ
تَرَوْحُ بِعِزٍّ مُفْرِدٍ مِنْ صِفَاتِهِ وَفِي حُلْلِ التَّوْحِيدِ تَمْشِي وَتَرْفُلُ
وَمِنْ بَعْدِ هَذَا مَا تَدَقُّ صِفَاتُهُ وَمَا كَثَّمَهُ أَوْلَى لَدَيْهِ وَأَعْدَلُ
سَأَكْتُمُ عَنْ عِلْمِي بِهِ مَا يَصُونُهُ وَأَبْذُلُ مِنْهُ مَا أَرَى الْحَقَّ يَبْذُلُ
وَأَعْطِي عِبَادَ اللَّهِ مِنْهُ حَقُوقَهُمْ وَأَمْنَحُ مِنْهُ مَا أَرَى الْمَنْحَ يَفْضُلُ
عَلَى أَنْ لِلرَّحْمَنِ سِرًّا يَصُونُهُ إِلَى أَهْلِهِ فِي السِّرِّ وَالصَّوْنِ أَجْمَلُ^(١)

* * * * *

(١) إحياء علوم الدين، (٤/٣٥٤).

نَعَمْ يَا سَيِّدِي

الْأُنْسُ بِاللَّهِ لَا يَخْوِيهِ بَطَالُ
وَلَيْسَ يُذَرِّكُهُ بِالْحَوْلِ مُحْتَالُ
وَالْأَنْسُونَ رِجَالٌ كُلُّهُمْ نَجَبٌ
وَكُلُّهُمْ صَفْوَةٌ لِلَّهِ عُمَالُ^(١)

* * * * *

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ عَنْ مُحَبَّتِهِ لِلَّهِ ﷻ:

سَاكِنٌ فِي الْقَلْبِ يَغْمُرُهُ
لَسْتُ أَنْسَاهُ فَأَذْكُرُهُ
غَابَ عَنِ سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي
فَسُوَيْدًا^(٢) الْقَلْبُ يُبْصِرُهُ

ويقول الآخر:

حَبِيبٌ لَيْسَ يَعْدِلُهُ حَبِيبٌ
وَلَا لِسَوَاهُ فِي قَلْبِي نَصِيبٌ
حَبِيبٌ غَابَ عَنِ بَصَرِي وَشَخْصِي
وَلَكِنْ عَنِ فُؤَادِي لَا يَغِيبُ

* * * * *

وأنشد آخر:

مَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِتَقْوَاهُ
وَكَانَ فِي الْخَلْقَةِ يَزْعَاهُ

(١) إحياء علوم الدين، (٣٥٩/٤).

(٢) سويداء القلب: حبيته.

سَقَاهُ كَأْسًا مِنْ صَفَا حُبِّهِ يُسْلِيهِ عَنْ لَذَّةِ دُنْيَاهُ
فَأَبْعَدَ الْخَلْقَ وَأَقْصَاهُمْ وَأَنْفَرَدَ الْعَبْدُ بِمَوْلَاهُ

* * * * *

وَأُنْشِدْ بَعْضَهُمْ أَيْضًا:

أَنْتَ تَذَرِي يَا حَبِيبِي مَنْ حَبِيبِي أَنْتَ تَذَرِي
وَنُحُولُ الْجِسْمِ وَالْدَّمِ غُ يَبْوَحَانِ بِسِرِّي
يَا عَزِيزِي قَدْ كَتَمْتُ الْحُبَّ بِّ حَتَّى ضَاقَ صَدْرِي

* * * * *

● وَأُنْشِدَ بَعْضَهُمْ:

أَبَى الْحُبُّ أَنْ يَخْفَى وَكَمْ قَدْ كَتَمْتُهُ فَأَصْبَحَ عِنْدِي قَدْ أَنَاخَ وَطَنِي^(١)
إِذَا اشْتَدَّ شَوْقِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ وَإِنْ رُمْتُ قُرْبًا مِنْ حَبِيبِي تَقَرَّبَا
وَيَبْدُو فَأَفْنَى ثُمَّ أَحْيَا بِقُرْبِهِ فَيُسْعِدُنِي حَتَّى أَلْدَّ وَأَطْرَبَا

* * * * *

وسئل إبراهيم القصار^(٢): هل يبدي المحب حبه، أو هل ينطق به، أو هل

يطبق كتمانَه؟ فتمثل بهذين البيتين:

ظَفَرْتُمْ بِكَتْمَانِ اللِّسَانِ فَمَنْ مِنْكُمْ بِكَتْمَانِ عَيْنٍ دَمَعَهَا الدَّهْرُ يَذْرِفُ

(١) طنب: أقام.

(٢) إبراهيم بن داود أبو إسحاق القصار، انظر ترجمته في: حلية الأولياء، (١٠/٣٥٤).

حَمَلْتُ جِبَالَ الْحُبِّ فَوَقِي وَإِنِّي
لَأَعْجِزُ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ وَأُضْعِفُ

ولله درُّ القائل:

أَرَاكُمْ صِرْفًا فَلَمَّا مَزَجْتُمْ بَعْدُتُمْ بِمِقْدَارِ التِّفَاتِكُمْ عَنْهُ
وَقَالَ لَكُمْ: لَا تُسْكِنُوا الْقَلْبَ غَيْرَهُ فَأَسْكَنْتُمْ الْأَغْيَارَ مَا أَنْتُمْ مِنْهُ

* * * * *

الْحُثُونُ لِلَّهِ

لله درُّ قائلهم إذ يقول:

أرواحنا فوق السَّما	ءِ مَعَ الْكَوَكِبِ سَارِيَهْ
وَقُلُوبُنَا مِثْلُ الْبُدُو	رِ بِكُلِّ لَيْلٍ زَاهِيَهْ
وَنُفُوسُنَا أَنْفَاسُهَا	كَالطَّيِّبِ أَمَسَتْ زَاكِيهْ
وَلِسَانُنَا بَيْتُ الْمَعَارِ	فِ الْعُلُومِ الرَّاقِيَهْ
وَكُنُوزُنَا فِي قَلْبِنَا	فِيهَا الْمَعَانِي عَالِيَهْ
أَعْضَاؤُنَا طَرِبَتْ بِحُبِّكَ	وَهِيَ تَذْكُرُ صَافِيَهْ
وَالرُّوحُ مِنْ وَجِدِ عَنِ الدِّ	أَغْيَارِ عَاشَتْ نَائِيَهْ
فَنَيْتُ بِهِ عَنِ غَيْرِهِ	فَاسْتَمْسَكْتُ بِالْبَاقِيَهْ
شَرَفْتُ بِهِ وَتَلَذَّذْتُ	بِشُهُودِهِ فِي عَافِيَهْ
إِنْ كَانَ جِسْمِي بِالْفَنَاءِ	سُقُوفُهُ مُتَدَاعِيَهْ

فَالرُّوحَ بَعْدَ فَنَائِهِ فِي الْخُلْدِ شَمْسَ سَامِيَةٍ

* * * * *

● ويقول:

قَدْ شَرَبْنَا مِنْ حُبِّهِ فَسَكِرْنَا وَعَرَفْنَا مِنْ أَيْنَ نَأْتِي الْجَوَارَا
وَدَخَلْنَا دَارَ الْكَرَامَةِ نُزَوَى بِيَقِينِ الْهُدَى وَكُنَّا حَيَارَى
اغْدُرُونَا إِذَا نَهَيْمُ فَإِنَّا فِي دِيَارِ الْهَوَى خُلِقْنَا أُسَارَى
وَتَرَانَا مِنْ حَيْثُ نَشْرَبُ فِي الْكَأْسِ سُكَارَى وَلَمْ نَكُنْ بِشِكَارَى
نَتَحَلَّى بِالْعِلْمِ فِي كُلِّ نَادٍ وَنُرَى بِالثَّقَى عَلَيْنَا إِزَارَا
فَقُلُوبٌ مِثْلُ الْكَوَاكِبِ فِيْنَا تُظْهِرُ الثُّورَ فَهَوَ لَا يَتَوَارَى

* * * * *

● ويقول:

رِجَالٌ وَلَكِنْ عَلَا قَدْرُهُمْ
تَبَارَكَ مَنْ لَهُمْ قَدْ خَلَقَ
لَهُمْ هِمَمٌ كَالْجِبَالِ الرُّوَاسِي
وَهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ نُورُ الْغَسَقِ
وَنَارُهُمْ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ
فِيَا عَجَبًا جَنَّةٌ فِي حَرَقِ

* * * * *

ولله درُّ القائل:

مُحِبِّ نَفِي مَا التَّدَّ مِنْ غَمُضِهِ الْفِكْرُ فَأَعْقَبَهُ ضُرٌّ وَأَنْهَكَهُ الضُّرُّ
وَبَاتَ يُرَاعِي أَجْمًا بَعْدَ أَجْمٍ وَيُرْعِدُ مِنْ خَوْفٍ إِلَى أَنْ بَدَا الْفَجْرُ
وَيَخْدُمُ مَوْلَاهُ بِالْطَفِ خِدْمَةٍ وَيُسْعِدُهُ فِي حُسْنِ خِدْمَتِهِ الصَّبْرُ
بِهِ وَبِمَنْ سَاوَاهُ فِي الزُّهْدِ وَالتَّقَى إِذَا الْجَدْبُ عَمَّ الْأَرْضَ يُسْتَنْزَلُ الْقَطْرُ

* * * * *

كُلِّي قُلُوبَ

إِذَا ذَكَرْتُكَ كَادَ الشَّوْقُ يُتْلِفُنِي وَغَفَلَتِي عَنْكَ أَحْزَانٌ وَأَوْجَاعُ
وَصَارَ كُلِّي قُلُوبًا فِيكَ وَاعِيَةً لِلشُّقْمِ فِيهَا وَلِلْآلَامِ إِسْرَاعُ
فَإِنْ نَطَقْتُ فَكُلِّي فِيكَ أَلْسِنَةٌ وَإِنْ سَمِعْتُ فَكُلِّي فِيكَ أَسْمَاعُ

* * * * *

وقال الشاعر:

أَنْتَ الْمَقْدَّمُ فِي الْجَمَا لِ فَأَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَ؟ أَيْنَ؟

* * * * *

قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ

وقال القائل:

قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ لَهَا عُيُونٌ
تَرَى مَا لَا يَرَاهُ النَّاطِرُونَ
وَأَلْسِنَةٌ بِأَسْرَارٍ تُنَاجِي
تَغِيبُ عَنِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ
وَأَجْنِحَةٌ تَطِيرُ بِغَيْرِ رِيَشٍ
إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَتَزْتَعُ فِي رِيَاضِ الْقُدُسِ طُورًا
وَتَشْرَبُ مِنْ بَحَارِ الْعَارِفِينَ
فَأُورِثْنَا الشَّرَابَ عُلُومَ صِدْقٍ
تَرَى فِيهَا عُلُومَ الْأَقْدَمِينَ
شَوَاهِدُهَا عَلَيْهَا نَاطِقَاتٌ
تُبْطِلُ كُلَّ دَعْوَى الْمُدَّعِينَ
عِبَادُ أَخْلَصُوا فِي السِّرِّ حَتَّى
دَنَوْا مِنْهُ وَصَارُوا وَاصِلِينَ

ولله درُّ القائل:

سَلَامٌ عَلَى قَلْبٍ وَزَوْجٍ وَمُهْجَةٍ
سُقَيْنَ بِكَاسِ الْوُدِّ فَهِيَ تُرِيدُ

ولله درُّ القائل:

كَمْ دَمْعَةٍ فِيكَ لِي مَا كُنْتُ أُجْرِيهَا
وَلَيْلَةٍ لَسْتُ أَفْنَى فِيكَ أَفْنِيهَا
لَمْ أَسْلِمِ النَّفْسَ لِلْأَحْبَابِ تُتْلِفُهَا
إِلَّا لِعِلْمِي بِأَنَّ الْحُبَّ يُخَيِّبُهَا
وَنَظْرَةٌ مِنْكَ يَا سَوْلِي وَيَا أَمَلِي
أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
نَفْسُ الْحُبِّ عَلَى الْأَلَامِ صَابِرَةٌ
لَعَلَّ خَالِقَهَا يَوْمًا يُدَاوِيهَا
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي النَّفْسِ جَارِحَةٌ
إِلَّا وَذَكَرَكَ فِيهَا قَبْلَ مَا فِيهَا
وَلَا تَنْفَسْتُ إِلَّا كُنْتُ فِي نَفْسِي
تَجْرِي بِكَ الرُّوحُ مِنِّي فِي مَجَارِيهَا
إِنْ كُنْتُ أَضْمَرْتُ غَدْرًا أَوْ هَمَمْتُ بِهِ
يَوْمًا فَلَا بَلَغَتْ رُوحِي أَمَانِيهَا

أَوْ كَانَتْ الْعَيْنُ مُذْ فَارَقْتُكُمْ
نَظَرْتُ شَيْئًا سِوَاكُمْ فَخَانَتْهَا أَمَانِيهَا
أَوْ كَانَتْ النَّفْسُ تَدْعُونِي إِلَى سَكَنِ
سِوَاكَ فَاحْتَكَمْتُ فِيهَا أَعَادِيهَا
حَاشَا فَذِكْرُكَ نُورُ الثَّوْرِ فِي مُهْجِ
تَجْرِي بِكَ النَّفْسُ مِنْهَا فِي مَجَارِيهَا

* * * * *

بُنُورِ فُؤَادِي قَصَدْتُ حِمَاكَ

وَلِلَّهِ دَرُ الشَّاعِرِ أَحْمَدَ نَسِيرَةَ إِذْ يَقُولُ:

بُنُورِ فُؤَادِي قَصَدْتُ حِمَاكَ	وَلَا نُورَ لِلْقَلْبِ إِلَّا هُدَاكَ
بَطَنْتَ بِذَاتِكَ يَا رَبَّنَا	وَفِي ذَاتِ ذَاتِي رُوحِي تَرَاكَ
رَأَيْتُكَ فِي مُهَجَّتِي لَذَّةً	وَأَعْمَيْتُ عَيْنِي عَمَّنْ سِوَاكَ
فَدَعْنِي أَذُبْ فِيكَ عِشْقًا وَدَعْ	عُيُونِي غَرَقَى بِبَحْرِ هَوَاكَ
فَإِنْ مِتُّ عِشْقًا فَذَاكَ حَيَاتِي	وَإِنْ عِشْتُ صَبًّا كَفَانِي ذَاكَ
فَأَمْلَأْ أَرْضَكَ عِشْقًا كَمَا	أَجُوبُ بِوَجْدِي رُبُوعَ سَمَاكَ
أُحِبُّكَ يَا سَيِّدِي وَالْهَوَى	بِهِ الْقَلْبُ بَيْنَ الضُّلُوعِ تَحَاكَى
سَهَرْتُ فَأُضْنَيْتُ جِسْمِي بِهِ	وَلَيْسَ تَرَى النَّاسَ مِنِّي حِرَاكَ
أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ قُمْ وَأَصْحَبِ الرُّو	حَ وَأَنْفُضْ بِبَحْرِ الصَّفَاءِ كِرَاكَ
وَرُمْ فِي ضَجِيجِ النَّهَارِ هُدَاهُ	وَعَنْ بَصْمَتِ اللَّيَالِي بُكََاكَ
وَصِدْ عَفْوَهُ وَاتَّخِذْ حُبَّهُ	وَحَوْفَكَ مِنْهُ لِذَاكَ شِبَاكَ

مَعَ اللَّهِ الَّذِي مَا لِي سِوَاهُ

وَلِلَّهِ دَر الشَّاعِرِ هَاشِمِ دُرُوشِ إِذْ يَقُولُ:

مَعَ اللَّهِ الَّذِي مَا لِي سِوَاهُ أَكُونُ إِذَا الدُّنَا لَجُوا وَتَاهُوا
 مَعَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتْ جُمُوعُ لِعَیْرِ اللَّهِ سَفَهَا قَدْ تَنَاهُوا
 مَعَ اللَّهِ، يُؤَاوِرُنَا ضِيَاءُ فَتَسْبَحُ كَالْمَلَائِكِ فِي سَمَاهُ
 مَعَ اللَّهِ، وَإِنْ يَنْغُوا عَلَيْنَا وَكَيْفَ يَخَافُ مَنْ مَعَهُ الْإِلَهِ
 مَعَ اللَّهِ الْعَزِيزِ وَأَيُّ شَيْءٍ عَزِيزٌ غَيْرُهُ يُبْغَى حِمَاهُ
 عَلَيْهِ تَوَكَّلِي وَإِلَيْهِ قَصْدِي وَفِيهِ الرُّوحُ تَصْفُو مِنْ صَفَاهُ
 فَلَا وَاللَّهِ مَا لِي غَيْرُ رَبِّي لِأَسْأَلُهُ وَأَسْتَدْنِي رِضَاهُ
 عَلِيمٌ بِالْغُيُوبِ وَبِالْخَبَايَا وَبِالسِّرِّ الدِّفِينِ وَمُحْتَوَاهُ
 فَلَا فِي الْخَافِيَّاتِ عَلَيْهِ سِرٌّ وَحَتَّى الرَّمْلِ قَدْ أَحْصَى حَصَاهُ
 لَطِيفٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ بَصِيرٌ وَيُدْرِكُهُ الصَّمِيرُ عَلَى خَفَاهُ
 هُوَ النُّورُ الْقَدِيمُ وَلَيْسَ يَفْنَى فَخَلَّ الْقَلْبَ يَمْضِي فِي ضِيَاهُ
 وَرَاقِبُ أَمْرِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَلَا تُطْعِ الْحَلِيلَ إِذَا عَصَاهُ
 فَلَيْسَ الْخَلُّ مَنْ أَهْدَاكَ نَارًا تَلْطَى، سَاءَ مَنْ كَانَتْ لَطَاهُ
 أَرَى لِلْمُخَالِدَاتِ يَهْبُ قَوْمٌ وَلَيْسَ يَنَامُ مَنْ كَانَتْ مَنَاهُ
 إِلَهِي سَيِّدِي يَا نُورَ قَلْبِي وَمَنْ يَقِفُ الصَّمِيرُ عَلَى هُدَاهُ
 رَأَيْتَكَ خَالِقِي فِي كُلِّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ بِالسُّكُونِ وَقَدْ رَأَاهُ

إِلَهًا خَالِقًا رَبًّا كَرِيمًا فَلَا يَنْفَكُ شَيْءٌ عَنْ عَطَاةِ
 تَبَارَكَ رَبُّنَا فِي كُلِّ شَأْنٍ هُوَ اللَّهُ تَجَلَّى فِي عِلَاةِ
 وَصَلَّى رَبُّنَا أَبَدًا وَدَوَمًا عَلَى طَهِّ الْحَبِيبِ وَمُصْطَفَاهِ

* * * * *

رَبِّ ضَاقَتْ بِي السَّبِيلُ

ولله در الشاعر الدكتور عدنان علي النحوي إذ يقول:

رَبِّ ضَاقَتْ بِي السَّبِيلُ وَدَمَعِي	فَاضَ! كَمْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ عَصِيًّا
ثَقُلْتُ فَوْقَ مِنْكَبِّي دُؤُوبِي	مَنْ يُزِيحُ الدُّؤُوبَ عَنْ مِنْكَبِّيَّ؟!
بَيْنَ جَنْبَيَّ مُهَجَّةٌ يَخْفِقُ الشَّوْ	قُ لَدَيْهَا مَعَ اللَّيَالِي غَنِيًّا
خَشِيَّةُ اللَّهِ تُطْلِقُ الشُّوقَ لِحَنَّا	وَتُغْنِيهِ بِالرَّجَاءِ نَدِيًّا
وَمَعَ اللَّيْلِ دَمْعَةٌ تَسْكُبُ الشَّوْ	قَ ضِيَاءٌ يَجْلُو الصَّرَاطَ السَّوِيًّا
بَيْنَ آمَالِ تَوْبَةٍ وَدَوَاعِي	رَهْبَةٍ لَمْ يَزَلْ دُعَائِي خَفِيًّا
خَاشِعًا فِي تَضَرُّعٍ حَمَلْتُهُ	رَعَشَاتٍ تَمُوجُ فِي شَفَتَيَّا

* * * * *

أَيُّ نُورٍ سَرَى يُزِيحُ ظَلَامًا	عَنْ دُرُوبِي وَيَنْعَثُ الْقَلْبَ حَيًّا
يَغْسِلُ الْقَلْبَ مِنْ عَوَارِضِ آثَا	مِ قَيْحِيهِ بَعْدُ قَلْبًا نَقِيًّا
أَنْتَ يَا رَبِّ نُورُكَ الْحَقُّ أَغْنَى	كُلَّ شَيْءٍ هُدًى وَمَعْنَى جَلِيًّا
مَلَأَ الْكَوْنَ بِالْجَمَالِ جَلَالًا	وَعِنَاءً يَفِيضُ مِنْهُ زَكِيًّا
كُلُّ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَمْضِي	حَامِدًا خَاشِعًا إِلَيْكَ رَضِيًّا
غَيْرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَا زَالَ يَشْقَى	حَائِرًا فِي هَوَاهُ يَمْضِي مُضِيًّا

نَسِيَ الْعَهْدَ، وَيَحَهُ، فَتَرَاهُ تَاهَ فِي دَرْبِهِ عَصِيًّا شَقِيًّا
جَاحِدًا غَابَ فِي الضَّلَالَةِ أَعْمَى أَوْ وَفِيَّا بِعَهْدِهِ وَتَقِيًّا
جِئْتُ رَبِّي إِلَيْكَ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَ فَهَبْ مِنْ لَدُنْكَ عَفْوَ رَضِيًّا
لَيْسَ لِي مِنْ غِنَى سِوَى رَحْمَةِ اللَّهِ هِ وَعَفْوٍ أَظْلُ فِيهِ غَنِيًّا
رَبِّ إِنْ غَابَ عَفْوُكَ الْيَوْمَ عَنِّي أَيُّ شَيْءٍ تُرَاهُ يَبْقَى لَدَيَّا
الْفَقِيرُ الْفَقِيرُ مَنْ تَاهَ فِي الدَّرِّ بِ شَقِيًّا وَضَلَّ جَهْلًا وَغِيًّا
وَالْغَنِيُّ الْغَنِيُّ مَنْ صَدَقَ اللَّهُ هِ وَأَغْنَى الْحَيَاةَ مَعْنَى بِهِيَّا

* * * * *

نَعْيُ الْمُثَلِّ الْعُلَيَّا

أَنْعِي إِلَيْكَ قُلُوبًا طَامًا هَطَلَتْ سَحَائِبُ الثَّوْرِ فِيهَا أَبْحَرَ الْحَكَمِ
 أَنْعِي إِلَيْكَ لِسَانَ الْحَقِّ مُذْ زَمَنِ أَوْدَى وَتَذَكَارُهُ فِي الْوَهْمِ كَالْعَدَمِ
 أَنْعِي إِلَيْكَ بَيَانًا تَسْتَكِينُ لَهُ أَقْوَالُ كُلِّ فَصِيحٍ مَقُولٍ فَهَمِ
 أَنْعِي إِلَيْكَ إِشَارَاتِ الْقُلُوبِ مَعًا لَمْ يَتَقَ مِنْهُمْ إِلَّا دَارِسُ الرَّمِّ
 أَنْعِي - وَحَقُّكَ - أَخْلَاقًا لَطَائِفَةً كَانَتْ مَطَايَاهُمْ مِنْ مَكْمَدِ الْكَظَمِ
 مَضَى الْجَمِيعُ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ مُضَيَّ عَادٍ وَفُقْدَانِ الْأُلَى إِرَمِ
 وَخَلَفُوا مَعْشَرًا يَجْرُونَ لُبْسَتَهُمْ أَعْيَى مِنَ الْبُهِمِ بَلْ أَعْيَى مِنَ النَّعَمِ

* * * * *

قَلْبٌ مُجَنِّحٌ فَوْقَ السَّمَاءِ

لِلْأَمِيرِ

قَلْبِي وَمَا قَدْ بَثَّ قَدْ
مِنْ وَقْدَةِ الْهَمِّ الْكَوْ
مِنْ وَثْبَةِ الْعَزْمِ الصَّغُ
مِنْ غَضَبَةِ الْحُرِّ الصَّمُ
مِنْ لَهْفَةِ الْعَطْفِ الْوُدُ
هُوَ فِي الْجَلَالِ وَفِي الْجَمَا
كَمْ ذَا أَشْرَابٍ^(٤) يُجَاوِزُ
فِي سَرْحَةِ الْأَمَلِ الشُّرُ
قَلْبِي وَبَثَّ الْقَلْبِ يَغْ
يَعْدُو الْمُنَى يَخْدُو السَّنَا
حَتَّى إِذَا مَا ضَاقَ عِنْدَ
حَلَقْتُ مِلءَ سَكِينَتِي
وَسَمَوْتُ أَدْعُو مُطْمَئِنَّ

بِي فِي الْجَنَانِ وَفِي الْكِانِ
دِ^(١) يَظْلُ يُعِينُ فِي الْحِرَانِ^(٢)
دِ^(٣) وَمِنْ مُكَابِدَةِ الزَّمَانِ
دِ وَقَدْ رَأَى حُرًّا يُهَانَ
دِ مِنْ الْوَفَاءِ مِنَ الْخَنَانِ
لِ مَعًا وَفِي قَاصٍ وَدَانِ
الْأَفَاقِ يَسْبَحُ فِي الْجِنَانِ
دِ رِحَابُهُ فِي اللَّامِكَانِ
حَزُّ أَنْ يُصَوِّرَهُ الْبَيَانِ
فَكَأَنَّ قَلْبِي فَرَقْدَانِ
هُ الْجِسْمُ وَأَنْعَقَدَ اللِّسَانُ
وَتَرَكْتُ لِلْقَدَرِ الْعِنَانُ
الرُّوحُ ... مُزْتَاحِ الْجِنَانِ

(١) الْكَوْدُ: الصَّغْبُ الْمُرْتَقَى.

(٢) الْحِرَانُ: التَّوَقُّفُ حِينَ يُطْلَبُ الْحُزْنُ.

(٣) الصَّغُودُ: الصَّاعِدُ.

(٤) أَشْرَابٌ: مَدَّ عُنُقَهُ، وَارْتَفَعَ لِيَنْظُرَ.

أَدْعُو دُعَاءَ مُجَنِّحٍ فَوْقَ السَّمَاءِ لَهُ يَدَانِ
وَالْقَلْبُ وَهُوَ أَبُو الْقُلُوبِ بِ كُلِّ مَا فِي الْكَوْنِ فَاَنْ
أَوْدَعَتْهُ رَبًّا بَرًّا هُ (١) وَرُحْتُ أَغْفُو فِي أَمَانٍ (٢)

* * * * *

سَجْدَةٌ

للأميري

كُنْ مَعَ اللَّهِ، وَابْتَغِ اللَّهَ وَحْدَهُ لَيْسَ إِلَّا هُ فِي الْعَوَالِمِ عُذَّةُ (٣)
وَأَجْعَلِ اللَّهَ خَفَقَ قَلْبِكَ حَمْدًا وَرَجَاءَ وَخَشْيَةً وَمَوَدَّةَ
وَأَفْنِ فِي حُبِّهِ إِنْ أَسْطَعَتْ تَحْيَ فَوْقَ عُمْرِ الْحَيَاةِ - مَا شَاءَ - خُلْدَهُ
كَابِدُ (٤) الْوَجْدَ بِالَّذِي لَا تَرَاهُ أَلْ عَيْنُ وَأَجْعَلْ سَبِيلَ قُرْبِكَ سَجْدَهُ
هُوَ نُورُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَاقْبِسْ مِنْهُ وَأَقْدَحْ بِهِ لِوُجْهِكَ زَنْدَهُ (٥)
وَتَنَفَّسْ بِذِكْرِهِ وَتَلَبَّثْ لِتَجْلِيهِ مُدَّةً إِثْرَ مُدَّةَ

(١) بَرَّاه: بَرَّاه: خلقه.

(٢) من ديوان قلب ورب، ص: ٧١ - ٧٤.

(٣) عُذَّة: مَا يُعَدُّ لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

(٤) كَابِدَ الْأَمْرِ: قَاسَى شِدَّتَهُ.

(٥) أَقْدَحَ زَنْدَهُ، قَدَحَ بِالزَّنْدِ: ضَرَبَ بِهِ الْحَجَرَ لِيَخْرُجَ النَّارُ مِنْهُ.

ذِرْوَةُ الْعِزِّ وَالشُّمُوءُ وَأَوْجُ الْـ سَعْدِ وَالْمَجْدِ أَنْ تُرَامِقَ (١) مَجْدَهُ
وَعَلَاكَ الْأَرْقَى - أَيَا حُرٍّ - أَنَّ اللَّهَ سَوَّاكَ مُنْذُ سَوَّاكَ عَبْدَهُ (٢)

* * * * *

غَرِيبٌ

اللَّهُ أَعْلَمُ مَا يُخَبِّئُ فِي غَدٍ لِلْعَبْدِ رُبُّهُ
قَالُوا مَرِيحٌ (٣) جِدَارَةٌ! وَجِدَارَةُ الْإِنْسَانِ دَأْبُهُ
قَالُوا: مَرِيضٌ مُدْنَفٌ أَوْ لَيْسَ حُبُّ اللَّهِ طِبُّهُ
قَالُوا: غَرِيرٌ (٤) حُلْمُهُ نَاءٍ وَخَلْفَ الْأَفْقِ دَرْبُهُ
أَوْ مَا دَرَوْا أَنَّ الْمَقْدَّ رَ كَائِنٌ وَالْقُرْبُ قُرْبُهُ (٥)
قَالُوا الْهُمُومُ وَأَذْنُهُ وَهُمُومٌ حُرِّ النَّفْسِ عَضْبُهُ (٦)
يَمِضِي يُمَارِسُ ذَاتَهُ فَيَهُونُ بِالْعَزَمَاتِ كَرْبُهُ
قَالُوا: شَرِيدُ الدَّارِ يَحْ يَا وَخْدَهُ وَجَفَاهُ صَحْبُهُ!
لَا بَأْسَ فَلْيَجْفُ الَّذِي يَجْفُو، فَإِنَّ اللَّهَ حَسْبُهُ

(١) تَرَامِقَ: رَامَقَهُ: تَتَّبَعَهُ بِنَظَرِهِ وَبَصَرِهِ.

(٢) مِنْ دِيْوَانِ قَلْبِ وَرَبِّ، لِلْأَمِيرِيِّ، (٨٧، ٨٨).

(٣) مَرِيحٌ: مُتَلَبِّسٌ.

(٤) غَرِيرٌ: قَلِيلُ التَّجَرُّبَةِ.

(٥) وَأَذْنُهُ، مِنَ الْوَادِ: دَفْنُ الْحَيِّ.

(٦) عَضْبُهُ: الْعَضْبُ: الْحَادِ، وَيُرَادُ بِهِ السِّيفُ الْمَاضِي.

قَالُوا نَفَثَهُ الْأَرْضُ مُذْ عَشِيقَ السَّمَاءِ وَالذَّنْبُ ذَنْبُهُ
 لَا الشَّرْقُ - مَنْبِثُهُ - لَهُ شَرْقٌ وَلَيْسَ الْغَرْبُ غَرْبُهُ
 لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ انْتِمَا ءَ كَوْزُهُ قَدْ ضَاقَ رَحْبُهُ!
 قَصُرَتْ مَدَارِكُهُمْ وَرَا ءَ الْأَرْضِ يَرْبُضُ ثُمَّ شَهْبُهُ^(١)
 يَرْقَى الْمَعَارِجَ مِنْ ذُرَا هُ يَسِيرُ وَالْأَفْلَاكُ رَكْبُهُ
 قَالُوا: غَرِيبٌ بُورِكَ أَلْ غُرْبَاءُ لِلْغُرْبَاءِ حُبُّهُ
 هِيَ غُرْبَةُ الْأَخْرَارِ فِي مَلَكُوتِهَا يَزْتَاخُ قَلْبُهُ
 قَالُوا وَقِيلَ وَلَا يَنِي يَشْعَى وَعِنْدَ اللَّهِ غَيْبُهُ
 فَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا يُخْبِي فِي غَدٍ لِلْعَبْدِ رَبُّهُ^(٢)

* * * * *

(١) شَهْبُهُ: الشَّهْبُ: الجبل المرتفع يعلوه الثلج.

(٢) عمر بهاء الدين الأميري، ديوان قلب ورب، (١٢٣ - ١٢٦).

قَتَلْتُ هَوَى نَفْسِي فَعِشْتُ بِلَا نَفْسٍ

وَلِلَّهِ دُرُّ الْحَبِّ لِلَّهِ إِذْ يَقُولُ:

قَتَلْتُ هَوَى نَفْسِي فَعِشْتُ بِلَا نَفْسٍ
وَجَافَيْتُ أَنْسِي فَأَنَحَدَرْتُ إِلَى الْأُنْسِ
وَلَمْ أَبْدِ أَمْرِي لِلْعِبَادِ فَطَالَمَا
كَتَمْتُ الَّذِي أَلْقَى عَنِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ
وَأَذْرَكْتُ بِالْوَجْدَانِ سِرًّا أَحَبَّتِي
وَعَانَيْتُ آيَاتِ الْيَقِينِ بِلَا لَبْسِ
وَعِشْتُ زَمَانِي لَسْتُ أَخْفَلُ بِالْوَرَى
وَكَيْفَ وَقَلْبِي هَامَ فِي مَشْهَدِ الْقُدْسِ
وَعَلَّمْتُ غَيْرِي مَا أَفَادَ مِنَ الْهُدَى
فَلَمْ يَنْقُ دُوْهُ فَهَمٌ لَدَيَّ عَلَى طَمْسِ
إِذَا وَسَدَ النَّاسُ الْقُبُورَ فَإِنِّي
جَعَلْتُ التَّقَى وَالذِّكْرَ بَيْنَ الْوَرَى رُمْسِي
وَلَمْ أَخْشَ مِنْ بَأْسٍ وَلَمْ أَخْشَ طَاغِيَا
وَمَنْ يَخْشَ ذَاتَ اللَّهِ لَمْ يَرِ مِنْ بَأْسٍ
وَهَلْ غَيْرُ ذَاتِ اللَّهِ لِلنَّفْسِ مَطْلَبُ
حَرَامٍ سِوَى الرَّحْمَنِ يَدْخُلُ فِي نَفْسِي

وَتَوَجَّتْ بِالْقُرْآنِ نَفْسِي عَقِيدَةً
أُصُونُ بِهِ نَفْسِي عَنِ الزَّيْغِ وَالِدَسِّ
وَمَا اتَّخَذْتُ رُوحِي سِوَى اللَّهِ غَايَةً
فَتَمَّ الْهُدَى لِلرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْحِسِّ
وَإِنْ شَرِبَ النَّاسُ الطَّلَا فَتَصَبَّيُوا
فَسُنَّةُ خَلْقِ اللَّهِ فِي شُرْبِهَا كَأْسِي
وَإِنْ رَفَعَ الْمُتْرُونَ عُجْبًا رُءُوسَهُمْ
رَفَعْتُ بِذِكْرِ اللَّهِ فَوْقَ الْوَرَى رَأْسِي
وَإِنْ جَعَلُوا الشَّمْسَ اهْتِدَاءً لِيَوْمِهِمْ
جَعَلْتُ رِضَا رَبِّي وَآيَتِهِ شَمْسِي
وَإِنْ غَرَسُوا زَرْعًا لِنَيْلِ حَصَادِهِ
فَتَقَوَّى إِلَهُ الْعَرْشِ بَيْنَ الْوَرَى غَرْسِي
تَعَشَّقْتُ نُورَ اللَّهِ وَهُوَ بِصِيرَتِي
وَقَدْ وَضَحَ الْبُرْهَانُ مِنْ آيَةِ الْكُرْسِيِّ
وَمُذْ شَاهَدْتُ رُوحِي جَلَالَكَ وَازْتَقَّتْ
تَجَرَّدْتُ عَنْ مَعْنَايَ فِي عَالَمِ الْحِسِّ
أَحْبَبْتُ يَا رَبِّي مَحَبَّةَ مُوقِنٍ
وَمِنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ أَصْبَحُ أَوْ أُمْسِي
فَوَادِي قَدْ أَبْعَدْتُ عَنْ مَشْهَدِ الْوَرَى
فَطَهَّرَ فِي نَجْوَاكَ مِنْ ظُلْمَةِ الرَّجْسِ

أَطُوفُ عَلَى الْأَبْوَابِ قَلْبِي مُوجِعٌ
وَلَيْسَ سِوَى رُحْمَاكَ لِلْقَلْبِ مِنْ نِطْسٍ

وَأَعْدَمَنِي فِي الْحُبِّ عِلْمِي بِقَدْرِهِ
فَلَيْسَ غَرَامِي فِيهِ يُدْرِكُ عَنْ قَيْسٍ

وَلَمْ أَعْشِقِ الدُّنْيَا فَتِلْكَ مَجَازَةٌ
تُهَيِّئُ لِلْآخِرَى وَفِي فَوْتِهَا غَرْسِي

لِقَاؤِكَ يَا رَحْمَنُ عَيْدِي وَعُدَّتِي
وَنُورُكَ غَيْثِي وَهُوَ لِي فِي الْوَرَى أُنْسِي

وَبَحْرُكَ مِنْهُ قَدْ لَقِيتُ جَوَاهِرِي
بِشَاطِئِهِ سَفْنِي عَلَى لُجِّهِ غَطْسِي

وَطِيبُ الْوَرَى وَرَسٌ وَمِسْكٌ وَعَنْبَرٌ
وَطِيبِي مِنْ مَخْيَاكَ أَسْمَى مِنَ الْمَوَرِسِ

وَلَسْتُ مِنَ الدُّنْيَا أَمِيلُ إِلَى الْعَلَا
فَإِنَّ عُلَا الدُّنْيَا لِأَصْحَابِهِ يُنْسِي

أُمَتِّعُ أَعْضَائِي بِذِكْرِكَ دَائِمًا
وَهَلْ غَيْرُ ذِكْرِ اللَّهِ يَسْكُنُ فِي نَفْسِي

وَكُلُّ رَجَائِي أَنْ أُحِبَّكَ صَادِقًا
إِذِ الصَّدْقُ فِي الْوُجْدَانِ مَرْتَبَةُ الْقُدْسِ

وَمَا فَضْلُهُ وَقَفَّ عَلَى أَيِّ عَالِمٍ
وَحَقُّكَ مَا خُذَّ الْعَطَاءُ عَلَى جِنْسٍ
إِذَا رَضِيَ الرَّحْمَنُ عَنْ قَلْبِ عَبْدِهِ
جَرَتْ مَرْكَبُ الْأَقْدَارِ مَعَهُ عَلَى الْيُسْرِ
تَخَلَّ وَلَا تَحْفَلُ بِجِنٍّ وَلَا إِنْسٍ
وَعِشْ فِي هَوَى الرَّحْمَنِ تَسْعُدُ بِالْأُنْسِ
وَأَقْبَلْ عَلَى مَوْلَاكَ بِالْقَلْبِ مَخْلِصًا
وَأَسْلَمْ وَسَلَّمْ وَاتَّجِهْ طَالِبَ الْقُدْسِ
وَاخْذُ لَكَ بِالْإِيمَانِ أَصْدَقَ وَجْهَةً
وَطَهِّرْ بِهَا نَفْسًا عَنِ الْغَيِّ وَالرُّجْسِ
تَجَرَّدْ تَجَرَّدَ مَوْلَاكَ أَكْبَرَ نَاصِرٍ
وَفُوضْ لَهُ مَا كَانَ فِي الْغَدِ وَالْأَمْسِ
حَيَاةُ الْوَرَى حُلُوٌّ وَمُرٌّ وَإِنَّمَا
حَلَا الْمَرْءُ بِالتَّوْحِيدِ مِنْ رِقَةِ الْحَسِّ
وَمَنْ لَا يَرَى إِلَّا إِلَهَهُ مُرَادَهُ
حَرَامٌ عَلَيْهِ الْخَوْضُ فِي الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ
وَمَنْ يَتَعَشَّقُ نُورَهُ وَجَلَالَهُ
فَلَيْسَ لَهُ التَّشْبِيبُ بِالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
وَإِنَّكَ لَوْ عَظَّمْتَ دِينَكَ عَالِمًا
وَعَامَلْتَ بِالْحُسْنَى وَأَدْبَتَ لِلنَّفْسِ

وَكُنْتُ عَلَى الْأَخْدَاتِ بِاللَّهِ رَاضِيًا
سَوَاءً عَلَيْكَ الْمَوْتُ أَوْ سَاعَةُ الْعُرْسِ

سَعِدْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِرَبِّكَ مُحَسِّنًا
وَنِلْتُ مِنَ الْأُخْرَى عَطَاءً بِلَا بَخْسِ

يَقُولُونَ لِي مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ مُوَحِّدٌ
إِلَى رَبِّهِ يَسْعَى وَلَمْ يَرِ مِنْ بَأْسِ

إِذَا قِيلَ لِي اطْلُبْ قُلْتُ رَبِّي مَطْلَبِي
وَإِنْ قِيلَ لِي اشْرَبْ قُلْتُ أَنْوَاؤُهُ كَأْسِي

وَكُلُّ عَهْدٍ قَدْ تَنَكَّسَ أَضْلَاهَا
وَلَكِنْ عَهْدَ اللَّهِ بَاقٍ بِلَا طَمَسِ

سَلُونِي عَنِ الْعُشَاقِ قَدْ دُقْتُ حُبَّهُمْ
وَإِنِّي لَهُمْ رَأْسٌ إِذَا كَانَ مِنْ رَأْسِ

وَمَا هُمْ سِوَى أَعْضَاءِ جِسْمِي وَبَرَّتِي
أَصَافِحُهُمْ مَا شِئْتُ لَكِنْ بِلَا لَمَسِ

وَمَا حِيلَتِي إِلَّا انْكِسَارِي فِي الْحِمَى
وَإِنَّ انْكِسَارَ الْقَلْبِ يَكْشِفُ عَنْ قُدْسِي

وَحُلُوُّ الْهَوَى عِنْدِي لِقَاءُ أَحَبَّتِي
وَمُرُّ الْهَوَى عِنْدِي وَفِي هَجْرِهِمْ تَعْسِي

وَأَعْرِفُ رَحْمَانِي وَأُذْرِكُ عَفْوَهُ
وَأَنْهَضُ مَعْتَرًا وَمَا أَنَا بِالنَّسِي

وَأِنْ جِبَالَ الْوَجْدِ تَزْبُطُ مُهْجَتِي
وَقَلْبِي بِحَبِّ اللَّهِ يَغْبِقُ كَالْوَرَسِ
وَأِنْ كُنْتُ فِي سَعْدٍ فَذَلِكَ فَضْلُهُ
وَأِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ سَادَةِ الْعَرَبِ وَالْفُرْسِ
فَقُلْ لِلَّذِي يُزْجِي الشَّرَاعَ دَعِ الْكَرَى
تَجِدْ سُفْنَ الْإِحْسَانِ تَجْرِي عَلَى الْيَسْرِ
وَسِرْ مُوقِنًا أَنَّ الْإِجَابَةَ لِلْهَوَى
إِذَا مَا دَعَا الدَّاعِيَ وَلَا تَكُ فِي حَدْسٍ
فَكُلُّ الَّذِي تَرَاهُ وَالْكُونُ خَلْقُهُ
وَمَا نَفَعَ التَّفْرِيقُ بِالنُّوعِ وَالْجِنْسِ
حَسِبْتُ الْهَوَى سَهْلًا فَخُضْتُ عِبَابَهُ
فَطَوَّرًا بِهِ أَطْفُو وَطَوَّرًا بِهِ غَطْسِي
إِلَى أَنْ أَتَشِي مِنْ لَدُنْهُ عِنَايَةً
وَصَلْتُ بِهَا بَرَّ السَّلَامَةِ وَالْأُنْسِ^(١)

* * * * *

● ورحم الله من قال:

أَحْسُ بِأَطْرَافِ النَّهَارِ صَبَابَةً وَفِي اللَّيْلِ يَدْعُونِي الْهَوَى فَأُجِيبُ

(١) للشيخ: علي عقل.

وَأَيَّامُنَا تَفْنَى وَشَوْقِي زَائِدٌ كَأَنَّ زَمَانَ الشَّوْقِ لَيْسَ يَغِيبُ

● وما أجمل قول القائل:

لَا كَانَ مَنْ لِسَوَاكَ فِيهِ بَقِيَّةٌ فِيهَا يُقَسَّمُ فِكْرُهُ وَيَسْوَسُ

● وقول المحب:

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرِكَ تَشْغُلُهَا عَنِ الطَّعَامِ وَتُلْهِمُهَا عَنِ الزَّادِ

* * *

المُحِبُّونَ لِلَّهِ

قَوْمٌ تَخَلَّلَهُمْ زَهْوٌ بِسَيِّدِهِمْ وَالْعَبْدُ يَزْهُو عَلَى مِقْدَارِ مَوْلَاهُ
تَاهُوا بِحُبِّهِمْ عَمَّنْ سِوَاهُ لَهُ يَا حُسْنَ رُؤْيَتِهِمْ فِي حُسْنِ مَا تَاهُوا

● وقول القائل:

بَدَمِ الْحُبِّ يُبَاعُ وَصْلُهُمْ فَمَنْ الَّذِي يَبْتَاعُ بِالثَّمَنِ

● وقول المحب:

أَنْتَ الْقَتِيلُ بِكُلِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ
فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مَنْ تَصْطَفِي

● وقول الآخر:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي
حُبًّا لَهُ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ

● وقول القائل:

أُحِبُّ حَبِيبًا لَا أَعَابُ بِحُبِّهِ
وَأُحِبُّكُمْ مَنْ فِي سِوَاهُ غُيُوبِ

● وقول القائل:

وَحَسْبِي انْتِسَائِي مِنْ بَعِيدِ إِلَيْكُمْ وَذَلِكَ حِطٌّ مِثْلُهُ يُتَيَمَّمُ
إِذَا قِيلَ هَذَا عَبْدُهُمْ وَمُحِبُّهُمْ تَهَلَّلَ بِشْرًا ضَاحِكًا يَتَبَسَّمُ

● ولله درُّ من يقول:

إِذَا كَانَ حُبُّ الْهَائِمِينَ مِنَ الْوَرَى
يَلِيلَى وَسُعْدَى يَسْلُبُ اللَّبَّ وَالْعَقْلَا
فَمَاذَا عَسَاهُ يَصْنَعُ الْهَائِمُ الَّذِي
سَرَى قَلْبُهُ شَوْقًا إِلَى الْعَالَمِ الْأَعْلَى

* * * * *

● ولله در القائل:

فَدَاخَلَ هُمُ الْقَوْمِ لِلْخَلْقِ وَخَشَةً
فَصَاحَ بِهِمْ أَنَسُ الْجَلِيلِ إِلَى الذُّكْرِ
فَأَجْسَادُهُمْ فِي الْأَرْضِ هَوْنًا مَقِيمَةً
وَأَزْوَاحُهُمْ تَسْرِي إِلَى مَعْدِنِ الْفَخْرِ
فَهَذَا نَعِيمُ الْقَوْمِ إِنْ كُنْتَ تَبْتَغِي
وَتَعْقِلُ عَنْ مَوْلَاكَ آدَابَ ذِي الْقَدْرِ

* * * * *

● ولله در القائل:

أُمْسِي وَأَصْبَحُ مِنْ تَذْكَارِكُمْ قَلَقًا يَزُثِي لِي الْمُشْفِقَانِ الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ
قَدْ حَدَدَ الدَّمْعُ خَدِّي مِنْ تَذْكَرِكُمْ وَاعْتَادَنِي الْمُضْنِيَانِ الشَّوْقُ وَالْكَمَدُ
وَعَابَ عَنْ مُقْلَتِي نَوْمِي فَنَافَرَهَا وَخَانَنِي الْمُسْعِدَانِ الصَّبْرُ وَالْجَلَدُ

لا غَرَوَ لِلدَّمْعِ أَنْ تَجْرِيَ غَوَارِبُهُ وَتَحْتَهُ الْخَافِقَانِ الْقَلْبُ وَالْكَبِدُ
كَأَنَّمَا مُهْجَتِي نِضْوٌ بِبَلْقَعَةٍ يَغْتَاذُهُ الضَّارِيَانِ الذُّبُّ وَالْأَسَدُ
لَمْ يَتَّقْ إِلَّا خَفِيَّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدٍ فِدَاؤُكَ الْبَاقِيَانِ الرُّوحُ وَالْجَسَدُ

* * * * *

● ولله در القائل:

يَا مَنْ يُذَكِّرُنِي بِعَهْدِ أَحِبَّتِي
طَابَ الْحَدِيثُ بِذِكْرِهِمْ وَيَطِيبُ
أَعِدِ الْحَدِيثَ عَلَيَّ مِنْ جَنَابِهِ
إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْحَبِيبِ حَبِيبُ
مَلَأَ الضُّلُوعَ وَقَاضَ عَنْ أَجْنَابِهَا
قَلْبٌ إِذَا ذَكَرَ الْحَبِيبُ يَذُوبُ
مَا زَالَ يَخْفِقُ ضَارِبًا بِجَنَاحِهِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَطِيرُ قُلُوبُ

* * * * *

ولله در القائل:

خَطَرَاتُ ذِكْرِي تَسْتَشِيرُ مَوَدَّتِي وَأُحْسُ مِنْهَا فِي الْفُؤَادِ دَبِينَا
لَا عِصْرَ لِي إِلَّا وَفِيهِ مَحَبَّةٌ فَكَأَنَّ أَعْصَائِي خُلِقْنَ قُلُوبًا

* * * * *

أَيُّهَا الْمَعْرِضُ عَنِ الْحَبِيبِ الْوَدُودِ

أَيَا صَاحِ هَذَا الرِّكْبِ قَدْ سَارَ مُسْرِعًا^(١)

أَيَا صَاحِ هَذَا الرِّكْبِ قَدْ سَارَ مُسْرِعَا ونحنُ قعودٌ ما الَّذِي أَنْتَ صَانِعُ
 أَتَرْضَى بِأَنْ تَبْقَى الْخُلْفَ بَعْدَهُمْ صَرِيحَ الْأَمَانِي وَالْغَرَامِ يُنَازِعُ
 وَهَذَا لِسَانُ الْكُونِ يَنْطِقُ جَهْرَةً بِأَنْ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ قَوَاطِعُ
 وَأَنْ لَا يَرَى وَجْهَ السَّبِيلِ سِوَى أَمْرِي رَمَى بِالسَّوَى لَمْ تَخْتَدِعْهُ الْمَطَامِعُ
 وَمَنْ أَبْصَرَ الْأَشْيَاءَ وَالْحَقُّ قَبْلَهَا فَغَيْبَ مَصْنُوعًا بِمَنْ هُوَ صَانِعُ
 بِوَادِهِ أَنْوَارٍ لِمَنْ كَانَ ذَاهِبًا وَتَحْقِيقُ أَسْرَارٍ لِمَنْ هُوَ رَاجِعُ
 قُمْ وَانْظُرِ الْأَكْوَانَ وَالثُّورَ عَمَّهَا فَفَجَّرُ التَّدَانِي نَحْوَكَ الْيَوْمَ طَالِعُ
 وَكُنْ عَبْدُهُ أَلْقِ الْقِيَادَ لِحُكْمِهِ وَإِيَّاكَ تَدْبِيرًا فَمَا هُوَ نَافِعُ
 أَتُحْكِمُ تَدْبِيرًا وَغَيْرُكَ حَاكِمَ أَنْتَ لِأَحْكَامِ الْإِلَهِ تُنَازِعُ
 فَمَحُو إِزَادَاتٍ وَكُلُّ مَشِئَةٍ هُوَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى فَهَلْ أَنْتَ سَامِعُ
 كَذَلِكَ سَارَ الْأَوَّلُونَ فَأَذْرَكُوا عَلَى إِثْرِهِمْ فَلَيْسَ مَنْ هُوَ تَابِعُ
 عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْبِكَ مَنْ كَانَ طَالِبًا وَمَا لَمَسْتُ مِنْ يُحِبُّ لَوَامِعُ

(١) لابن عطاء الله السَّكَنْدَرِي.

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكْ مَنْ كَانَ بَاكِيًا أَيَذْهَبُ وَقْتُ وَهُوَ بِاللَّهِوِ ضَائِعُ

قَالَ الشَّاعِرُ:

عِبَادُ أَعْرِضُوا عَنَّا بِلا جُزْمٍ وَلَا مَعْنَى
أَسَاءُوا ظَنُّهُمْ فِينَا فَهَلَّا أَحْسَنُوا الظَّنَّ
فَإِنْ خَانُوا فَمَا نُحْنَا وَإِنْ عَادُوا فَقَدْ عُذْنَا
وَإِنْ كَانُوا قَدْ اسْتَفْنَوْا فَإِنَّا عَنْهُمْ أَغْنَى

* * * *

أَيُّهَا الْمُغْرِضُ عَنْهُمْ

تَطْوِي الْمَرَاكِجَ عَنْ حَبِيبِكَ دَائِبًا وَتَظَلُّ تَبْكِيهِ بِدَمْعٍ سَاجِمٍ
كَذَّبْتُكَ نَفْسُكَ لَسْتَ مِنْ أَحِبَّائِهِ تَشْكُو الْبِعَادَ وَأَنْتَ عَيْنُ الظَّالِمِ

* * * * *

● أَيُّهَا الْمُغْرِضُ:

أَيُّهَا الْمُغْرِضُ عَنَّا إِنَّ إِعْرَاضَكَ مِنَّا
لَوْ أَرَدْنَاكَ جَعَلْنَا كُلَّ مَا فِيكَ يُرَدُّنَا

* * * * *

● أَيُّهَا الْمُغْرِضُ:

أَتَتْرُكُ مَنْ تُحِبُّ وَأَنْتَ جَارٌ وَتَطْلُبُهُمْ إِذَا بَعْدَ الْمَزَارِ
تَرَكْتَ سُؤَالَهُمْ وَهُمْ حُضُورٌ وَتَزُجُّو أَنْ تُحَبِّرَكَ الدِّيَارِ
فَنَفْسُكَ لَمْ وَلَا تَلِمِ الْمَطَايَا وَمَتَّ كَمَدًا فَلَيْسَ لَكَ اعْتِدَارُ

● أَيُّهَا الْمُغْرِضُ:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا فَارَقْتَهُ عِوَضٌ وَلَيْسَ لِلَّهِ إِنْ فَارَقْتَ مِنْ عِوَضٍ

* * * * *

يَا لَاهِيَا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى صَرِيْعًا عَلَى فُرْشِ الرَّدَى يَتَقَلَّبُ
تَأْمَلُ - هَذَاكَ اللَّهُ - مَا تَمَّ وَانْتَبِهْ فَهَذَا شَرَابُ الْقَوْمِ حَقًّا يُرَكَّبُ

وَتَرَكِيهٖ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِنْ تَفُتْ فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْمَيِّتَةِ مَطْلَبُ
فَيَا عَجَبًا مَنْ مُعْرِضٍ عَنْ حَيَاتِهِ وَعَنْ خَطِّهِ الْعَالِي وَيَلْهُو وَيَلْعَبُ
وَلَوْ عَلِمَ الْحَرُومُ أَيَّ بَضَاعَةٍ أَضَاعَ لِأَمْسَى قَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
وَيَعْجَبُ مِمَّنْ بَاعَ شَيْئًا بِدُونِ مَا يُسَاوِي بِلَا عِلْمٍ وَأَمْرٍ أَعْجَبُ
لَأَنَّكَ قَدْ بَعْتَ الْحَيَاةَ وَطَيْبَهَا بِلَذَّةِ حُلْمٍ عَنْ قَلِيلٍ سِيْذَهَبُ
تَصُدُّ وَتَنَأَى عَنْ حَبِيبِكَ دَائِمًا فَأَيْنَ عَنِ الْأَحْبَابِ وَيَحْكُ تَذْهَبُ
سَتَعْلَمُ يَوْمَ الْحَشْرِ أَيَّ تِجَارَةٍ أَضَعْتَ إِذَا تِلْكَ الْمَوَازِينُ تُنْصَبُ

* * * * *

أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَنِ الْمَلِكِ الْوَدُودِ

مُتَّ عَلَى مَنْ غَبَتَ عَنْهُ أَسْفَا لَسْتُ عَنْهُ بِمُصِيبٍ خَلَفَا
لَنْ تَرَى قُرَّةَ عَيْنٍ أَبَدًا أَوْ تَرَى نَحْوَهُمْ مُنْصَرَفَا

* * * * *

كَمْ يَبْنِيكَ وَبَيْنَ الْحَيِّينَ

وَصَلُّوا إِلَى مَوْلَاهُمْ وَبَقِينَا وَتَنَعَّمُوا بِإِلْقَائِهِ وَشَقِينَا
ذَهَبَتْ شَبِيبَتُنَا وَضَاعَ شَبَابُنَا وَدَنَتْ مَيِّتُنَا فَمَنْ يُنْجِينَا
فَتَجَمَّعُوا أَهْلَ الْقَطِيعَةِ وَالْجَفَا نَبْكِي شُهُورًا قَدْ مَضَتْ وَسِينَا

* * * * *

انْظُرْ إِلَى قَوْلِ مَخْلُوقٍ لِمَخْلُوقٍ

فِي قُرْبِنَا نَيْلُ الْمُنَى فَتَبَّهُوا يَا غَافِلِينَ
عَجَبًا لِقَوْمٍ أَعْرَضُوا عَنَّا وَقَوْمٍ وَّاصِلُونَ
نَقَضُوا الْعَهْدَ وَبَارَزُونَا بِالصُّدُودِ وَكَاشَفُونَا
وَاسْتَعَذَّبُوا طَعْمَ الْقَطِيعَةِ وَالْجَفَا حَتَّى نَسُونَا
يَا وَيْحَهُمْ لَوْ قَدْ درُوا مَا فَاتَهُمْ لاسْتَعْظَفُونَا

* * * * *

فَمَا ظَنُّكَ أَيُّهَا الْمَغْرُضُ عَنْ سَيِّدِكَ مَا قَدَرِ سَيِّدِكَ

لَا أُوفِي الْقَلْبَ حَقَّهُ

غَضَبِي عَلَى نَفْسِي لِأَنِّي لَا أُوفِي الْقَلْبَ حَقَّهُ
أَرْضَى الْخُمُولَ لَهُ وَأَهْمِلُ شَوْقَهُ وَأَعْقُ ذَوْقَهُ
أَحْيَا، كَأَن لَّا قَلْبَ لِي يَهْوِي الْجَمَالَ يَذُوبُ رِقَّهُ
وَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ صَا غَ مِنْ السَّنَا وَالْعِشْقِ خَفَقَهُ
فَلَوْ أَنْطَلَقْتُ بِهِ لَخَلَقَ بِي وَحَلَقَ دُونَ رِبْقَهُ
فَسَمَوْتُ عَنْ أَفْقِ الثَّرَى وَعَدَوْتُ مِعْرَاجِي وَأُفْقَهُ
لَكِنْ غَلَلْتُ خُطَا حَيَا تِي وَأَسْتَرَحْتُ إِلَى الْمَشَقَّةِ
وَرَبَطْتُ نَفْسِي بِالرَّحَى وَدَقَقْتُ قَلْبِي شَرَّ دَقَّةِ

وَزَعَمْتُ أَنَّ الدَّهْرَ أَوْ ثَقَنِي لِأَحْمَلِ عَنْهُ وَسَقَهُ
 وَأَحْزَقْتَنِي نَفْسِي عَلَى نَفْسِي جَنَتْ فَالْعُمْرُ حُرْقَهُ
 يَا عَبْدَ خَلْقِ الْعَوَا لِمَ أَنْتَ أَنْتَ الْحُرُّ فَافْقَهُ
 أَنْتَ الْخَلِيفَةُ إِنَّمَا لِمَدَى وَقَدْ كُؤُنْتَ وَفَقَهُ
 يَتَسَلَّلُ الدُّورَانِ فِيهِ وَأَنْتَ فِي الدُّورَانِ خَلَقَهُ
 فَأَعْرِفْ حُدُودَكَ وَهِيَ مَعِ رَاجٍ فَسِيحُ الْبُؤُونِ وَأَزَقَهُ
 وَالْعَقْلُ مِيزَانُ النُّهَى حَكْمُهُ وَأَقْبَسُ مِنْهُ صِدْقَهُ
 وَالْقَلْبُ عَافِيَةُ الْكِيَا نِ وَلَيْسَ يَرْضَى الْعَقْلُ حَقَقَهُ
 طَهَّرَهُ بِالتَّقْوَى وَدَغَ لَهُ بِوَجْدِهِ لِبَرٍّ عِشْقَهُ
 أَطْلَقَهُ يُطْلِقُ عَنْ خُطَا كَ قُيُودَهَا فَتُفِذُ طَلْقَهُ
 فَخُطَاكَ أَنْتَ جَعَلْتَهَا بِخُطَاكَ تَمْضِي مُسْتَرْقَهُ
 وَالْقَلْبُ إِنْ حَرَزْتَهُ لِلَّهِ تَنْجُ مِنَ الْمَعَقَةِ
 هُوَ مُضْغَةٌ لَكِنْ صَلا حُكَّ فِيهِ إِنْ أَدْرَكْتَ عُمَقَهُ
 وَجَلَوْتَ جَوْهَرَهُ فَأَشْ رَقَ بِالسَّنَا وَأَشْتَقْتَ شَوْقَهُ
 دَقَّائِهِ ذِكْرٌ صَمُو ثٌ نَاطِقٌ فِي كُلِّ دَقِّهِ
 بِالْحَمْدِ بِالتَّقْدِيسِ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ حَفَّ خَلْقَهُ
 بِاللُّطْفِ بِالْآلَاءِ بِالْإِحْكَامِ وَالْحِكْمِ الْحَقِّهِ
 بَرَأَ الْعَوَالِمَ وَالْخَلَا يُقَ خِلْقَةً فِي إِثْرِ خِلْقَتِهِ
 وَجَعَلْتَ يَا إِنْسَانُ أَكْرَمَ خَلْقِهِ لَا فَوْقَ فَوْقَهُ

تَشْكُو الضَّنَى وَغُرُورُكَ الدَّاءَ الْعِيَاءُ فَدَعَهُ تَنْقَهُ
وَأَقِمَّ وَجُودَكَ فِي «الْوَجُودِ» دِ الْكُلِّ فِي بَصَرٍ وَدِقَّةِ
وَأَنْبَ لِرَبِّكَ وَالتَّزِمَ حُرًّا بِهِ مَا عِشْتَ رِقَّةِ
فَالْكَوْنُ كَوْنُكَ بِأَسْمِهِ مُلْكَتُهُ وَحُبَيْتَ رِزْقَهُ
وَبَدُونِهِ لَا شَيْءَ أَنْ تَ وَلَا تُسَاوِي وَزْنَ بَقَّةِ
فَأَعْرِفْ لِنَفْسِكَ قَدْرَهَا حَقًّا وَوَفَّ الْقَدْرَ حَقَّهُ
بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَالْمَنَى سَبَقُ فُلُو بَادَرْتَ سَبَقَهُ
فَالْأَمْرُ مَا بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَالْمَنَى نَفْسٌ وَشَقَّةُ^(١)

* * * * *

(١) قصيدة «عافية الكيان» من ديوان «قلب ورتب» للأُميري.

قُطِيرَةٌ

أَنَا أَقُولُ أَنَا مَاذَا أَكُونُ أَنَا
يَجْرِي بِي الْمَوْجُ فِي رَهْوٍ فِي صَحْبٍ
لَا بَلْ أَنَا قُدْرَةٌ تَحْيَا إِرَادَتِهَا
فَقَدْ تَكُونُ الدُّنَا بِي مَرَّةً خَلَكًا
عَمَرْتُهَا فَهِيَ دُونِي لَا حَيَاةَ لَهَا
وَمَا عَلَيَّ وَقَدْ صُوِّرْتُ مِنْ حَمَاءٍ
حِينَآ وَحِينَآ وَحَسْبِيَ الرُّوحُ قَدْ نُفِخَتْ
فَضَمَّ قَلْبِي بَرَايَا اللَّهِ قَاطِبَةً
لَكِنَّ عَزَمِي بِسِرِّ الْكَوْنِ مُزْتَهَنٌ
وَكَمْ سَعَيْتُ وَأَمُرُّ اللَّهِ يُمَسْكِنِي
قُطِيرَةٌ أَنَا لَكِنِّي الْخِصْمُ إِذَا
وَمَا الْبَحَارُ وَهَادِيهَا وَأَطْلُسُهَا
أَنَا الْخَلِيفَةُ جَلَّ الشَّأْنُ وَأَنْطَلَقْتُ
وَإِنَّ لِي مُنْذُ أَنْ قِيلَ «أَهْبِطُوا» نَصَبًا
مُرَزًّا صَابِرٌ أَمْضِي عَلَى أَمَلٍ

قُطِيرَةٌ طَوَّقَتْهَا غَمْرَةُ الشَّبَجِ
مَدًّا وَجَزْرًا فَتَهْجُ الْمَوْجِ مُنْتَهَجِي
لَوْلَا الْإِرَادَةُ لَمْ أَخْرَجْ وَلَمْ أَلِجْ
وَقَدْ تَكُونُ سِرَاجًا جَلَّ فِي الشَّرْجِ
أَنَا الْحَيَاةُ أَنَا تَهْوِيْمَةُ الْوَهْجِ
إِذَا أَلَمْتُ بِنَفْسِي فَوْرَةُ الرَّهْجِ
فِي هَيْكَلِي وَحَبَشَنِي مُهْجَةُ الْمُهْجِ
وَمَدَّ عَقْلِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِالْحُجْجِ
فَاللَّهُ يَطْوِي لَيَالِهِ بِمُنْبَلَجِي
وَكَمْ وَصَلْتُ بِلَا لَأْيٍ وَلَا حَرْجِ
دَرَجْتُ فِيمَا يُرِيدُ اللَّهُ مِنْ دَرَجِ
إِلَّا الْقُطَيْمَانِ قَدْ آلَتْ إِلَى لُجْجِ
مِنْهُ الرِّسَالَاتُ تَمْضِي بِالْهُدَى وَتَجِي
لَا يَنْتَهِي وَوَعَى فِي كُلِّ مُنْفَرَجِ
لَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ أَمْرِي إِلَى الْفَرَجِ^(١)

* * * * *

هَذَا خَلَقُ اللَّهِ

﴿هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾

أَنْظُرْ إِلَى صَفْحَةِ الْكَوْنِ

لِلَّهِ مَا أَحْلَاهَا وَأَرْزَقَهَا وَأَرْوَعَهَا وَأَعَمَّقَهَا مِنْ قَصِيدَةٍ

خَرَجَتْ مِنَ الْقَلْبِ فَتُقَشَّتْ عَلَى الْقُلُوبِ

إِعْطَاؤُهَا كَثِيرٌ، مَعَانِيهَا غَالِيَةٌ، ثِمَارُهَا طَيِّبَةٌ مُبَارَكَةٌ

جَزَى اللَّهُ نَازِلَهَا فَضْلِيَةَ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ عَلِيٍّ بَدْيُوي

عميد معهد الإسكندرية الديني، ورئيس جمعية الشبان المسلمين بدمنهور

خير الجزاء، وَرَحِمَهُ اللَّهُ.

وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِدَقَّاتِ الْقَلْبِ تَكَادُ تَنْطِقُ وَتَتَرْتَّمُ بِكُلِّ يَتٍّ مِنْ أُنْيَاتِهَا:

بِكَ أَسْتَجِيرُ وَمَنْ يُجِيرُ سِوَاكَ

بِكَ أَسْتَجِيرُ وَمَنْ يُجِيرُ سِوَاكَ فَأَجِرْ ضَعِيفًا يَحْتَمِي بِحِمَاكَ

إِنِّي ضَعِيفٌ أَسْتَعِينُ عَلَى قُوَى ذَنْبِي وَمَعْصِيَتِي يَبْغِضُ قُورَاكَ

أَذْنَبْتُ يَارَبُّي وَأَذْنَبِي ذُنُوبٌ مَا لَهَا مِنْ غَافِرٍ إِلَّاكَ

دُنْيَايَ غَرَّتْنِي وَعَفْوُكَ غَرَّنِي مَا حِيلَتِي فِي هَذِهِ أَوْ ذَاكَ

لَوْ أَنَّ قَلْبِي شَكَّ لَمْ يَكُ مُؤْمِنًا بِكَرِيمٍ عَفْوُكَ مَا غَوَى وَعَصَاكَ

يَا مُدْرِكَ الْأَبْصَارِ وَالْأَبْصَارُ لَا تَدْرِي لَهُ وَلَكِنَّهُ إِذْرَاكَ
 أَتَرَكَ عَيْنٌ^(١) وَالْعُيُونُ لَهَا مَدَى مَا جَاوَزَتْهُ وَلَا مَدَى لِمَدَاكَ
 إِنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنِي تَرَكَ فَإِنِّي فِي كُلِّ شَيْءٍ أَسْتَبِينُ عِلَاكَ

* * * * *

يَا مُنِيتِ الْأَزْهَارِ عَاطِرَةَ الشَّدَا هَذَا الشَّدَا الْفَوَاحِ نَفْعُ شَدَاكَ
 يَا مُزِيلَ الْأَطْيَارِ تَصَدَّخُ فِي الرُّبَا صَدَحَاتُهَا تَسْبِيحَةٌ^(٢) لِعِلَاكَ
 يَا مُجْرِيَ الْأَنْهَارِ مَا جَرَيَانُهَا إِلَّا أَنْفِعَالَةٌ قَطْرَةٍ لِنَدَاكَ

* * * * *

رَبَّاهُ هَانَدَا خَلِصْتُ مِنَ الْهَوَى وَاسْتَقْبَلَ الْقَلْبُ الْخَلِيَّ هَوَاكَ
 وَتَرَكْتُ أَنْسِي بِالْحَيَاةِ وَلَهْوَهَا وَلَقِيتُ كُلَّ الْأَنْسِ فِي نَجْوَاكَ
 وَنَسِيتُ حُبِّي وَاعْتَزَلْتُ أَحِبَّتِي وَنَسِيتُ نَفْسِي خَوْفَ أَنْ أَنْسَاكَ
 ذُقْتُ الْهَوَى مُرًا وَلَمْ أَذُقِ الْهَوَى يَا رَبِّ حُلُوهَا قَبْلَ أَنْ أَهْوَاكَ
 أَنَا كُنْتُ يَا رَبِّي أَسِيرَ غِشَاوَةٍ رَأَيْتُ عَلَى قَلْبِي فَضْلَ سَنَاكَ
 وَالْيَوْمَ يَا رَبِّي مَسَحْتُ غِشَاوَتِي وَبَدَأْتُ بِالْقَلْبِ الْبَصِيرِ أَرَاكَ
 يَا غَافِرَ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَقَابِلًا لِلتَّوْبِ قَلْبٌ تَائِبٌ نَاجَاكَ

(١) أي: في دار الدنيا؛ فمذهب أهل السنة والجماعة رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

(٢) في الأصل: صدحاتها إلهام موسيقاكا، فغَيَّرْتُهَا نَصْحًا لِقَائِهَا.

أَتَرُدُّهُ وَتَرُدُّ صَادِقَ تَوْبَتِي حَاشَاكَ تَرْفُضُ تَائِبًا حَاشَاكَ
يَا رَبِّ جِئْتُكَ نَادِمًا أَبْكِي عَلَى مَا قَدَّمْتُهُ يَدَايَ لَا أَتْبَاكَ
أَخْشَى مِنَ الْعَرُضِ الرَّهِيْبِ عَلَيْكَ يَا رَبِّي وَأَخْشَى مِنْكَ إِذَا أَلْقَاكَ

* * * * *

يَا رَبِّ عُدْتُ إِلَى رِحَابِكَ تَائِبًا مُسْتَسْلِمًا مُسْتَمْسِكًا بِعُرَاكَ
مَا لِي وَمَا لِلْأَغْنِيَاءِ وَأَنْتَ يَا رَبُّ الْغَنِيِّ وَلَا يُحَدُّ غِنَاكَ
مَا لِي وَمَا لِلْأَقْوِيَاءِ وَأَنْتَ يَا رَبِّي وَرَبُّ النَّاسِ مَا أَقْوَاكَ
مَا لِي وَأَبْوَابِ الْمُلُوكِ وَأَنْتَ مَنْ خَلَقَ الْمُلُوكَ وَقَسَمَ الْأَمْلَاكَ
إِنِّي أَوَيْتُ لِكُلِّ مَأْوَى فِي الْحَيَا ةِ فَمَا رَأَيْتُ أَعَزَّ مِنْ مَأْوَاكَ
وَتَلَمَّسْتُ نَفْسِي السَّبِيلَ إِلَى النِّجَا ةِ فَلَمْ تَجِدْ مَنْجًى سِوَى مَنْجَاكَ
وَبَحَنْتُ عَنْ سِرِّ السَّعَادَةِ جَاهِدًا فَوَجَدْتُ هَذَا السِّرَّ فِي تَقْوَاكَ
فَلْيَرُضْ عَنِّي النَّاسُ أَوْ فَلْيَسْخَطُوا أَنَا لَمْ أَعُدْ أَسْعَى لِغَيْرِ رِضَاكَ
أَدْعُوكَ يَا رَبِّي لِتَغْفِرَ حَوْبَتِي وَتُعِينَنِي وَتُمَدِّنِي بِهَذَاكَ
فَاقْبَلْ دُعَائِي وَاسْتَجِبْ لِرِجَاوَتِي مَا خَابَ يَوْمًا مَنْ دَعَا وَرَجَاكَ

* * * * *

يَا رَبُّ هَذَا الْعَصْرُ أَلْحَدَ عِنْدَمَا سَخَّرْتَ يَا رَبِّي لَهُ دُنْيَاكَ
عَلَّمْتَهُ مِنْ عِلْمِكَ النَّوَوِيِّ مَا عَلَّمْتَهُ فَإِذَا بِهِ عَادَاكَ

مَا كَادَ يُطْلِقُ لِلْعَلَا صَارُوحَهُ
 وَاعْتَرَّ حَتَّى ظَنَّ أَنَّ الْكَوْنَ فِي
 أَوْ مَا دَرَى الْإِنْسَانُ أَنَّكَ لَوْ أَرَدْتَ
 لَوْ شِئْتَ يَا رَبِّي هَوَى صَارُوحَهُ
 يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَهْلًا وَاتِّعَدَ
 وَاسْجُدَ لِمَوْلَاكَ الْقَدِيرِ فَإِنَّهَا
 اللَّهُ مَا زَكَ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ
 أَقْبَانُ هَذَاكَ بِعِلْمِهِ لِعَجِيبَةٍ
 إِنَّ النُّوَاةَ وَلِكثُرُونَ الْتَبَى
 مَا كُنْتَ تَقْوَى أَنْ تُفْتَتَ ذَرَّةً
 كُلُّ الْعَجَائِبِ صَنَعَةُ الْعَقْلِ الَّذِي
 وَالْعَقْلُ لَيْسَ بِمُدْرِكٍ شَيْئًا إِذَا
 لِلَّهِ فِي الْأَفَاقِ آيَاتٌ لَعَلَّ
 وَلَعَلَّ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ آيَاتِهِ
 وَالْكَوْنُ مَشْحُونٌ بِأَسْرَارٍ إِذَا
 قُلُوبُ لِلطَّبِيبِ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى
 حَتَّى أَشَاحَ بِوَجْهِهِ وَقَلَاكَ
 يُمْنَى بَنِي الْإِنْسَانِ لَا يُمْنَاكَ
 تَ لَظَلَّتِ الذَّرَاتُ فِي مَخْبَاكَ
 أَوْ لَوْ أَرَدْتَ لَمَّا اسْتَطَاعَ حِرَاكَ
 وَاشْكُرْ لِرَبِّكَ فَضْلَ مَا أَوْلَاكَ
 مُسْتَحْدَثَاتُ الْعِلْمِ مِنْ مَوْلَاكَ
 وَبِنِعْمَةِ الْعَقْلِ الْبَصِيرِ حَبَاكَ
 تَزَوَّرُ عَنْهُ وَيَنْشَنِي عِطْفَاكَ
 تَجْرِي يَرَاهَا اللَّهُ حِينَ يَرَاكَ
 مِنْهُمْ لَوْلَا اللَّهُ قَدْ قَوَّاكَ
 هُوَ صَنَعَةُ اللَّهِ الَّذِي سَوَّاكَ
 مَا اللَّهُ لَمْ يَكُتُبْ لَهُ الْإِذْرَاكَ
 لَ أَقْلَهَا هُوَ مَا إِلَيْهِ هَذَاكَ
 عَجَبٌ عَجَابٌ لَوْ تَرَى عَيْنَاكَ
 حَاوَلْتَ تَفْسِيرًا لَهَا أَغْيَاكَ
 يَا شَافِيَ الْأَمْرَاضِ مَنْ أَرَدَاكَ

قُلْ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِي بَعْدَ مَا
 قُلْ لِلصَّحِيحِ يَمُوتُ لَا مِنْ عِلَّةٍ
 قُلْ لِلْبَصِيرِ وَكَانَ يَحْذَرُ حُفْرَةً
 بَلْ سَائِلِ الْأَعْمَى خَطَا يَبْنَ الرَّحَا
 قُلْ لِلْجَنِينِ يَعْيشُ مَغْزُولًا بِلَا
 قُلْ لِلْوَلِيدِ بَكَى وَأَجْهَشَ بِأَبْكََا
 وَإِذَا تَرَى الثُّعْبَانَ يَنْفُثُ سُمَّهُ
 وَاسْأَلْهُ كَيْفَ تَعِيشُ يَا ثُعْبَانُ أَوْ
 وَاسْأَلْ بُطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ
 بَلْ سَائِلِ اللَّبَنَ الْمُصْفَى كَانَ يَبْ
 وَإِذَا رَأَيْتَ الْحَيَّ يَخْرُجُ مِنْ حَنَا
 وَإِذَا تَرَى ابْنَ السُّودِ أَبْيَضَ نَاصِعًا
 وَإِذَا تَرَى ابْنَ الْبَيْضِ أَسْوَدَ فَاجِمًا
 قُلْ لِلْهَوَاءِ تُحِشُّهُ الْأَيْدِي وَيُخْ
 قُلْ لِلنَّبَاتِ يَجِفُّ بَعْدَ تَعَهُدٍ
 وَإِذَا رَأَيْتَ النَّبْتَ فِي الصَّخْرَاءِ يَرِ

عَجَزَتْ قُنُونُ الطَّبِّ مَنْ عَافَاكَ
 مَنْ بِالْمَنَايَا يَا صَحِيحُ دَهَاكَ
 فَهَوَى بِهَا مَنْ ذَا الَّذِي أَهْوَاكَ
 مِ بِلَا اضْطِدَامٍ مَنْ يَقُودُ خُطَاكَ
 رَاعٍ وَمَزْعَى مَا الَّذِي يَزْعَاكَ
 لَدَى الْوِلَادَةِ مَا الَّذِي أَبْكََاكَ
 فَاسْأَلْهُ مَنْ ذَا بِالسُّمُومِ حَشَاكَ
 تَحْيَا وَهَذَا السُّمُّ يَمْلَأُ فَآكَ
 شَهْدًا وَقُلْ لِلشَّهَدِ مَنْ حَلَاكَ
 مَنْ دَمٍ وَفَوَيْتَ مَا الَّذِي صَفَاكَ
 يَا مَيِّتٍ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَحْيَاكَ
 فَاسْأَلْهُ مِنْ أَثْنِ الْبَيَاضِ أَتَاكَ
 فَاسْأَلْهُ مَنْ ذَا بِالسَّوَادِ طَلَاكَ
 فَمَنْ عَنِ عُيُونِ النَّاسِ مَنْ أَخْفَاكَ
 وَرِعَايَةٍ مَنْ بِالْجَفَافِ رَمَاكَ
 بُوَ وَحْدَهُ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَرْبَاكَ

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَدْرَ يَسْرِي نَاشِرًا أَنْوَارُهُ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَسْرَاكَ
وَاسْأَلْ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَذْنُو وَهِيَ أَبْ عَدُّ كُلِّ شَيْءٍ مَا الَّذِي أَذْنَاكَ
قُلْ لِلْمَرِيرِ مِنَ الثَّمَارِ: مَنْ الَّذِي بِالْمُرِّ مِنْ دُونَ الثَّمَارِ عَذَاكَ
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّخْلَ مَشْقُوقَ النَّوَى فَاسْأَلْهُ: مَنْ يَا نَخْلُ شَقَّ نَوَاكَ
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّارَ شَبَّ لَهَيْبِهَا فَاسْأَلْ لَهَيْبِ النَّارِ مَنْ أَوْرَاكَ
وَإِذَا تَرَى الْجَبَلَ الْأَشْمَ مُتَاطِحًا قِمَمَ السَّحَابِ فَسَلْهُ: مَنْ أَرْسَاكَ
وَإِذَا تَرَى صَخْرًا تَفْجَرُ بِالمِيَا ه فَسَلْهُ مَنْ بِالمَاءِ شَقَّ صَفَاكَ
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّهْرَ بِالْعَذْبِ الزُّلَا لِ جَرَى فَسَلْهُ مَنْ الَّذِي أَجْرَاكَ
وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَحْرَ بِالمِلْحِ الْأُجَا جِ طَغَى فَسَلْهُ مَنْ الَّذِي أَطْغَاكَ
وَإِذَا رَأَيْتَ اللَّيْلَ يَغْشَى دَاجِيَا فَاسْأَلْهُ مَنْ يَا لَيْلُ حَاكَ دُجَاكَ
وَإِذَا رَأَيْتَ الصُّبْحَ يُسْفِرُ ضَاحِيَا فَاسْأَلْهُ مَنْ يَا صُبْحُ صَاغَ ضَحَاكَ
هَذِي عَجَائِبُ طَالَمَا أُخِذْتُ بِهَا عَيْنَاكَ وَانْفَتَحَتْ بِهَا أَذْنَاكَ
يَنَائِيهَا الْإِنْسَانُ مَهْلًا مَا الَّذِي بِاللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَغْرَاكَ^(١)

* * * * *

(١) قصيدة «الشعر مع الله والذرة» للشيخ إبراهيم علي بدوي.

سُبْحَانَ اللَّهِ

لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ فَالْكَوْنُ مِنْ آيَاتِهِ
 إِنَّ ضَجَّ فِي حَرَكَاتِهِ أَوْ نَامَ فِي سَكَنَاتِهِ
 وَالصُّبْحُ فِي إِشْرَاقِهِ وَاللَّيْلُ فِي ظُلُمَاتِهِ
 وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَالنَّجْمُ فِي رَعَشَاتِهِ
 وَالْجَوُّ فِي إِعْصَارِهِ إِنَّ هَبَّ أَوْ نَسَمَاتِهِ
 وَالرَّعْدُ دَوًى قَاصِفًا وَالْبَرْقُ فِي وَمَضَاتِهِ
 وَاللَّيْثُ فِي فَلَواتِهِ يَخْتَالُ فِي خُطَوَاتِهِ
 وَالطَّيْرُ حَلَقَ فِي الْفَضَاءِ أَوْ نَامَ فِي وَكَنَاتِهِ
 وَالْوَرْدُ وَالْعِطْرُ الشَّذِي يُفَوِّحُ مِنْ رَوْضَاتِهِ
 دَانَتْ لَهُ الْأَزْهَارُ وَالْأَشْوَاكُ بَعْضُ حُمَاتِهِ
 لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ أَوْ تَهَزَّؤُوا بِدُعَاتِهِ
 سُبْحَانَهُ قَدْ حَقَّقَ الْإِعْجَازَ فِي كَلِمَاتِهِ
 لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ فَالرِّزْقُ مِنْ آيَاتِهِ
 سُبْحَانَهُ مِنْ خَالِقِ بَرٍّ بِمَخْلُوقَاتِهِ
 عَمَرَ الْوُجُودَ بِفَضْلِهِ وَأَفَاضَ مِنْ خَيْرَاتِهِ
 مِنْ نَبْعِهِ الشَّرُّ الْغَزِيرُ يَجُودُ مِنْ بَرَكَاتِهِ
 نَاءَتْ بِهِ الشُّحْبُ الثَّقَا لُ فَسَالَ فِي رَبَوَاتِهِ

وَالْحَقْلُ حَانَ حَصَادُهُ نَفَثَاتُ مِنْ غَلَاتِهِ
وَالنَّهْرُ فِي السَّهْلِ الْفَسِيدِ حِجْ يَرِقُّ عَذْبُ فُرَاتِهِ
وَالْغَابُ ظِلٌّ وَارِفٌ وَالرَّوْضُ فِي ثَمَرَاتِهِ
وَالْمَاءُ صَافٍ فِي الْغَدِيدِ بِرٍ يَشْفُ فِي مِرَاتِهِ
لَا تَفْنَطُوا مِنْ رَحْمَةٍ الرَّحْمَنِ أَوْ مَرْضَاتِهِ
فَالْحِلْمُ وَالْغُفْرَانُ وَالرُّضْوَانُ بَعْضُ صِفَاتِهِ
لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ فَالرُّوحُ مِنْ آيَاتِهِ
وَالصَّدْرُ فِي أَنْفَاسِهِ وَالْقَلْبُ فِي خَفَقَاتِهِ
وَالثَّغَرُ فِي تَسْبِيحِهِ وَالثَّغَرُ فِي بَسْمَاتِهِ
وَالصَّوْمُ فِي رَمَضَانِهِ وَالْحَجُّ فِي مِيقَاتِهِ
وَالْمُؤْمِنُ الْبَرُّ الْكَرِيمُ ثُمَّ مُصَدِّقًا بِزَكَاتِهِ
وَالصَّالِحُ الْعَفْوَ التَّقِيُّ يَهِيْمُ فِي صَلَوَاتِهِ
يَرْجُو الرِّضَى مِنْ رَبِّهِ لِيُقِيمَ فِي جَنَاتِهِ
وَالْفَاجِرُ الْغَرُّ الْجَهُو لُ يَتِيَهُ فِي نَزَوَاتِهِ
لَا يَسْتَقِيمُ وَلَا يَسِي رُ عَلَى طَرِيقِ هُدَاتِهِ
وَالْمَرْءُ فِي أَفْرَاحِهِ وَالْمَرْءُ فِي مَأْسَاتِهِ
يَمُضِي عَلَى دَرْبِ الْحَيَاةِ وَيَنْتَهِي بِمَمَاتِهِ
لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ فَالْمَوْتُ بَعْضُ عِظَاتِهِ
لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ فَالْوَحْيُ مِنْ آيَاتِهِ

وَالْحَقُّ مِنْ إِيَّاهِ	وَالنُّورُ مِنْ مِشْكَاةِ
وَالْعَقْلُ فِي إِبْدَاعِهِ	وَالْفِكْرُ فِي سَبْحَاتِهِ
وَالْعِلْمُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيدِ	ثِ يَصْجُ فِي آيَاتِهِ
يَرْتَادُ آفَاقَ الْفَضَا	ءِ وَيَمْتَطِي طَيَّاتِهِ
وَالْبَحْرُ يَهْدِرُ صَاحِبًا	وَالْفُلُكُ فِي جَنَابَاتِهِ
وَالذَّرَّةُ الصُّغْرَى مَصِي	رُ الْكَوْنِ فِي ذَرَّاتِهِ
فَخَرَابُهُ وَدَمَارُهُ	إِنْ سَادَ حَقْدُ طُغَاتِهِ
وَعَمَازُهُ وَصَلَاخُهُ	إِنْ سَادَ عَقْلُ ثُقَاتِهِ
كَمْ مِجْهَرٍ قَرَّبَتْ لَنَا	أَبْعَادُ فِي عَدَسَاتِهِ
أَوْ هَاتِفٍ حَمَلَ الْحَدِيدِ	ثِ مُرَدِّدًا هَمَسَاتِهِ
لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ	فَالْكُلُّ مِنْ آيَاتِهِ ^(١)

(١) قصيدة «سبحان الله»، من ديوان «في رحاب الأقصى» ليوסף العظم، المكتب الإسلامي.

سُبْحَانَ اللَّهِ

سُبْحَانَ مَنْ حَمِدَتْهُ أَلْسُنُ الْبَشَرِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ وَالْأَصَالِ وَالْبَكْرِ
وَفِي دُجَى اللَّيْلِ تَدْعُوهُمْ فِي السَّحَرِ بِالشُّكْرِ وَالذِّكْرِ وَالْآيَاتِ وَالسُّورِ
تُؤْلِيهِ حَمْدًا وَتَتْلُو بَعْدَهُ سُورًا

سُبْحَانَ مَنْ نَزَّهَتْهُ أَلْسُنُ عَزَفَتْ عَنْ كُلِّ مَا يُوهِمُ التَّشْبِيهَ إِذْ وَصَفَتْ
صَفًا لَهَا مَوْرِدُ التَّحْقِيقِ حِينَ صَفَتْ فَلَمْ تُفَارِقْهُ حَتَّى أَثْبَتَتْ وَنَفَتْ
وَلَمْ تَدْعُ شُبُهَةً تُؤْذِي وَلَا ضَرَرًا

سُبْحَانَ مَنْ شَكَرُهُ فِي الدِّينِ مُفْتَرِضُ وَلَيْسَ يُشَبِّهُهُ جِسْمٌ وَلَا عَرَضُ
يَنْهَى وَيَأْمُرُ مَا فِي ذَا وَذَا عَرَضُ فَادْكُرْ لِنِعْمَاهُ ذِكْرًا لَيْسَ يَنْقَرِضُ
فَمَنْ تَحَدَّثَ بِالنُّعْمَى فَقَدْ شَكَرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَضَعَ السَّبْعُ الطَّبَاقُ لَهُ وَأَعْظَمَتْهُ قُلُوبُ حَشَوَهَا وَلَهُ
تُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ الْأَبْقَى وَتَعْقِلَهُ طُوبَى لِمَنْ أَمَلَ الْأَبْقَى وَأَمَّ لَهُ
وَاسْتَكْثَرَ الزَّادَ لَمَّا آنَسَ السَّفَرَا

سُبْحَانَ مَنْ زَيْنَ الْأَفْلَاكَ بِالشُّهُبِ وَبَيَّنَّ الدِّينَ بِالْآيَاتِ وَالْكِتَابِ
وَلَمْ يَدْعُنَا لَدَى لَهُوَ وَفِي لَعِبٍ لَكِنْ نَهَانَا وَآتَانَا عَلَى الرَّتَبِ
حَتَّى انْتَهَيْنَا وَأَدْعُنَا لِمَا أَمَرَا

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْأَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ فَتَارَةً تَتَنَاءَى ثُمَّ تَأْتِلِفُ
هَذَا الظَّلَامُ بِنُورِ الصُّبْحِ يَنْصَرِفُ كَمَا الضَّلَالُ لِنُورِ الْعِلْمِ لَا يَقِفُ
فَسَلَّهُ نُورًا يُنِيرُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْأَخْلَاقَ وَالْخَلْقَا وَالشَّمْسَ وَالْبَدْرَ وَالظُّلُمَاءَ وَالْعَسَقَا
يَرَوْفَكَ الْكُلَّ مَجْمُوعًا وَمُفْتَرِقًا وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاسْلُكْ نَحْوَهُ طَرِقًا
فَأَسْعِدُ النَّاسِ مَنْ فِي نَفْسِهِ نَظَرًا

سُبْحَانَ مُنْزِلِ مَاءِ الْمَزْنِ فِي الْمَطَرِ يُزَوِّي النَّبَاتَ وَيَسْقِي يَانِعَ الثَّمَرِ
كَأَنَّمَا الزُّهْرُ تُهْدِيهِ إِلَى الزُّهْرِ إِذَا رَأَيْتَ تَلَاقِيهَا عَلَى قَدَرٍ
رَأَيْتَ صُنْعَ قَدِيرٍ أَحْكَمَ الْقَدَرَا

سُبْحَانَ مَنْ فَجَّرَ الْأَنْهَارَ فَانْفَجَرَتْ وَقَدَّرَ الْخَيْرَ فِي إِجْرَائِهَا فَجَرَتْ
فَرِيئَةُ الْأَرْضِ بِالْأَرْهَارِ قَدْ ظَهَرَتْ وَلِلْبَصِيرَةِ عَيْنٌ كُلَّمَا نَظَرَتْ
رَأَتْ جَمَالًا وَاجْمَالًا وَمُعْتَبِرًا

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَأَعْقَبَ اللَّيْلَةَ اللَّيْلَاءِ بِالْعَسَقِ
يَا بَهْجَةَ الشَّمْسِ دُونِي عُذْتُ مِنْ فَلَقٍ وَيَا سَنَا الْبَدْرِ عَارِضَ حُمْرَةِ الشَّفَقِ
حَتَّى تُعِيدَ لَنَا مِنْ لَيْلِنَا سَحَرَا

سُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ وَسَلَّطَ الْهَمَّ وَالْبَلَوَى عَلَى الْهَمِّ
فَقَاوَمَتْهَا جُنُودُ الصَّبْرِ وَالْكَرَمِ ثُمَّ ابْتَلَى قَلْبَ غَيْرِ الْعَارِفِ الْقَهْمِ
فَمَا أَطَاقَ وَلَا أَوْفَى وَلَا صَبَرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ فَلَيْسَ يَمْشِي إِلَى شَيْءٍ عَلَى مَهَلٍ
وَلَا يَقُولُ سِوَى هَذَا وَذَلِكَ لِي مُقَسَّمُ الْحَالِ بَيْنَ الْخُرُصِ وَالْحِيلِ
فَلَيْسَ تَلْقَاهُ إِلَّا ضَارِعًا حَذِرًا

سُبْحَانَ مَنْ زَانَهُ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَبِالْفَضَائِلِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّلَبِ
فَلَا يَزَالُ حَلِيفَ الْفِكْرِ وَالتَّعَبِ رَامَ الْكَمَالَ فَلَمْ يَبْلُغْ وَلَمْ يَخِبِ
وَلَمْ يَرِدْ بَعْدُ فِي رِيٍّ وَلَا صَدْرًا

سُبْحَانَ مَنْ شَانَهُ بِالْكِبَرِ وَالْأَشْرِ يُمَسِّي وَيُصْبِحُ فِي عَمِيٍّ وَفِي بَطْرِ
مُرَدَّدُ الْعِزِّ بَيْنَ الْجُبْنِ وَالْخَوْرِ لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الشُّكُوفِ إِلَى الْبَشْرِ
وَلَا يُزَحْزَحُ عَنْ ظُلْمٍ إِذَا قَدَّرَا

سُبْحَانَ مُحْرِقِهِ فِي وَقْدَةِ الْحَسَدِ فَلَا يَزَالُ أَخَا غَيْظٍ وَفِي نَكَدِ
كَالْبَحْرِ يَزْمِي إِلَى الْعَيْنَيْنِ بِالزَّبَدِ إِذَا رَأَى أَثَرَ التُّعْمَى عَلَى أَحَدِ
يَوَدُّ لَوْ كَانَ أَعْمَى لَا يَرَى ضَجْرًا

سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ بِالْإِيمَانِ أَنْفُسَنَا وَخَافَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ أَنْفُسَنَا
لَوْلَاهُ لَمْ نَعْرِفِ الْمَعْرُوفَ وَالْحَسَنَا وَلَا اسْتَقْدَنَا لِسَانًا نَاطِقًا لِسَنَا
وَلَا دَرَيْتَنَا أَبَاحَ الشَّرِّ أَوْ حَظَرَا

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ وَالْحَشَرَ وَالنَّشَرَ مَنَاجَاةً مِنَ الضَّرَرِ

فَلَا خُلُودَ مَعَ الْإِيمَانِ فِي سَقَرٍ وَلَا وُصُولَ إِلَى أَمْنٍ بِلاَ حَذَرٍ
حَتَّى تَكُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ مُؤْتَمِرًا

سُبْحَانَ مَنْ هُوَ يَوْمَ الْفَضْلِ يَجْمَعُنَا وَلِلنَّعِيمِ بِفَضْلِ مِنْهُ يَرْفَعُنَا
مِنْ بَعْدِ رُؤْيَا أَهْوَالٍ تُرَوِّعُنَا يُرَى لَهَا وَالِهَا هَيْمَانٌ أَوْرَعُنَا
خَيْرَانَ غُرَيَانَ يُبْدِي كُلَّ مَا سُتِرَا

سُبْحَانَ مَنْ يَحْشُرُ الْإِنْسَانَ مُكْتَبًا خَوْفَ الْجَزَاءِ وَيَعْزِيهِ بِمَا كَسَبَا
وَيَحْكُمُ الْحُكْمَ يُمِضِيهِ كَمَا وَجَبَا فَالْقَاسِطُونَ إِلَى نِيرَانِهِ غُصَبَا
وَالْمُقْسِطُونَ إِلَى جَنَّتِهِ زُمَرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَتَمَ الْأَدْيَانَ فِي الْأَزَلِ بِالْمِلَّةِ السَّمْحَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الْمِلَلِ
أَتَى بِهَا خَيْرُ مَأْمُورٍ وَمُمْتَثِلِ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ السَّادَاتِ وَالرُّسُلِ
وَخَيْرٌ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَا

صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِ مَا بَدَا قَمَرٌ وَمَا سَرَحَ فِي الدِّيَاجِي أَنْجَمٌ زَهَرُ
وَمَا تَبَايَنَتِ الْأَشْكَالُ وَالصُّورُ وَمَا تُدَوِّرَسِتِ الْآيَاتُ وَالسُّورُ
وَمَا قَضَى مُؤْمِنٌ مِنْ حَاجَةٍ وَطَرَا

آيَاتُ مِّنَ الدَّرَرِ^(١)

تَبَارَكَ اللَّهُ زَانَ الْأَرْضِ بِالْدَّرَرِ وَاسْتَنْطَقَ الْحُسْنَ فِي زَهْرٍ وَفِي شَجَرٍ
 وَهَزَمَ الْأَرْضَ مِنْ نَوْمٍ لِيُوقِظَهَا وَرَشَّ فِي وَجْهِهَا الْوَسْنَانَ بِالْمَطَرِ
 وَأَرْسَلَ الشَّمْسَ تُذَكِّيْهَا بِقُبُلَتِهَا فَاسْتَعَذَّبَتْ دِفْئَهَا الْحُفُوفَ بِالْخَدَرِ
 وَحَرَكَ الرِّيحَ مَسَّتْ شَعْرَهَا بِيَدٍ كَأَنَّهَا الطِّيفُ يَغْشَاهَا بِلَا كَدَرٍ
 وَأَرْسَلَ النَّهْرَ تُطْفِئُ فِيهِ حُرْقَتَهَا وَتَسْتَقِي رَغْدًا يَنْسَابُ بِالنَّهْرِ
 وَأَبْهَجَ الطَّيْرَ فَاهْتَزَّتْ مَعَارِفُهَا تُدْعِدُعُ السَّمْعَ فِي لَحْنٍ بِلَا وَتَرٍ
 وَغَرَدَ الْبُلْبُلُ الصَّدَاحُ يُطْرِبُهَا فَيَتَشَبَّهِ الْحَيْسُ مَا فِي الْكَأْسِ مِنْ سَكْرِ^(٢)
 فَفَتَحَتْ عَيْنَهَا وَالنَّوْمَ يَجْذِبُهَا وَمَسَحَتْ ذَيْلَ طَيْفٍ عَادَ لِلْسَفَرِ
 وَسَبَّحَتْ رَبَّهَا الْوَهَّابَ وَاتَّكَأَتْ وَأَعْتَدَتْ^(٣) مَجْلِسًا كَمْ طَابَ لِلْبَشْرِ
 وَفَكَّرَتْ أَيَّ ثَوْبٍ تَنْتَقِي لَهُمُو تَحْيِرَ الْقَلْبُ مِنْ أَثْوَابِهَا الْكُثْرِ
 تَنْهَدَتْ نَشْرَتْ أَرْهَى مَلَابِسَهَا وَقَلَّبَتْ تَضْطَفِي الْفَتَانَ لِلنَّظَرِ
 وَسَارَعَتْ لِحِلَاهَا^(٤) تَنْتَقِي قَمَرًا عَقْدًا تَأْلُقُ فِي نَجْمَاتِهِ الزُّهْرِ^(٥)

(١) محمد عبد الله القولي، دار الأقصى، الكويت.

(٢) أي: نشوة تحصل بدون شراب مُسَكَّر.

(٣) أعتدت: هيأت وأعدت.

(٤) حلاها: جمع حلية، وهي الزينة.

(٥) الزُّهْر: المضيئة.

تَقَلَّدَتْهُ وَفِي حَبَاتِهِ بِهِرٌ قَدْ هَيَّجَ اللُّؤْلُؤُ الوَضَاءَ كَالْقَمَرِ
تَبَسَّمتْ وَارْتَدَّتْ ثَوْبًا يُزَيِّنُهَا وَصَفَّقَتْ لِلجَوَارِي إِقْتَفِي أَثَرِي
تَبَارَكَ اللَّهُ أَعْطَى الحُسْنَ مُقْتَدِرًا فَاحْتَالَتِ الْأَرْضُ فِي وَشِي مِنَ الزَّهْرِ
وَجَزَجَرَتْ ثَوْبَهَا المَعْطُورِ مَنْسُجُهُ وَأَفْرَدَتْ ذَيْلُهُ المَرْشُوشَ بِالصُّورِ
وَأَشْرَقَتْ بِعَطَاءِ اللَّهِ تَلْبِسُهُ وَتَزْدَهِي بِجَمَالِ سَارٍ فِي زُمَرِ^(١)
تَزْنُو إِلَى المَاءِ تَلْقَى فِيهِ صُورَتَهَا وَتَنْتَشِي فَرَحًا مِنْ آيِهَا الغَرَرِ
سَتَى مِنَ النَّبْتِ هَذِي الْأَرْضُ قَدْ وَلَدَتْ وَأَوْدَعَتْهَا الدُّنَا^(٢) لِلْعَيْشِ وَالنَّظَرِ
فَفِي الرُّبَا^(٣) شَجَرٌ أَفْنَانُهُ ضَحِكَتْ وَيُسِسُ الزَّهْرُ مَطْوِيًّا عَلَى ثَمَرِ
وَفِي الْبِحَارِ نَبَاتٌ رَاقٍ سَاكِنَهَا تَحِيًا عَلَيْهِ وَيَحْمِيهَا مِنَ الْخَطَرِ
وَالنَّهْرُ قِيَعَانُهُ^(٤) بِالنَّبْتِ قَدْ فُرِشَتْ تَبَارَكَ اللَّهُ بَثَّ الحَيْرِ فِي النَّهْرِ
وَالْمَاءُ مُدْهِشَةٌ فِي الْأَرْضِ صَنَعَتُهُ وَالنَّبْتُ مُخْتَلِفٌ فِي الذَّوْقِ وَالصُّورِ
تَبَارَكَ اللَّهُ أَعْطَى الْأَرْضَ فِتْنَتَهَا وَاسْتَنْطَقَ الشُّعْرَ آيَاتٍ مِنَ الدَّرَرِ

* * * * *

(١) في زمر: في جماعات، أي: أصناف الجمال.

(٢) الدُّنَا: جمع دنيا.

(٣) الرُّبَا: جمع رابية: ما ارتفع من الأرض.

(٤) قِيَعَانُهُ: جمع قاع: الأرض.

زَهْرَةٌ

شَدَّنِي الْحُسْنَ وَأَغْرَى إِذْ رَأَتْ عَيْنَايَ زَهْرَةَ
 تَنْشُرُ الْعِطْرَ وَتُضْفِي مِنْ شَذَا الْعِطْرِ الْمَسْرَةَ
 بَهْجَةَ الْعَيْنِ وَلُطْفًا رَفًّا^(١) إِحْسَاسًا وَفِكْرَةَ
 يَأْسِرُ الرَّائِينَ طَوْعًا يَنْفُخُ الْأَرْجَاءَ سِحْرَةَ
 زَهْرَةَ الرِّوْضِ أَجِيبِي مَنْ تُرَى أَهْدَاكَ نَضْرَةَ^(٢)
 مَنْ تُرَى أَنْشَاكَ أَنْسَا لِحُبِّ زَادَ صَبْرَةَ
 مَنْ تُرَى أَهْدَاكَ أَلْوَا نَا لَهَا فِي السَّحْرِ قُدْرَةَ
 تَجَذِبُ الرَّائِينَ طُرًّا^(٣) تَفْتِنُ الْأَلْبَابَ^(٤) بُكْرَةَ^(٥)
 مِنْ أَنْاسٍ وَطُيُورٍ رَاقَهَا الْحُسْنَ بِزَهْرَةَ
 أَوْ هَوَامٍ^(٦) تَنْقُلُ الطَّلْعَ فَتَزْهُو مِنْهُ دُرَّةً^(٧)
 مَنْ تُرَى أَهْدَاكَ عِطْرًا تَنْشُدُ الْأَحْيَاءَ سِحْرَةَ
 مَنْ تُرَى سَوَاكَ شَكْلًا يُزْهِفُ الْحِسَّ بِنَظْرَةَ

(١) رَفَّ الزهر: اهتزَّ نضارة.

(٢) النَّضْرَةُ: الحسن والرونق.

(٣) طُرًّا: جميعًا.

(٤) الْأَلْبَاب: العقول.

(٥) بُكْرَةَ: باكرًا.

(٦) هوام: من نحل وفراش وغيره.

(٧) أَي: ثمرة ناضرة؛ كالدُّرَّة.

مَنْ تُرَى أَجْرَى حَيَاةً فِيكَ إِذْ مَا كُنْتَ بِذَرَّةٍ
 مَنْ تُرَى أَنْبَتَ مِنْ مَيِّدٍ بَتِ حَيَاةً وَمَسْرَةً
 مَنْ تُرَى أُسْرَى بِكَ الْمَا ءَ فَكَانَتْ مِنْهُ خُضْرَةٌ
 زَهْرَةَ الرُّوضِ تُرَى مَنْ فِيكَ قَدْ أَوْدَعَ خَيْرَهُ
 مَنْ تُرَى أَهْدَاكَ سِحْرًا زَاهِيًا يُحْسِنُ أُسْرَهُ
 فَأَمَّالَتْ زَهْرَتِي رَأُ سَا وَأَوَمَّتْ لِي بِنَظَرِهِ
 خَالِقِي اللَّهُ تَعَالَى فِيَّ قَدْ أَوْدَعَ سِرَّهُ
 خَالِقِي اللَّهُ تَجَلَّى مُبْدِعًا فِي كُلِّ ذَرَّةٍ

* * *

هَذِي السَّمَاوَاتُ

هَلْ تُرْسِلُ الطُّوفَ فِي الْأَكْوَانِ تَسْأَلُهَا عَمَّنْ بَرَّاهَا وَأَهْدَاهَا إِلَى الْبَشْرِ
 هَذِي السَّمَاوَاتُ مَنْ أَعْنَى مَجَاهِلَهَا وَهَيَّأَ النُّجْمَ وَالْأَفْلَاكَ لِلْسَّفَرِ
 مَنْ حَدَّدَ السَّيْرَ لِلْأَجْرَامِ ^(١) مِنْ أَزَلٍ ^(٢) فَمَا تَحِيدُ وَلَا تَهْوِي إِلَى خَطَرِ
 مَنْ وَسَّعَ الْكَوْنَ لَا نَذْرِي لَهُ طَرَفًا وَأَوْدَعَ السِّرَّ فِيمَا دَقَّ مِنْ صَغَرِ
 تِلْكَ السَّمَاوَاتُ رَتْقًا قَبْلُ قَدْ وُجِدَتْ قَدْ شَقَّهَا اللَّهُ فِي لَحْجٍ مِنَ النَّظَرِ

(١) الأجرام: الكواكب والنجوم.

(٢) أزل: قديم.

هَذِي الشُّفُوفُ عَجِيبٌ أَنَّهَا رُفِعَتْ
سَمَا بِهَا اللَّهُ فِي أَمْرِ فَقَدَرَهَا
تَبَارَكَ اللَّهُ فِي خَلْقِ بَدَا عَجَبًا
تَبَارَكَ اللَّهُ فِي صُنْعِ وَأَبْدَعَهُ
سَبْعًا طِبَاقًا كَمَا قَدْ شَاءَ زَيْنَهَا
زُرْقَاءُ صَافِيَةٌ رَقَّ النِّسِيمُ لَهَا
يَبِضَاءُ شَاحِبَةٌ مِنْ وَشْيِ فَاطِرِهَا
سَوْدَاءُ دَاكِئَةٌ يَجْرِي الْغَمَامُ بِهَا
مُسْتَوْدَعُ الْغَيْبِ وَالْأَسْرَارِ مِنْ قَدَمِ
تَرْنُو الْعُيُونُ لَهَا فِي سُؤْلِ حَاجَتِهَا
تَرْجُوهُ عَوْنًا فَمَا تَلْقَاهُ أَرْقَاهَا
شَكْتُ فَلَمْ تَلَقْ مَنْ يُطْفِي مَدَامِعَهَا
فَلَمْ تَجِدْ غَيْرَ بَابِ اللَّهِ تَطْرُقُهُ
مِنْ غَيْرِ أَعْمَدَةٍ أَوْ دُونَهَا حَجَرِ
سَبْعًا طِبَاقًا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي السُّورِ
فَلَا تَفَاوَتْ لَا تَفْرِيطُ فِي قَدْرِ
لِلنَّاطِرِينَ لِهَذَا الْكَوْنِ بِالْبَصْرِ
بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ أَوْ بِالشُّهْبِ وَالشَّرْرِ
كَغَنَوَةِ الْعَاشِقِ الْمُشْتَاقِ لِلْقَمَرِ
كَأَنَّهُ الشَّيْبُ يَعْلُو الْهَامَ بِالْكِبَرِ
مِنْ دِيمَةٍ ^(١) خَطَرَتْ سَحَاءُ ^(٢) بِالْمَطَرِ
وَعَالَمِ الرُّوحِ وَالتَّقْدِيسِ لِلْبَشَرِ
فَتَسْأَلُ اللَّهَ فِي وَقْتِ مِنَ السَّحَرِ
وَأَطْبَقَ الظُّلُمَ فِي شَتَّى مِنَ الصُّورِ
وَيَكْشِفُ الْغَمَّ عَمَّنْ كَانَ فِي ضَرَرِ
وَالدَّمَعُ يَفْتَحُ بَابَ اللَّهِ فِي الْأَثَرِ

* * * * *

(١) ديمة: سحابة.

(٢) سحَاء: مطيرة.

كِتَابُ الْكَوْنِ^(١)

كَمْ فِي كِتَابِ الْكَوْنِ مِنْ عِبَرٍ لِأُولِي النُّهَى وَالْبَحْثِ وَالنَّظَرِ
 فِي الْأَرْضِ فِي الْأَفَاقِ قَاطِبَةً فِي النَّفْسِ فِي الْأَصْوَاتِ فِي الصُّورِ
 فِي ذَرَّةٍ عَمِيَاءَ هَائِجَةٍ فِي الشَّمْسِ ذَاتِ الْوَهْجِ وَالشَّرَرِ
 فِي النَّجْمِ فِي الْأَفْلَاكِ سَابِحَةً فِي الشُّهْبِ ذَاتِ الْخُطْفِ لِلْبَصَرِ
 فِي الزُّهْرَةِ الْأَخَاذِ رَوْنُقُهَا فِي الطَّيْرِ صَدَاخًا عَلَى الشَّجَرِ
 فِي الْبَحْرِ وَالْأَمْوَاجِ صَاحِبَةً تَعْلُو تَرُومُ تَنَاوُلَ الْقَمَرِ
 فِي الرَّاسِيَّاتِ الشَّمِّ عَمَمَهَا ثَلُجَ الشِّتَاءِ يَسِيلُ فِي النَّهْرِ
 فِي السَّفْحِ وَالْأَعْشَابِ مَائِسَةً تَرْنُو إِلَى الْوِذْيَانِ فِي خَفَرِ

* * * * *

مَاذَا أَقُولُ لِغَافِلٍ لَاهٍ عَنْ كُلِّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ عِبَرٍ
 أَيُظُنُّ خَلْقَ الْكَوْنِ عَنْ عَبَثٍ كَلَّا فَخَلَقَ الْكَوْنِ عَنْ قَدَرٍ
 مَا فِيهِ مِنْ وَهْنٍ وَلَا خَلَلٍ مَا فِيهِ مِنْ وَاهٍ وَمُنْفَطِرٍ
 الشَّمْسُ فِي الْأَفْلَاكِ جَارِيَةً كَالْأَرْضِ ذَاتِ الْمَاءِ وَالْمَدَرِ
 لَا اللَّيْلُ يَسْبِقُ لَا النَّهَارُ وَلَا تُفْنِي الْبَحَارُ رَوَاسِيَ الْجُزُرِ

(١) لخير الدين وانلي، من ديوان: النصر للإسلام، (١٣٤).

النَّبْتَةُ الْخَضْرَاءُ ضَارِبَةً أَطْنَابَهَا فِي الصَّخْرِ وَالْحَجَرِ
وَالزَّهْرَةُ الْبَيْضَاءُ فَائِحَةً وَالْجِذْرُ بَيْنَ الطِّينِ وَالْكَدَرِ
وَالْغَيْمَةُ السَّوْدَاءُ مُثْقَلَةً تَجْرِي بِأَطْنَانٍ مِنَ الْمَطَرِ
وَالْهَرَّةُ السَّمْرَاءُ حَانِيَةً فَوْقَ الصَّغَارِ الْعُمِي عَنْ خَطَرِ
الْكُونُ مُتَسِقٌ وَمُنْتَظَمٌ كَمْ فِيهِ مِنْ ذِكْرَى لِمُعْتَبِرِ
سُبْحَانَ مَنْ بِاللُّطْفِ قَدَرُهُ أَعْظَمَ بِقَيُّومٍ وَمُقْتَدِرِ

* * * *

تَبَارَكَ اللَّهُ^(١)

تَبَارَكَ اللَّهُ كَمْ فِي الْكَوْنِ مِنْ عَجَبٍ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْأَفْلَاكِ وَالشُّهْبِ
طَائِرٌ يُهَاجِرُ مِنْ أَقْصَى الشَّمَالِ إِلَى أَقْصَى الْجَنُوبِ وَلَا يَهْتَمُّ بِالسَّعْبِ
وَيَقْطَعُ السَّمَكَ الشَّلَالَ مُتَّجِهَاً إِلَى الْمَتَابِعِ كَيْ يَفْنَى مِنَ التَّعَبِ
وَيَنْشُرُ النَّعْلُ حَبًّا كَيْ يُجَفِّفَهُ وَيَصْنَعُ النَّحْلُ شَكْلًا مُنْتَهَى الْعَجَبِ
وَيَحْمِلُ «الْكَنْعَرُ» الْأَبْنَاءَ يَحْفَظُهَا فِي جَنِيهِ سَائِرًا وَثَبًا عَلَى الذَّنْبِ
وَيَرْفَعُ الْقِرْدُ أَوْلَادًا عَلَى كَتِفِ وَيُزَقِّمُ الطَّيْرُ أَفْرَاحًا ذَوِي رَغَبِ
وَيَجَارُ الْحَوْثُ فِي الْأَعْمَاقِ مُبْتَهَجًا وَيُنْقِذُ الصَّوْتُ حُقَافًا مِنَ الْعَطَبِ

(١) لخير الدين وانلي، من ديوان: النصر للإسلام، (١٣٦).

وَيَسْبِخُ الْبَطُّ فِي أَعْقَابِ مَوْلِدِهِ
وَيَلْقُمُ الثَّدْيِي وَالْعَيْنَانِ مُغْمَضَةً
وَيَقْفِزُ الْمُهْرُ خَلْفَ الْأُمِّ مُرْتَجِفًا
وَيَتَّبِعُ الْكَلْبُ رِيحًا غَابَ صَاحِبُهَا
وَيُنْصِرُ الصَّقَرُ مِنْ عَلَيَّائِهِ جُرُودًا
وَيَنْقُرُ الطَّيْرُ دُودًا غَابَ فِي غُصْنٍ
وَيُمْسِكُ الْبَجَعُ الْأَسْمَاكَ سَابِحَةً
وَيَنْفُخُ الثَّغْلَبُ الْأَحْشَاءَ مُرْتَمِيًا
وَيَلْسَعُ الْعَنْكَبُوتُ الْجُعَلَ فِي عُتْقٍ
وَيُمْسِكُ الضَّبُّ غُصْنًا حِينَ تَذَرُكُهُ
تَبَارَكَ اللَّهُ لَا تُحْصَى خَلَائِقُهُ
بِلَا مِرَانٍ وَمَاءِ النَّهْرِ فِي صَحْبٍ
هَرٌّ وَلَيْدٌ وَمَا فِي الثَّدْيِي مِنْ حَلَبٍ
وَلَمْ يَزَلْ عَظْمُهُ أَوْهَى مِنَ الْقَصَبِ
وَيَسْمَعُ الْهَرُّ هَمْسَ الْفَأْرِ فِي الْخَرْبِ
وَيُمْسِكُ الْقَنْفُذُ الْأَفْعَى مِنَ الذَّنْبِ
تَحْتَ اللَّحَاءِ وَمَا فِي الْغُصْنِ مِنْ ثُقْبٍ
وَيُزِيلُ الْأَخْطَبُوطُ الرَّجُلَ عَنْ جُنْبٍ
حَتَّى تُهَاجِمَهُ الْغِرْبَانُ عَنْ كَثَبٍ
حَتَّى يُخَدِّرَهُ تَخْدِيرَ مُرْتَقِبٍ
أَفْعَى لِيَمْنَعَ بَلْعَ الرَّأْسِ كَالذَّنْبِ
وَكُلُّ آيَةٍ تَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ

الْكُونُ الْبَدِيعُ^(١)

أَفْرَأُ سَطُورًا مِنْ كِتَابِ الْكُونِ مِنْ دُنْيَا الْجَمَالِ
فَالْحُسْنُ فِيهِ كَامِنٌ وَالْحُسْنُ مِرْآةُ الْحَيَالِ
فِي الزُّهْرَةِ الْخَالِصَةِ الطُّهْرِ وَفِي الْمَاءِ الزُّلَالِ
فِي الْغُصْنِ يَزْنُو لِلْمُرُو جِ نَدِيَّةٌ مِثْلَ اللَّالِ
فِي السَّلْسَلِ الْعَذْبِ النَّمِي رِ تَحْفُهُ خُضْرُ التَّلَالِ
فِي الْمَوْجِ يَغْشَى الْأَفْقَ تَغْلُو هُ نُسَيْمَاتُ الشَّمَالِ

* * *

عَرَجٌ عَلَى التَّبَعِ الْوَقُورِ رِ وَسَلَهُ يُثْبِتُكَ الْعُجَابِ
وَأَسْأَلُ زَرَافَاتِ الطُّيُورِ رِ عَنِ الْفَضَاءِ عَنِ السَّحَابِ
وَأَسْتَلْهِمِ النُّجْمَ الْأَنَا شَيْدَ الشَّجِيَّاتِ الْعَذَابِ
كَمْ مِنْ جَمَالٍ فِي رَحَا بِ الْكُونِ وَالْكُونِ الْكِتَابِ

* * * * *

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ يَا رَبَّ الْحَاسِنِ وَالْجَمَالِ
أَنْتَ الْجَمِيلُ خَلَقْتَ هَذَا الْكُونَ فِي أَنْهَى مِثَالِ
لَا يَسْتَطِيعُ الْعَقْلُ إِخْرَ صَاءِ الْحَامِدِ وَالْكَمَالِ
لَا تُذَرِّكَ الْأَفْهَامُ سِرَّ الْخَلْقِ أَوْ كُنْهَ الزَّوَالِ

* * * * *

(١) لخير الدين وانلي، من ديوان: النصر للإسلام، (١٣٧ - ١٣٩).

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^(١)

عَنْ يَمِينِي أَشْرَقَتْ شَمْسُ الضُّحَى
 فَهُمَا ضِدَّانِ لَنْ يَجْتَمِعَا
 كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ جِزْمٌ سَابِغٌ
 سَبَّحَتْ لِلَّهِ أَوْهَى ذَرَّةٌ
 مَا تَرَى فِي الْخَلْقِ أَذْنَى ثَغْرَةٍ
 بَصَرًا أَرْجَعُ لِتَلْقَى عَجَبًا
 صَنْعَةُ الْبَارِي الْبَرَايَا أَعْجَزَتْ
 كُلُّ صُنْعٍ مُنْبِئٌ عَنْ صَانِعٍ
 أَمْ هِيَ الصُّدْفَةُ قَدَمًا أَوْجَدَتْ
 ثُمَّ صَارَتْ بِانْقِسَامٍ كَائِنًا
 ثُمَّ أَضْحَتْ سَمَكًا ثُمَّ غَدَتْ
 ثُمَّ صَارَتْ حَيَوَانَاتٍ لَهَا
 ثُمَّ أُمْسَتْ مِثْلَ وَطَاطِئِ بَلَا
 ثُمَّ جَاءَ النَّاسُ مِنْ قِرْدٍ لَهُ
 فَتَوَارَى عَنْ شِمَالِي بَدْرِي
 قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الْحَشْرِ
 كَوَكَبِ الشُّعْرَى كَبِيضِ الذَّرِّ
 مِثْلَمَا سَبَّحَ حُوثُ الْبَحْرِ
 مَا تَرَى فِي خَلْقِهِ مِنْ فَطْرِ
 يَرْجِعُ الطَّرْفُ بِدَاءِ الْحَشْرِ
 قُدْرَةُ الْمَوْلَى وَرَاءَ الْحَصْرِ
 أَفْهَذَا الْكَوْنُ صُنْعُ الدَّهْرِ
 ذَرَّةٌ عَاشَتْ بِقَاعِ النَّهْرِ
 سَابِحًا فِي الْمَاءِ فَوْقَ الْقَعْرِ
 زَاحِفًا يَزْحَفُ فَوْقَ الْبَرِّ
 تِلْكَ الْأَنْدَاءُ عِنْدَ الصَّدْرِ
 زَغَبٌ حَتَّى غَدَتْ كَالطَّيْرِ
 قُدْرَةُ الْمَشْيِ وَبَعْضُ الْفِكْرِ

(١) لخير الدين وانلي، من ديوان: النصر للإسلام، (١٣٧ - ١٣٩).

كُلُّ هَذَا دُونَ أَنْ يَخْلُقَهُ خَالِقٌ فَالطُّورُ تَلَوُ الطُّورِ
 هَكَذَا أَوْهَامُهُمْ قَدْ دُرِّسَتْ نَظَرِيَّاتٍ بِهَذَا الْعَصْرِ
 خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ وَيَحْهَمُ أَمْ هُمْ الْخَلْقُ وَيَحُ الْكَفْرِ
 لَيْتَهُمْ يَسْتَنْقِذُونَ حَبَّةً مِنْ ذُبَابٍ حَطَّ فَوْقَ الْقِدْرِ
 لَيْتَهُمْ إِنْ حَطَّمُوا جَنَاحًا لَهُ أَصْلَحُوا الْجَنَحَ الَّذِي فِي الظَّهِرِ
 لَيْتَهُمْ يَدْرُونَ كَمْ فِي مُخِّهِمْ مِنْ خَلَايَا قَدْ نَأَتْ عَنْ حَضْرِ
 كَيْفَ يَدْرِي الْمَرْءُ كَوْنًا حَوْلَهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ كُنْهَ الْفِكْرِ

* * * * *

يَدُ الْإِبْدَاعِ (١)

تَفْوُحُ رَوَائِحِ الرِّيحَا نِ لَا أَزْكَى وَلَا أَطْيَبُ
 وَيَشْدُو الطَّيْرُ فِي الْبَسْتَا نِ لَا أُنْدَى وَلَا أَطْرَبُ
 وَيَزْهَوُ الزَّهْرُ فِي الرُّمَّا نِ لَا أَبْهَى وَلَا أَعْجَبُ
 فَجَلَّتْ قُدْرَةُ الرَّحْمِ نِ لَا أَقْوَى وَلَا أَغْرَبُ

* * * * *

يُنَادِي الْبُلْبُلُ الشَّادِي رَفِيقَتَهُ وَيُغْرِيهَا
 وَتَنْغُو الشَّاةُ فِي الْوَادِي فَلَا تُنْسَى بَوَادِيهَا

(١) لخير الدين وانلي، من المصدر السابق (١٤٠، ١٤١).

وَمَاءُ الْبِرْكََةِ الْهَادِي يُعَانِقُ رَمْلَ شَاطِئِهَا
وَأَلْحَانُ مِنَ الْحَادِي إِلَى الْغِيَمَاتِ يُهْدِيهَا

* * * * *

يَدُ الْإِبْدَاعِ فِي الْكَوْنِ بِكُلِّ خَلِيقَةٍ تَظْهَرُ
مِنْ الْأَصْوَاتِ وَاللُّونِ إِلَى الْأَعْرَاضِ فَالْجَوْهَرِ
فَسِرٌّ فِي الْأَرْضِ فِي هَوْنٍ وَلَا تَسْتَغْلِي أَوْ تَفْخَرُ
فَأَنْتَ أَحَقُّ بِالْعَوْنِ وَأَنْتَ الْأَضْعَفُ الْأَضْعَرُ

* * * * *

كِتَابُ اللَّهِ مَفْتُوحٌ لِمَنْ يَسْتَوْضِحُ السِّرَّاءَ
وَنَصْرُ اللَّهِ تَمْنُوحٌ لِرَاجِ عِنْدَهُ النَّصْرَاءِ
وَرِزْقُ اللَّهِ مَطْرُوحٌ لِمَنْ قَدْ قَدَّمَ الشُّكْرَاءَ
وَفِعْلُ الْخَيْرِ مَسْمُوحٌ بِهِ فَاسْتَكْثِرِ الْأَجْرَاءِ

* * * * *

عَنِ الْأَرْوَاحِ لَا تَسْأَلُ فَسِرُّ الرُّوحِ مَجْهُولُ
وَلَا تُهْمَلُ وَلَا تَكْسَلُ فِرَاعِي الضَّأْنِ مَسْئُولُ
وَسَلْ عَنْ كُلِّ مَا تَجْهَلُ فَهَذَا الْعِلْمُ مَبْذُولُ
وَيَلْقَى الْمَرْءُ مَا يَعْمَلُ وَفَضْلُ اللَّهِ مَأْمُولُ

* * * * *

تَأْمَلُ صَنْعَةَ الْخَالِقِ وَكُلُّ الْخَلْقِ آيَاتُ
فَهَذَا كَوْكَبٌ سَامِقٌ وَهَذِي الْأَرْضُ ذَرَاتُ
وَهَذَا شَامِخٌ شَاهِقٌ وَذَاكَ السَّهْلُ جَنَاتُ
وَمَوْجٌ زَاخِرٌ دَافِقٌ وَأَحْيَاءُ وَأَمْوَاتُ

* * * * *

وَكُلُّ الْكَوْنِ إِحْكَامُ مَنْ الْأَسْمَى إِلَى الْأَضْغَرِ
وَدِينُ اللَّهِ إِسْلَامُ عَلَى أَذْيَانِهِمْ يَظْهَرُ
وَشَرْعُ اللَّهِ أَحْكَامُ جَلِيَّاتٌ لِمَنْ أَبْصَرُ
وَوَحْيُ اللَّهِ إِلْهَامُ فَجَلَّ الْخَالِقُ الْأَكْبَرُ

* * * * *

عِظْمَةُ الْكَوْنِ^(١)

بَدِيعُ كُلِّ مَا فِي الْكَوْنِ نِ خَلْقُ الْمُبْدِعِ الْقَادِرِ
 جَمِيلُ كُلِّ مَا فِي الْكَوْنِ نِ لِلْمُسْتَمْتِعِ الشَّاعِرِ
 تَأْمَلْ هَلْ تَرَى عَيْبًا بِضْعِ الْمُثْقِنِ الْفَاطِرِ
 تَعَالَى اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ الْبَاطِنُ الظَّاهِرِ

* * * * *

تَأْمَلْ زَهْرَةَ الثُّفَا حِ ذَاتِ السَّخْرِ وَالْعَطْرِ
 وَتَابِعْ شَدَوْ شَحَرٍ يُنَاجِي بِسْمَةِ الْفَجْرِ
 وَرَاقِبْ غَمْلَةً تَسْعَى وَنَحْلًا غَاصَ فِي الزَّهْرِ
 وَنَهْرًا فِضَّةً يَجْرِي عَلَى حَضْبَاءَ كَالدُّرِّ

* * * * *

تَأْمَلْ طَائِرًا يَسْعَى عَلَى أَفْرَاحِهِ الزُّعْبِ
 وَبَطًا سَابِحًا يَجْرِي مَعَ التَّيَّارِ فِي حَزْبِ
 وَشَاءَ طِفْلَهَا تَدْعُو تُغَاءَ مُفْرَحِ الْقَلْبِ
 وَمُهْرًا قَافِرًا يَلْهُو عَلَى بُسْطٍ مِنَ الْعُشْبِ

* * * * *

(١) لخير الدين وانلي، من ديوانه: النصر للإسلام، (١٤١).

طِفْلٌ

يَسُرُّ الْعَيْنَ أَنْ تَرُنُو لِطِفْلٍ عَظِيمِ الْخَلْقِ أَبَدَعَ فِيهِ شَكْلَهُ
فَمِنْ رُوحِ الْوُرُودِ كَسَاهُ عِطْرًا وَمِنْ لُطْفِ النَّسِيمِ أَرَقَّ ظِلَّهُ
وَمِنْ أُنْسِ الطُّيُورِ حَبَاهُ صَوْتًا كَبُوحِ حَمَامَةٍ تَشْدُو لِنَخْلِهِ
وَمِنْ ثَوْبِ الْفَرَّاشِ أَرَقَّ لَمَسًا كَأَنَّ بِلَمْسِهِ إِحْسَاسَ قُبْلَهُ
وَمِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ أَلَذُّ شُرْبًا وَأَطْيَبُ مِنْ رَحِيقِ رَاقٍ نَحْلَهُ
وَأَزْكَى مِنْ عَبِيرِ الرُّوضِ صُبْحًا وَأَنْقَى مِنْ بَيَاضِ الثَّلَجِ حُلَّةً^(١)
وَأُنْسٌ لِلْقُلُوبِ إِذَا رَأَتْهُ تَفِيضُ بِرَحْمَةٍ وَتَجُودُ سَهْلَهُ
فَأَيُّ عُذُوبَةٍ تَلْقَى كَطِفْلٍ يُجَرِّبُ صَوْتَهُ فِي نُطْقِ جُمْلَةٍ^(٢)

* * * * *

(١) الحُلَّة: الثوب.

(٢) شعر محمد عبد الله القولي، (١٨، ١٩)، من ديوانه: خلق الله.

سَبَّحَ الرَّعْدُ!!

سَبَّحَ الرَّعْدُ إِلَهًا لَيْسَ يُجْحَدُ خَافَهُ الْخَلْقُ فَأَتْنِي ثُمَّ مَجَّدُ
سَبَّحَ الرَّعْدُ عَظِيمًا لَا يُدَانِي وَقَوِيًّا قَادِرًا إِمَّا تَوَعَّدُ
أَوْ مَضَ الْبَرْقُ فَهَالُ^(١) الْخَلْقُ طَرًا شَقَّ ثَوْبَ اللَّيْلِ نَارًا تَتَوَقَّدُ
أَوْ مَضَ الْبَرْقُ فَشَعَّتْ مِنْهُ نَارٌ تُبْهِرُ الْأَبْصَارَ فِي حِسِّ تَبَلُّدُ
أَوْ مَضَ الْبَرْقُ فَأَهْدَى آيَةَ الْحَقِّ ضِيَاءَ تَمْنَحُ النُّورَ لِأَرْمَدُ
إِنْ يَشَأْ رَبُّكَ هَزَّتْ مِنْهُ نَارٌ أَيَّ حِصْنٍ لَا تُبَالِي بِمُزْدُ^(٢)
أَوْ يَشَأْ رَبُّكَ أَهْدَى مِنْهُ غِيثًا لِعِطَاشٍ فَازْدَهَى الْعَيْشُ وَأَسْعَدُ
سَبَّحَ الرَّعْدُ كَبِيرًا يَتَعَالَى فِي جَلَالٍ وَجَمَالٍ يَتَفَرَّدُ
سَبَّحَ الرَّعْدُ كَرِيمًا رِزْقُهُ عَمَّ السَّمَاوَاتِ وَهَذِي الْأَرْضُ تَشْهَدُ
وَهَبَ الرِّزْقَ عِبَادًا وَحَدُوهُ وَعِبَادًا أَنْكَرُوا الرَّبَّ الْمَمَجَّدُ
لَمْ تَغِبْ خَيْرَاتُهُ عَنْ خَلْقِهِ لَمْ يَنْسَ خَلْقًا كَانَ قَدْ أَنْشَأَ^(٣) وَأَوْجَدُ
خَلْقُهُ كَانُوا عِيَالًا كَيْفَ يَنْسَى عَائِلًا وَهُوَ الَّذِي يُرْجَى وَيُقْصَدُ
سَبَّحَ الرَّعْدُ فَازْجَى^(٤) بِسَحَابٍ فِيهِ خَيْرُ الْأَرْضِ مَوْفُورًا تَعَدَّدُ

(١) هَالُ: أَفْزَعُ.

(٢) مُزْدُ: مُحْكَمُ الْبِنَاءِ، مُغَطَّى بِطَبَقَةِ مِلْسَاءِ.

(٣) أَنْشَأَ: مَخَفَتِ الْهَمْزَةُ مِنْ: أَنْشَأَ.

(٤) أَزْجَى: دَفَعَ وَأَرْسَلَ.

أَطْلَقَ الرَّعْدُ هَزِيمًا هَائِلًا ضَجَّتْ لَهُ الْأَرْضُ وَمَا فِيهَا تَقَيَّدُ
الْجَمَّ الْخَوْفُ خُطَى النَّاسِ طَوَاهَا مُفْزِعًا فَالرَّعْدُ لِلْأَرْضِ تَوَعَّدُ
سَبَّحَ الرَّعْدُ فَأَهْدَى نِعْمَةً جَلَّتْ أَجَابَ اللَّهُ مَنْ يَدْعُو وَيَأْيَدُ
سَخَّ مِنْهُ الْخَيْرُ فَيَاضًا فَرَوَى بَلَقَعَ^(١) الْأَرْضِ فَأَغْنَاهَا وَأَسْعَدُ
طَابَتْ الْأَرْضُ بُعَيْدَ الرَّعْدِ نَفْسًا وَتَغْنَى صَادُخِ الرُّوضِ وَغَرْدُ
مَا لَدَى اللَّهِ أَيَا رَعْدُ سَيَبْقَى أَبَدًا لَكِنْ زَادَ النَّاسِ يَنْفَذُ^(٢)
أَنْتَ يَا رَعْدُ فَمَنْ سَوَاكَ صَوْتًا يُفْرِغُ الْخَلْقَ وَيَهْدِي مَنْ تَمَرَّدُ^(٣)
سَبَّحَ الرَّعْدُ جَلِيلًا قَالَ إِنِّي آيَةٌ كُبْرَى لِرَبِّ لَيْسَ يُجْحَدُ^(٤)

* * * * *

(١) البَلَقَعُ: الأرض القفر لا نبت فيها.

(٢) يَنْفَذُ: ينتهي.

(٣) التمرُّد: العصيان.

(٤) من ديوان «خلق الله» لمحمد عبد الله القولي، دار الأقصى، الكويت.

مُسْلِمٌ يَخَاطِبُ الْكَوْنَ

قِفْ فِي الْحَيَاةِ تَرِ الْجَمَالَ تَبَسَّمَا
 وَشَدَتْ مُطَوَّقَةَ الْعُرُوسِ وَرَجَّعَتْ
 وَسَرَى النَّسِيمُ يَهْزُ عِطْفَ غَيْرِهِ
 وَتَفْتَحُ الْأَزْهَارِ وَمُعْتَقَ النَّدى
 وَالتَّبْتُ قَدْ شَقَّ الثَّرَى فَعَيُونُهُ
 وَالشَّمْسُ أَرْسَلَتْ الْأَشْعَةَ فِي الْفَضَا
 وَسَرَتْ طُيُورُ الْقَاعِ تُنْشِدُ فِي الرُّبَا
 وَالنَّحْلُ قَدْ تَرَكَ الْخَلِيَّةَ مُوَلِّعًا
 وَفَرَّاشَةُ الْبُسْتَانِ أَلْقَتْ نَفْسَهَا
 وَبَكَى الْعَمَامُ مِنَ الْفِرَاقِ مُشَامِتًا
 وَتَطَاوَلَتْ شُمُ الْجِبَالِ وَنَافَرَتْ
 وَالْمُؤْمِنُ أَطْلَعَ الْوُجُودَ مُسْلِمًا
 فَجَثَّتْ لِطَلْعَتِهِ الْجِبَالُ وَأَذْعَنْتْ
 وَقَدْ اشْرَأَبَتْ كُلُّ كَائِنَةٍ لَهُ
 وَرَأَى الْحَيَاةَ بِنَظَرَةٍ قُدْسِيَّةٍ

وَالطَّلَّ مِنْ ثَغْرِ الْخَمَائِلِ قَدْ هَمَى
 وَتَرَعَرَعَ الْفَنُّ الْجَمِيلُ وَقَدْ نَمَا
 وَالْمَاءُ فِي عَطْفِ الْجَدَاوِلِ تَمَّتَا
 هَدَرَ الْغَدِيرُ وَكَانَ قَبْلُ مُلْثَمًا
 تَأَقَّتْ إِلَى ضَوْءٍ تَأَلَّقَ فِي السَّمَاءِ
 بَدَدًا وَقَبَّلَتْ الْجَلِيدَ فَهَمَّهُمَا
 بَيْتَ الْقَصِيدِ سَعَادَةً وَتَرْتُمَا
 بِرَحِيقِ زَهْرِ ظَلٍّ يُسْكِبُ فِي اللَّمَّا
 فِي سُندُسٍ فَوْقَ الْبَطَائِحِ وَسُمَا
 فِي الْأَرْضِ يَضْحَكُ تَرَحَةً وَتَلُومًا
 قِمَمَ التَّلَالِ فَلَمْ تَكُنْ أَبَدًا كَمَا
 أَهْلًا بِمَنْ حَازَ الْجَمَالَ مُسْلِمًا
 إِذْ كَانَ مِنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ أَعْظَمَا
 فَكَأَنَّهُ مَلِكٌ يَسِيرُ مُعَلَّمًا
 وَبَهَا إِلَى عِزِّ الْمُهَيْمِنِ قَدْ سَمَا

كُشِفَ الْحِجَابُ عَنِ الْغُيُوبِ فَأَشْرَقَتْ سُبُلُ الْهِدَايَةِ قَبْلَهُ فَتَقَدَّمَ
عَرَفَ الْحَقِيقَةَ فَاسْتَنَارَ بِنُورِهَا وَتَرَاهُ فِي عُمَقِ التَّفَكُّرِ مُلْهَمًا
فِي كُلِّ مَائِلَةٍ تَمُرُّ بِعَيْنِهِ عِبْرٌ تُعَرِّفُهُ الْإِلَهَ الْأَعْظَمَا
حَبْلُ الرَّجَاءِ غَدَا بِهِ مُتَمَسِّكًا أَنْعِمَ بِحَبْلِ قَطُّ لَنْ يَتَصَرَّمَا
أَتَرَى الْجَمَالَ بِغَيْرِ مِنْظَارٍ الثَّقَى حُسْنًا وَلَوْ مَلَكَتْ يَدَاكَ الْأَنْجَمَا
أَتَظُنُّ أَنَّ الْأَنْسَ يَسْكُنُ بُرْهَةً قَلْبًا وَلَمْ يَكُ فِي الْحَقِيقَةِ مُسْلِمًا
لَا وَالَّذِي جَمَعَ الْخَلَائِقَ فِي مَنَى وَبَدَا فَأَعْطَى مَنْ أَحَلَّ وَأَحْرَمَا
مَا فِي رُبُوعِ الْكَوْنِ أَجْمَلُ مَنْظَرٍ مِنْ مُؤْمِنٍ لِلسَّعْدِ جَدُّ وَيَمَّمَا
إِنْ مِتَّ يَا حَامِي الْحَيَاةِ فَإِنَّمَا هِيَ نَقْلَةٌ تَلْقَى حَيَاةً أَوْ سَمَا
فِي ظِلِّ رَبِّ كُنْتَ قَدْ وَحَدْتَهُ تَلْقَاهُ فِي الْأُخْرَى أَبَرُّ وَأَكْرَمَا
بَلْ كَيْفَ تَرَحَّلُ وَالْحَيَاةُ تَقُودُهَا مَا لِلْعَوَالِمِ حَوْلَ قَبْرِكَ جُثَّمَا
فَاسْعُدْ فَقَدْ ظَفِرَتْ يَدَاكَ بِصَفْقَةٍ وَاهِنًا فَإِنَّكَ بَعْدُ لَنْ تَتَنَدَّمَ^(١)

* * * *

(١) من ديوان «لحن الخلود»، لعائض القرني، (٢٤، ٢٥)، هجر.

رَأَيْتُ اللَّهَ

عائض القرني

إِلَهَ الْكَوْنِ يُسَعِدُنِي رِضَاكَ وَمَا لِي خَالِقٌ أَبَدًا سِوَاكَ
تَرَاكَ إِذَا رَأَيْتُ الْكَوْنَ عَيْنِي وَأَنْتَ اللَّهُ أَعْظَمُ أَنْ نَرَاكَ

* * * * *

إِذَا مَا الْفَجْرُ فِي الْآفَاقِ حَاكَ وَإِذْ بِالطَّلِّ مُنْسَكَبٌ تَبَاكِي
فَشَوْقِي فِيكَ مُلْتَهَبٌ وَحُبِّي وَقَلْبِي دَائِمًا يَهْوَى عُلاكَ

* * * * *

وَإِذْ بِالْمَاءِ فِي الْأَوْهَادِ يَسْرِي يُتِمَّتُمْ عَنْ مَعَانٍ لَسْتُ أَدْرِي
عَسَاهُ يَقُولُ لِلرَّحْمَنِ شُكْرًا فَأَنْتَ اللَّهُ قَدْ أَجْرَيْتَ نَهْرِي

* * * * *

وَتَنْشَقُّ الزُّهُورُ بِكُلِّ لَوْنٍ تَقُولُ لَنَا أَيَا قَوْمِي دَعُونِي
أُسْبِخْ لِلَّذِي بِالْمَاءِ أَسْرَى إِلَيَّ وَكُنْتُ فِي هَوْلِ الْمُنُونِ
وَهَبَّ الطَّيْرُ لِلْأَرْزَاقِ صُبْحًا تُسْبِخُ وَهِيَ فِي الْآفَاقِ سَبْحًا
وَلَوْلَا رَبُّهَا سَقَطَتْ خِفَافًا وَأَهْوَى نَحْوَهَا الصَّيَادُ ذَبْحًا

* * * * *

إِلَهِي فِي جَمِيعِ الْكَوْنِ شَاهِدٌ بِأَنَّكَ مُوجِدٌ لِلْخَلْقِ وَاحِدٌ

وَمَنْ جَحَدَ الْحَقِيقَةَ كَذَّبُوهُ كَذَبْتَ لَقَدْ خَسِرْتَ أَيَا مُعَانِدْ

* * * * *

فَمَدَّ الطَّرْفَ فِي لَوْحِ السَّمَاءِ وَسَائِلَ وَرَدَهُ بَعْدَ انْتِهَاءِ
أَحَطَتْ بِكُنْهِهِ أَمْ لَمْ تُحِطْهُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ فِي دَوْرِ الْعَبَاءِ

* * * * *

تَرَى قَمَرًا فَقَفَّ حَتَّى تُفَكِّرْ تَرَى الرَّحْمَنَ مِمَّا رُمْتَ أَكْبَرُ
فِمَنْ أَيْنَ الشُّعَاعُ فَلَسْتُ أَذْرِي وَكَيْفَ الْبَدْرُ فِي الْخَضِرَا تَكْوَرُ

* * * * *

وَطَلَّ الْفَجْرُ فِي الدُّنْيَا بِشَمْسٍ أَبْكَرَ هَذِهِ أَمْ بِنْتُ أَمْسٍ
فَيَنْقَشِعُ الظَّلَامُ وَلَمْ يُطْفِئْهَا يَكْرُرُ بِجُنْدِهِ فِي حِينِ نُمْسِي

* * * * *

رَأَيْتَكَ خَالِقِي فِي كُلِّ مَعْنَى كَلَامِكَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا سَمِعْنَا
وَلَوْلَا أَنْتَ مَا كُنَّا وَكَانَتْ نُفُوسٌ فِي أَكْتِنَاتِنَا اجْتَمَعْنَا

* * * * *

لَقَدْ فَجَّرْتَ يَنْبُوعَ الْمَعَانِي فَرَاغَ الْكُفْرُ مِنْ سِحْرِ الْمَثَانِي
كَتَبْتَ لَكَ الْبَقَاءَ قَدُمْتَ حَيًّا قَدِيرًا مَالِكًا وَالْكُلَّ فَانِي

* * * * *

أُذْرِي الدَّمْعَ أَمْ تَكْفِي شُجُونِي لِغَيْرِ هَوَاكَ مَا سَالَتْ عُيُونِي

فَمَنْ نَرْجُو سِوَاكَ وَمَنْ سَيَّرَحِمُ وَقَدْ أَسْلَفْتُ ذَنْبًا حَالَ دُونِي

* * * * *

أَنَا عَبْدٌ فَلُطْفًا يَا إِلَهِي فَلَا تَنْظُرْ لِمَالِي أَوْ لِجَاهِي
فَإِنْ تَغَضَبَ فَلَيْسَ الْكُلُّ يَمْنَعُ سَأُخْفِي فِي دُعَائِي أَوْ أَبَاهِي

* * * * *

نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ جُنْحِ الْغُيُوبِ وَقَدْ كَثُرَتْ عَلَى قَلْبِي ذُنُوبِي
وَقَدْ سَارَتْ خُطَايَ عَلَى طَرِيقِ إِلَى رَبِّ السَّنَا أَبَدًا هُرُوبِي

* * * * *

إِلَيْكَ عَقَدْتُ بِالْوُثْقَى جِبَالِي وَمِنْ فَيْضِ الْهُدَى شَرَفِي وَمَالِي
بِنُورِ غُلَاكَ أَمْضِي فِي طَرِيقِي أَضَاءَتْ مِنْ سَنَى الثُّورِ اللَّيَالِي^(١)

* * * * *

(١) من ديوان: لحن الخلود، (٤٤، ٥٤).

تأملات في صفحة الكون

رَفَرَقَ الطَّيْرُ لَحْنَهُ وَتَهَيَّأَ يَسْكُبُ الشَّدْوُ بَلَسْمًا وَزَدِيًّا
 خَاطَبَ النُّجْمَ وَهُوَ يُومِي بِلَحْظِ حَالِمِ الْهَمْسِ نَاعِمًا وَنَدِيًّا
 غَارَ مِنْ ذَوْبِهِ نَسِيمُ الْأَمَاسِي فَانْتَنَى الْخَطُوطُ عَاطِرًا وَشَدِيًّا
 وَازْدَهَى الرُّوضُ بِأَسْمًا بِرْدَاءِ مِنْ سُلَافِ اللَّجِينِ ذَوْبًا نَقِيًّا
 حَيْثُ رَاحَ السَّحَابُ يُرْجِي نَضَارًا جَرَدَتْهُ الْبُرُوقُ مَوْجًا سَخِيًّا
 وَجَبِينُ السَّمَاءِ يُعْتِمُ حِينًا وَهُوَ يُسْدِي الرَّمِيمَ مَاءً جَنِيًّا
 وَالْبَوَادِي تَسْقِي السُّلَافَ مَعِينًا بِأَسْمَاتِ بِهَا طُيُوفُ الثُّرَيَّا
 وَدُمُوعُ الْعَمَامِ تَرُوي غَرَامَا فِي عُيُونِ الزُّهُورِ كَانَ خَفِيًّا
 وَأَذَاعَتْ مَكَامِنُ الْأَرْضِ سِرًّا أَخْضَرَ اللَّوْنِ حَالِمًا نَرْجِسِيًّا
 وَزَنْتَ مُقْلَةَ النِّسِيمِ وَأَلْقَتْ بِحَدِيثِ تَاقَتْ لَهُ أُذُنِيًّا
 وَجَرَى التَّبَرُّ فِي الْجَدَاوِلِ هَمْسًا صَانُهُ الشَّطُّ رَاقِصًا بُلْبَلِيًّا
 وَتَحَلَّتْ بِهِ الْخَمَائِلُ دُرًّا مِنْ عَقِيقِ الْجَمَانِ صَاغَتْ حُلِيًّا
 وَاسْتَطَابَتْ بِهِ النَّخِيلُ هِيَامَا وَحَنَانًا مُعْطَرَاتِ الْحَيَا
 وَاخْتَسَتْ ذَوْبَهُ قُلُوبُ الْعَذَارَى مِنْ رَشِيقِ الْمَهَا شَرَابًا هَنِيًّا
 فَإِذَا أَدْلَجَ الْمَسَاءُ بِرَفْقِ يَمْنَحُ الْأَفَقَ حُلْمَهُ السُّوسَنِيًّا

وَتَرَى الْكَوْنَ غَارِقًا فِي سُكُونٍ وَخَفِيفُ الْأَشْجَارِ أَلْقَى سَلَامًا
وَتَمُرُّ السَّاعَاتُ تَنْسِجُ حُلَمًا فَتَحُومُ الْمُنَى وَتَطْفُو الْأَمَانِي
وَإِذَا الْفَجْرُ يَنْتَضِي بِشُعَاعٍ فَتَهُبُ الرُّبُوعُ تَنْفُضُ شَيْئًا
تَتَبَارَى قَوَافِلُ الْجُهْدِ نَشْوَى تَسْتَشْفُ الْعُلَا تَرُومُ الْمَعَالِي
أَزْرَتْهَا مَعَ الْبُكُورِ طُيُورٌ وَالْمَرْوَجُ الْخَضِرَاءُ تَرْقُصُ شَوْقًا
فَيَغْنِي مَعَ الْمَرْوَجِ عَبِيرٌ هَذِهِ صَفْحَةُ الْوُجُودِ أَمَامِي
وَاقْرَءُوا سِرَّهَا فَفِيهَا حَدِيثٌ وَاسْمَعُوا هَمْسَهَا فَفِيهَا مَعَانٍ
وَالثَّمُومَا عِطْرُهَا فَفِيهَا رَحِيقٌ مِنْ أَرْيَجِ الْخُلُودِ عَقًّا صَفِيًّا^(١)

* * * * *

(١) من ديوان «قطوف إسلامية» لصلاح نصر حسين، (١٣ - ١٥)، مكتبة المعارف، الرياض.

ولله درّه حين يقول:

غَسَلَ الموجَ لِلصُّخُورِ خُطَاهَا

غَسَلَ الموجَ لِلصُّخُورِ خُطَاهَا وَاسْتَرَاخَتْ أَحْلَامُهُ فِي جِمَاهَا
وَأَطْلَلْتُ شَمْسُ الْأَصِيلِ حَيَاءً حِينَ أَلْقَتْ إِلَى النَّخِيلِ رِدَاهَا
فَتَهَادَى بِهِ النَّخِيلُ وَرَاخَتْ تَمَلُّ الْأَرْضَ مِنْ ثِمَارِ جَنَاهَا
وَأَمَالَتْ سَنَابِلُ الْقَمْحِ رَأْسًا وَهِيَ نَشْوَى بِمَا يَبُوحُ هَوَاهَا
وَعَلَى هَمْسِهَا تَبَاهَى خَفِيفٌ مِنْ رَشِقِ الْأَرْوَاحِ يَحْكِي صَدَاهَا
وَإِذَا الْوُرُقُ غَادِيَاتُ سُكَارَى تَسْتَحِثُّ الْخُطَا إِلَى مُنْتَهَاهَا
تَتَغَنَّى لَهَا الْخَمَائِلُ مَرَحَى وَهِيَ تُذَكِّي الْأَرِيحَ حِينَ تَرَاهَا
وَتُصَفِّقُ جَدَاوِلُ الْمَاءِ نَشْوَى وَالرَّذَاذُ الْهَفْهَفُ فَوْقَ شِفَاهَا
وَيَزِفُ النَّسِيمُ مِنْ لَحْنِهِ الشَّدْ وَ يُهْدِي إِلَى الْمَرْجِ شَذَاهَا
فَتَدْبِرُ يَا صَاحِبِي آيَةَ الْكُورِ نِ وَكَبَّرَ رَبًّا حَبَاكَ هُدَاهَا^(١)

* * * * *

(١) قصيدة «لوحة من الطبيعة» لصلاح نصر حسين، من ديوانه «قطوف إسلامية» (٢٨، ٢٩).

أَنْتَ أَنْتَ اللَّهُ

قال عبد الغني المنشاوي:

قِفْ حِيَالَ السَّمَاءِ لَيْلاً وَسَائِلُ
سُفُنٍ مَوْجَهَا الْإِثِيرُ وَلَا يَغْدُ
جَاوَزَتْ فِي الْعَيُونِ حَدَّ التَّقْصِي
إِنْ تُطَالِعَ أَبْصَارُنَا مُبْتَدَاهَا
وَأَسْأَلِ الْوَرْدَةَ اكْتَسَتْ كُلُّ لَوْنٍ
أَلْبَسَتْهَا الْأَوْرَاقُ كَفَّ قَدِيرٍ
أَبْرَزَتْهَا عَذْرَاءُ مِنْ خِذْرِ كُفٍّ
وَرَعَتْهَا مَلِيكَةُ الزَّهْرِ لَمَّا
فَأَصْبَحَ لِلْجَوَابِ مِنْهَا تَجْدُّهَا
شَجَرَاتُ فِي الرُّوضِ مُشْتَبِهَاتُ
ذُقْتَ هَذَا فَمَا أَمْرُ جَنَاهَا
مَا اخْتِلَافُ الطُّعُومِ وَالْمَاءِ فِيهِ
صَاغَهَا مِثْلَمَا أَرَادَ بَدِيعُ
ثُمَّ سَائِلُ بَلَابِلِ الْأَيْكِ تَشْدُو
سُفُنَ النَّيِّرَاتِ مَنْ أَجْرَاهَا
لَمْ إِلَّا رُبَّانُهَا مَرَسَاهَا
فَتَرَاهَا وَلَا تَكَاذُ تَرَاهَا
فَالِىَ اللَّهِ رَبُّهَا مُنْتَهَاهَا
مَنْ كَسَاهَا وَمَنْ حَبَاهَا شَذَاهَا
فَأَرْتُنَا لَثَمَ الشُّفَاهِ الشُّفَاهَا
فِي حَيَاءٍ تَوَرَّدَتْ وَجَنَّتَاهَا
أَلْبَسَتْهَا الرِّيَاضُ تَاجَ نَدَاهَا
بِاسْمِ مَنْ حَاكَهَا تُحْرِكُ فَاهَا
شَهْوَةٌ لِلْآكِلِينَ فَاطْعَمَ جَنَاهَا
ثُمَّ هَذَا فَقُلْتُ مَا أَحْلَاهَا
وَاحِدٌ وَالثَّرَابُ أَصْلُ غِذَاهَا
قَدْ نَفِينَا عَنْ ذَاتِهِ الْأَشْبَاهَا
فِيهِزُّ الْأَمْلَاقَ لَحْنُ غِنَاهَا

وَتُنَاجِي الْقُلُوبَ وَهِيَ تُغْنِي فَتُذِيبُ الْقُلُوبَ فِي نَجْوَاهَا
 مَنْ بَرَى هَذِهِ الْحَنَاجِرَ عِيدًا نَا وَأَنْشَأَ قِيثَارَةً فِي لُهَاهَا
 إِنَّهُ مُبْدِعُ كَسَا الطَّيْرِ رِيشًا وَحَبَاهَا فِي الْجَوِّ مُلْكًا وَجَاهَا
 هَذِهِ النَّمْلَةُ الدَّقِيقَةُ خَلَقًا كَيْفَ تَسْعَى وَكَيْفَ تَبْنِي قُرَاهَا
 هَذِهِ النَّحْلَةُ اِكْتَسَتْ حَبْرَاتٍ مَنْ طَهَى شَهْدَهَا وَسَلَّ حِمَاهَا
 قُلْ لِشَمْسِ النَّهَارِ مَنْ جَلَّاهَا وَاسْأَلِ الْأَرْضَ مَنْ أَدَارَ رَحَاهَا
 وَاسْأَلِ الرِّيحَ كَيْفَ تُزْجِي سَحَابًا وَاسْأَلِ الشَّجَبَ كَيْفَ يَهْمِي حَيَاهَا
 ضَلَّ فِي التِّيهِ مَنْ أَبَى الرُّشْدَ تِيهَا يَا أَخَا الْعَقْلِ لَا تَكُنْ تَيَاهَا
 يَجْهَلُ الْعَقْلُ كُنْهَهُ وَهُوَ عَقْلٌ وَجَدِيرٌ أَنْ يُدْرِكَ الْأَكْنَاهَا
 قُلْ لَهُ مَا الْأَثِيرُ وَهُوَ فَضَاءٌ إِنْ يُحْمَلُ رِسَالَةٌ أَذَاهَا
 ثُمَّ مَا الْكَهْرِبَاءُ وَهِيَ قَرِيبٌ مِنْهُ وَهُوَ الْبَعِيدُ عَنْ مَعْنَاهَا
 قُلْ لَهُ مَا ارْتِبَاطُ جِسْمٍ بِرُوحٍ ضَلَّ فِيهَا دِرَاسَةٌ وَاكْتِنَاهَا
 إِنَّ خَلْفَ الْعُقُولِ رَبًّا حَكِيمًا أَوْدَعَ الْكَائِنَاتِ سِرًّا بَقَاهَا^(١)

* * * * *

آيَاتُ رَبِّكَ أَسْفَرَتْ

قال علي عبد العظيم:

الكونُ قامَ على مَلا بينِ المجراتِ الوِضاءِ
 في كُلِّ واحدةٍ بَلا بينَ الشُّموسِ على استواءِ
 كُلُّ يَسيرٍ بِأُفقِهِ دُونَ انحرافٍ والتواءِ
 هُوَ عَالَمٌ ضَخْمٌ يَعْـزُّ عَلَى المَراقِبِ والمَرائِي
 والأرضُ فِيهِ ذَرَّةٌ صُغرى تَطوفُ على ذُكاءِ
 والنَّاسُ فوقَ أَدِيمِهَا أَشْباهُ ذَرَّاتِ الهَبَاءِ
 والكُلُّ جاءَ مِنَ الفَناءِ وَ سَوفَ يَمِضِي لِلْفَناءِ
 سُبْحانَ مَنْ حازَ الكَما لَ وَمَنْ تَفَرَّدَ بِالبَقاءِ

* * * * *

يا بنِ الرَّدَى لُذْ بالمَهِيمِ مِنْ وَاعْتَصِمَ بِالأنبياءِ
 واسلُكْ سَبيلَ الدِّينِ تَظْ فِرْ بالسَّعادَةِ والرِّضاءِ
 سَبِّحْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي فَلَمِ الصُّباحِ وَفِي المَساءِ
 وانظُرْ بِعَينِكَ أَوْ بِقَلِّ بِكَ ما يَحُفُّكَ مِنَ بَهاِ
 آيَاتُ رَبِّكَ أَسْفَرَتْ فَدَعَتْ إِلَيْهِ بِلا امْتِراءِ
 أَلأَوُّهُ العُظْمى تَلُو حُ لِكُلِّ مُسْتَمعٍ ورائِي
 فِيها الخِلاصُ مِنَ الشَّدَا نِدِ والشِّفاءِ لِكُلِّ داءِ

فَالْتَّاسُ لَوْلَا الدِّينُ كَالْأَنْعَامِ مِنْ إِبْلِ وَشَاءِ

يَا بَنَ الثَّرَى نَادَاكَ رَبُّكَ فَاسْتَمِعْ قُدْسَ النَّدَاءِ
وَأَعِدَّ رَكْبَكَ لِلرَّحِيحِ لِي غَدًا إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ
فَاهْبُطْ أَوْ اصْعِدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَأَنْتَ فِي شَرْكِ الْفَنَاءِ
مَهْمَا نَأَيْتَ فَأَنْتَ عَنْ كَفِّ الْمَنِيَّةِ غَيْرُ نَائِي
لَكَ ضَجْعَةٌ تَحْتَ الثَّرَى تَبْقَى إِلَى يَوْمِ الْجَزَاءِ
مَا أَنْتَ قَطُّ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فَوْقَ السَّمَاءِ^(١)

وقال الأستاذ الصدام:

ما أكفر الإنسانَ يَجْحَدُ رَبَّهُ

ما أكفر الإنسانَ يَجْحَدُ رَبَّهُ وَذَلِيلَهُ فِي نَفْسِهِ لَوْ يَشْعُرُ
ظَهَرَتْ بَدَائِعُ صُنْعِهِ فِي أَرْضِهِ يَحْتَارُ فِيهَا الْمُبْصِرُ الْمُتَفَكِّرُ
ما الذرُّ؟ ما الإشعاعُ؟ ما الرّادارُ؟ هَذِي الصَّوَارِيخُ الَّتِي لَا تُقْهَرُ
إِنْ أَدْرَكَتْ مِنَّا الْمَدَارُكُ كُنْهَهَا فَغَدَتْ لِأَبْنَاءِ الْحَيَاةِ تُسَخَّرُ
فَاللَّهُ سَخَّرَهَا وَقَدَّرَ كَشْفَهَا وَاللَّهُ أَوْجَدَهَا وَرَبُّكَ أَقْدَرُ

(١) الوعي الإسلامي، العدد (٤٧)، صفر سنة ١٣٩١.

مَنْ يَنْكُرُ اللَّهَ الَّذِي آيَاتُهُ لَمَّا تَزَلُ فِي كُلِّ عَصْرِ تَظْهَرُ
مَا الْحَقُّ عِنْدَ أُولِي الثَّهَى بِمُحَجِّبِ الْحَقِّ أَبْلُجُ كَالصَّبَاحِ وَأُنُورُ^(١)

ولله در القائل:

وَالْأَرْضُ عِنْدَ أُولِي الثَّهَى لَسَطِيحَةٌ

وَالْأَرْضُ عِنْدَ أُولِي الثَّهَى لَسَطِيحَةٌ
وَاللَّهُ صَيَّرَهَا فِرَاشًا لِلْوَرَى
وَاللَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهَا مَسْطُوحَةٌ
أَخَاطَ بِالْأَرْضِ الْحُيْطَةَ عِلْمُهُمْ
أَمْ يُخْبِرُونَ بِطُولِهَا وَبِعَرْضِهَا
أَمْ فَجَّرُوا أَنْهَارَهَا وَغَيَّوْنَهَا
أَمْ أَخْرَجُوا أَثْمَارَهَا وَنَبَاتَهَا
أَمْ هَلْ لَهُمْ عِلْمٌ بَعْدَ ثِمَارِهَا
اللَّهُ أَحْكَمَ خَلَقَ ذَلِكَ كُلَّهُ
قُلْ لِلطَّبِيبِ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ
بَدَلِيلِ صِدْقِ وَاضِحِ الْقُرْآنِ
وَبَنَى السَّمَاءَ بِأَحْسَنِ الْبُنْيَانِ
وَأَبَانَ ذَلِكَ أَيْمًا تَبْيَانِ
أَمْ بِالْجِبَالِ الشُّمَخِ الْأَكْنَانِ
أَمْ هَلْ هُمَا فِي الْقَدْرِ مُسْتَوِيَانِ
مَاءٌ بِهِ يُزَوَّى صَدَى الْعَطْشَانِ
وَالنَّخْلَ ذَاتَ الطَّلَعِ وَالْقِنَوَانِ
أَمْ بِاخْتِلَافِ الطَّعْمِ وَالْأَلْوَانِ
صُنْعًا وَاتَّقَنَ أَيْمًا إِتْقَانِ
أَنَّ الطَّبِيعَةَ عِلْمُهَا بُرْهَانِي

أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ نُطْفَةً فِي الْبَطْنِ إِذْ مُشِجَتْ بِهِ الْمَاءَنِ
أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ غُدَّتْ عَلِيقَةً فِي أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ ثَوَانِي
أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً فِي أَرْبَعِينَ وَقَدْ مَضَى الْعَدَدَانِ
أَتَرَى الطَّبِيعَةَ صَوَّرْتُكَ مُصَوَّرًا بِمَسَامِعٍ وَنَوَاطِرٍ وَبَنَانِ
أَتَرَى الطَّبِيعَةَ أَخْرَجْتُكَ مُنْكَسًا مَنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِي الْأَرْكَانِ
أَمْ فَجَرْتُ لَكَ بِاللَّبَانِ ثُدِيَّهَا فَرَضِعْتُهَا حَتَّى مَضَى الْحَوْلَانِ
أَمْ صَيَّرْتَ فِي وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُعْتَبِرَانِ
يَا فَيَلَسُوفُ لَقَدْ شُغِلْتَ عَنِ الْهُدَى بِالْمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِيِّ^(١)

* * * * *

(١) نونية القحطاني.

قال الحسن بن هانئ:

تَفَكَّرْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ

تَفَكَّرْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَاَنْظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ
عُيُونٌ مِنْ لَجِينِ شَاخِصَاتٍ بِأَبْصَارِ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى قُصْبِ الزَّبْرِجَدِ شَاهِدَاتٍ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ^(١)

* * * *

قال أحمد محرم:

مَنْ عَلَّمَ الْوَرَقَاءَ أَنْ تَتَرَنَّمَا

مَنْ عَلَّمَ الْوَرَقَاءَ أَنْ تَتَرَنَّمَا وَمَنْ الَّذِي أَوْحَى الْبَيَانَ وَالْهَمَا
سُبْحَانَ رَبِّكَ لَا مَرَدَّ لِفَضْلِهِ أَنْ آثَرَ الْحُسْنَى فَجَادَ وَأَنْعَمَا
خَلَقَ الْمَوَاهِبَ وَالْفُنُونَ وَسَاقَهَا رِزْقًا عَلَى النَّفَرِ الْكِرَامِ مُقَسَّمَا
وَالرِّزْقُ فِي الدُّنْيَا قَضَاءٌ مُبَرَّمٌ بِيَدِ الَّذِي عَقَدَ الْأُمُورَ وَأَبْرَمَا
أَشْقَى الْبَرِيَّةِ مَنْ أَرَادَ زِيَادَةً وَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يُرَدَّ وَيُحْرَمَا

* * * * *

(١) للحسن بن هانئ، انظر: البداية والنهاية، (٥٣٢/٠١)

قال شوقي:

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري حتى أريك بديع صنع الباري
الأرض حولك والسماء اهتزنا لروائع الآيات والآثار
من كل ناطقة الجلال كأنها أم الكتاب على لسان القاري
دلت على ملك الملوك فلم تدع لأدلة الفقهاء والأخبار
من شك فيه فنظرة في صنعه تمحو أثيم الشك والإنكار^(١)

* * * * *

ولله در الصنعاني حيث يقول:

من ذا الذي بسط البسيطة للورى

من ذا الذي بسط البسيطة للورى فرشا وتوجها بسقف سماءه
من ذا الذي جعل الثجوم ثواقبا يهدي بها السارين في ظلماته
من ذا أتى بالشمس في أفق السما تجري بتقدير على أرجائه
من أطلع القمر المنير إذا دجى ليل فشاباه صبحه بضيايه

مَنْ ذَا الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا وَكَفَى الْجَمِيعَ بِبِرِهِ وَعَطَائِهِ
وَأَدَّرَ لِلطِّفْلِ الرُّضِيعِ مَعَاشَهُ مِنْ أُمِّهِ يَمْتَصُّ طِيبَ غِذَائِهِ^(١)

* * * * *

قال محمد الصدام:

عن كُنْهِكَ ارتدت الأوهام والفهم

أَنْتَ الْوَجُودُ الَّذِي مَا قَبْلَهُ عَدَمٌ عَنْ كُنْهِكَ ارْتَدَّتِ الْأَوْهَامُ وَالْفُهُمُ
وَخَالَقُ الْبَدِءِ لَا بَدْءٌ يُحِيطُ بِهِ فَدَعِ أَكَاذِيبَ مَنْ ظَنُّوا وَمَنْ رَجَمُوا
أَنْتَ الْقَدِيرُ الَّذِي مِنْ صُنْعِ قُدْرَتِهِ هَذِي الْعَوَالِمُ وَالْأَفْلَاكُ وَالسُّدَمُ
أَنْتَ الْبَدِيعُ الَّذِي أَبَدَى بَدَاعَتَهُ فِي صُنْعِهِ الْخَلْقُ وَالْإِعْجَازُ وَالنُّظُمُ
أَنْتَ اللَّطِيفُ الَّذِي أَلْطَافُهُ شَمِلَتْ مَنْ فِي بَسِيطَتِهِ لَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا
لَنَا مُجَدَّدَةٌ نَعْمَاؤُهُ أَبَدًا وَهُوَ الْقَدِيمُ الَّذِي لَمْ يُثْلِهِ الْقِدَمُ^(٢)

* * * * *

(١) الديوان، (٥).

(٢) ابتهالات، (١٥).

ابتهالات

وربُّكَ أَحصى عدَّ أنفاسٍ مَنْ مَضُوا وأعدادَ أنفاسِ الثُّفوسِ اللُّواحِي
لَطِيفٌ خفايا لُطْفِهِ بِعبادِهِ تُرى في خَفَيَّانِ الأمورِ الدَّقَائِقِ
عَلَيَّ كَبِيرٌ قَاهِرٌ مُتَكَبِّرٌ تَعَالَى عُلُوءًا عن أراجيفِ مَارِقِ
يَرى في الدُّجى مَدَّ البعوضِ جَنَاحَهُ وَيَسْمَعُ دَقَّاتِ القُلُوبِ الخَوَافِقِ
وَيَهْدِي القَطَا والنَّمَلَ والوحشَ بِالفَلَا لِأَوْكَارِهَا في الدَّاجِيَاتِ الغَوَاسِقِ
يَرى مَنْ لَهُ قَلْبٌ بَدائعَ صُنْعِهِ بِطَرْفَةِ عَيْنٍ أو بِوَمُضَةٍ بَارِقِ^(١)

* * * * *

تُسَبِّحُ ذَرَّاتُ الْوُجُودِ بِحَمْدِهِ

قال الشاعر:

تُسَبِّحُ ذَرَّاتُ الْوُجُودِ بِحَمْدِهِ وَيَسْجُدُ بِالتَّعْظِيمِ نَجْمٌ وَأَشْجَارُ
وَيَكِي غَمَامُ الْغَيْثِ طَوْعًا لِأَمْرِهِ فَتَضْحَكُ مِمَّا يَفْعَلُ الْغَيْثُ أَزْهَارُ
تَبَارَكَ رَبُّ الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ مِنْ عَجَائِبِ يَنْظُرُهُنَّ بَدْوٌ وَحُضَارُ
إِلَهِي أَذْقَنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وَاهْدِنِي إِلَيْكَ بِمَا يُرْضِيكَ فَالْدَّهْرُ غَرَارُ

وَصِلْ حَبْلَ أَنْسِي بِاجْتِمَاعِ أَحَبَّتِي فَفِي صَرَمِ حَبْلِ الْأُنْسِ يَشْمَتُ عَدَاؤُ
وَضُنْ مَاءٍ وَجْهِي عَنْ مَقَامِ مَذَلَّةٍ وَحَصْنُهُ مِنْ جَوْرِ الطُّغَاةِ إِذَا جَارُوا
فَإِنِّي بِنَقْصِيرِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي عَلَى أَمَلِي مِنْ مِصْرِ جُودِكَ أُنْتَارُ
وَصَلِّ عَلَى رُوحِ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ حَمِيدِ الْمَسَاعِي فَهَوَّ فِي الْخَلْقِ مُخْتَارُ^(١)

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبُعُوضِ جَنَاحَهَا

قال الزمخشري:

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبُعُوضِ جَنَاحَهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْأَلِيلِ
وَيَرَى مَنَاطَ غُرُوقِهَا فِي نَخْرِهَا وَالْمُخَّ فِي تِلْكَ الْعِظَامِ النَّحْلِ
اغْفِرْ لِعَبْدٍ تَابَ عَنْ فُرْطَاتِهِ مَا كَانَ مِنْهُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ^(٢)

مَنْ ذَا يَسُوقُ الرِّيحَ وَالشُّعْبَا؟

قال أحمد الصافي النجفي:

مَنْ ذَا يَسُوقُ الرِّيحَ وَالشُّعْبَا وَيُنْبِتُ الْأَزْهَارَ وَالْعُشْبَا
مَنْ أَوْدَعَ الْأَشْجَارَ حُلُوقَ الْجَنَى وَمَنْ سَقَانَا مَاءَنَا الْعَذْبَا

(١) الديوان، (٣).

(٢) تفسير الكشاف، (٨٧/١، ٨٨).

مَنْ عَلَّمَ الْحَيَوَانَ لَا عَنْ حِجِّي عَلَى بَنِيهِ الْعُطْفَ وَالْحَذَبَا
مَنْ يَرْزُقُ الْأَحْيَاءَ أَقْوَاتَهَا وَمَنْ يُؤَاخِي بَيْنَهَا حُبًّا
مَنْ كَوَّنَ الْجِسْمَ وَأَعْطَى لَهُ مُحَرِّكًا يَدْعُونَهُ قَلْبًا
وَمَنْ وَمَنْ هَيْهَاتَ أَحْصِيَ الَّذِي أَعْطَى لِمَا قَدْ هَبَّ أَوْ دَبَّ (١)

* * * * *

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

مَنْ أَبْدَعَ النَّاسَ فِي جِسْمٍ بَدَا عَجَبًا فِي دَقَّةِ الْخَلْقِ وَالْإِحْسَاسِ وَالصُّورِ
مَنْ أَكْسَبَ النَّاسَ عَقْلًا يَهْتَدُونَ بِهِ فِي مَهْمِهِ (٢) الْعَيْشِ أَوْ فِي الْكَوْنِ وَالْفِكْرِ
مَنْ عَلَّمَ الْخَلْقَ آفَاقًا وَمَعْرِفَةً وَهَيَأَ الْعَقْلَ لِلْإِدْرَاكِ وَالْعَبْرِ
يُحْصِلُ الْفَهْمَ فِي شَتَّى الْعُلُومِ كَمَا تَحْطَى لَدَيْهِ بِمَا قَدْ مَرَّ مِنْ خَبَرٍ
تِلْكَ الْعُلُومُ فَكَيْفَ الْعَقْلُ يَحْفَظُهَا مَدَى السِّنِينَ وَيُنْقِيهَا لِمَذْكِرٍ (٣)
وَالْعَيْنُ جَوْهَرَةٌ أَهْدَاكَ خَالِقُهَا كَيْ تَشْهَدَ الْفَضْلَ لِلْوَهَّابِ بِالْبَصْرِ
وَالْعَيْنُ تُبْصِرُ هَلْ تَدْرِي طَبِيعَتَهَا فَالشَّكْلُ يُذَرِّكُ فِي لَمَحٍ مِنَ النَّظَرِ
فَالْعَيْنُ تَنْقُلُهُ خَالًا إِلَى عَصَبٍ وَاللُّبُّ يَفْهَمُ كُنْهَ الشَّكْلِ بِالْأَثَرِ

(١) الشَّلَالُ، (٣٣).

(٢) الْمَهْمَةُ: الْمَفَازَةُ، وَهِيَ: الصَّحْرَاءُ الْبَعِيدَةُ.

(٣) مُذَكِّرٌ: مُتَذَكِّرٌ.

والشَّمُّ والذَّوقُ والإحساسُ والهَفَى وغيرُ ذاكَ ألا يُرجى لمُعتَبِرِ
وظائفُ أحكمَ الرحمنُ صنْعَتَهَا وكَرَّمَ النَّاسَ في التَّكْوِينِ والصُّورِ
عَنْ سُكْرِ الدَّمِ قَدْ قالوا لَنَا كِبْدٌ يُحَدِّدُ الْقَدَرَ لا نَخْشَى مِنَ الْخَطَرِ
فكيفَ يحسِبُ هذا الجِسْمُ حاجَتَهُ فلا تَزِيدُ ولا تَدْنُو إلى قِصَرِ
مَنْ نَوَّعَ الخَلْقَ مِنْ أَثْنَى وَمِنْ ذَكَرٍ كي يَسْتَقِيمَ نِظامُ الكونِ لِلبَشَرِ
أَكُلْ هذا صَغِيرَ الشَّانِ تحسُّبُهُ وتَسْتَعِضُ سِوَاهُ تافَهُ الْفِكْرِ^(١)

* * * * *

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾

(الآية: ٧، الشمس)

لَمَسْتُ بِنَفْسِي فِعْلَ الحَيَاةِ وَأَحْسَسْتُ فِيهَا كَمِينَ المَمَاتِ
وَيَذْهَبُنِي التَّنَطُّقُ عِنْدَ الْكَلَامِ وَيَذْهَبُنِي فَهْمِي الحَادِثَاتِ
وَأُدْرِكُ أَنِّي سَمِيعٌ بَصِيرٌ فَأَعْجَبُ كَيْفَ أَتَتْنِي الصِّفَاتِ
وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَسِيرُ الطَّعَامُ فَيَمْنَحُ جِسْمِي غِذَاءَ الحَيَاةِ
وَقَدْ أَتَمَّنَّى خَفِيفَ المُنَى فَأَعْجُزُ أَنْ أَجْلِبَ الأُمْنِيَّاتِ

* * * * *

فَأَمَعَنْتُ فِي عَجْزِي الظَّاهِرِ
فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ

(١) من قصيدة «صنعة الله آية»، من ديوان «خلق الله»، لمحمد بن عبد الله القولي، (٣٣، ٣٤).

وَفِي النَّفْسِ لِلْبَاحِثِ الْمُدَّكِرِ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
فَأَمَنْتُ بِهِ^(١)

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

«الآية: ٢١» الذاريات

عَجِبْتُ لِعَقْلِي وَأَحْكَامِهِ	وَكَيْفَ أَتَنِي مَوَازِينُهُ
وَمِنْ أَتَيْنَ جَاءَتْ ضُرُورَاتُهُ	وَمِنْ أَتَيْنَ جَاءَتْ قَوَانِينُهُ
فَلَا أَنَا أَعْرِفُ مَا كُنْهُهُ	وَمَا هُوَ فِي النَّفْسِ تَكْوِينُهُ
وَلَوْ أَنَّهُ أَنْعَكَسَتْ حَالُهُ	لَكَانَ مِنَ الْخَيْرِ تَكْفِينُهُ
نَشَاطٌ مِنَ الْفِكْرِ لَا يَنْتَهِي	وَيَبْقَى لَدَى النَّفْسِ تَدْوِينُهُ
مُدَوَّنَةُ النَّفْسِ أَقْوَى الشُّهُودِ	إِذَا الْمَرْءُ ذَاهِمُهُ حِينُهُ

عَجِبْتُ لِقَلْبِي وَأَهْوَائِهِ	وَكَيْفَ تَجَمَّعَ بُنْيَانُهُ
وَكَيْفَ يُوجِّهُهُ لِلْمُرَادِ	مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ إِيْمَانُهُ
وَكَمْ تَلَقَّه رِيَشَةٌ فِي الْهَوَا	ءِ أَهْوَاؤُهُ هِيَ سُلْطَانُهُ

(١) من ديوان: أمنت بالله، (١٨).

عَوَاطِفُهُ ذَاتُ حُكْمٍ عَلَيْهِ وَإِنْ خَالَفَ الْحُكْمَ بُرْهَانُهُ
 فَطَوْرًا تُسَوِّدُ أَفْرَاحَهُ وَطَوْرًا تُسَوِّدُ أَحْزَانَهُ
 وَكَمْ تَسْتَبِدُّ بِهِ فِي السُّلُوكِ وَفِيمَا يُفَكِّرُ أَشْجَانَهُ
 وَكَمْ لِلْمَطَامِعِ مِنْ سَطْوَةٍ عَلَيْهِ بِهَا ضَاعَ وَجْدَانُهُ
 وَأَسْبَابُ ذَلِكَ عَزْلُ الْيَقِينِ وَحِينَ تُزْلَزِلُ أَرْكَانَهُ^(١)

تَبَصَّرْتُ فِي حَالِي الظَّاهِرِ
 فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
 وَفِي النَّفْسِ لِلنَّازِلِ الْمُغْتَبِرِ
 رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
 فَآمَنْتُ بِهِ^(٢)

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

رُبَّمَا أَعْجَبَتْنِي مِنْ هَبَّتِي رَأْيِي وَفَكْرِي
 وَتَطَاوَلْتُ إِلَى مَنْ زَلَّةٍ مِنْ فَوْقِ قَدْرِي
 وَتَصَوَّرْتُ غُرُورًا أَنَّنِي مَالِكُ أَمْرِي
 أَنَّنِي أَظْفَرُ فِيمَا أَشْتَهِي مِنْ كُلِّ دَهْرِي

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٣٩، ٤٠).

(٢) من ديوان: آمنت بالله، (٣٨).

أَتْنِي أَمْتَازُ بِالْحَيِّ لَمَّةٌ فِي تَيْسِيرِ عُشْرِي
فَإِذَا كُلُّ غُرُورِي خَيْبَةً تَقْصِمُ ظَهْرِي
عِنْدَهَا سَاءَلْتُ نَفْسِي هَلْ أَنَا مَالِكُ أَمْرِي؟
هَلْ أَنَا اخْتَرْتُ وَجُودِي؟ هَلْ أَنَا أَنْشَأْتُ جَذْرِي؟
هَلْ أَنَا صَانِعُ فِكْرِي؟ هَلْ أَنَا حَافِظُ صَدْرِي؟
هَلْ أَنَا أَدْفَعُ عَنِّي؟ رِخْلَتِي الْكُبْرَى لِقَبْرِي؟
مَا لِفِكْرِي غَارِقًا فِي وَخْلِهِ مِنْ فَرْطِ سُكْرِي؟
هَلْ تُرَى يَنْفَعُنِي فِي عِيشَتِي مَذْهَبُ كُفْرِي؟
أَمْ تُرَانِي فِي عَذَابِ مِنْهُ يُغْرِينِي بِنَحْرِي؟
هَذِهِ قِصَّةُ نَفْسِي حِينَمَا رَاجَعْتُ فِكْرِي
حِينَمَا رَاجَعْتُ قَلْبِي حِينَمَا أَذْرَكْتُ فَقْرِي
قِصَّةُ الْإِيمَانِ عِنْدِي أَنَّنِي لُذْتُ بِرَبِّي
حِينَمَا أَذْرَكْتُ نَفْسِي حِينَمَا رَاجَعْتُ قَلْبِي
فَتَوَجَّهْتُ إِلَى اللَّهِ بِهِ بِإِدْعَائِي وَحُبِّي

وَفِي النَّفْسِ لِلْعَاقِلِ الْمُدَّكَّرِ

رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ

فَأَمَنْتُ بِهِ^(١)

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٤٧، ٤٨).

الحواس

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) النحل. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) المؤمنون.

ظواهرُ في الكونِ لا تنحصِرُ	يُحسُّ بِهَا مَسْمَعِي وَالْبَصَرُ
أَذُوقُ مَطَاعِمِهَا إِنْ أَرَدْتُ	وَأَلْسُ أَشْيَاءَهَا فِي حَدَرُ
رَوَائِحُهَا تَمْتَطِينَ الْهَوَاءَ	وَتَضَحِبْنَهُ حَيْثُمَا يَنْتَشِرُ
فَمِنْهَا أَكُفٌ وَمِنْهَا أَشُمٌ	فَهَذَا قَبِيحٌ وَهَذَا عَطِرُ
وَكُلٌّ بِهِ قَاتِلٌ يُتَّقَى	وَكُلٌّ بِهِ مَا يُفِيدُ الْبَشَرَ
ظَوَاهِرُ أَصْفُو بِهَا سَاعَةٌ	وَأُخْرَى أَكُونُ بِهَا فِي كَدَرُ
وَحَالِي بِهَا رَاغِبٌ رَاهِبٌ	فَحِينًا أَسَاءُ وَحِينًا أَسْرُ
فَمَنْ شَقَّ سَمْعِي وَشَقَّ الْبَصَرُ	وَمِنْ أَيْنَ لِي عِلْمٌ مَا قَدْ ظَهَرَ
وَكَيْفَ أُحِسُّ بِهَذَا الْوُجُودِ	وَكَيْفَ أَتَنَبَّيُ الْحَوَاسُ الْكُبَرُ
مَنَافِذُ مِنْهَا شَهِدْتُ الْوُجُودَ	وَكَانَ شُهُودِي لَهُ فِي قَدَرُ
شَهِدْتُ ظَوَاهِرَهُ وَالشُّطُوحَ	وَمَا خَلَفَهَا بِالْحِجَابِ اسْتَتَرُ
هُنَالِكَ أَعْمَلْتُ عَقْلِي الْفَسِيحَ	وَرَاءَ الْحُدُودِ وَرَاءَ النَّظَرُ

فَأَذَرْتُ سِرَّ الْوُجُودِ الْكَبِيرِ
 فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْمُتَدِيرِ
 ظَوَاهِرُ فِيهَا لِأَهْلِ الْفِكْرِ
 رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
 فَآمَنْتُ بِهِ^(١)

* * * * *

﴿وَمَنْ ءَايَنَهُ مَنَاكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتَغَاؤُكُمْ مِنْ
 فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾
 (٢٣) الروم.

عَجِبْتُ لِنَفْسِي عِنْدَ الْمَنَامِ وَفَقَدِي شُعُورِي وَفَقَدِي الْكَلَامِ
 وَأُمْسِي إِذَا نِمْتُ مَيْتًا فَلَا أَحْسُ بِذَاتِي كَأَنِّي حُطَّامِ
 وَأَسْبَحُ فِي الْحَلَمِ فِي عَالَمٍ عَجِيبِ الرُّؤْيَى ذِي أُمُورِ جِسَامِ
 لَهُ مَنْطِقٌ وَمَقَايِيسُ لَا تُقَاسُ بِظَاهِرِ حَالِ الْأَنَامِ
 فَكَمْ سَرَّنِي فِيهِ مَا لَا يَسُرُّ وَكَمْ سَاءَنِي فِيهِ فِيهِ حُلُو الْمَرَامِ
 وَيَبْدُو الْخِصَامُ بِهِ كَالْوِثَامِ وَيَبْدُو الْوِثَامُ بِهِ كَالْخِصَامِ
 سَأَلْتُ عَنِ النَّوْمِ أَهْلَ الْبُحُوثِ فَأُنِيبْتُ بِالْمُثَقَّنَاتِ الْعِظَامِ

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٥٤، ٥٥).

مَلَائِيْنُ مُوصَلَةٌ فِي الدِّمَاغِ تُفَصِّلُ فِيهِ لِأَجْلِ الْمَنَامِ
 بَصُرْتُ بِإِتْقَانِهَا الْبَاهِرِ
 فَآمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
 وَفِي النَّوْمِ لِلنَّاظِرِ الْمُغْتَبِرِ
 رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
 فَآمَنْتُ بِهِ^(١)

* * * * *

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى *
 وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾

(١ - ٣) الأعلى.

وَبِالْعَقْلِ وَالرَّأْيِ يُهْدَى الْكَبِيرُ	بِفِعْلِ الْغَرِيزَةِ يُهْدَى الصَّغِيرُ
وَوَظَائِفُهَا بِأَدَقِّ الْمَسِيرِ	وَكُلُّ الْبَهَائِمِ تُهْدَى إِلَى
بِنَفْسِ الْغَنِيِّ وَكَدِّ الْفَقِيرِ	فَتَغْدُو الطُّيُورُ لِأَزْرَاقِهَا
وَتَعْبَثُ فِي صَفَحَاتِ الْغَدِيرِ	تَطُوفُ الْحَمَائِلُ مَرْهُوَّةٌ
مُسَبَّحَةٌ لِلْبَدِيعِ الْقَدِيرِ	وَتَنْصَحُ فِي الْأَرْضِ طَلَّ الْجَمَالِ
مَسَاكِينُ صَالِحَةٍ لِلطُّيُورِ	وَتَبْنِي عَلَى الْأَمْنِ أَعْشَاشَهَا
وَتَرْقُبُهُ بِحَنَانٍ كَبِيرِ	وَتَحْضُنُ فِي رَحْمَةٍ بَيَضَهَا

وَتَرْعَاهُ مُضْنِيَةً نَفْسَهَا لِيَخْرُجَ ذَاكَ الْحَبِيءُ الصَّغِيرُ
 فَمَنْ رَاقِبَ الطَّيْرَ فِي سَعِيهَا لِأَفْرَاحِهَا أَذْهَشَتْهُ الْأُمُورُ
 تَبَصَّرْتُ فِي سِرِّهَا الْبَاهِرِ
 فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
 هُنَا لِذَوِي النَّظَرِ الْمُعْتَبِرِ
 رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
 فَأَمَنْتُ بِهِ^(١)

* * * *

(١) من ديوان: آمنت بالله.

أعجوبةُ الخلق

هَزَنِي مَرَأَى خَلِيَّةُ صَاغَهَا رَبُّ الْبَرِيَّةِ
عَظُمَتْ أُعْجُوبَةُ الْخَلْدِ قِي لِيذِي الْعِلْمِ قَضِيَّةُ
عَالَمٌ يَبْدُو صَغِيرًا صَارَ أَبْعَادًا قَصِيَّةُ
عَالَمٌ يَبْنِي حَيَاةَ عَظَّمَتْهَا الْبَشَرِيَّةُ
وَرْدَةٌ تَخْتَالُ حُسْنًا زَهْرَةٌ رَفَّتْ شَذِيَّةُ^(١)
صَاغَهَا اللَّهُ ثَمَارًا تَسْتَبِي الذُّوقَ جَنِيَّةُ^(٢)
بُلْبُلًا يَشْدُو بِغُضَنِ بَثَّ أَنْغَامًا شَجِيَّةُ^(٣)
طَبِيَّةٌ تَجْرِي جَمَالًا تَبْتَغِي أَرْضًا هَنِيَّةُ
سَمَكًا قَدْ جَادَ مِنْهُ أَلْ بَحْرُ خَيْرَاتٍ طَرِيَّةُ
بَشَرًا أَهْدَى لَهُ اللَّهُ هُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةُ
مَنْ رَأَى مِنْكُمْ خَلِيَّةُ وَدَرَى كُنْهَ الْخَلِيَّةِ
عَالَمًا دَقَّ صَغِيرًا وَنَمَتْ مِنْهُ الْبَقِيَّةُ
شَادَ مِثْلَ الْأَضَلِّ جِسْمًا عَجَزَتْ عَنْهُ الْبَرِيَّةُ
فِي أَنْقِسَامٍ ظَلَّ لَكِنْ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ الْهُوِيَّةُ
قَدْ رَأَى اللَّهُ تَجَلَّى خَلَقُهُ شَمْسًا سَنِيَّةُ

(١) شذية: عطرة.

(٢) جنية: أي وهي مقطوفة.

(٣) مؤثرة.

وَرَأَى الْأَجْسَامَ تُبْنَى مِثْلَمَا قَدْ شَاءَ حَيَّةٌ
مَنْ رَأَى مِنْكُمْ خَلِيَّةٌ وَدَرَى صُنْعَ الْخَلِيَّةِ
يَعْبُدُ اللَّهَ بِقَلْبٍ جَاءَهُ الْعِلْمُ هَدِيَّةٌ
يَتَّقِي اللَّهَ فَيَحْظَى بِجَنَانٍ سَرْمَدِيَّةِ
يُنْصِفُ الْحَقَّ بِعِلْمٍ بَاتَ نُورَ الْبَشَرِيَّةِ
مَنْ رَأَى مِنْكُمْ خَلِيَّةٌ فِي صَفَاءٍ وَرَوِيَّةِ
سَوْفَ يَأْتِيهِ يَقِينٌ شَعُّ أَنْوَارًا بِهِيَّةِ
إِنَّهُ أَخْلَقَ تَجَلَّى صَنَعَةُ الذَاتِ الْعَلِيَّةِ
صَنَعَةُ الرَّحْمَنِ تَبْقَى مِشْعَلًا يَهْدِي الْبَرِيَّةَ^(١)

* * * * *

(١) من ديوان: خلق الله، (٤٣ - ٤٥).

﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾

أَقْبِلْ فَهَذِي الْأَرْضُ تَنْتَظِرُ
 طَالَ النُّوَى وَالصَّدْرُ مُسْتَعِرُ
 بَاتَتْ تَشْكِي مِنْ مُفَارَقَةٍ
 مُذْ غَبَتْ خَدَّ وَجْهَهَا الْأَثَرُ
 تَرْنُو إِلَيْكَ بِمُقْلَةٍ كَتَمَتْ
 سَكَبَ الدَّمُوعَ وَشَامَهَا^(١) الْقَمَرُ
 تَدْعُو إِلَى الرَّحْمَنِ تَسْأَلُهُ
 غَيْثًا فَقَدْ أَوْدَى بِهَا الضَّرَرُ
 أَقْبِلْ فَهَذِي الْأَرْضُ تَنْتَظِرُ
 وَتَشَوَّقَتْ لِلْمُلْتَقَى الشَّجَرُ
 حَنْتَ لِأَثْوَابٍ تُزَيِّنُهَا
 وَتَنْهَدَتْ فِي جَوْفِهَا الثَّمَرُ
 أَقْبِلْ فَهَذِي الْأَرْضُ تَنْتَظِرُ
 لُفْيَاكَ وَالْأَطْيَارُ تَسْتَعِرُ
 فَالدَّوْحُ قَدْ غَابَتْ مَفَاتِيهُ
 وَالرَّوْضُ ذِكْرِي بَاتَ يَسْتَعِرُ

(١) شامها: رآها.

يَثْوِي بِصَدْرِ الْأَرْضِ زَنْبَقُهُ
وَيَغِيبُ فِي أَحْشَائِهَا الزَّهَرُ
وَالْبُلْبُلُ الصَّدَاحُ مُحْتَبَسٌ
فِي عُشِّهِ قَدْ شَاقَهُ النَّظَرُ
يَشْدُو لِرَوْضِ مَاسٍ مُزْدَهِيًا
وَتَأَنَّقَتْ فِي مَيْسِهِ الصُّورُ
أَقْبِلْ فَهَذِي الْأَرْضُ تَنْتَظِرُ
وَالشَّاءُ غَرْتِي^(١) لَوْحَ الْخَطَرُ
رَاحَتْ تَشْمُ الثُّرْبَ وَالْهَةَ
وَتَطَلَّعَتْ لِلْمُلْتَجَا الْبَشَرُ
رَفَعَتْ أَكْفَ السُّؤْلِ ضَارِعَةً
تَدْعُو كَرِيمًا خَيْرُهُ بُهَرُ
أَقْبِلْ بِأَمْرِ اللَّهِ مَرْحَمَةً
كِي تَنْشُرَ الْأَرْزَاقَ يَا مَطَرُ
وَأَسْقِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ نُذْرًا^(٢)
رَوْ الْبِلَادَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ
وَأَنْزِلْ مِنَ الشُّجْبِ الَّتِي ثَقُلَتْ
بِالْخَيْرِ وَالْأَفْرَاحِ تَزْدَهَرُ

(١) غرثي: جائعة.

(٢) النُّذْرُ: الإنذار والتخويف.

وَأَنْزَلَ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي قَدَرٍ
لِتَسِيلَ أَوْدِيَةٌ وَلَا ضَرَرُ
وَأَنْزَلَ رَذَاذًا لَأَنَّ مَوْقِعَهُ
غَيْثًا جَرَى مِنْ جُودِهِ النَّهْرُ
وَأَنْزَلَ وَلَا تَأْسَفْ عَلَى سَرَفٍ
فَخَزَائِنُ الرَّحْمَنِ تَنْتَشِرُ
وَأَهْطُلْ خُيُوطًا جَلَّ نَاسِجُهَا
أَبْدِعْ جَمَالَ الْأَرْضِ يَا دُرُّ
وَأَنْزَلَ طَهُورًا وَأَسْقَى صَادِقَةً
أَخِي الْمَوَاتِ لِيَنْعَمَ الْبَشَرُ
أَنْبِثْ حَدَائِقَ بِهِجَةٍ فَتَتَّ
لُبَّ الْعِبَادِ وَأُسْعِدَ الثَّمَرُ
يَا آيَةً عَظُمَتْ لِنَظَرِهَا
وَهَدِيَّةَ الرَّحْمَنِ تُعْتَبَرُ
تَهْمِي كَمَا قَدْ شَاءَ خَالِقُهَا
لَا تَنْتَحِي بِالْحَقِّ تَأْتَمِرُ^(١)

* * * * *

(١) قصيدة: أقبل بأمر الله يا مطر، من ديوان: خلق الله.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾

عَلَى صَفْحَةِ الْأُفُقِ السَّاهِرِ وَفِي لَيْلَةِ الْبَاحِثِ الشَّاعِرِ
وَمِنْ نَظَرَةٍ تَتَحَرَّى الْهُدَى فَتَلَقُّ كُلَّ هُدًى عَابِرِ
رَأَيْتُ الْكَوَاكِبَ مَبْثُوثَةً بِمَظْهَرِهَا الْفَاتِنِ السَّاجِرِ
بِإِثْقَانٍ تَسِيرُهَا فِي الدَّجَى تَغْلُغُلْنَ فِي الْأُفُقِ الْغَائِرِ
تَنَاءَتْ مَدًى وَتَدَانَتْ هُدًى وَرَدَّتْ سُدًى نَظَرَ النَّاطِرِ

فَأَمَعْنْتُ فِي سِرِّهَا الْبَاهِرِ

فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ

وَفِي اللَّيْلِ لِلْبَاحِثِ الْمُدْكِرِ

رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ

فَأَمَنْتُ بِهِ^(١)

* * * * *

(١) من ديوان: آمنت بالله، لعبد الرحمن الميداني، (٥١).

يا ليل يا آية خالق

يا لَيْلُ يا بَحْرَ الشُّكُونِ ماذَا طَوَيْتَ مِنَ الْقُرُونِ^(١)
 كَمْ أُمَّةٍ وَدَّعْتَهَا صَارَتْ حَكَايَا أَوْ ظُنُونُ
 لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَاهِدٌ وَبَقِيَتْ آلَافُ السَّنِينَ
 تَتْلُو كِتَابَ وَجُودِنَا فِي طَيْهِ السَّرُّ الدَّفِينِ
 فِي طَيْهِ عِبَرٌ وَآ يَاتُ تُرَدَّدُ كُلُّ حِينِ
 طَوْرًا تُلاقِي مُعْرَضًا أَوْ يَهْتَدِي فِيهَا الْفَطِينِ
 أَبْقَاكَ رَبُّكَ شَاهِدًا لِلنَّاطِرِينَ الْمُهْتَدِينَ
 يا لَيْلُ مَنْ يَثْنِي عَنَّا نَكَ كَيْفَمَا يَبْغِي تَكُونُ
 يا طَائِلًا مِنْ أَمْرِهِ يا مُقْصِرًا ثَوْبَ الشُّكُونِ
 يا لَيْلُ مَنْ يُؤَلِّيكَ بِالْإِ صَبَاحٍ فِي حَقِّ مُبِينِ
 أَنْشَاكَ رَبُّكَ رَاحَةً يا مُسْكِنًا كُلَّ الْعُيُونِ
 يا مُؤَنِّسَ الْعُبَادِ فِي سَحَرٍ وَقَدْ رَفَعُوا الْأَنِينِ
 كَمْ رَتَّلَ الْآيَاتِ عَبْدٌ حَاذِرٌ رَيْبِ الْمُنُونِ^(٢)
 جَاؤُوا إِلَى رَبِّ الْوَرَى بَارِي الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ
 سَأَلْتُ دُمُوعَهُمْ عَلَى الدِّ حَدِيثِينَ مِنْ خَوْفِ مَكِينِ

(١) الْقُرُون: جمع قرن، وهو ثمانون سنة، أو مئة. والقرن في الناس: أهل زمان واحد.

(٢) الْمُنُون: جمع منية، وهي الموت.

ما أعجب الليل الذي خضعت لِقُدْرَتِهِ الْجُفُونُ
 ما زال يُؤْنِسُنِي فَمَا يُهْدِيهِ مِنْ حِسِّ قَمِينٍ^(١)
 أَوْحَى إِلَيَّ بِأَلْفِ مَعْنَى لَمْ أَكُنْ فِيهَا ظَنِينَ
 فحديثُهُ الصَّمْتُ الْعَمِي قُ وَصَخْبُهُ هَذَا الشُّكُونُ
 كَمْ فَتَقَ الْأَفْكَارَ صَمْتُ مُوْغِلٍ عَبْرَ السَّنِينَ
 كَمْ فَجَّرَ الْإِبْدَاعَ فِي قَلْبِ ثَوَى فِيهِ حَزِينٍ
 يَا لَيْلُ يَا مُسْتَوْدَعَ الْأَسْرَارِ يَا مَوْجَ الظُّنُونِ
 كَمْ مُقْلَةٍ خَافَتْ دِيَا جِيرَ الظَّلَامِ الْمُسْتَكِينِ
 حَسِبْتُهُ أَشْبَاحًا وَرَاحَتْ تَرْتَجِي فِيهِ الْمَعِينِ
 لَمْ تَدْرِ أَنَّ الْفَجَرَ يَطْمُرُهُ أَمَامَ النَّاظِرِينَ
 لَمْ تَدْرِ أَنَّ اللَّيْلَ آيَةُ خَالِقِي أَيَّا^(٢) يَكُونُ^(٣)

* * * * *

(١) قمين: جدير بالاهتمام.

(٢) أَيَّا : هي: أي الكمالية؛ بمعنى أن الله - تعالى - يخلق الشيء الكامل.

(٣) من ديوان: خلق الله، (٤٧، ٤٨).

الْقَمَرُ

وَوَافَى مَعَ اللَّيْلِ نُورَ الْقَمَرِ يُنَاطِرُنَا مِنْ خِلَالِ الشَّجَرِ
يُذَكِّرُنَا وَجْهَهُ بِالْحَبِيبِ وَيَنْفُخُنَا بِالنَّسِيمِ الْعَطِرِ
يَلَذُّ لَنَا فِي هُدَاهُ السَّرَى وَيَحُلُو لَنَا فِي سَنَاهُ السَّمَرِ
أَنَامِلُ أَضْوَائِهِ فِتْنَةٌ تَجَسُّ الْمَشَاعِرَ جَسَّ الْقَدَرِ
فَتَشْرُكُنَا فِي بَدِيعِ الْخَيَالِ نُقَلِّبُ فِيهِ بَدِيعَ الصُّورِ

* * * * *

فَأَمَعَنْتُ فِي سِحْرِهِ الْبَاهِرِ
فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
وَفِي الْبَدْرِ لِلنَّاطِرِ الْمُعْتَبِرِ
رَوَائِعَ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
فَأَمَنْتُ بِهِ^(١)

* * * * *

(١) من ديوان: آمنت بالله، (١٣).

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا﴾

لَقَدْ طُفْتُ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَرِّهَا إِلَى جَوِّهَا وَإِلَى بَحْرِهَا
بِأَطْوَادِهَا عَالِيَاتِ الذُّرَى وَدُونَ الْهَضَابِ إِلَى غَوْرِهَا
وَشَاهَدْتُ أَنْهَارَهَا الْجَارِيَاتِ وَنَبْعًا تَفْجَّرُ مِنْ صَخْرِهَا
وَشَاهَدْتُ أَشْجَارَهَا بَاحِثًا وَغُصَّتْ إِلَى مُسْتَوَى جَذْرِهَا
وَحَرَّكْتُ ضَرْسِي عَلَى حُلُومِهَا وَحَرَّكْتُ سِنِّي عَلَى مُرِّهَا
وَنَقَلْتُ جِسْمِي فِي بَرِّدِهَا وَقَلَّبْتُ جِسْمِي عَلَى حَرِّهَا
وَأَمَعَنْتُ فِي صُنْعِهَا الْبَاهِرِ
فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
وَفِي الْأَرْضِ لِلْبَاحِثِ الْمُتَبِيرِ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
فَأَمَنْتُ بِهِ^(١)

* * * * *

(١) من ديوان: آمنت بالله، (١٧).

الْمَاءُ

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنُنَزَّلُهُم مِّنَ الْمُنِّ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٨ - ٧٠]

أَضَاءَ عَلَى الْأَرْضِ نُورُ الْحَيَاةِ وَزَيَّنَهَا بِجَمِيلِ الصِّفَاتِ
بَصُرَتْ بِهِ فَإِذَا زَيْتُهُ مِنَ الْبَحْرِ وَالنَّهْرِ وَالنَّابِعَاتِ
وَتَحْمِلُهُ الْمُنُّ عَبْرَ الْفَضَاءِ فَتَسْقِي الظَّمَاءَ بِشَتَّى الْجِهَاتِ
وَتَبْتَلِغُ الْأَرْضُ مِنْهُ الْكَثِيرَ وَتُعْطِيهِ بِالْأَعْيُنِ الدَّفِيقَاتِ
فَتَحْيَا بِإِمْدَادِهِ الْوَارِدَاتِ وَيَنْبُتُ مِنْهَا بَدِيعُ النَّبَاتِ

تَبَصَّرْتُ فِي سِرِّهِ الْبَاهِرِ

فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ

وَفِي الْمَاءِ لِلنَّاظِرِ الْمُتَعَبِّرِ

رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ

فَأَمَنْتُ بِهِ^(١)

* * * * *

الأقوات

● ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لَيْنٌ﴾

● ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾

● ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

مَرَاشِفُ تَمْتَصُّ حُلُوَ الضِّيَاءِ لَتَصْنَعُ فِي الْأَرْضِ وَفَرِ الْغِذَاءِ
مِنَ الشَّمْسِ تَجْرِي يَنَابِيعُهُ فَتَعْمُرُ مَا حَوْلَنَا مِنْ فِضَاءِ
ضِيَاءِ يَجُوزُ الْفَضَاءَ الْبَعِيدَ لِيَعْبُرَ مَا حَوْلَنَا مِنْ هَوَاءِ
وَلَوْلَا النَّسِيمُ وَتَكْسِيرُهُ فَيُؤْضِ الضِّيَاءُ لَشَدَّ اللَّقَاءِ
وَمَا كَانَ قَدْ جَاءَنَا صَالِحًا وَمَا كَانَ قَدْ جَاءَنَا فِي صَفَاءِ
وَمَا أَثْبَتَ الْحَقْلُ حُلُوَ النَّبَاتِ وَمَا كَانَ فِي الْأَرْضِ هَذَا الرُّوَاءِ
وَمَا صَلَحَتْ أَرْضُنَا لِلْحَيَاةِ عَلَى مَا نَرَاهُ بِهَا مِنْ بَهَاءِ
تَبَارَكَ مَنْ أَتَقَنَ الْحَادِثَاتِ وَمَدَّ الْحَيَاةَ بِفَيْضِ الْعَطَاءِ
فَقَدَّرَ فِي الْأَرْضِ أَقْوَاتَهَا وَأَوْدَعَهَا فِي تُرَابٍ وَمَاءِ
وَلَكِنَّهُ نَاطَ أَسْبَابَهَا بِضَوْءٍ مَنَابِعُهُ فِي السَّمَاءِ

تَفَكَّرْتُ بِالْمُتَّقِنِ الْبَاهِرِ

فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
نِظَامٌ بِهِ لِلْفَتَى الْمُتَعَبِرِ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
فَأَمَنْتُ بِهِ^(١)

* * * * *

«الْعَنْكَبُوتُ»

نَسِجٌ عَجِيبٌ وَغَزْلٌ غَرِيبٌ نَجْدُ الْعَنَّاكِبِ فِي أَمْرِهِ
وَصُنْعُ الْحَرِيرِ بِأَثْدَائِهَا تَحَارُ الْخَلَائِقُ فِي سِرِّهِ
تَبْتُ الْخُيُوطَ أَدَقَّ الْخُيُوطِ فَمَا زَادَ خَيْطٌ عَلَى قَدْرِهِ
وَتَغَزَلُ مَا بَيْنَهَا كَالَّذِي تَعَلَّمَ غَزْلًا مَدَى عُمْرِهِ
وَتَنْسِجُ أَبْيَاتَهَا الْمُحْكَمَاتِ كَفِعَلَ الْمُهَنْدِسِ فِي قَصْرِهِ
فَمَنْ أَئِنَّ جَاءَ إِلَى الْعَنْكَبُوتِ مَا يَعْجِزُ النَّاسُ عَنْ سَبْرِهِ
وَمَا يَعْجِزُ النَّاسُ عَنْ مِثْلِهِ وَإِنْ عَرَفُوا السِّرَّ مِنْ خُبْرِهِ
تَبَصَّرْتُ فِي أَمْرِهِ الْبَاهِرِ
فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ

(١) من ديوان: أمنت بالله، (٨٠، ٨١).

وَفِي الْعَنَكَبُوتِ لِأَهْلِ النَّظَرِ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
فَأَمَنْتُ بِهِ^(١)

* * * *

بُذُورُ النَّبَاتِ

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ
ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْبَالِغِينَ هُمْ قَوْمٌ
يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]

عَجِبْتُ لَهَا بِذَرَّةٍ فِي الثَّرَابِ	تَفَتَّقُ عَنْ قُبَّةٍ مِنْ شَجَرِ
تَمِيسُ بِأَغْصَانِهَا كَالْعُرُوسِ	مُكَلَّلَةٌ بِبَدِيعِ الزَّهَرِ
وَتَخْتَالُ فِي ثَوْبِهَا السُّنْدُسِيِّ	مُحَلَّى بِأَحْلَى عُقُودِ الثَّمَرِ
تَجُودُ لِأَضْيَافِهَا بِالْعَطَاءِ	مِنْ الظِّلِّ وَالرِّزْقِ لَا تَعْتَذِرُ
تَقُولُ: كُلُوا ثَمَرِي مَا حَمَدُ	تُؤْ أَوْ أَحْرِقُوا عُودِي الْمُتَكَسِّرِ
وَتَنْضُو غَلَائِلَهَا فِي الْخَرِيفِ	لِغَسْلِ الشِّتَاءِ بِمَاءِ الْمَطَرِ
وَكَمْ تَسْتَضِيفُ الطُّيُورَ الْحِيسَا	نَ تَجْذِبُهُنَّ بِنَفْحِ عَطَرِ

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٧١).

وَكَمْ أَبْدَعْتَ «جَوْقَةً» الطَّيْرِ فِي رُبَاهَا الْغِنَاءَ فَحَارَتْ فِكْرُ
وَقَدْ لَبِسَتْ حُلُوَ زِينَاتِهَا فَطَابَ السَّمَاعُ وَلَذَّ النَّظَرُ

* * * * *

بَصُرْتُ بِإِبْدَاعِهَا الْبَاهِرِ
فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ^(١)

* * * * *

الأشجارُ

﴿وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلْ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، [الرعد: ٣].

دَخَلْتُ الْحَدِيقَةَ حِينَ ارْذَهَتْ وَأَبْدَتْ مَفَاتِنَهَا لِلنَّظَرِ
وَفَاحَتْ رَوَائِحُهَا الزَّاكِيَاتُ بِأَنْفَسٍ عَاطِرَةٍ تَنْتَشِرُ
وَأَذْنْتُ عَطَائِاتِهَا الْيَانِعَاتِ بِأَجْمَلِ مَأْكُولَةٍ تَنْتَثِرُ
وَعَابَثَتِ الرِّيحُ بَعْضَ الْغُصُونِ وَهْنٌ تُعَازِلُنَ مَاءَ النَّهْرِ
وَلَيْنَ أَطْرَافِهِ الرِّيزْفُونُ لِتَرْفُقَ فِي لَمَسٍ وَرْدٍ حَذِرُ
فَلَا تُسْتَثَارُ بِهِ عِفَّةٌ فَيَطْعَنَ مُجْتَازَ حَدِّ الْخَطَرِ

(١) من ديوان: آمنت بالله، (٤٢).

وَأَذْرَكَ الطَّيْرُ مَا قَدْ جَرَى فَلَمْ تُخَفِ سِرًّا وَلَمْ تَنْتَظِرْ
وَبَاحَتْ بِهِ فِي رُءُوسِ الثَّلَالِ وَغَنَّتْ بِهِ فِي رُءُوسِ الشَّجَرِ
وَمِنْ عَجَبٍ فِي نِظَامِ الثَّمَارِ وَفِي كُلِّ مَا خَلَقَ الْمُقْتَدِرُ
نِظَامُ اَزْدِوَاجِ الْأُصُولِ الَّذِي يُشَابِهُ اَزْوَاجَنَا فِي الْبَشَرِ

* * * * *

بَصُرْتُ بِإِتْقَانِهَا الْبَاهِرِ
فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
ثِمَارَ بِهَا لِلْفَتَى الْمُعْتَبِرِ
رَوَائِعَ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
فَأَمَنْتُ بِهِ

* * * * *

النَّبَاتُ

- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، [الأنعام: ٩٩].
 - ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾، [طه: ٥٣].
- عَجَائِبُ لَا تَنْتَهِي فِي النَّبَاتِ تَدُلُّ عَلَى الْخَالِقِ الْمُقْتَدِرِ
 عَجَائِبُ فِي أَصْلِ تَكْوِينِهِ عَجَائِبُ فِي نَجْمِهِ وَالشَّجَرِ
 عَجَائِبُ لَا تَنْقُضِي فِي الْجُذُورِ وَفِي الشُّوقِ ثُمَّ بِفَيْضِ الثَّمَرِ
 عَجَائِبُ تَبْدُو بِأَوْرَاقِهِ وَمَا جَمَعَتْ مِنْ ثُغُورٍ كَثُرَ
 نَسِيجٌ بِهِ يُدْهَشُ النَّاطِرِينَ وَتَحْتَارُ فِيمَا حَوَاهُ الْفِكْرُ
 وَمُخْتَلِفَاتٌ بِهِ لَا تُعَدُّ فَتَحْلُو صُنُوفٌ وَأُخْرَى تَمُرُ
 وَكُلُّ لَهُ مِيزَةٌ فِي الْحَيَاةِ يَعْرِفُ قِيَمَتَهَا مَنْ خَبَرَ
 تَبَصَّرْتُ فِي أَمْرِهِ الْبَاهِرِ
 فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
 نَبَاتٌ بِهِ لِلْفَتَى الْمُقْتَبِرِ
 رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
 فَأَمَنْتُ بِهِ^(١)

* * * * *

(١) من ديوان: أمنت بالله، (٤٥).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا
بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: ٢٧].

وَفِي الثَّمَرَاتِ بَأْنَوَاعِهَا	وَأَشْكَالِهَا وَطُغُومِ حِسَانِ
وَأَلْوَانِهَا الزَّاهِيَاتِ الْمَلَحِ	كَعَقْدِ اللَّالِي وَعَقْدِ الْجُمَانِ
وَعَقْدِ الزُّمُرْدِ إِنْ أَتَقْنُوهُ	وَعَقْدِ الْعَقِيقِ أَوْ الْكَهْرْمَانِ
فَوَائِدُهَا فَوْقَ حَضَرِ الطَّيِّبِ	وَأَصْنَافُهَا فَوْقَ حَضَرِ الْجِنَانِ
وَمَا قَدْ يَجِيءُ بِأَنْسَالِهَا	مُهَجَّنَةً فَوْقَ حَدِّ الزَّمَانِ
وَجَارَانِ كَمْ أَشْرَفَا فِي الْفُرُوقِ	وَمِنْ نَهَرٍ وَاحِدٍ يُسْقِيَانِ
كَمْ اخْتَلَفَا فِي صِفَاتِ الطُّغُومِ	وَزَعَمَ اخْتِلَافُهُمَا يُحْمَدَانِ
فَمَنْ أَبْدَعَ الثَّابِتَاتِ الْحِسَانَ	وَنَوَّعَهَا بَيْنَ سَامٍ وَدَانِ
وَوَزَّعَ فِيهَا فُرُوقَ الصِّفَاتِ	عَلَى قَدَرِ حَاجَاتِ إِنْسٍ وَجَانِ

نَظَرْتُ إِلَى سِرِّهَا الْبَاهِرِ
فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
فَفِيهَا لِذِي النَّظَرِ الْمُعْتَبِرِ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
فَأَمَنْتُ بِهِ

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآلِإِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾

لَا تَشْتَكِي الْجُوعَ إِنْ طَالَ الْمَسِيرُ بِهَا فِي السَّانِمِ عَطَاءٌ رَاحَ يَنْهَمِلُ
وَالْمَاءَ إِنْ عَزَّ فِي الصَّحْرَاءِ مَوْرِدُهُ فِي الْحَشَا حَوْضُ مَاءٍ لَيْسَ يَنْحَدِلُ
وَالْجَوْ لَوْ مَنَحْتُهُ الشَّمْسُ بُرْقَعَهَا وَالْبَسْتُ رِدَاءَ الْقَيْظِ يَشْتَعِلُ
وَالرَّمْلُ لَوْ عَكَسَتْ حَبَائِثُهُ سَقَرًا فَخَافَهُ الطَّيْرُ قَدْ عَزَّتْ بِهِ التُّزْلُ^(١)
لَا سَتَهَوْنَتْهُ وَسَارَتْ فِي مَسَالِكِهِ مَا رَاعَهَا وَهَجَ بَلْ كَانَ يُحْتَمِلُ
وَالْقَرُ^(٢) لَوْ أَنَّ رِيحَ الْقُطْبِ عَاصِفَةً هَبَّتْ عَلَيْهِ وَكَرَّ الْخَوْفُ وَالْوَجَلُ
وَبَاتَ كُلُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ مُحْتَبِئًا يَأْتِي الظُّهُورَ وَزَنْدُ الْبَرْدِ يَنْفَتِلُ^(٣)
رَاحَتْ تَخُبُ^(٤) بِمَنْ فِي الرُّكْبِ أَمَنَةً جَلْبَابُهَا وَبَرَّ وَالْدَفْءُ مُشْتَمِلُ
وَالْأَرْضُ إِنْ خَشِنَتْ أَوْ لَانَ مَلَمْسُهَا فَلَا تُبَالِي لَهَا الْأَخْفَافُ مُنْتَعِلُ^(٥)
صَبُورَةٌ مِثْلَمَا الرَّحْمَلُنْ أَنْشَأَهَا فِي أَيِّ حَالٍ مَعَ الْأَهْوَالِ تَنْتَقِلُ
قَوِيَّةٌ تَحْمِلُ الْأَطْعَانَ^(٦) مَاخِرَةً بَحْرَ الرِّمَالِ فَمَا يُودِي^(٧) بِهَا ثِقَلُ

(١) التُّزْلُ: مواضع النزول.

(٢) الْقَرُ: البرد.

(٣) زند البرد: يشتد.

(٤) تخب: تسير مسرعة.

(٥) مُنْتَعِلُ: النعل.

(٦) الظعينة: المرأة في هودجها فوق الجمل.

(٧) يُودِي: يُهْلِكُ.

سَفَائِنُ الْبَرِّ سَمَوْهَا وَقَدْ صَدَقُوا وَاسْتَأْلَفُوهَا مَعَ الْأَيَّامِ وَارْتَحَلُوا
سَفَائِنُ مَا شَكَّتْ رِيحًا وَعَاصِفَةً مِنَ الرِّمَالِ وَمَا لَأَنْتَ لَهَا الْإِبِلُ
حَوَاجِبٌ وَقَفَتْ حِصْنًا لِأَعْيُنِهَا وَأَرْجَعَتْ هَجَمَاتِ الرَّمْلِ تَنْخِذِلُ
وَالْأَنْفُ قَدْ شَقَّه الدِّيَّانُ^(١) تُغْلِقُهُ مَتَى تَشَاءُ فَلَا دَاءَ وَلَا أَجَلَ
وَالْأُذُنُ قَدْ حَفَّهَا شَعْرٌ لِيَحْرُسَهَا فَأَحْدَقَتْ دُونَهَا الْأَسْيَافُ وَالْأَسْلُ^(٢)
سَفَائِنُ هَيْبَتٍ مِنْ مُبْدِعٍ سَطَعَتْ آيَاتُهُ مَا بِهَا ثَلَمٌ وَلَا خَلَلُ

* * * * *

الْغَزَالُ رَمَزُ الْجَمَالِ

رَاقَ عَيْنِي أَنْ رَأْتُ يَوْمًا غَزَالًا يَقْطَعُ الرُّوضَ مِرَاحًا^(٣) وَدَلَالًا
مُوهَبُ الْحِسِّ بَرَاهُ^(٤) اللَّهُ مِنْ لُطْ فِي وَأَعْطَاهُ مَعَ اللُّطْفِ جَمَالًا
يَجْذِبُ الْأَنْظَارَ مِنْ ظَنِّي قَوَامٌ^(٥) أَبْدَعَ اللَّهُ مِنَ الْحُسْنِ غَزَالًا
رَاقِنِي مِنْهُ شُرُودٌ يَحْتَوِيهِ يَكْشِفُ الطَّرْفُ سُهُولًا وَجِبَالًا

(١) الدِّيَّان: الله تعالى.

(٢) الْأَسْلُ: الرماح.

(٣) مِرَاحًا: شدة المرح.

(٤) بَرَاهُ: خلقه.

(٥) الْقَوَام: القد.

خِلْتُهُ إِذْ ذَاكَ شَيْخًا يَتَمَلَّى ^(١)
 وَاقِفًا يَزُنُو بَعِيدًا لَسْتُ أَذْرِي
 شَارِدًا وَالْحُسْنُ فِطْرِي تَجَلَّى
 بَهْجَةً لِلْعَيْنِ يَحْبُوهَا بِأَنْسٍ
 جِيْدُهُ كَمْ أَكْسَبَ الشُّعْرَ عَطَاءً
 صَادَهُ الشُّعْرُ مِثَالًا لَجَمِيلِ
 ظَبْيٍ ^(٢) بِاللَّهِ الَّذِي سَوَّاكَ قُلْ لِي
 مَثَلُوا سِحْرَ الْعُيُونِ الْحُورِ دَوْمًا
 رَاقِنِي يَا ظَبْيِي مِنْ فَيْكَ بُغَامٌ ^(٤)
 لَا تُبَيِّنُ النُّطْقَ يَا ظَبْيِي وَلَكِنْ
 إِنْ تُرِدْ شُرْبًا دَنَا مِنْكَ قَطِيعٌ
 وَاحِدٌ يَكْشِفُ دَرْبًا وَسِوَاهُ
 تُرْهِفُ السَّمْعَ إِلَى كُلِّ اتِّجَاهٍ

فَيَلْسُوفًا زَادَهُ الْعَقْلُ اكْتِمَالًا
 مَا الَّذِي قَدْ طَارَ بِالظَّبْيِ خَيَالًا
 رَبُّهُ فِي خَلْقِهِ عَزَّ جَلَالًا
 يُمْتَعُ الْحَسَّ فَيَهْتَرُ امْتِثَالًا
 جِيْدُهُ لَاقَتْ بِهِ الْحَسَنَاتُ مِثَالًا
 فَازْدَهَى الْجِيْدُ مِنَ الشُّعْرِ وَصَالًا
 أَيُّ سِحْرِ وَسَنَّا فَيْكَ تَلَالًا ^(٣)
 بِالَّذِي تُبْدِيهِ عَيْنَاكَ اخْتِيَالًا
 دَغْدَغَ السَّمْعِ أَتَى سِحْرًا حَلَالًا
 نَطَقَ الْحُسْنُ كَمَا شَاءَ (تَعَالَى) ^(٥)
 يَأْسِرُ الطَّرْفَ وَقَدْ تَاهَ جَمَالًا
 يَجْعَلُ الرِّيْحَ إِلَى السَّمْعِ مَجَالًا
 تَتَّقِي شَرَّ الَّذِي صَالَ وَجَالًا

(١) يتملى: يتمتع بعمره الطويل.

(٢) أي: يا ظبي، منادى بأداة نداء محذوفة.

(٣) تلالا: تلالاً.

(٤) بُغَام: صوت الظبي.

(٥) تعالى: أي: الله تعالى.

قَدْ حَبَاكَ اللَّهُ بِالْقَفْرِ نَجَاةً مِنْ عَدُوٍّ يَبْتَغِي مِنْكَ مَنَالًا
 تَسْبِقُ الرِّيحَ إِذَا مَا خِفَتْ شَيْئًا يَحْسَبُ الْبَاغِي كَأَنَّ^(١) صِرْتَ خَيْالًا
 فَانْتَشَى الظُّبِّي بِمَا أَهْدَاهُ رَبُّ وَزَهَا فِي عَالَمِ الْحُسْنِ اخْتِيَالًا
 أَنْتَ يَا ظُبِّي لَقَدْ هِجْتَ مُحِبًّا هَلْ تُرَى تَرْضَى مِنَ الْحُبِّ سُؤَالَ
 ظُبِّي مَا أَنْتَ فَبِاللَّهِ أَجِبْنِي تَمْتَمُ الظُّبِّي لِمَا قَدْ قُلْتَ حَالًا^(٢)
 أَنَا لُطْفُ أَلْبَسَ اللَّهُ إِهَابًا وَجَمَالَ صَاغَهُ اللَّهُ غَزَالًا
 مُبْدِعٌ قَدْ أَحْسَنَ الصَّنْعَ فَسَوَى خَلَقَهُ آيَاتٍ حَقٌّ تَتَلَا
 مُرْهَفُ الْإِحْسَاسِ وَضَاحُ الْحَيَا آيَةٌ دَلَّتْ عَلَى اللَّهِ (تَعَالَى)^(٣)

* * * * *

(١) مخففة من: كَأَنَّ.

(٢) أي: في الحال.

(٣) من ديوان: خلق الله.

الْبَحَارُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

يَا بَحْرُ مَنْ أَعْطَاكَ مَقْدِرَةً أَنْ تَحْمِلَ الْأُمُوهَ^(١) أَحْجَارًا
مَنْ صَيَّرَ الْأُمُوهَ مَالِحَةً كِي تَحْفَظَ الْأَحْيَاءَ أَذْهَارًا
مَنْ أَطْعَمَ الْأَسْمَاكَ مَنْ حَرَّكَ الْأَبْحَارَ أُمُوجًا وَتَيَّارًا
أَلْقَى إِلَيَّ الْبَحْرُ نَظْرَتَهُ فَوَجَدْتُهَا فِي النُّطْقِ أَشْعَارًا
إِنِّي مِنَ الرَّحْمَنِ آيَتُهُ تَبْقَى عَلَى الْأَزْمَانِ تَذْكَارًا^(٢)

بَدَائِعُ الْبَحْرِ

تَبَارَكَ اللَّهُ فِي الْأَحْيَاءِ أَبْدَعَهَا وَهَيَّا الْأَرْضَ فِيمَا كَانَ غَايَتَهَا
ذَرَا^(٣) بِحَارًا عَلَى الْأَسْرَارِ قَدْ طُوِيَتْ وَيَكْشِفُ الْعِلْمَ بَعْضًا مِنْ مَتَاهِتِهَا
هَامَتْ غَرَامًا بِوَجْهِ الْأَرْضِ تَسْكُنُهُ وَأَسْتَحْذِثُ^(٤) فَلَا نَدْرِي نِهَائَتَهَا
تَهَايَبُهَا النَّفْسُ إِنْ لَانَتْ وَإِنْ غَضِبَتْ وَحَسَبُهَا خَطَرًا جَوْفٌ وَلُجَّتُهَا^(٥)

(١) الأموه: جمع ماء، أي: أن يحمل الماء أثقالاً أعظم من الحجارة.

(٢) من ديوان: خلق الله.

(٣) ذرا: معناها: خلق.

(٤) واستحذثته، أي: غطت معظم وجه الأرض.

(٥) لجة الماء: معظمه.

حَبِيبَةٌ مَا غَفَتْ^(١) فِيهَا مَوَائِجُهَا وَيَحْذَرُ النَّاسُ فِي الْأَنْوَاءِ^(٢) غَضَبَتَهَا^(٣)

* * * * *

حِكَايَةُ النَّبْعِ

مَنْ نَوَّعَ الْأَرْضَ مِنْ هَشٍّ وَمِنْ صَلِيدٍ^(٤)
وَشَقَّقَ الصَّخْرَ يَنْبُوعًا لِيُنْتَرِدَ
مَنْ أَوْدَعَ الْأَرْضَ أَمْوَاهَا وَأَسْكَنَهَا
مَدَى السِّنِينَ وَأَبْقَاهَا لِيُرْتَفِدَ^(٥)
مَنْ أَطْلَقَ الْمَاءَ مِنْ بَحْرِ وَمِنْ نَهْرٍ
غَدَا سَحَابًا يَجُوبُ الْجَوَّ مِنْ أَمَدٍ
أَرْجَى بِهِ اللَّهُ غَيْثًا سَخَّ^(٦) فِي غَدَقٍ^(٧)
فَكَانَ نُعْمَى عَلَى الْأَحْيَاءِ وَالْبَلَدِ
لَاَقَتْ بِهِ الْأَرْضُ مَحْيَاهَا وَفَرَحَتَهَا
وَاسْتَقْبَلَتْهُ كُلُّقِيَا الْأُمِّ لِلْوَلَدِ

(١) غَفَتْ: نامت.

(٢) أي: في الريح والبرد والمطر.

(٣) من ديوان: خلق الله، (١٦٧ - ١٦٩).

(٤) صَلِيد: حجر صُلْب أَمْلَس.

(٥) مرتفد: الرغد: هو العطاء، والمرتفد: طالب العطاء.

(٦) سَخَّ: سال.

(٧) غَدَقَ الماء: الغدق: الكثير.

حَتَّى إِذَا وَقَّتَ الرَّحْمَنُ مَوْلِدَهُ
 تَشَقَّقَ الصَّخْرُ فَارَ الْمَاءُ كَالزَّيْدِ
 نَهْرًا جَرَى لِعِبَادِ اللَّهِ يَمْنَحُهُمْ
 صَفْوَ الْحَيَاةِ وَيَغْشَى الْأَرْضَ بِالرَّغْدِ
 خَيْرًا جَرَى فِي فَيَافِي الْأَرْضِ فَانْقَلَبَتْ
 حَدَائِقًا مُتَعَةً الْأَنْظَارِ وَالْجَسَدِ
 جَرَى عَلَى مَهَلٍ فِي السَّهْلِ مُنْبَسِطًا
 فَرَقَّ مِنْهُ الْهَوَا وَانْسَابَ فِي غَيْدِ
 وَالتَّفِّ فِي الْمُتَحَنَّى وَالنَّبْعِ يُمَدِّدُهُ
 وَاسْتَبْطَأَ الْخَطَوُ فِي الْأَنْجَادِ^(١) وَالسَّنَدِ^(٢)
 حَتَّى إِذَا رَامَ فِي مَجْرَاهُ مُنْحَدِرًا
 وَاسْتَفْجَلَ الْخَطَوُ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدِ
 تَدَفَّقَ الْمَاءُ شَلَالًا عَلَى عَجَلٍ
 فَزَيَّنَ الْأَرْضَ بِالْإِبْهَاجِ وَالْمَدَدِ
 حِكَايَةَ النَّبْعِ جَلَّ اللَّهُ مُوجِدُهُ
 وَآيَةُ الْحَقِّ قَدْ لَاحَتْ لِجُتْهِدِ^(٣)

(١) الأنجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٢) السند: هو ما ارتفع من الأرض في قُبُلِ الجبل أو الوادي.

(٣) من قصيدة: حكاية النبع، من ديوان: خلق الله، (١١٩ - ١٢٢).

مَمَالِكُ الثَّلْجِ!!

مَمَالِكُ الثَّلْجِ وَالْأَخْقَابُ شَاهِدَةٌ
 رَايَاتِكَ الْبَيْضَ وَالْبَطْحَاءُ تُسْتَلَبُ
 إِنَّ رَامَ جَيْشِكَ شَيْئًا بَاتَ فِي يَدِهِ
 وَأَلْبَسَ الْأَسْرَ لَا يَبْقَى لَهُ نَسَبُ
 فَلَا السُّهُولُ وَإِنْ شَطَّتْ جَوَانِبُهَا
 وَلَا الْبَحَارُ ذَوَاتُ الْمَوْجِ يَصْطَخِبُ
 وَلَا الْجِبَالُ وَإِنْ عَزَّتْ مَصَاعِدُهَا
 بَلْ لَيْسَ مِنْ نَهْرٍ يَجْرِي وَيَضْطَرُبُ
 كَلَّا وَلَا الْقَنْ^(١) الشَّمَاءُ تَمْنَعُهُ
 وَلَا الشَّوَاهِقُ^(٢) لَا تَرْقَى لَهَا السُّحُبُ
 جَيْشٌ تَحْكُمُ فِي الْأَجْوَاءِ تَمْلُؤُهَا
 رَايَاتُهُ الْبَيْضُ وَالْأَفَاقُ تَقْتَرِبُ
 يَزْمِي السُّهُولَ بِبَعْضٍ مِنْ عَبَائِهِ
 فَتَنْصَوِي تَحْتَ جُنْحِ الْجَيْشِ تُحْتَجَبُ

(١) القن: جمع قننة، وهي: أعلى قمم الجبل.

(٢) الشواهق: جمع شاهق، وهو: الجبل العظيم.

يَنَامُ فِيهِ مِنَ الْأَحْيَاءِ أَضْعَفُهَا
فَلَا سَهَادَ لِغَيْرِ الثَّلْجِ يَنْتَصِبُ
مَفَازَةُ الثَّلْجِ لَكِنْ لَا غُبَارَ بِهَا
وَلَا رِمَالَ مِنَ الرَّمْضَاءِ تَلْتَهَبُ
وَلَا رِيَّاحَ عَلَى جَمْرِ قَدْ اتَّكَأَتْ
وَرَّاحَ فِيهَا الرَّدَى يَلْهُو وَيُزْتَهَبُ
وَلَا جِمَالَ عَلَى شَدْوٍ قَدْ انْطَلَقَتْ
وَلَا ظَعَائِنَ فَوْقَ الثَّلْجِ تَنْسَرِبُ
وَلَا سَوَافِي^(١) تَمْحُو الدَّرَبَ فِي عَجَلٍ
وَلَا كَثِيبَ وَلِيدِ الرِّيحِ يَنْتَحِبُ^(٢)
عِبَاءَةُ الثَّلْجِ سَرَتْ عَيْنَ نَاطِرِهَا
وَأَمْتَعَتْهُ بِبُرْدٍ نَسَجَهُ حَبَبُ^(٣)
يَتَنِي الْجِبَالَ إِذَا مَا شَاءَ خَالِقُهُ
فَتَسْتَطِيلُ وَتَغْفُو حَوْلَهَا الْقُبَبُ
فَلَا نُسُورَ عَلَى أَقْنَانِهَا رَقَدَتْ
وَمَنْ يُطِيقُ سِنَانَ الْبُرْدِ يَخْتَرِبُ

(١) سوافي: جمع سافياء، وهي: الريح التي تحمل تراباً.

(٢) ينتحب: يعول باكياً.

(٣) الحَبَب: الماء.

وَمَنْ يَقَاوِمُ جَيْشَ الثَّلَجِ إِنْ عَصَفَتْ
رِيَاخُهُ وَعَلَا فِي وَجْهِهَا الْغَضَبُ
وَزَمْجَرَتْ تَتَّقِي الْأَحْيَاءَ صَوْلَتَهَا
وَتَخْتَبِي مِنْ بَلَاءِ جُنٍّ يَحْتَطِبُ
تُرْوُغُ الْأَمِنَ الْمَرْصُوصَ مَسْكَنُهُ
وَإِنْ تَعَانَقَ فِيهِ الصُّلْبُ وَالْخَشَبُ
تُذَمِّرُ الْحِصْنَ إِمَّا شَاءَ بَارِئُهَا
وَتَنْشُرُ الذُّعْرَ مَا رَفَّتْ لَهَا هُدْبُ
فَكَمْ سَفِينٍ عَلَى ثَلَجٍ ^(١) قَدْ انْحَطَمَتْ
تَقْهَقِرُ الصُّلْبُ وَالْأَخْطَارُ تُرْتَهَبُ
فَمَا الْحَدِيدُ وَإِنْ أَعْلَوْا صَفَائِحَهُ
يَرُدُّ بِأَسَ جَلِيدٍ قَامَ يَسْتَلِبُ
مَاءً تَجَمَّدَ فَاهْتَزَّتْ بَوَاتِرُهُ
فَخَافَهَا كُلُّ حَيٍّ حِينَ تَقْتَرِبُ
وَإِنْ نَأَى غَضَبٌ ^(٢) عَنْ حَالِهَا كَشَفَتْ
مَمَالِكُ الثَّلَجِ حُسْنًا رَاحَ يَجْتَذِبُ

(١) على ثلج: أي: بعد أن تحول إلى جليد.

(٢) أي: إن هدأت عواصف الثلج.

ثَوْبًا تَبَدَّتْ بِهِ الْأَصْقَاعُ حَالِمَةً
 مَزْهُوَةً وَيَهْزُهَا بِهِ الْعَجَبُ
 بَيَاضُهُ سَحَرَتْ آفَاقَهُ أُمًّا
 فَاسْتَغْدَبُوا بَرْدَهُ وَاسْتَخَوَذَ اللَّعِبُ
 زَحْفًا هُنَا دَائِرٌ وَهُنَاكَ مُكْتَشِفٌ
 يَسْعَى وَمَزْجَةٌ^(١) قَدْ خَفَّهَا الطَّرَبُ
 مَرَابِعِ الثَّلْجِ مَنْ سَوَاكَ مُمْلَكَةً
 سِلَاحُهَا الْمَاءُ مَا فِي حَزْبِهِ الْعَطَبُ^(٢)
 لَكَ الْفَيَافِي يَنَالُ الثَّلْجُ مَغْنَمَهُ
 يَزِيدُ مُلْكًا لَهُ فِي كَسْبِهَا الْقُطْبُ
 يَا أَنْتَ يَا آيَةً لِلَّهِ نَاصِعَةً
 لِلنَّاطِرِينَ وَلَيْسَ الْحَقُّ يُخْتَجَبُ^(٣)

* * * * *

(١) مكان لممارسة رياضة التزلُّج.

(٢) العطب: الموت والهلاك.

(٣) من ديوان: خلق الله.

﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾

رَأَيْتُهُ غَائِصًا فِي الْجَوْ كَالْأَمَلِ
 هَامَ السَّحَابُ إِلَى لُقْيَاهُ بِالْمَقْلِ
 نَادَيْتُهُ بِخِطَابِ النَّفْسِ أَسْأَلُهُ
 عَمَّنْ بَرَاهُ وَأَبْقَاهُ إِلَى أَجَلِ
 يَا رَاسِيًا أَبَدًا فِي الْأَرْضِ تَحْفَظُهَا
 يَا رَاسِيًا فِي فَسِيحِ الْكَوْنِ كَالظَّلَلِ^(١)
 تَعْلُو عَلَى الْأَرْضِ وَالرَّحْمَنُ كَوَّرَهَا^(٢)
 وَتَشْهَدُ الْكَوْنَ لَا يَغْرُوهُ^(٣) مِنْ خَلَلِ
 فَصْنَعُهُ اللَّهُ جَلَّتْ عَنْ مُفَارَقَةٍ
 وَهُوَ الْقَدِيرُ عَلَى الْإِحْكَامِ مِنْ أَزَلِ
 أَطَالَكَ اللَّهُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ نُصْبٍ^(٤)
 يَذْنُو إِلَيْكَ وَلَوْ حَفُوهُ بِالثَّقَلِ
 تَحْوِمُ السَّحْبُ الْعُلْيَا مُحَلَّقَةً
 تَغْفُرُ خِفَافًا عَلَى جَنْبِكَ فِي مَهَلِ

(١) الغمام والسحاب.

(٢) أي: دَوَّرَهَا وجعلها كرة.

(٣) يغروه: يصيبه.

(٤) ما يُنْصَبُ ويُؤَفَّعُ من أعمدة وأبراج.

تُسَبِّحُ اللَّهَ فِيمَا شَاءَ مِنْ لُغَةٍ
 وَتَرْتَضِي مَا حَبَاكَ^(١) اللَّهُ مِنْ عَمَلٍ
 أَلْقَى بِكَ اللَّهُ كَيْ تَبْقَى إِلَى أَمَدٍ^(٢)
 وَتَحْفَظَ الْأَرْضَ مِنْ مَيِّدٍ^(٣) وَمِنْ زَلَلٍ
 أَوْحَى إِلَى النَّحْلِ أَنْ تَبْنِيَ الْبُيُوتَ لَهَا
 فِي آمِنٍ مِنْ حِمَاكَ فَاضٍ بِالْعَسَلِ
 كَمْ مِنْ قُرُونٍ مَضَتْ عَايَشَتْهَا زَمَنًا
 وَكَمْ شَهِدَتْ مَعَ الْأَيَّامِ مِنْ دُولٍ
 صَارَتْ حَدِيثًا وَتَبَقَى أَنْتَ مُنْتَصِبًا
 تَهْدِي الْخَلَائِقَ مِنْ بَاقٍ^(٤) وَمُنْتَقِلٍ
 وَكَمْ تَلْقَى نَبِيَّ فِيكَ حُجَّتَهُ
 حِرَاءُ^(٥) (أَحْمَدَ) آوَى خَاتَمَ الرُّسُلِ
 وَكَمْ رَقَاكَ عَنِ الْمَكْرُوهِ مُبْتَعِدٌ
 كَمْ عَابِدٍ صَاحَ يَتَأَلَّلُهُ مِنْ وَجَلٍ^(٦)

(١) حباك: منحك.

(٢) أمد: مدى: زمن معين.

(٣) ميد: تحرك واهتزاز.

(٤) باق: إلى أمد مؤقت.

(٥) أي: غار حراء.

(٦) أي: خوف.

قَدْ رَأَاهُ الثُّورُ قَدْ فَاصَتْ نَوَافِحُهُ
يَغْشَى الدُّنَا أَبَدًا مِنْ آيَةِ الْجَبَلِ
مَا فِي الْوُجُودِ سِوَى آيَاتِ قُدْرَتِهِ
تُهْدِي لِذِي بَصَرٍ بِالْحَقِّ مُنْشَغِلٌ^(١)

* * * * *

﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا﴾

قَدْ نَامَ نَاسٌ وَقُرْصُ الشَّمْسِ مُرْتَفِعٌ
وَضَاعَ مِنْهُمْ كَمَالُ الْخَلْقِ تَشْهَدُهُ
فِي الشَّمْسِ تَلْقَى صَنِيعَ اللَّهِ مُكْتَمِلًا
مَنْ دَوَّرَ الْأَرْضَ حَوْلَ الشَّمْسِ دَائِبَةً
مَنْ أَمْسَكَ الْأَرْضَ فِي شَمْسٍ تُجَادِبُهَا
مَنْ أَكْسَبَ الشَّمْسَ نُورًا نَسْتَضِيءُ بِهِ
إِنْ تَرَعَبَ الشَّمْسُ يَوْمًا أَنْ تُقَارِبَنَا
مَنْ قَيَّدَ الشَّمْسَ فِي بُعْدٍ تُلَازِمُهُ
وَعَابَ عَنْهُمْ جَمَالَ الْحِسِّ وَالنَّظَرِ
خَلَائِقُ اللَّهِ تَحْطِي مِنْهُ بِالْعَبْرِ
فَلَا تَفَاوَتْ لَا تَفْرِيطُ فِي قَدْرِ^(٢)
وَأُولَجَ اللَّيْلَ فِي الْإِصْبَاحِ بِالْأَثَرِ
وَقَدَّرَ الثُّورَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
أَلَيْسَ يَنْفَدُ هَذَا الثُّورُ فِي دَهْرٍ
أَوْ تَبْتَعِدُ هَلْ تَرَى لِلْخَلْقِ مِنْ أَثَرٍ
فَلَيْسَ تَطْغَى وَلَا تُودِي^(٣) إِلَى ضَرَرٍ

(١) من قصيدة: آية الجبل، من ديوان: خلق الله، (٧٢ - ٧٤).

(٢) قدر: مقدار.

(٣) تُودِي: توصل وتنتهي.

هُوَ الْإِلَهُ الَّذِي آيَاتُهُ شَهِدَتْ أَنَّ الْحَيَاةَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَمْ تَسِرْ^(١)

* * * * *

● كَمْ فِي الشَّمْسِ مِنْ آيَةٍ، وَكَمْ فِي شُرُوقِهَا مِنْ آيَةٍ:
مَسَّتْ أَنْامِلُهَا أَرْضًا لِتُعِشَهَا
وَصَفَّقَ الْمَاءُ فِي بَحْرِ وَفِي نَهْرٍ
هَبَّ النَّسِيمُ فَحَيَّاهَا وَضَاكَهَا
وَفَتَّحَ الْوَرْدُ أَكْمَامًا عَلَى الْأَثَرِ
وَعَرَّدَ الطَّيْرُ مِنْ عَشْقٍ يُكَابِدُهُ
وَأَطْرَبَ الشَّمْسُ فَاخْتَالَتْ بِلَا بَطَرٍ
وَاهْتَزَّتْ فَوْقَ غُصُونِ الدَّوْحِ فِي فَرْحٍ
وَرَفَّ زَهْرُ الرُّبَا فِي نَشْرِهِ الْعَطْرِ
صَحَا عَلَى سِخْرِهَا نَاسٌ وَأَسْعَدَهُمْ
شَدُّ الْعَنَادِلِ^(٢) بَيْنَ الرُّوْضِ وَالشَّجَرِ
هَبُّوا وَأَلْقُوا بَقَايَا النَّوْمِ خَلْفَهُمْ
وَوَحَّدُوا اللَّهَ بَارِي الشَّمْسِ وَالْبَشَرِ

* * *

(١) من ديوان: خلق الله، (٨٠ - ٨١).

(٢) جمع عندليب.

مَوْكِبُ النُّورِ

فِي خُشُوعِ الدُّجَى عَرَفْتُكَ يَا رَبُّ وَفِي نَجْمِهِ وَفَيْضِ السُّكُونِ
 جَلَّ فِي صَمْتِهِ فَكَانَ بَيَانًا فِي قُلُوبٍ وَعَتَهُ أَوْ فِي جُفُونِ
 هَدَأَ النَّاسَ غَيْرَ قَلْبٍ شَجِيٍّ هَبَّ مِنْ لَهْفَةٍ وَشَوْقٍ دَفِينِ
 مَدَّ كَفِّهِ فِي حَنَائِيَا اللَّيَالِي رَعَشَاتٍ مُبَلَّلَاتِ الْحَنِينِ
 وَهَبَّتْ لِلنُّجُومِ رَعَشَةً شَوْقٍ وَأَعَارَتْ لَهَا انْفِلَاتِ الشُّجُونِ
 فِي شُعَاعٍ يُمُوجُ بَيْنَ ثَنَائِيَا هُ رَفِيفٌ مِنَ الدُّعَاءِ الْحَزِينِ

* * * * *

أَيُّهَا النُّجْمُ مَنْ رَعَاكَ عَلَى الْأُفُ قِي وَالْقَاكَ فِي مَسَارِ مَلِينِ
 فَلَكَ كَمْ جَرَيْتَ فِيهِ لِتَمْضِي سَابِحًا فِي دَقَائِقِ التَّكْوِينِ
 أَتَيْنَ تَمْضِي وَأَنْتَ تَسْجُدُ لِلَّهِ خُشُوعًا عَلَى هُدَاهُ الْمُبِينِ
 كَمْ مَضَى كَمْ تَرَاهُ بَعْدُ تَبْقَى أَيْنَ يَا نَجْمُ مُسْتَقَرُّ السَّفِينِ
 قَدَرٌ غَالِبٌ مِنَ اللَّهِ يُمَضِّي بِهِدَاهُ دَقَائِقًا مِنْ شُئُونِ

* * * * *

كَمْ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَرَوْا فِيكَ إِلَّا صَخْرَةً أَظْلَمَتْ وَكُتْلَةً طِينِ
 سَرَقُوا مِنْكَ نُورَكَ الْمُتَلَالِي سَرَقُوا رَعَشَةً وَخَفَقَ حَنِينِ

سَرَقُوا دَعْوَةً وَهَمَسَ صَلَاةٍ سَرَقُوا مِنْكَ كُلَّ شَيْءٍ ثَمِينٍ
 سَرَقُوا نَبْضَةَ الْحَيَاةِ أَمَاتُوا هَا عَلَى ظُلْمَةٍ وَمَوْجٍ فُتُونٍ
 سَرَقُوهَا مِنَ النَّفُوسِ مِنَ الْقَلَدِ بِ وَمِنْ فِطْرَةٍ وَنُورٍ عُيُونٍ
 سَرَقُوهَا مِنَ الضِّيَاءِ وَرَاحُوا دَفَنُوهَا فِي ظُلْمَةٍ مِنْ سُجُونٍ
 أَيُّ تَبِيهِ يَلْفُفُهُمْ وَضَلَالٍ أَيُّ كِبَرٍ مِنَ الْهَوَى مَجْنُونٍ
 أَيُّ كِبَرٍ أَذَلُّ مِنْ كِبَرٍ كَفَا رِ وَأَشْقَى مِنْ مَكْرِهِ الْمَفْتُونِ

* * * * *

وَأَفَاقَتْ مِنْ غَفْوَةِ الْوَهْمِ أَخْلَا مَ عَلَى رَفْرَفَاتٍ فَجَرٍ مُبِينٍ
 مَوْكِبَ الثَّوْرِ فِي مَطَافِ جَمَالٍ وَجَلَالٍ عَلَى مَرَابِعِ غِينٍ
 مَوْكِبَ الثَّوْرِ أَيُّ طَيْفٍ نَدِيٍّ مُشْرِقٍ فِيهِ أَيُّ ظِلٍّ حَنُونٍ
 تَفْتَحُ الزَّهْرَةَ النَّدِيَّةُ جَفْنَيْهِ هَا دُعَاءَ بَيَوْمِهَا الْمَيْمُونِ

* * * * *

أَيُّهَا الزَّهْرُ مَنْ حَبَاكَ وَمَنْ أَعَدَّ طَاكَ مِنْ نَفْحَةٍ وَمِنْ تَلْوِينٍ
 زُرْقَةً مِنْ رَوَائِعِ الْأَفْقِ مَا جَثَّ وَأَحْمِرَارًا مُضْمَخُ التَّكْوِينِ
 وَأَصْفِرَارًا كَأَنَّهُ رِقَّةُ الشَّوْ قِ وَمِنْ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ ثَمِينِ
 وَأَخْضِرَارًا يَمْوُجُ بَيْنَ طُيُوفٍ وَرَفِيفٍ مِنْ جَدُولٍ وَعُيُونِ

يَا مُرْوَجَ الرُّبَا تُنَادِيكَ أَغْمَا قُ وَيَدْعُوكَ عِبْقَرِي الْفُنُونِ
 مَزَجْتُ سِحْرَكَ الْمُمُوجَ الْقَتْدُ هُ هُنَا أَوْ هُنَاكَ فَوْقَ الْغُصُونِ
 يِنَّ وَادٍ عَلَى الضُّفَافِ الْحَوَانِي فِي الثَّنَايَا فِي التَّيْنِ وَالرَّيْثُونِ
 فِي عُرُوقِ غَنِيَّةٍ فِي وُزُودٍ فِي أَقْحَاحٍ هُنَاكَ أَوْ نِسْرِينَ
 لَمَسْتُ رَعَشَةَ الْهَوَى ثُمَّ ذَابَتْ فِي صَبَايَا مِنَ الْكَوَاعِبِ عَيْنِ

* * * * *

أَيُّ لَوْنٍ مِنَ الْخِيَالِ تَلَقَّا هُ بَوَادٍ مُرْفَرِفٍ وَحُزُونِ
 وَطُيُورٍ عَلَى الْأَفَانِينَ أَلْحَا نٌ وَرَجَعَ مِنَ الصَّدَى وَالرَّيْنِ
 كُلُّ لَحْنٍ صَدَى لِحْفَقَةٍ لَوْنٍ كُلُّ قَطْرِ صَدَى لِحْفَقِ عُيُونِ
 هَمَسَاتُ الدُّعَاءِ لِلَّهِ تَسْبِيحٌ وَرَجَعَ مِنْ سِرِّهِ الْمَكْنُونِ

* * * * *

أَنْتَ يَا رَبِّ خَالِقُ الْكَوْنِ كَمْ أَلْقَيْتَ لِلنَّاسِ آيَةً مِنْ يَقِينِ
 كُلُّ مَا تَجْتَلِي الْعُيُونُ عَلَيْهِ هُوَ مِنْ خَفَقَةِ لِمَاءٍ وَطِينِ
 صَاغَهَا اللَّهُ نَفْحَةً وَحَبَاهَا نَسَمَةً مِنْ هُدَى وَفَيْضٍ مَعِينِ
 سَاجِدَاتٍ لِلَّهِ فِي مَوْكِبِ النُّوْرِ حُشُوعًا وَرَفَّةً مِنْ حَيْنِ (١)

* * * * *

(١) مواكب النور، لعدنان النحوي، من ديوان: مواكب النور، (١٤ - ٥٤)، المكتب الإسلامي.

وله - رحمه الله - يصف الطبيعة بعد الفجر، آية من آيات الله في كونه:

وَانْجَلَى مِنْ مَوَاكِبِ الْفَجْرِ آيَا ت تَشُدُّ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَا
فَالسُّكُونُ النَّدِيَّ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ بَيَانًا عَلَى الْمَسَامِعِ دَارَا
وَرَفِيفُ الْوُرُودِ لَيْسَ صَبَابَا ت لِدَانُ الْغُصُونِ لَيْسَتْ عَذَارَى
وَالنَّدَى لَمْ يَكُنْ دُمُوعَ الْغَوَانِي وَالْأَرَاهِيرُ لَمْ يَكُنْ سَكَارَى
كَانَ نَفْحًا مِنَ الْخُشُوعِ نَدِيًّا وَجَلَالًا يَفُضُّهُ أَنْوَارَا
وَدُعَاءٌ يُمُوجُ فِي عَالَمِ الصَّمْتِ يُنْدِي التَّسْبِيحَ وَالْأَذْكَارَا
وَنِدَاءٌ عَلَى صَدَاهُ اللَّيَالِي رَجَعَتْ هَدْيُهُ وَخَاضَتْ غِمَارَا
وَانْتَشَتْ زَهْوَةٌ فَأَغْضَتْ حَيَاءً وَانْحَنَتْ مِنْ جَلَالِهِ إِكْبَارَا
عَالَمَ الْحَقِّ وَالشَّدَى مِنْ طُيُوفٍ رَفَرَفَتْ فِي خُشُوعِهَا أَطْهَارَا
رَبِّ لِي تَوْبَةٌ تَرُفُّ حَنَائِي هَا يَطْوِي نَدِيَّهَا الْأَوْزَارَا^(١)

* * * * *

(١) من قصيدة: آية في السبيل، من ديوان: مواكب النور، ص (٧٠).

آفاق

وقف هناك، في ساعة من ساعات الغروب؛ ينظر إلى الأفق تبدل فيه
الألوان، حتّى إذا حلّ الظلام، وغابت الألوان والطيوف، وبرزت النجوم
كأنها قناديل معلقة في السماء، رأى في نفسه كذلك آفاقاً تمتد، يتبدل فيها
الضياء والظلمة، وحوله أمة تغيب بين آمالي وضياح.

ورأى الفجر في صفوه وهدوئه ولألائه. فبين آفاق الكون الممتدة الواسعة،
وبين آفاق نفسه كذلك، رأى آيات وآيات، تتلاقى عندها كل الآفاق في
مواكب، تسجد كلها لله خاشعة.

أَلَمْ عَلَى أَجْفَانِي الْأُفُقَ وَالْمَدَى	فَأَجْمَعُهُ ظِلًّا وَأَنْشُرُهُ نَدَى
تَحَيَّرَتِ الْأَلْوَانُ فِيهِ كَأَمَّا	نَثَرْتُ عَلَيْهِ الشُّوقَ نَثْرًا مُجَدِّدًا
يُمُوجُ أَوَارُ النَّفْسِ بَيْنَ احْمِرَّارِهِ	عَلَى شَفَقِي غَافٍ وَذَيْلٍ تَبَدَّدَا
بَقَايَاهُ أَشْتَاتُ الضِّيَاعِ تَنَاثَرَتْ	عَلَى خَجَلٍ هَاجِ الْأَسَى فَتَوَرَّدَا
فَتَهْوِي الطُّيُوفُ الْحُمْرُ خَلْفَ حُطَامِهِ	عَلَى ظُلْمَةٍ دَكْنَاءَ لَمْ تُبْقِ مَقْدَا
كَأَنَّ الدُّجَى مُوجٌ تَعْلَقْنَ فَوْقَهُ	قَنَادِيلَ كَمْ هَيَّجْنَ نَجْمًا وَفَرَقَدَا
غَفَوْنَ وَمَرَّ الْفَجْرُ يَطْوِي شَتَاتَهَا	وَيَنْشُرُ مِنْ لَأَائِهِ مَا تَوَقَّدَا
وَأَمَّا صَفَتْ نَفْسٌ وَطَابَ بِهَا الْمُنَى	بَدَا الْأُفُقُ صَفْوًا طَابَ حُسْنًا وَمَوْرَدَا

عَلَى زُرْقَةٍ ذَابَ الْحَنَانُ وَخَفَقُهُ
عَلَيْهَا اضْفِرَارًا عَادَ دُرًّا وَعَسَجَدَا

* * * * *

هُنَالِكَ مَا ضَيَّعْتُ نَظْرَةَ خَاشِعٍ
أَطُوفُ كَمَا طَافَ الْجَمَالُ وَأَجْتَلِي
أَزَحْتُ هُمُومَ الْعُمْرِ أَلْقَى مَوَاكِبَا
تُرْجِعُ آمَادًا مَضِيئًا وَحِكْمَةً
مَوَاكِبُ فَاشْهَدْ عِنْدَهَا كُلَّ آيَةٍ
مَوَاكِبُ مَا فِي الْكَوْنِ إِلَّا خُشُوعُهَا
وَلَا فَقَدْتُ نَفْسِي مَعَ الْأَمْنِ مُنْجِدَا
رُؤَى عَبَقَرِيَّاتِ الْجَمَالِ وَمَشْهَدَا
مِنَ الْخَيْرِ فَضَّتْ دُونَهَا آيَةَ الْهُدَى
يُجَدِّدُنَ آيَاتٍ وَيَعْرِضُنَ مَوْلِدَا
وَرَتَّلْ عَلَى آيَاتِهَا الْحَمْدَ وَالنَّدى
وَكُلُّ الَّذِي يَبِينُ الضُّلُوعَ لَهُ صَدَى

* * * * *

مَدَدْتُ بِأَمَالِي إِلَى الْأَفْقِ عَلَنِي
رَجَعْتُ وَفِي نَفْسِي دَوِيٌّ وَخَيْرَةٌ
تَقُولُ حَنَانِيكَ الضِّيَاءُ جَمِيعُهُ
بِذَاتِكَ فِي عَيْنَيْكَ فِي الْقَلْبِ فِي يَدِ
بِرَجْعَةِ أَنْفَاسٍ بِلَهْفَةٍ أَضْلُعِ
هُنَا فِي بَنَانٍ دَقَّ صُنْعًا وَآيَةً
وَفِي فِطْرَةٍ أَوْتَيْتَهَا لَوْ سَأَلْتَهَا
بِذَاتِكَ فِي جَنِّبِكَ آفَاقُ عَالَمٍ
أَرَى قَبَسًا أَهْدَى إِلَيَّ وَأَرْشَدَا
وَعَادَتْ بِي الْأَمَالُ تَسْأَلُنِي يَدَا
بِذَاتِكَ فَاَنْشُدْ إِن رَغِبْتَ بِهَا الْهُدَى
عَلَى خَفَقَاتِ الشُّوقِ هَيَّجَنَ أَكْبَدَا
بِإِشْرَاقَةِ بِالْعَيْشِ بِالسَّعْيِ بِالرَّذَى
وَجَارِحَةٍ تَجَلُّو لِعَيْنَيْكَ مَوْرِدَا
عَنِ الْحَقِّ قَامَتْ كَيْ تُبَيِّنَ وَتَشْهَدَا
فَسِيحٍ وَأَنْوَارٍ وَمَوْجٍ مِنَ الصَّدَى

تَأَلَّقُ أَوْ تَحْنُو بِضَوْءِ شُمُوسِهَا أَمَانًا وَتَبْتَئِلُ الْجَوَارِحُ بِالنَّدَى
كَأَنَّ الْأَمَانِي فِي حَنَائِكَ رَوْضَةٌ تَفْتَحُ عَنْ زَهْرٍ وَتَهْتَرُ بِالْجَدَا
تُبَلِّلُهَا نَعْمَى الْيَقِينِ بِرِيِّهَا وَرُودًا وَتَسْقِيهَا الْبَشَائِرُ سُودًا
صَفَا حُسْنُهَا حَتَّى إِذَا اضْطَرَبَ الْهَوَى بِنَفْسٍ طَوَى آفَاقَهَا اللَّيْلُ أَسْوَدَا
يَمُورُ مِنَ الْأَهْوَاءِ مَوْجٌ ظَلَامِهَا وَيَهْدُرُ شَوْقٌ ضَجَّ فِيهَا وَأَرْعَدَا
إِذَا أَوْمَضَتْ بَيْنَ الدِّيَاجِيرِ شَهْوَةٌ رَجَعْنَ دُخَانًا خَانِقًا فِيهِ أَرْبَدَا

* * * * *

رَجَعْتُ وَأُضْحَى الْأَفُقُ مَهْمَا نَأَى بِهِ مَدَى عَادَ يَدُنُو مِنْ قُودَايَ مُرْشِدَا
هُنَالِكَ آفَاقٌ تَمُرُّ وَهَا هُنَا كَذَلِكَ آفَاقٌ تُوَاكِبُ مَوْعِدَا
تَلَاقَتْ عَلَى آيَاتِهَا فَكَأَنَّمَا رَأَيْتَ بِهَا الدُّنْيَا خُشُوعًا وَمَعْبَدَا
هُوَ اللَّهُ فَانْظُرْ حَيْثَمَا شِئْتَ آيَةً بِهَا سَجَدًا لِلَّهِ يَتَّبَعْنَ سُجْدَا^(١)

* * * * *

● وله:

رَبَّنَا سَبَّحْتَ لَكَ الْفَلَوَاتُ
وَأَقَاصِي الْأَعْمَاقِ وَالطُّلُمَاتُ
وَالْخَصَى وَالرِّمَالُ وَالرَّبَّوَاتُ
وَرَفِيفُ الْغُصُونِ وَالزَّهْرَاتُ

(١) لعدنان النحوي، من ديوان: مواكب النور، (٧٧ - ٨١).

وَنَدَاءُ الطُّيُورِ وَالْوَكَنَاتِ
وَهَدِيلُ الْحَمَامِ وَالْهَمَسَاتِ
وَحَنَائِيَا الضَّمِيرِ وَالنَّظَرَاتِ
مَوْكِبٌ رَفَرَفَتْ بِهِ الْآيَاتُ

* * * * *

رَبَّنَا مِنْ يَدَيْكَ فَاضَ النِّعِيمُ
وَالْهُدَى مِنْكَ وَالْحَنَانُ الرَّحِيمُ
وَزَكَاةُ النُّفُوسِ مِنْكَ تَقُومُ
وَإِهْبَ قَادِرٌ عَزِيزٌ كَرِيمٌ^(١)

* * * * *

(١) من ديوان: مواكب النور، (١٢١، ١٢٢).

﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾

﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾

طَوَى اللَّيْلُ أَسْتَارَهُ الْمُسْدَلَهُ وَلَفَّ ذَوَائِبَهُ الْمُرْسَلَهُ
وَهَبَّ ضِيَاءُ الصُّبْحِ الْعَلِيلُ فَعَقَّى رَوَاسِيَهُ الْمُهْمَلَهُ
وَمَرَّ بِأَنْفَاسِهِ كَالْحَيَاةِ فَأَيَّقَظَ أَغْيِنَّتَنَا الْمُقْفَلَهُ
وَأَلْقَى الشَّدَا فِي بُرُودِ النَّدَى عَلَى الزَّهْرِ وَالْأَغْصَنِ الْمُخْضَلَهُ
وَذَرَّ عَلَى الطَّيْرِ نَفْحَ النَّشِيدِ فَعَنَّتْ جَمَاعَتُهَا الْمُقْبَلَهُ

* * * * *

فَأَمَعَنْتُ فِي حُسْنِهِ الْبَاهِرِ
فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
وَفِي الصُّبْحِ لِلنَّاظِرِ الْمُعْتَبِرِ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
فَأَمَنْتُ بِهِ

* * * * *

﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾

أَضَاءَ النَّهَارُ وَصَحَّ الْعَمَلُ وَمَرَّقَتِ الشَّمْسُ ثَوْبَ الْكَسَلِ

وَأَسْرَعَ كُلَّ إِلَى رِزْقِهِ يُكَابِدُهُ بِلَذِيذِ الْأَمَلِ
فَتَحْظَى بِلَحْمِ الطُّيُورِ النُّسُورِ وَتَهْنَأُ بِالْمُنْتِنَاتِ الْجُعْلِ
وَتَسْعَدُ بِالْحَرِصِ نَمْلِ الْقُرَى وَلَوْ غَمَزُوهَا بِكُلِّ السَّبَلِ
بَدَائِعُ شَاهِدَتْهَا فِي النَّهَارِ لَهَا سَبَبٌ بِالْهُدَى مُتَّصِلُ

فَأَمَعْتُ فِي سِرِّهَا الْبَاهِرِ
فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
وَفِيهَا لِذِي النَّظَرِ الْمُعْتَبِرِ
رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
فَأَمَنْتُ بِهِ

﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَهَا﴾

هِيَ الشَّمْسُ فِي خَفَرٍ تُشْرِقُ تَكَادُ عَلَى بُعْدِهَا تُعْشَقُ
تَمُدُّ عَلَى الْأَرْضِ أَسْبَابَهَا فَيَعْلَقُ بِالزَّهْرِ مَا يَغْلَقُ
تَمُرُّ فَتَشْطُرُّ قَلْبَ السَّمَاءِ وَأَنْهَارُ أَنْوَارِهَا تَذْفُقُ
فَتَقْسُو عَلَى بَلَدٍ بِاللَّهْيَبِ وَفِي بَلَدٍ نَاعِمٍ تَرْفُقُ
تَجْرُ الْحَيَاةَ فَتُحْيِي الْبِلَادَ كَأَنَّ بِهَا خَالِقًا يَخْلُقُ

فَأَمَعْنْتُ فِي سِرِّهَا الْبَاهِرِ
 فَأَمَنْتُ بِالْخَالِقِ الْقَادِرِ
 وَفِي الشَّمْسِ لِلنَّاطِرِ الْمُتَبَرِّ
 رَوَائِعُ آيَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ
 فَأَمَنْتُ بِهِ

* * * * *

يقظة الفجر

يَقْظَةُ الْفَجْرِ أَيُّ سِرِّ سَنِيٍّ فِي لُحُوظَاتِكَ الْعَذَابِ السَّيِّئَةِ
 أَيُّ رُوحٍ يَسْرِي فَيُنْعَشُ رُوحِي فِي نُسَيْمَاتِكَ اللَّطَافِ النَّدِيَّةِ
 أَيُّ إِشْرَاقٍ نَشْوَةٍ وَصَفَاءٍ فِي شُعَاعَاتِ شَمْسِكَ الْعَسْجَدِيَّةِ
 أَيُّ مَعْنَى مِنَ الْجَمَالِ وَمَعْنَى لَاحٍ فِي غُرَّةِ الصَّبَاحِ الْبَهِيَّةِ
 وَالضِّيَاءُ الْحَيْرَانُ يَحْبُو خِلَالَ الْ غَيْمِ فِي ثَوْبِ فِتْنَةٍ عُلوِيَّةِ
 أَيُّ مَعْزُوفَةٍ افْتِتَاحٍ بِهِيجٍ لِلنَّهَارِ الْجَدِيدِ حَرَى شَجِيَّةِ
 عَزَفَتْهَا فِي مَسْرَحِ زَيْنَتِهِ بِالْجَمَالِ الْبَدِيعِ أَيْدٍ خَفِيَّةِ
 فَالطُّيُورُ الْمِرَاحُ تَشْدُو وَتَغْدُو تَلْقَفُ الزَّادَ فِي هَوَى وَشَهِيَّةِ
 خَالَسَتْهَا وَتَأْتَأَتْ تَشْتَهِيهَا وَهِيَ تَحْبُو هُرَيْرَةَ مَنْزِلِيَّةِ

وَالْغُصُونُ السَّكْرَى بِرَاحِ نَدَاها
وَالْخَفِيفُ الْخَفِيفُ كَالْهَمْسِ تَحْكِي
وَالْفَرَاشَاتُ غَلْغَلَتْ فِي ثُغُورِ
مَصَّتِ الشَّهْدَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى
ثُمَّ طَارَتْ مَثْنَى بِأَجْنَحَةٍ غُرٍّ
وَمِيَاهُ الشَّلَالِ نَشَوَى تُغْنِي
إِنَّهَا خَفَقَةُ الْحَيَاةِ بِقَلْبِ الْ
إِنَّهَا مِنْ بَهَاءِ رَبِّ جَمِيلِ
كُلُّ لَحْنٍ مُنَاغِمٌ لِأَخِيهِ
خَلَقَ اللَّهُ لِلْبَرَايَا سَجَايَا
تَتَمَطَّى فِي حُلَّةٍ لَوْلِيَّةٍ
فِيهِ لِلزَّهْرِ عَنْ رُؤَاها الْعَشِيَّةِ
الزَّهْرِ وَالطَّلِ أَلْسِنًا عَبَقَرِيَّةٍ
وَتَرَامَتْ عَلَى الرَّحِيقِ خَفِيَّةٍ
عَلَيْهَا مِنْ الزُّهُورِ بَقِيَّةٍ
بِاتِّسَاقٍ لِحُونِهَا الْأَزْلِيَّةِ
كَوْنٍ لَاحَتْ عَلَى مَرَايَا الْبَرِّيَّةِ
بَارِيٍّ مُبْدِعٍ هِبَاتٍ سَخِيَّةٍ
كُلُّ حُسْنٍ لَدِّ يَلْفُ نَجِيَّةٍ
وَبَرَا الْفَجَرَ لِلْجَمَالِ سَجِيَّةٍ^(١)

* * * *

(١) من ديوان «أذان القرآن»، لعمر الأميري، (٢١ - ٢٤).

أذان

يا أَذَانَ الدَّيِّكِ فِي الإِصْدَاحِ مَا أَغْذَبَ جُرْسَكَ
وَأَجَلَ الدَّرْسِ تُلْقِيهِ لِمَنْ يَفْقَهُ دَرْسَكَ
فِيهِ تَنْبِيَةٌ لَغِيًّا بِنِ عَنِ الطَّاعَةِ أَمْسَكَ
وَنِدَاءٌ لِنُورِ الْفَجْرِ أَنْ لَا تَنْسَ رَمْسَكَ (١)

* * * * *

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرَ عَرَفْتُكَ مِمَّا أُخْتَفَى وَأُسْتَثَرُ
عَرَفْتُكَ مِنْ حَاضِرَاتِ الْوُجُودِ وَمِمَّا مَضَى فِي زَمَانٍ غَبَرُ
عَرَفْتُكَ مِنْ لَفْحَاتِ الرِّيَّاحِ وَمِنْ نَفْحَاتِ نَسِيمِ السَّحَرِ
عَرَفْتُكَ مِنْ وَطْأَةِ الْحَادِثَاتِ وَمِنْ رِقَّةِ مِثْلِ خَمَلِ الزَّهَرِ
عَرَفْتُكَ مِنْ حِكْمٍ غُلِّفَتْ بِمَظْهَرٍ خَيْرٍ وَمَظْهَرٍ شَرِ
عَرَفْتُكَ مِنْ كُلِّ غُمٍّ لَدَيَّ عَرَفْتُكَ مِنْ مَسْمَعِي وَالْبَصَرِ
عَرَفْتُكَ مِمَّا وَرَاءَ الشُّعُورِ عَرَفْتُكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَعَرَ
بَأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَٰهُ الْأَحَدُ

* * * * *

(١) من ديوان: أذان القرآن، لعمر الأميري، (٢٥).

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنْ لَامِعَاتِ الْأُفُقِ عَرَفْتُكَ مِنْ مُوحِشَاتِ الْعَسَقِ
عَرَفْتُكَ مِنْ نَفَحَاتِ الْفَلَقِ عَرَفْتُكَ مِنْ خَلْقِكَ الْمُتَشِقِ
بَأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ

* * * *

عَرَفْتُكَ مِنْ بَهْجَةِ فِي الْقَمَرِ عَرَفْتُكَ مِنْ نِسْمَةٍ فِي الشَّحَرِ
عَرَفْتُكَ مِنْ بَسْمَةٍ فِي الزَّهَرِ عَرَفْتُكَ مِنْ نَامِيَاتِ الشَّجَرِ
بَأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ

* * * *

عَرَفْتُكَ مَا لَاحَ نُورٌ وَنَارٌ وَمَهْمَا يَدُرُ كَوْكَبٌ فِي مَدَارِ
عَرَفْتُكَ مَهْمَا الزَّمَانُ اسْتَدَارَ وَمَهْمَا أَتَى اللَّيْلُ بَعْدَ النَّهَارِ
بَأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ
وَأَنَّكَ أَنْتَ الْعَظِيمُ الصَّمَدُ

* * * *

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ بِالشُّحْبِ الْهَاطِلَاتِ لِتُخَيِّ كُلِّ بِلَادٍ مَوَاتِ
بِكُلِّ نَبَاتٍ عَجِيبِ النَّبَاتِ بِمُخْتَلِفَاتٍ وَمُشْتَبِهَاتِ
بَأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ

عَرَفْتُكَ حِينَ سَلَكَتُ الْقِفَارَ وَسَارَ بِنَا فِي الشُّهُولِ الْقِطَارَ
عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْتُ الْبَحَارَ وَحِينَ جَرَّتْ بِي جَوَارِ كِبَارَ
بَأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدَ

* * * * *

عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْتُ الْهَوَاءَ وَطَوَّفْتُ فِي جَنَبَاتِ الْفَضَاءِ
وَحِينَ تَأَمَّلْتُ هَذِي السَّمَاءَ وَكُلَّ عَظِيمٍ بِهَا ذِي بَهَاءِ
بَأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدَ
وَأَنَّكَ أَنْتَ الْعَظِيمُ الصَّمَدَ

* * * * *

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنْ ذِي جَنَاحٍ يَطِيرُ عَرَفْتُكَ مِنْ ذِي قَوَامٍ يَسِيرُ
عَرَفْتُكَ مِنْ سَابِحٍ فِي الْغَدِيرِ عَرَفْتُكَ مِنْ زَاحِفٍ فِي الْهَجِيرِ
بَأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدَ

* * * * *

عَرَفْتُكَ لَمَّا نَظَرْتُ الْجِبَالَ عَرَفْتُكَ مِنْ رَائِعَاتِ الْجَمَالِ
عَرَفْتُكَ حِينَ شَرِبْتُ الزُّلَالَ عَرَفْتُكَ إِذْ ظَلَّلْتَنِي الظَّلَالَ

بَأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ

* * * * *

عَرَفْتُكَ مِنْ لَمَسِ لَيْنِ الْحَرِيرِ وَمِنْ لَمَسِ ذِي قَسْوَةٍ فِي الصُّخُورِ
عَرَفْتُكَ مِنْ نَفَثَاتِ السَّعِيرِ وَمِنْ بَارِدِ قَاتِلِ زَمْهَرِيرِ
بَأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ
وَأَنَّكَ أَنْتَ الْعَظِيمُ الصَّمَدُ

* * * * *

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنْ نَبْضَاتِ الْجَنَانِ وَمِنْ مَنَاطِقِ عَجَبٍ فِي اللِّسَانِ
عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَاتِ الْبَنَانِ وَأَرْشَدَنِي لِغَلَاكِ الْيَدَانِ
بَأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ

* * * * *

عَرَفْتُكَ مِنْ أَكْبُيْدِ ظَامِئَاتِ عَرَفْتُكَ مِنْ مِعْدِ جَائِعَاتِ
عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَاتِ الْحَيَاةِ عَرَفْتُكَ مِنْ سَكَنَاتِ الْمَمَاتِ
بَأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ

* * * * *

عَرَفْتُكَ مِنْ مُعْجَزَاتِ السُّورِ وَمَا جَمَعَتْ مِنْ جَلِيلِ الْعِيزِ
وَعَرَفَنِي بِكَ طَهَ الْأَعَزِّ رَسُولُكَ أَحْمَدُ خَيْرُ الْبَشَرِ

بأنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ
وَأَنَّكَ أَنْتَ الْعَظِيمُ الصَّمَدُ^(١)

* * * * *

أَنْتَ أَنْتَ اللَّهُ

تَأْمَلُ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا مِنْ الْمَلِكِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ
وَقَدْ خُطَّ فِيهَا لَوْ تَأْمَلْتَ خَطَّهَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ
تُشِيرُ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِرَبِّهَا فَصَامَتَهَا يَهْدِي وَمَنْ هُوَ قَائِلُ

* * * * *

ولله در شقيقي طيب القلب مرهف الحس: عبد الله بن حسين العفاني

حيث يقول:

أَشْتَهِي يَوْمًا، جَدِيدَ الْقَلْبِ، مَا يَذِرِي الذُّنُوبَ
بَاكِرَ الصَّبْحِ، بَطِيءَ الْخَطْوِ، مَا يَهْوِي الْغُرُوبَ
نَيِّْرَ^(٢) الطُّلْعَةِ^(٣) أَحْيَا بَيْنَ وَادِيَةِ الْخَصِيبِ^(٤)

(١) قصائد من ديوان: آمنت بالله، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، دار العلم.

(٢) نَيْر: شديد النور، والمراد: خال من الذنوب، كثير الطاعات.

(٣) الطلعة: الوجه، والمراد هنا: حسنه كله.

(٤) الخصيب: كثير التبت والعشب، والمراد هنا: خصب الطاعة.

وعلى الأنيك^(١) طيورٌ هَزَّهَا الغصنُ الرطيب^(٢)
تُطْرِبُ الأكوانَ تسبيحًا لِعَفَّارِ الذُّنُوبِ
ولدى الأفق^(٣) شمسٌ أذفأت بالسَّبحِ شيب^(٤)
فَتَهَادَى^(٥) الطُّهْرُ، ماءً هَادئًا، عَذْبًا، سَكُوبٌ^(٦)
إذ صفا تسبيحُ شمسٍ رَقَّ تسبيحُ القسيب^(٧)
ومن الزهرِ حسانٌ رَفَرَفَتْ حُسْنًا وطيْبٌ
سَبَّحَ الكونُ وأبدى بعضَ ما تُخْفِي القلوبُ
وَمِنَ التقوى لباسٌ أبيضٌ، حلَوٌ، قشيب^(٨)
والطُّوى^(٩) راحةٌ قلبٍ في صلاةٍ.. في أُيُوب^(١٠)
زادِي القرآنَ والتسبيحَ بيحٌ من قلبٍ وجيب^(١١)
مَشْرَبِي جِلْسَةَ حميدٍ في حَنَائِهَا أَذُوبُ

(١) الأنيك: جمع أنيكة، وهي الشجر الكثير الملتف.

(٢) الرطيب: الناعم.

(٣) الأفق: ما ظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض.

(٤) شيب: جمع أشيب، وهو الجبل الذي يغطيه الثلج.

(٥) تهادى: مشى في هدوء.

(٦) سكب: يمشي في غير شق.

(٧) القسيب: صوت الماء.

(٨) قشيب: جديد.

(٩) الطوى : الطويزة وهي ما استقر في القلب.

(١٠) أُيُوب: رجوع وتوبة.

(١١) وجيب: خافق مضطرب.

أشتهي ليلاً حنو نَ القلبِ، للقلبِ طيب
 قائماً لله أتلو أسأل العفو القريب
 يحتويني الكون: مَرَحِي^(١) أوبة^(٢) الغر^(٣) الحبيب
 أترى حقاً ساحياً أم أمانِي الكذوب^(٤)
 عهدنا بالله دوماً أنه ربُّ القلوب

* * * * *

(١) مَرَحِي: كلمة تقال للرجل، إذا أصاب.

(٢) أوبة: عودة وتوبة.

(٣) الغر: قليل الفطنة.

(٤) الكذوب: النفس.

رُؤى في الجمال

قال الشاعر عدنان النحوي: «قال الشاعر الزنديق المشعوذ عطاء الخراساني الملقب بالمقنع الخراساني»:

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا فِتْنَةً وَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونُ
فَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الْجَمَالَ فَكَيْفَ عِبَادُكَ لَا يَعْشَقُونَ

«وقال الشاعر المسلم عمر بهاء الأميري مُعَارِضًا»:

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا نِعْمَةً وَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونُ
وَإِنَّ الْجَمَالَ ثَقَى وَالثَّقَى جَمَالٌ وَلَكِنْ لِمَنْ يَفْقَهُونُ
فَذَوْقُ الْجَمَالِ يُصَفِّي الثُّفُوسَ وَيَحْبُو الْعُيُونَ سُمُو الْعُيُونَ
وَإِنَّ الثَّقَى هَا هُنَا فِي الْقُلُوبِ وَمَا زَالَ أَهْلُ الثَّقَى يَعْشَقُونَ
وَمَنْ خَامَرَ الْعِشْقُ أَخْلَاقَهُ تَأَبَّى الصَّغَارَ وَعَافَ الْحُجُونَ

«نشرت إحدى الصحف الأبيات السابقة للخراساني، وللأستاذ الأميري،

فقلت مُعَارِضًا»:

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا آيَةً يُمَحِّصُ فِيهَا الْهَوَى وَالْيَقِينَ
فَكَمْ مِنْ جَمَالٍ بِهِ فِتْنَةٌ فَيُصَلِّي عَلَى نَارِهَا الْمَاجِنُونَ
وَكَمْ مِنْ جَمَالٍ بِهِ رَحْمَةٌ حَنِئُ الْقُلُوبُ وَشَوَّقُ الْعُيُونَ
وَأَجْمَلُ آيَاتِهِ أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَالطُّهْرُ أَنَّى يَكُونُ

وَفِي كُلِّ نَاحِيَةٍ نَفْحَةٌ مِّنَ الْحُسْنِ أَوْ آيَةٌ مِّنْ حَيْنٍ
تَذُلُّ عَلَى أَنَّكَ اللَّهُ هُوَ رَبُّ الْخَلَائِقِ وَالْعَالَمِينَ
وَلَيْسَ يَرَاهَا سِوَى مُحْسِنٍ وَلَيْسَ يَرَاهَا سِوَى الْمُتَّقِينَ
وَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الْجَمَالَ فَقُلْتُ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونِ

* * * * *

وخطر لي بعد مدة أن أتحدث عن الجمال بصورة أوسع، تتبع من الإيمان
والتوحيد؛ فقلت القصيدة التالية:

الجمال

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا آيَةً تَطُوفُ الْقُلُوبُ بِهَا وَالْعُيُونُ
وَأَبْدَعْتَ فِي الْكَوْنِ مَا يَجْتَلِي عُيُونٌ وَمَا هُوَ سِرٌّ دَفِينُ
وَرَزَيْتَهُ يَا لِهَذَا الْجَمَالِ وَهَذَا الْجَلَالِ وَهَذَا الْحَيْنُ
فَتَخَشَعُ فِي نُورِهِ أَضْلَعُ وَتَخْفُقُ أَشْوَاقُهَا وَالشُّجُونُ

* * * * *

فَهَذِي السَّمَاءُ وَأَفَاقُهَا بُرُوجٌ تُزَيِّنُ لِلنَّاطِرِينَ
فَكَمْ بَصَرٍ عَادَ مِنْهَا حَسِيرًا عَلَى خَشْيَةٍ وَهُمْ مُشْفِقُونَ
وَعَيْتٌ وَرَاءَ وَتُوبِ الْخِيَالِ عَصِيٍّ عَلَيْهِ وَسَقْفٌ مَتِينُ
فُطِفَ حَيْثُ شَتَّ فَايَاتُهَا جَلَالُ الْمَدَى وَجَلَالُ الْقُرُونِ
وَهَذِي هِيَ الْأَرْضُ كَمْ جَنَّةٍ تَفَجَّرُ بَيْنَ جَنَاهَا الْعُيُونُ
وَرَوْضٌ تَنْفَسُ عَنْهُ الصَّبَاخُ شَذَا مِنْ وَرُودٍ وَمِنْ يَاسَمِينِ

وَطَيْرٍ كَأَنَّ رَفِيفَ جَنَاحَيْهِ رَفُّ الْبُكُورِ وَهَمْسُ الْغُصُونِ
يُسَبِّحُ لِلَّهِ فِي مَوْكِبٍ خَلِيلٍ وَحَشْدٍ مِنَ الْخَاشِعِينَ

* * * * *

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ تَشْقُ ذُرَاهَا عَنَانَ السَّمَاءِ وَسَهْلٍ يَلِينُ
وَكَمْ أَبْحُرٍ غَيَّبَ اللَّهُ فِيهَا غُيُوبًا وَأَطْلَقَ فِيهَا السَّفِينُ
وَلَهْرٍ تَدْفُقُ أَمْوَاهُ يُرَوِّي الْحَيَاةَ وَيُغْنِي الْقُرُونُ
يُزَيِّنُهَا اللَّهُ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَمْنَحُهَا عِبْقَرِيَّ الْفُنُونُ

* * * * *

وَأَنشَأَتْ مِنْ زِينَةٍ فِي الْحَيَاةِ لَتَبْلُو مِنَّا الْهَوَى وَالْيَقِينَ
وَتَبْلُو مِنَّا خَبَايَا الصُّدُورِ وَتَجْوِي الْقُلُوبَ وَهَمْسُ الْجُفُونِ
فَكَمْ زِينَةٍ سَعَّرَتْ فِتْنَةً تَلَطَّتْ عَلَى شَهْوَةٍ أَوْ مُجُونُ
وَكَمْ زِينَةٍ رَفَّ فِيهَا الْجَمَالُ يُطَهِّرُ أَشْوَاقَنَا وَالْحَيْنُ (١)
فَزِينَةُ هَذِي الْحَيَاةِ رِيَاشُ شُكُورِ التَّقَى أَوْ جُحُودِ الْفُتُونِ
يُيَدِّلُهَا النَّاسُ فِي سَعْيِهِمْ فَظَنَّ الْجَمَالَ هَوَى الْمُعْتَدِينَ
فَكَمْ جَاهِلٍ ضَلَّ فِي غِيَّهِ تَوَاثَبَ بَيْنَ عَوَانٍ وَعَيْنِ
وَلَهُوَ الْحَرَامُ عَلَى شَهْوَةٍ

* * * * *

(١) إشارة إلى أن كلمة زينة في القرآن الكريم لتدل على الزخرف العام، فإن كان طاهراً إيمانياً ترد لفظة الجمال، وإن كان شراً ترد لفظة فتنة.

رَفِيفُ الْجَمَالِ نَوَالِ الْحَلَالِ وَصِدْقُ الْوَفَاءِ وَعَهْدُ أَمِينٍ
وَأَجْمَلُ آيَاتِهِ أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَالطُّهْرُ أَنَّى يَكُونُ
وَنُورٌ تَدْفَقُ مِلءُ الْوُجُودِ يُزِيحُ الظَّلَامَ وَيَنْفِي الظُّنُونُ
وَحُرِّيَّةٌ أَطْلَقَتْ أَنْفُسًا لَتَمْضِيَ فِي مَوْكِبِ الْعَابِدِينَ

* * * * *

سَيَبْقَى الْجَمَالُ لَنَا آيَةً يَرَى اللَّهُ فِي صِدْقِهَا الْعَالَمُونَ
وَيَقَى هَوَانًا هَوَى الصَّادِقِينَ فَمَا الْحُبُّ إِلَّا هَوَى الصَّادِقِينَ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا زَكَاةُ الْجَمَالِ نَقِيّ الْفِعَالِ وَفَاءُ وَدِينِ
وَمَنْ عَرَفَ الْحُبَّ لِلَّهِ عَلِمَهُ الْحُبُّ تَرَكَ الْجُحُونَ

* * * * *

فَفِي كُلِّ نَاحِيَةِ آيَةٍ مِنَ الْحُسْنِ تُجَلَّى وَحَقُّ يَبِينُ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ اللَّهُ هُوَ رَبُّ الْخَلَائِقِ وَالْعَالَمِينَ
وَلَيْسَ يَرَاهَا سِوَى مُؤْمِنٍ وَلَيْسَ يَرَاهَا سِوَى الْمُتَّقِينَ
وَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الْجَمَالَ فَقُلْتُ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونُ^(١)

* * * * *

(١) من ديوان: مهرجان القصيد، (٧٤ - ٧٧).

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ السَّمَاوَاتِ

لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ السَّمَاوَاتِ
 أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي
 لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ
 وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلَى يُدَبِّرُنِي
 إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا
 وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَدًا
 وَلَا ظَهِيرٌ لَهُ كَيْمَا أَعَاوَنُهُ
 وَالْفَقْرُ لِي وَصَفُ ذَاتٍ لَا زِمَّ أَبَدًا
 وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ
 فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ دُونِ خَالِقِهِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءُ الْكَوْنِ أَجْمَعُهُ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
 أَنَا الْمُسَيِّكُنُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي
 وَالْخَيْرُ إِنْ جَاءَنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي
 وَلَا عَنِ النَّفْسِ فِي دَفْعِ الْمَضَرَّاتِ
 وَلَا شَفِيعٌ إِلَى رَبِّ الْبَرِّيَّاتِ
 رَبِّ السَّمَاءِ كَمَا قَدْ جَافِيَ الْآيَاتِ
 وَلَا شَرِيكَ أَنَا فِي بَعْضِ ذُرِّيَّاتِي
 كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ
 كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصَفٌ لَهُ ذَاتِي
 وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي
 فَهُوَ الْجَهْلُومُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي
 مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدِهِ يَأْتِي
 خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِي (١)

* * * * *

(١) العقود الدريّة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن عبد الهادي، ص: ٣٧٥.

قصيدة فى التذلل والتضرع

لشيوخ الإسلام ابن القيم

● قال الشوكاني عنه: «تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان، وتحيه القلوب».

فليس على من نال من عرضه إثم	بني أبي بكر كثير ذنوبه
تعلم علماً وهو ليس له علم	بني أبي بكر غداً متصدراً
جهولٌ بأمر الله أتى له العلم	بني أبي بكر جهولٌ بنفسه
إلى جنة المأوى وليس له عزم	بني أبي بكر يزوم ترقياً
إذا لم يكن في الصالحات له سهم	بني أبي بكر لقد خاب سعيه
هلوع كنود وصفه الجهل والظلم	بني أبي بكر كما قال ربه
بفتواهم هذي الخليفة تأتم	بني أبي بكر وأمثاله عدت
ولا الزهد والدنيا لديهم هي الهمة	وليس له في العلم باع ولا التقى
وصال المعالي والذنوب له هم ^(١)	بني أبي بكر غداً متمنياً

(١) البدر الطالع، للشوكاني، (٢/١٤٥، ١٤٦).

المَوْقِظَةُ

بُنِّي عَلِيٍّ قَدْ تَفَاقَمَ وَرْزُهُ لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِي
 بُنِّي عَلِيٍّ مِثْلَمَا قَالَ رَبُّهُ فَلَيْسَ عَلَيَّ مَنْ حَاضَ فِي عِرْضِهِ وَرْزُ
 بُنِّي عَلِيٍّ خَابَ وَاللَّهِ سَعْيُهُ ظُلُومٌ كَنُودٌ شَأْنُهُ الْغَدْرُ وَالْمَكْرُ
 بُنِّي عَلِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتَّقَى إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الصَّالِحِينَ لَهُ ذِكْرُ
 بُنِّي عَلِيٍّ قَدْ غَدَا مُتَّصِدًّا وَيَغْفُلُ عَمَّا يَقْتَضِي النَّهْيُ وَالْأَمْرُ
 بُنِّي عَلِيٍّ صَارَ يُفْتِي وَيَجْتَرِي لِفَقْدِ أُولِي الْعُلْيَا وَأَنَّى لَهُ الصَّدْرُ
 بُنِّي عَلِيٍّ لَيْسَ يَذْكُرُ إِذْ نَشَا عَلَيْهَا وَلَا فَهَمٌ لَدَيْهِ وَلَا ذِكْرُ
 بُنِّي عَلِيٍّ صَارَ مِنْ بَعْدِ يُتِمُّهُ ذَلِيلًا يَتِيْمًا مَا لَهُ فِي الْوَرَى قَدْرُ
 بُنِّي عَلِيٍّ صَارَ مِنْ بَعْدِ ذُلُّهُ وَحَظُّ الْيَتَامَى عِنْدَهُ النَّهْرُ وَالْقَهْرُ
 بُنِّي عَلِيٍّ صَارَ مِنْ بَعْدِ جَهْلُهُ عَزِيزَ أَنْاسٍ دَأْبُهُ الْبَأْوُ وَالْفَخْرُ
 بُنِّي عَلِيٍّ كُلُّ مَا يَشْتَهِي جَرَى عَلِيمًا وَبَعْدَ الْقِلِّ صَارَ لَهُ وَفْرُ
 بُنِّي عَلِيٍّ مَا أَحَبَّ رَأَى وَلَا عَلَى وَفْقِ مَا يَهْوَى وَلَيْسَ لَهُ شُكْرُ
 بُنِّي عَلِيٍّ صَارَ لِلْأَمْرِ مَالِكًا يَمِيلُ إِلَى التَّقْوَى فَهَلْ يُؤْمِنُ الْمَكْرُ
 بُنِّي عَلِيٍّ قَدْ أَتَاهُ نَذِيرُهُ وَهَيْهَاتَ عَنْ قُرْبٍ لَقَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ
 وَلَيْسَ لِمَنْ جَاءَ النَّذِيرُ لَهُ عُذْرُ

بُنِّي عَلَيَّ جَا زَ فِي الْعُمْرِ سِنَّ مَنْ
بُنِّي عَلَيَّ مَا الَّذِي تَرْجِيهِ مِنْ
إِلَهِي أَنَا الْخَطَاءُ لِلذَّنْبِ عَامِدًا
إِلَهِي قَدْ حَوَّلْتَنِي فَوْقَ مَا أَنَا
إِلَهِي كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ إِثَّرَ نِعْمَةٍ
إِلَهِي فَمَا قَابَلْتُ بِالشُّكْرِ نِعْمَةً
إِلَهِي كَمْ نَجَّيْتَنِي مِنْ مُلِمَّةٍ
إِلَهِي أَنَا الْعَبْدُ الْمُسِيءُ وَأَنْتَ يَا
إِلَهِي أَنْتَ الرَّبُّ شَيْمَتَكَ الْغِنَا
إِلَهِي عَامِلْنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
إِلَهِي تَدَارَكْنِي بِرَحْمَتِكَ الَّتِي
إِلَهِي كَمَا أَنْعَمْتَ زِدْ وَأَدِمْ وَلَا
إِلَهِي بِذَنْبِي بُؤْتُ فَاعْفِرْهُ لِي عَسَى
إِلَهِي كَمْ عَبْدٍ أَدَمْتَ سُورَهُ
إِلَهِي فَاجْعَلْنِي بِرَحْمَاكَ مِنْهُمْ
فَلَا عَمَلٌ أَرْجُو سِوَى حُبِّهِ وَمَنْ

مَضَى مِنْ أَبِ وَابْنٍ كَذَا الْعَمَّ وَالصَّهْرُ
سِوَى اللَّهِ هَيْهَاتَ انْقَضَى الْأَمَلُ الْغُرُ
وَكَمْ نَلْتُ أَطْمَاعًا وَمَا كُنْتُ أَضْطَرُّ
لَهُ الْأَهْلُ وَالتَّقْصِيرُ وَصَفِي وَالْعُذْرُ
أَزَلْتُ بِهَا بُؤْسِي فَمَا مَسَّنِي الضَّرُّ
وَلَكِنْ بِجَهْلٍ لَاحَ لِلنَّعَمِ الْكُفْرُ
فَأَذَعَنَ لِي فِي سَيْرِي الْبُرِّ وَالْبَحْرُ
إِلَهِي الْمَلِكُ الْمُحْسِنُ الْمُنْعِمُ الْبُرُّ
وَإِنِّي لَعَبْدُ الشَّوْءِ شَيْمَتِي الْفَقْرُ
فَلِلذَّنْبِ فِي ظَهْرِي إِذَا لَمْ تُعِنْ وَقُرُّ
يُقَابِلُهَا مِنْ فَيْضِ فَضْلِكَ لِي الْجَبَرُ
تُغَيِّرُ فُتُشِمْتُ بِي عَدُوًّا بِهِ غَمْرُ
أَكُونُ كَمَنْ فِي الْحَشْرِ أَوْجُهُهُمْ زُهْرُ
فَوَافَاكَ بَعْدَ الْمَوْتِ بِالْعَفْوِ يَنْسَرُ
فَإِنَّ شَفِيعِي أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى الطُّهْرُ
إِلَيْهِ انْتَمَى عُسْرِي بِحُبِّهِمْ يُسْرُ^(١)

(١) الجواهر والدرر، في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للسخاوي، (٢/ ٨٨٦ - ٨٨٨).

«إِلَهِي سَيِّدِي»

لِلْإِمَامِ شَيْخِ عَصْرِهِ، شَيْخِ الْإِسْلَامِ، رَضِيِّ الدِّينِ

إِلَهِي سَيِّدِي رَبِّي أَغْنِنِي
 وَخُذْ بِيَدِي وَمِنْ بُعْدِي أَجْزِنِي
 إِلَهِي قَدْ جَنَيْتُ وَأَيُّ عَبْدٍ
 ضَعِيفِ الْخَلْقِ مِثْلِي لَيْسَ يَجْنِي
 إِلَهِي لَيْسَ أَجْدَرُ بِالْخَطَايَا
 إِلَهِي لَوْ أَتَيْتُ بِكُلِّ ذَنْبٍ
 لَيْسَ أَتَى لَوْ أَتَيْتُ بِكُلِّ ذَنْبٍ
 إِلَهِي أَنْتَ ذُو صَفْحٍ جَمِيلٍ
 إِلَهِي مَا عَصَيْتُ بِغَيْرِ عِلْمٍ
 إِلَهِي إِنْ أَطَعْتُ فَبِمَخْضِ فَضْلٍ
 إِلَهِي مَا لِعَبْدٍ حُجَّةٌ فِي
 إِلَهِي إِنْ حُجَّتَكَ الَّتِي قَدْ
 إِلَهِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ عَبْدًا
 إِلَهِي لَيْتَنِي لَا كُنْتُ إِذْ لَمْ
 إِلَهِي إِنْ خَوْفِي زَادَ لَوْلَا
 إِلَهِي مَنْ يُنَاقِشُ فِي حِسَابٍ
 إِلَهِي أَنْتَ قَهَّارٌ حَلِيمٌ
 وَخُذْ بِيَدِي وَمِنْ بُعْدِي أَجْزِنِي
 ضَعِيفِ الْخَلْقِ مِثْلِي لَيْسَ يَجْنِي
 وَبِالْتَّقْصِيرِ وَالزَّلَّاتِ مِنِّي
 فَلَا أَوْلَى بِعَفْوٍ مِنْكَ عَنِّي
 وَجُودٍ وَاسِعٍ وَعَظِيمٍ مَنْ
 وَلَا أَبَدًا أَطَعْتُ بِغَيْرِ إِذْنٍ
 وَإِنْ أَغْصِ فَمِنْ نَقْصٍ وَوَهْنٍ
 تَحْمِلُهُ الْجِنَايَةُ وَالتَّجَنُّي
 عَلَا بُرْهَانُهَا مِنْ غَيْرِ طَعْنٍ
 بِلَا خَطَأٍ وَهَلْ يُجْدِي التَّمَنِّي
 أُطِيعُكَ وَلَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي
 رَجَائِي مَتَّ مِنْ هَمٍّ وَحُزْنِي
 يُعَذِّبُ مِنْهُ يَا رَبِّي أَقْلِنِي
 بِحَقِّكَ مِنْكَ يَا ذُخْرِي أَعِزَّنِي

إِلَهِي لَيْسَ إِلَّا أَنْتَ رَبِّي فَلَا أَبَدًا بِغَيْرِكَ تَمْتَحِنِي
 إِلَهِي إِنَّ أَسَاؤَ بَغِيرِ عِلْمِ فَإِنِّي فِيكَ قَدْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي
 إِلَهِي أَنْتَ قَدْ حَقَّقْتَ فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَيْسَ شَيْءٌ عَنْكَ يُغْنِي
 إِلَهِي إِنَّنِي أَخْشَى وَأَرْجُو أَمَانًا مِنْكَ فَاْمُنْ لِي بِأَمْنِ
 إِلَهِي غَيْرُ بَابِكَ فِي أُمُورِي إِذَا مَا ضِيقُ دَرْعَا لَمْ يَسْغِنِي
 إِلَهِي قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكَ عَمَّا سِوَاكَ فَلَا إِلَى غَيْرٍ تَكْلِنِي
 إِلَهِي مَنْ سِوَاكَ يُزِيلُ هَمِّي وَمَنْ أَدْعُوهُ مُضْطَرًّا يُجِبْنِي
 إِلَهِي لَسْتُ أُحْصِي مَا بِهِ قَدْ مُنِحْتُ مِنَ الْعَطَاءِ بِلَا تَعْنِي ^(١)

* * * *

دُعَاءُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَدَمْعَةٍ

إِلَهِي وَهَذَا اللَّيْلُ أَلْقَى حِبَالَهُ
فَهَبْ لِي نُورًا مِنْ لَدُنْكَ يَشُقُّ لِي
إِذَا كَشَفْتَ ضَعْفِي اللَّيَالِي وَصَرَفُهَا
فَمَنْ لِي يَا رَبِّي سِوَاكَ يَمُدُّنِي
إِلَهِي وَهَذِي فِتْنَةٌ بَعْدَ فِتْنَةٍ
فَهَبْ لِي يَقِينًا يُلْجِمُ النَّفْسَ عَنْ هَوَى
وَجَهْلِي فَكَمْ سَدَّ الْمَنَافِذَ دُونِي
فَهَبْ لِي عِلْمًا مِنْ كِتَابِكَ أَتَّقِي
وَمِنْ سُنَّةٍ تَهْدِي فُؤَادِي وَحِكْمَةٍ
وَمِنْ دَمْعَةٍ فِي اللَّيْلِ يَنْزَاحُ دُونَهَا
تَدْفَقُ مِنْ لَأَلِهَا الثُّورُ غَامِرًا
أَعْنِي فَأَرْوِي اللَّيْلَ مِنْ دَمْعٍ تَائِبٍ
فَلَوْلَاكَ مَا صَلَّيْتُ وَالْقَلْبُ مَا نَوَى
سَأَلْتُكَ يَا رَبِّي وَمَا أَنَا سَائِلٌ
رَجَوْتُكَ لَا أَرْجُو سِوَاكَ وَذِلَّتِي

وَدَفَعَ أَمْوَاجًا مِنَ الظُّلُمَاتِ
سَبِيلًا وَيُنَجِّنِي مِنَ الْحُفَرَاتِ
لِتَطْحَنَ مِنْ كِبْرِي وَمِنْ نَزَوَاتِي
بِعَزْمٍ وَيُعْطِيَ الْقَلْبَ فَيْضَ ثَبَاتٍ
تُفَجِّرُ بُرْكَانًا مِنَ الشَّهَوَاتِ
وَيُفْحِمُهَا الطَّاعَاتِ وَالْهَبَوَاتِ
وَأَوْقَعَنِي فِي الشَّرِّ مِنْ كِبَوَاتِي
بِهِ الشَّرُّ أَوْ أُنْجُو مِنَ الشُّبُهَاتِ
تَقُودُ لِحَيْرٍ وَاسِعِ الْبَرَكَاتِ
ظِلَامٌ وَتُزَوِّي الْمَوْجَ مِنْ عَتَمَاتِ
فَشَقَّ ضِيَاءَ الْفَجْرِ مِنْ عِبْرَاتِي
وَحَفَقَ قَوَامٌ عَلَى رَكَعَاتِ
صِيَامًا وَلَا هَلَلْتُ فِي عَرَفَاتِ
سِوَاكَ وَمِنْ كَفِّكَ فَيْضُ هِبَاتِ
إِلَيْكَ وَهَمِّي أَوْ دَوِّي صَلَاتِي

لِتَدْفَعَ عَنِّي ظُلْمَ نَفْسِي لِنَفْسِهَا وَشَرَّةَ أَهْوَائِي وَنَهَجَ غَوَاةَ
وَتَدْفَعَ عَنِّي الشُّوءَ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ وَتُنَجِّنِي مِنْ طُغْمَةٍ وَغَتَاةِ
إِذَا لَمْ أَكُنْ أَقْوَى عَلَى رَدِّ ظُلْمِهِمْ فَأَخْذُكَ أَخْذُ قَاصِمِ الْفَقَرَاتِ
وَتُرْشِدَنِي لِلْحَقِّ أَنْهَجَ دَرْبُهُ جَلِيلًا وَأَمْضِي صَادِقَ الْخُطُواتِ
وَأُسَلِّمَ لِلرَّحْمَنِ أَمْرِي جَمِيعَهُ وَأُخْبِتَ فِي سِرِّي وَفِي جَهْرَاتِي
وَأَخْشَعَ وَالْدُّنْيَا خَشُوعٌ وَأَوْبَةٌ وَتَسْبِيحُ أَكْوَانٍ وَرَجْعُ شُدَاةِ
وَأَنَّكَ تَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ فَنَجِّنِي بِعَفْوِكَ دُونَ الْعَفْوِ أَيْنَ نَجَاتِي
وَهَبْ لِي يَا رَبِّي بِفَضْلِكَ رَحْمَةً لَتَغْسِلَ مِنْ إِثْمِي وَمِنْ سَقَطَاتِي
وَهَبْ لِي أَمْنًا يَمْلَأُ الْقَلْبَ بِشْرُهُ سَكِينَةً إِيْمَانٍ وَعِزِّمْ ثَبَاتِ
إِلَهِي وَهْذِي أُمَّتِي فِي سُبَاتِهَا وَقَدْ مُزِّقَتْ فِي مَهْمِهِ وَشَتَاتِ
أَغْنِنَا إِلَهِي وَالْمَصَائِبُ أَقْبَلَتْ تَلَاطُمَ طُوفَانٍ وَزَحْفَ مَمَاتِ
أَغْنِنَا وَقَدْ ضَاعَتْ دِيَارٌ وَسَاحَةٌ وَأَطْبَقَ «أَعْدَاءُ» عَلَى رَبَوَاتِ
أَغْنِنَا وَقَدْ مَاجَ الْفُجُورُ وَدَنَسَتْ أَفَاعِيلُهُ السَّاحَاتِ وَالْعَرَصَاتِ
أَغْنِنَا فَمَنْ يُنْجِي سِوَاكَ وَقَدْ وَهَتْ نُفُوسٌ وَمَاتَتْ نَحْوَةُ الْعِزْمَاتِ^(١)

* * * * *

بَرْقٌ فِي مَنَامٍ لَيْلَةٍ قَدَرُ

أَبْرَقُ وَكَيْفَ وَمَا أَرْعَدَا أَمِ الثُّورُ فِي الْبَوْنِ حُرًّا بَدَا
وَمِنْ أَيِّ أَفْقٍ ثَرَى أَمْ ذُرًّا وَمِنْ أَيِّ نَبْعٍ أَفَاضَ الثَّدَى
تَرَأَى وَلَا لَيْسَ مِنْ وَجْهَةٍ فَلَا لَا ثَرَى لَا ذُرًّا لَا مَدَى
أَمِنْ غَوْرٍ قَلْبِي وَأَيْنَ انْتَهَى وَأَنَّى أَكَانَ لَهُ مُبْتَدَا
وَفِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ غَفَوًا وَصَحْوًا مَتَى كَمْ وَكَمْ أَزَلًّا سَرْمَدَا
وَلَوْ كَانَ مِنْ غَوْرٍ قَلْبِي انْبَرَى يُعَانِقُ وَمَضَّ السَّنَا الْأَبْعَدَا
لَكَانَتْ خَلَائِي قَدْ أَشْرَقَتْ بِأَنْوَارِهِ رُكْعًا سُجَّدَا
وَكُنْتُ تَغْلُغْتُ فِي الْعَالَمِينَ وَلَا بَابَ يَخْجُبُنِي مُوَصَّدَا
وَأُسْمِعْتُ - لَا مِنْ فَمٍ - نَغْمَةً جَنَانِيَّةً مَا لَهَا مِنْ صَدَى
تَرَفُّ لِي الْجَدُّ وَالسَّعْدُ فِي تَجَلُّ وَثُورِدُنِي الْمُورِدَا
إِذَا كِدْتُ أَرْلِقُ عَنْ أَوْجِهِ تَبَدَّتْ وَمَدَّتْ لِجَذْبِي يَدَا
وَلَاخَ الْجَلَالُ وَفَاحَ الْجَمَالُ وَقَدْ بَهْرَتْنِي الرُّؤَى خُرْدَا
وَأَوْقِظْتُ وَالثُّورُ فِي أَعْيُنِي فَلُبْتُ عَلَى حُلْمِي الْمُسْعِدَا
وَذُرْتُ بِرَأْسِي فِي حَيْرَةٍ أَجُوبُ السَّمَاوَاتِ مُسْتَرْشِدَا
وَكَانَ الدُّجَى قَدْ مَضَى وَانْقَضَى وَلَا نَجْمَ ثَمَّ بِهِ يُهْتَدَى
وَقَالَ لِي الْقَلْبُ إِنِّي هُنَا لَدَيَّ السَّنَا وَالنُّى وَالْجَدَا
فَمِلْتُ إِلَى لَا نَهَايَاتِهِ وَبَادَرَنِي خَفَقُهُ مُنْجَدَا

وَأَقْمَمَ بِالذِّكْرِ كُنْهِي رِضًا وَأَذْنَى لِنُطْلَقِي الْفَرْقَدَا
 نَضَاعَنَ كَيَانِي حِجَابِ الْهَوَى وَعَيْنِي غَطَّى فَلَمْ تَشْهَدَا
 وَبَصَرَ عَقْلِي بِسِرِّ الدُّنَا وَقَدْ صَاغَهَا رُبُّهَا مَعْبَدَا
 وَذَرَّائِهَا ذَرَّةَ ذَرَّةٍ تُصَلِّي فَتَابِعَهَا وَاقْتَدَى
 وَهَامَ بِهِ الرَّجْدُ غَابَ «الْأَنَا» فَلَا مِنْ زَمَانٍ وَلَا مِنْ مَدَى
 وَعُدْتُ زُوَيْدًا زُوَيْدًا إِلَى جُذُورِي وَعَايَشْتُهَا مُضْعِدَا
 وَلَكِنْ بَرْوَحِي شَوْقِي بَكَى وَذَوْقِي زَكَا وَقَصِيدِي شَدَا^(١)

* * * * *

(١) من ديوان: قلب ورب، للأميري، (٣١٥ - ٣١٩).

دُعَائِي فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ

بِكُلِّ الشُّوقِ فِي قَلْبِي طَرَفْتُ الْبَابَ يَا رَبِّي
وَفِي شَفَتي ضَرَاعَاتُ لِقَلْبٍ ذَابَ فِي جَنْبِي
دَعَاءٌ فِي تَأَلُّقِهِ ضِيَاءٌ غَيْرُ ذِي لَهَبٍ
يَسِيلُ الطُّهْرُ فِي دَمْعِي لِيَغْسِلَ صِدْقَهُ ذَنْبِي

* * * *

وَحَسْبِي أَنْكَ الرَّحْمَدِ نُ فِي رِضْوَانِهِ حَسْبِي
تُجِيبُ ضَرَاعَةَ الْمُحْتَاجِ جِ عِنْدَ الْمَوْقِفِ الصَّعْبِ
وَتَهْدِي خُطْوَةَ الْحِيرَا نِ إِنْ ضَلَّتْ عَلَى الدُّرْبِ
طَلَبْتُ رِضَاكَ يَا رَحْمًا نُ وَاسْتَرْحَمْتُ فِي طَلْبِي
قَصَدْتُكَ يَا جَمَى رُوحِي وَا غَوَّيْتُ مِنَ الْكُرْبِ
وَا حِضْنِي مِنَ الْأَيَّا مِ وَالْأَيَّامُ تَعْصِفُ بِي
وَا عَوْنِي عَلَى الْإِنْسَا نِ وَالْإِنْسَانُ يَغْدُرُ بِي
وَيَلْبَسُ ثَوْبَ إِنْسَانٍ لِيُخْفِيَ صُورَةَ الذُّنْبِ
سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ تَزِنَا حِ دُنْيَانَا مِنْ اللَّهَبِ
وَأَنْ يَرْتَاخَ صِدْقُ النََّا سِ مِنْ دَوَّامَةِ الْكَذِبِ
وَأَنْ يَخْلُو رِحَابَ الْأَزْ ضِ مِنْ حَمَّالَةِ الْخَطْبِ
وَأَنْ يَرْضَى رِضَاءَ يُنْ قَدْ الدُّنْيَا مِنَ الْغَضَبِ
سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِي إِلَيْنَا نِعْمَةَ الْحُبِّ

وَأَنْ يَشْقِيَ ظِمَاءَ الرُّوحِ مِنْ تَيَّارِهِ الْعَذْبِ
وَأَنْ يَسْرِيَ رَحِيقُ الْحُبِّ مِنْ قَلْبٍ إِلَى قَلْبٍ
فَنَسْعِدَ كُلَّمَا ضَمَّتْ خُطَاؤُنَا لَمَسَةَ الْقُرْبِ

* * * * *

سَأَلْتُ اللَّهَ وَالْمَسْئُورَ لُ فَوْقَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
هُوَ الْمُغْطِي بِلَا مَنْ عَطَاءٍ غَيْرَ مُقْتَضِبِ
دَعْوَتُ وَحُلْمِي الْمَأْمُورَ لُ يَبْدُو الْيَوْمَ عَنْ كَثْبِ
تَعَالَى اللَّهُ مِنْ دَانٍ إِلَى الدَّاعِي وَمُقْتَرِبِ^(١)

* * * * *

(١) من ديوان: يا إلهي، لمحمد التهامي، (٧، ٨).

إِنَّهُ اللَّهُ

ليلة القدر والتجلي بُرُوجٌ وعُروج سَامٍ سَنَا وَسَنَاءِ
 نُطْفَةُ الحُسْنِ أَسْرَةٌ تَتَنَامَى وذُرَاهَا فَوْقَ السَّمَاءِ سَمَاءِ
 جَلَّ فِي الحُسْنِ مُبْدِعُ الحُسْنِ ذَاتًا وصفاتٍ وَرَبُّهُ المِغْطَاءِ
 نَافِخُ الرُّوحِ مِنَّةٌ مِنْهُ إِنْسَا نَا سَوِيًّا والأَضْلُ طِينٌ وَمَاءُ
 يَا لَيْسَرِ الإنسانِ تَرْبُو بِهِ الدُّدُ يَا حَيَاةَ وَتُعَمِّرُ الغَبْرَاءِ
 يَا لِفِكْرِ الإنسانِ لَوْلَاهُ مَا غِيدَ صَ بِيحَرٍ وَلَا أَسْتُشِفَّ فَضَاءِ
 يَا لِقَلْبِ الإنسانِ يَخْفِقُ حُبًّا وَحَنَانًا فَتَخْفِقُ الأَعْضَاءِ
 وَتَعُمُّ الوجودَ نَفْحَةٌ وَجِدِ نِعْمَيَاتٍ يَشْعُ مِنْهَا الصَّفَاءِ
 جَلَّ خَلْقُنَا بأَحْسَنِ تَقْوِيهِ مِ وَجَلَّتْ هِبَائِهِ الآلَاءِ
 فِي الدُّنَا والرَّنا فَيُوضُّ فَيُوضُّ لَا نَهَايَاتُهَا بَهَاءَ بَهَاءِ
 إِنَّهُ اللَّهُ لَيْلَةُ القَدْرِ هَلْ لِي مِنْ تَجَلِّيكَ نَفْحَةٌ سَرَاءِ
 أَتَسَامَى بِهَا إِلَيْهِ مُنِيبًا خَاشِعًا ضَارِعًا سَبِيلِي الدُّعَاءِ
 فَهُوَ طِبِّي وَرُوحٌ قَلْبِي وَحَبِّي وَحَيَاتِي هُوَ الرَّجَاءُ الرَّجَاءُ^(١)

* * *

(١) من ديوان: إشراق، لعمر بهاء الدين الأميري.

سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى (١)

أَيُّ سِرٍّ يُودِي بِدُنْيَا حُدُودِي كُلَّمَا هِمْتُ فِي تَجَلِّي سُجُودِي
كَيْفَ تَذَرُوا «سُبْحَانَ رَبِّي» قِيُودِي كَيْفَ تَجْتَازُ بِي وَرَاءَ الشُّدُودِ
كَيْفَ تَسْمُو بِفِطْرَتِي وَوُجُودِي عَنْ مَفَاهِيمِ كَوْنِي الْمَعُودِ
كَيْفَ تَرْقَى بِطِيبَتِي وَجُمُودِي فِي سَمَاوَاتِ عَالَمٍ مِنْ خُلُودِ
أَتْرَاهَا رَوْحًا مِنَ الْمَعْبُودِ قَدْ جَلَّتْ ذَاتُهَا لِعَيْنِ شُهُودِي

سَجَدْتُ فَأَنْكَشَفْتُ

أُرْسَلْتُ فِي صَفْحَاتِ الْفَجْرِ نَاطِقَةً سَطُورُهَا بَيْنَ تَلْمِيحٍ وَتَضْرِيحٍ
أُرْسَلْتُ نَظْرَةً قَلْبٍ لَائِبٍ وَلِهَا يَرْنُو جَوَاهُ لِإِلْهَامٍ وَتَوْضِيحٍ
فَذَكَّرْتَنِي نَجْمُ الْفَجْرِ فِي خَفَرٍ هَدَى السَّمَاءِ بَأْنَ أَنْسَى تَبَارِيحِي
سَجَدْتُ مُتَمَثِّلًا لِلَّهِ فَأَنْكَشَفْتُ وَرَدَّدَ الْقَمَرُ الْوَضَاءَ تَسْبِيحِي
كَأَنَّمَا كُنْتُ فِي سِجْنِ الْحُدُودِ وَمَا سَجَدْتُ إِلَّا لِإِطْلَاقِي وَتَشْرِيحِي

ذُرِّي

يُلِمْ بِكَ الضَّنَى أَوْ لَا يُلِمْ مُكَابِدَةُ الْجِهَادِ عَلَيْكَ حَتْمٌ
 إِذَا لَمْ يَصْنَعْ الْحُرَّ الْمَعَالِي فَإِنَّ حَيَاتَهُ زَيْغٌ وَوَهْمٌ
 فَيَمَّمْ شَطَرَ نَوْرِ النُّورِ وَأَضَعْدُ فَأَوَّلُ دَرْبِكَ الْمُنْشَوْدُ نَجْمٌ
 وَمَرْمَاهُ مَعَارِجٌ فِي ذَرَاهَا وَمِيْضُ سَنَا السَّنَا يَدْنُو وَيَسْمُو
 تَعَرَّضَ مِنْهُ لِلتَّفْحَاتِ وَأَذَابٌ بَعَزَمِ الرُّوحِ إِنَّ أَعْيَاكَ جِسْمٌ^(١)

* * * *

سَبْحَةُ فِي الْمَقَامِ

أَبَا الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْكَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ السَّلَامُ أَبَا الْأَنْبِيَاءِ
 وَقَفْتُ أَصْلِي أَمَامَ الْمَقَامِ وَفِي مَقَلَّتِي السَّنَا وَالسَّنَاءُ
 وَلِلْبَيْتِ مِلْءُ جَنَانِي جَلَالٌ وَنَشْوَةٌ وَجِدٌ وَوَجْدٌ أَنْتِشَاءُ
 يُلَازِمُنِي رَاكِعًا سَاجِدًا وَيَكْحَلُ عَيْنِي مِنْهُ الْبَهَاءُ
 تَأَلَّقْتُ الْآيَ فِي ثَوْبِهِ تُمَدُّ النُّجُومُ الْعُلَا بِالضِّيَاءِ
 وَلِلنَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ رَحْمَةٌ تُوثِّقُ بَيْنَ ذَوِيهَا الْإِخَاءِ
 مُبَارَكَةُ الْقَصْدِ تَسْعَى إِلَى رِضَا اللَّهِ مُفْعَمَةٌ بِالرَّجَاءِ

(١) من ديوان: إشراق، للأُميري، (١٦١، ١٦٨، ١٦٩)

وكانت تُراودني ذكرياتُ تلامعُ فيها وجوهُ وضاء
 على أنني في هيامِ السُّجودِ يُحلِّقُ بي في عَنانِ السَّماءِ
 فكُنْتُ أطوفُ وكانت تطوفُ وكانَ التَّجَلِّيَ وكان الدُّعاءُ
 وأنسيْتُ نفسي وغابَ زماني وغابَ مكاني وغابَ الثَّواءُ
 تجنَّحَ قلبي وأصعدَ يسْمُو فردَّتِ الفضاءَ وجُزَّتِ الفِضاءُ
 وبثُّ وكلُّ كياني ومَضُ كأنِّي رُوحٌ سخيٌّ العطاءُ
 ومالَ عليَّ أخٌ يبتغي مكاني يقولُ أطلَّتِ البكاءُ
 فجَلْتُ برأسي وساءَلْتُ نفسي أهذا أنا يا غباءَ الذِّكاءُ
 أراني كأنِّي مِنَ الثَّورِ خَلِقُ جديداً ولستُ بِطِينِ وماءِ
 وقُمْتُ على قَدَمَي نسمتين صَفِيًّا يَهيمُ مَعَ الْأَصْفِيَاءِ
 وعاودتُ ذاتي رُوَيْداً رُوَيْداً وعادَ أنايَ حبيسَ الإناءِ
 سُكُونُ الدُّجَى وغرامُ الشَّجَا ونارُ العَناءِ وبرْدُ الصِّفاءِ
 وراجعتُ ما كان مِن غابِري وَمِنْ حَاضِرِي فَأَعْتَرَانِي حَياءُ^(١)

إِلَّا اللَّهُ

باهَى عَيْدُ حُطَامٍ بَانْتِمَائِهِمْ إِلَى الْعَظِيمِ فَلانٍ وَابْتَغُوا جَاهَا
 وَالْحُرُّ عَبْدُكَ يَا رَبَّ الْعَوَالِمِ لَا لَا يَنْتَمِي وَبَغَيْرِ اللَّهِ مَا بَاهَى

* * * * *

(١) من ديوان: إشراق، للأُميري، (٦٦ - ٦٩).

تَوْحِيدٌ وَتَجَرِيدٌ^(١)

مداي مدى عقلي وقلبي ووجداني
ويشتد فيض الثور ملء جوارحي
ولكنني مهما تجاوز بي سنا
يردد كنه الحق في نبض فطرتي
يردد من «كليتتي» من أرومتي
يردد تكويني الذي فيه أومضت
يردد بالتمجيد توحيد من سما
أوحده في لا نهايات ذاته
وما بين توحيدي «وتجريد» مدع
لبون كما بين الحقيقة والشدى
وكم من غرور شد عن نهج عقله
نما في «أناه» الكبر فامتد شامحا
وذاب «الأنا» بي مذ أثبت وإنه
له دينه شاب الغرور يقينه

يضيق عن استيعاب أسرار إيماني
ويئمو إذا ما اشتد إطباق أجفاني
جنائي من أكون ما بعد أكوني
وغور خلایا خلقتي وغلا شاني
من الحمأ المسنون مذ حم إباني
إرادة رب للخلافة رباني
وجل عن التحدید توحيد منان
وأعبده منذ أنبلاج وجداني
ولوجا يبحر من سنا دون شطان
وكم من سفاه لاح في شكل عرفان
ويحسب إنسانا وليس بإنسان
وند عن الرجعى بتسويل شيطان
لعقل وفضل من عناية رحمن
فغام ولي دين وديني نوراني

(١) من ديوان: إشراق، للأميري، (٢٠٦ - ٢٠٩).

أَلَا إِنَّ «بَحْرَ الْوَحْدَةِ» الْحَقُّ ذَاتُهُ مَحَجَّتُهُ الْبَيْضَاءُ تَوْحِيدُ دَيَّانٍ
 فَدَغَّ عَنْكَ أَوْهَامَ «التَّفَلُّسِ» وَأَسْتَقِمَّ لِتَسْلَمَ سَدُّوهُ وَالتَّرَمُّ هَدْيُ قُرَّانٍ
 لَكَ الْأُسْوَةُ الْمُتْلَى بِنَهْجِ مُحَمَّدٍ وَنَهْجِ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْكُونِ رَبَّانِي

* * * * *

مِلْءُ الْيَقِينِ (١)

عَبَدْتُ وَمِلْءُ يَقِينِ الْيَقِينِ وَأَخْلَصْتُ أَخْلَصْتُ لِلَّهِ دِينَ
 عَقِيدَةُ لُبٍّ وَإِيمَانُ قَلْبٍ وَصِحَّةُ دَرْبٍ وَعَزْمٌ مَتِينٌ
 وَتَضَمُّيمٌ حُرٌّ وَهَدْيٌ وَرَأْيٌ وَوَعْيٌ وَسَعْيٌ قَمِينٌ قَمِينٌ
 وَلَكِنَّ ذَاكَ أَجَلَ كُلِّ ذَاكَ مِنْ اللَّهِ فَضْلٌ وَنُورٌ مُبِينٌ
 حَبَانِي عَقْلًا أَرَانِي رُشْدًا لَهُ الْحَمْدُ وَالْمَجْدُ فِي الْعَالَمِينَ

* * * * *

«أَرَاكَ جَمِيلًا فِي فِعَالِكَ كُلِّهَا»^(١)

أَرَاكَ جَمِيلًا حِينَ تَرْضَى وَتَغْضَبُ وَحِينَ تُنَمِّي بِالْوَصَالِ وَتَغْتِيبُ
 وَحِينَ تُعَافِينِي مِنَ الْهَمِّ وَالضُّنَى وَحِينَ دِمَائِي مِنْ جِرَاحِي تَتَّعِبُ^(٢)
 وَإِنْ يَكُ جِسْمِي مِلْءَ عَظْفَيْهِ صَحَّةً وَإِنْ تَكُنِ الْأَسْقَامُ تَضْوِي وَتُعْطِبُ
 وَإِنْ غَمَرْتَنِي مِنْكَ حُسْنَى تَسْرُنِي وَإِنْ هُدًى مَنِّي لِلْمَصَائِبِ مَنُكِبُ
 وَفِي الضَّرِّ وَالتُّعْمَى وَفِي الْمَنَعِ وَالْعَطَا وَفِي الْأَمْنِ وَالْأَخْزَانِ تَأْتِي وَتَذْهَبُ
 أَرَاكَ جَمِيلًا فِي فِعَالِكَ كُلِّهَا فَهَلْ أَنْتَ رَاضٍ أَمْ تُرَى أَنْتَ مُغْضَبُ
 وَلَكِنْ ظَنِّي فِيكَ أَنَّكَ مُغْتَفِي وَأَنَّكَ تُذَنِّبُنِي وَلَسْتَ تُعَذِّبُ
 يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ صَبْرًا وَرَحْمَةً وَيَا رَبِّ حَبِّبْنِي بِمَا فِيَّ تَكْتُئِبُ
 وَيَا رَبِّ زِدْنِي عَنْكَ فَهَمًّا لِحِثَّتِي وَثَبَّتْ يَقِينِي فِيكَ فَالْقَلْبُ قُلْبُ
 وَزِدْنِي إِحْسَانًا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَحَسِّنْ فِعَالِي أَنْتَ نَعَمَ الْمُؤَدِّبُ
 وَأَنْزِلْ عَلَى قَلْبِي الْجَرِيحِ سَكِينَةً وَأُحْسِنْ خِتَامِي لَيْسَ لِي عَنْكَ مَذْهَبُ

* * * * *

(١) من ديوان: هكذا علّمتني الحياة، (٧٨).

(٢) تتعب: تسيل.

وَذَكَرْتُ رَبِّي

وَذَكَرْتُ رَبِّي وَأَسْتَغْفُتُ مُسَلِّمًا تَسْلِيمَ رَاجٍ
وَذَكَرْتُ «كَوْثَرُهُ» الْفُرَاتَ وَمَاءَنَا الْمِلْحَ الْأُجَاجَ
وَذَكَرْتُ جَنَّتَهُ كَأَنَّ بِمَسْمَعِي مِنْهَا ثُؤَاجَ
وَذَكَرْتُ رَحْمَتَهُ فَعَاضَ الضِّيقُ وَانْشَرَحَ الْمَزَاجُ
وَاشْتَدَّ حُسْنُ الظَّنِّ فِي حَدْسِي بِخَلَاقِي وَرَاجٍ
بَرَقَ الْيَقِينُ بِفِقْهِ قَلْبِي أَنَّنِي لَا شَكَّ نَاجٍ
وَصَحَا عَلَى شَفْتِي الدُّعَاءُ فَصِحْتُ حَيٍّ عَلَى أَنْفِرَاجٍ
هَا قَدْ مَضَى اللَّيْلُ الْمَدِيدُ فَلَا مَنَاصَ مِنْ أَنْبَلَاجٍ
وَشَعَرْتُ فِي أَغْوَارِ كُنْهِي بِأَزْتِيَاكِ وَأَيْتِهَاجٍ^(١)

* * * *

تَوَّابٌ كَرِيمٌ

إِلَهِي لَوْ أَنْفَقْتُ عُمرِي سَاجِدًا
أَقْدَسُ مَا وَفَيْتُ حَمْدَكَ يَا رَبِّي

(١) من ديوان: إشراق، للأُميري.

وفي ذُرُورَةِ الإِخْسَانِ وَالْفَضْلِ وَالْجَدَا
 نَدَاكَ بِأَنْ أُوَدِّعْتَ حَمْدَكَ فِي قَلْبِي
 فَظَلَّ وَجِيبِي الْمُسْتَمِرُّ مُقَدَّسًا
 غُلَاكَ وَلَوْ أَنِّي مُقِيمٌ عَلَى ذَنْبٍ
 وَذَنْبِي مَا ذَنْبِي سِوَى عَبَثِ الْهَوَى
 بِقَشْرِ جَنَى لَا يَسْتَطِيلُ إِلَى اللَّبِّ
 عَلَى أَنْ ذَنْبُ الْمُؤْمِنِ الْحُرِّ يَنْتَهِي
 إِلَى التَّوْبِ وَالرَّحْمَنُ يَجْزِي عَلَى التَّوْبِ^(١)

* * * *

وَكَانَ التَّجَلِّيُّ (٢)

أَيَا يَا سَنًا فَاقَ كُنْهَ السَّنَا وَعَمَّ السَّمَاوَاتِ عَمَّ الدُّنَا
 تَخَطَّى مَدَانَا وَمَحْشُوسَنَا وَزَادَ وَأَعْجَزَ أَفْهَامَنَا
 وَأَمْعَنَ فِي لَا نَهَايَاتِهِ وَأَشْرَقَ أَغْدَقَ فَوْقَ الْمُنَى
 إِلَى قَبَسٍ مِنْ شُعَاعَاتِهِ شَعَرْتُ بِقَلْبِي سَمَا وَأَدْنَى
 وَكُنْتُ أَصْلَى فَكَانَ التَّجَلِّيُّ وَمَا عُذْتُ أَذْرِي أَنَا مَا أَنَا

* * * *

(١) من ديوان: قلب ورب، للأُميري، (٣٠٣ - ٣٠٤)

(٢) من ديوان: إشراق، (١٦٢ - ١٦٣).

مُنَاجَاةٌ وَتَجَلِّيَاتٌ (١)

أُخْمُولٌ فِي تَضَاعِيفِ خَلَايَايَ أَقَامَا
 أَمْ مَلَالٌ كِظْلَالِ الْيَأْسِ فِي عَيْنَيَّ غَامَا
 أَمْ هَوَى حُلْمٍ قَصِيٍّ بَتْ فِي قَلْبِي هَيَامَا
 فَتَرَاحَيْتُ كَمَنْ بَادَرَهُ دِفْءٌ فَنَامَا
 وَتَنَاءَى قِصْدُهُ عَنْهُ كَالِ يَتَرَامَى

* * * * *

ظَمًا أَجَّ بِأَعْمَاقِي إِلَى رَشْفَةِ حُبِّ
 وَجَوَى يَلْحَقُ بِي يَطْلُبُنِي فِي كُلِّ دَرْبِ
 وَأَوَارٍ بَلْ سَعَارٍ لَا يَنِي يُحْرِقُ قَلْبِي
 كُلَّمَا آنَسْتُ نَوْرًا شَرَدَ الْقَلْبُ وَهَامَا
 نَصَبٌ لَا يَنْتَهِي يُشْعِلُ أَغْوَارِي أَوَامَا
 زَفَرْتِي شَوْقٌ وَتَوْقٌ وَمُنَاجَاةٌ لِحَدْسِي
 أَنَا فِي رَبِّتٍ وَكَبْتٍ وَالتَّلَظِّي نَبْضُ حِسِّي

ما الَّذِي أَصْنَعُ يَا رَبِّي قَدْ اسْتَنْزَفْتُ نَفْسِي
ضَاقَ بِي صَدْرِي وَقَدْ أَلْجَمَنِي صَبْرِي لِجَمَامَا
لَمْ أَطِقْ شِدَّتَهُ الْقُصْوَى فَأَرْخِيتُ الزَّمَامَا
فَأَنَا فِي الذَّنْبِ وَالتَّوْبِ مَعًا أَصْحُو وَأَغْفُو
لَيْتَهَا التَّقْوَى فَلِلتَّقْوَى عُيُونٌ لَا تَرِفُ
هِيَ فِي الْقِسْطَاسِ «كُلُّ» وَأَنَا نِصْفٌ وَنِصْفُ

* * * * *

يَا إِلَهِي عَبْدُكَ الْخَطَّاءُ قَدْ صَلَّى وَصَامَا
وَتَرَاحَى عِزُّهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَجْنِ ذَامَا

* * * * *

أَنَا مَذُ قُدِّرَ أَنْ أُخْلَقَ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ
وَأُسْوَى وَأَنَا فِي رَحِمِ الْغَيْبِ جَنِينٍ
رُوحِي الْمَارِدُ فِي قُمْقَمِ أَقْدَارِي رَهِينٍ
فَأَنَا فِي كَبَدِ حُمْلَتِ أَعْبَاءِ جِسَامَا
وَحُبِيتُ الْعَقْلَ وَالْعَاقِلُ يَأْبَى أَنْ يُسَامَا

* * * * *

وَالَّذِي حُمِلْتُهُ - وَالْأَمْرُ لِلَّهِ - الْأَمَانَةُ

إِنَّهَا قُدُسٌ رَزَّاحٌ وَهِيَ حِرْزٌ وَحَصَانَةٌ
خَالِقِي كُنْ لِي وَامْنَحْنِي اقْتِدَاراً وَقِمَانَةً
إِنِّي دُونَكَ مُخْتَلٌ فَسَدَّدْنِي لِزَامَا
أَكُنِ الْكُفَاءَ وَقَدْ بَوَّأْتَنِي أَنْتَ الْمَقَامَا

* * * * *

وَرَحَى الدُّنْيَا وَكَمْ دَارَتْ وَمَا زَالَتْ تَدَوُّرُ
وَعَلَى دَوْلَابِهَا كَرَّتْ عَصُورٌ وَعَصُورُ
وَالْجَدَا مِنْهَا سُدَى وَالْحُلُّ ظِلٌّ وَعُبُورُ
وَعَلَى أَشْدَاقِهَا يَزْدَحِمُ الْغَفْلَى اِزْدِحَامَا
لِيَعْبُثُوا اللَّذَّةَ الْوَهْمَ فَتُضْلِيهِمْ ضِرَامَا

* * * * *

إِنَّهَا تَزْدَادُ مَا دَارَتْ ضَجِيجًا وَاتِّقَادَا
كَلَّمَا أَمَلَّ مِنْهَا الْغُرُّ هَوْنًا تَتَمَادَى
تَتَلَقَّى النَّاسَ أَفْوَاجًا وَتُلْقِيهِمْ فُرَادَى
وَلَقَدْ تَحْصُدُهُمْ حَصْدًا وَتَرْمِيهِمْ رُكَامَا
ضَلَّ مَنْ فِي سَكْرَةٍ عَنْ جَهْرَةِ الْحَقِّ تَعَامَى

* * * * *

كلُّما أوهقني وزري وليلُ الهَمِّ عَسَّسَ
 ودَجَتْ دُنيَايَ حتَّى كِدْتُ من دُنيَايَ أَيَّسَ
 أشرق الإيمانُ في قلبي وفي عَقلي تَنَفَّسَ
 فَنَضًا عَنِّي اغترابًا مِلءَ نَفْسي يَتَنَامَى
 ورَمَى عن عزمي الغُلَّ ، فَجَلَّى وتَسَامَى

* * * * *

يا إلهي! مُزْهَقٌ يرجو بذكرِ اللَّهِ راحه
 مُنْخَنُ الرُّوحِ جَوَى قَدْ يُرَى الوجْدُ جراحه
 وَتَجَلَّى الذِّكْرُ قَدْ يُطْلَقُ لِلْعَانِي سَراحه
 فَإِذَا مَا انْسَجَمَ الذِّكْرُ مع الدَّمْعِ انْسِجَامَا
 أَصْبَحَتْ نارُ الجوى في القلبِ بردًا وسلامًا

* * * * *

بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ (١)

هي السَّاعَاتُ تَخْتَرِمُ الْأَمَانِي وَتُسْتَدْعِي مِنَ الْوَاعِي بِدَارًا
وَتُسْتَدْعِي مِنَ الْوَاعِي بِدَارًا فَمَا لِي لَا أَبَالِي وَاللَّيَالِي
وَأَنَّ اللَّهَ وَقَّتْ لِي قُدُومِي أَتَضَطَّرِبُ الْمَشَاعِرُ فِي كِيَانِي
وَيُزْبِكُنِي التَّهَيُّبُ عَنْ مُضِيِّ وَالْبَثُّ فِي تَعِلَّاتٍ وَهَاقِ
وَحَتَّامِ التَّحْيِيرِ وَالتَّوَانِي وَلَا أَدْرِي وَقَدْ أَنْفَقْتُ عُمْرِي
غَدًا قَدْ أَلْطُمَ الْحَدِيدُ حُزْنًا أَيَا رَبِّا بِرَحْمَتِهِ تَوَلَّى
عُبَيْدُكَ لَا يَنْبِي يَدْعُو وَيَرْجُو هُوَ الْخَطَاءُ وَالنَّزَعَاتُ شَتَّى
أَعِنَهُ عَلَى تَجَاوُزِ مَا يُعَانِي

وَتُذْنِي فِي تَسَرُّبِهَا الْأَوَانَا وَإِعْدَادًا لِيَسْتَبِقَ الزَّمَانَا
تُنَبِّهُنِي بِأَنَّ الْوَعْدَ حَانَا وَيَطُورِي خُطُوتِي أَنَا فَانَا
وَيَعْمُرُنِي شَجَى فَعَمَ الْكِيَانَا إِلَى الْهَدَفِ الَّذِي مَلَكَ الْجَنَانَا
وَأَزْعُمُ أَنَّ قَضْدِي لَا يُدَانِي وَسَيْفُ الْوَقْتِ يَقْطَعُ مَنْ تَوَانِي
مَتَى أَصْحُو فَخَيْطُ الْفَجْرِ بَانَا وَمَا الْجَدْوَى وَمَا قَدْ كَانَ كَانَا
خَلَائِقَ مُلْكِهِ وَرَعَى وَصَانَا وَمَا خَابَ الْعُبَيْدُ بِكَ اسْتَعَانَا
يُغَالِبُهَا وَتُوسِعُهُ حِرَانَا فَأَنْتَ وَلِيِّ مَنْ أَكْدَى وَعَانِي

(١) من ديوان: إشراق، للأُميري، (٢٤٦ - ٢٥٠).

لَقَدْ قَرَّبَ اللَّقَاءَ، فَكَيْفَ يَرْقَى
تَجَلَّى عَلَى عَزِيمَتِهِ لِيَسْمُو
وَأَشْرِقَ فِي جَوَارِحِهِ لِيَعْبُدُو
لَقَدْ غَلَبَ الرَّجَاءُ عَلَيْهِ لَمَّا
فَأَنْتَ هَدَيْتَهُ الْإِسْلَامَ دِينًا
وَأَنْتَ قَدْ اصْطَفَيْتَ لَهُ انْتِمَاءً
وَأَنْتَ خَلَقْتَهُ عَبْدًا أَبِيًّا
وَأَنْتَ وَهَبْتَ الذُّوقَ الْمُصَفَّى
وَأَنْتَ جَعَلْتَهُ عَفَا كَرِيمًا
أَجَلَ لِكِنَّهُ الْخَطَاءَ مَهْمَا
وَهَا قَدْ جَاءَ مُعْتَرَفًا مُقِرًّا
إِلَيْكَ وَذَنْبُهُ أَرْبَى وَرَأَا
مِنْ الْوَهْدَاتِ يَمْتَشِقُ الرَّعَانَا
بِمَجْدِكَ فِي الْوُجُودِ أَغْزَى شَانَا
رَأَى آلاءَكَ الْجَلَّى عِيَانَا
عَلَى تَوْحِيدِ قُدْسِكَ فَاسْتَبَانَا
إِلَى النَّسَبِ الْمُعَلَّى لَا يُدَانِي
مِنْ الْأَحْرَارِ يَأْنِفُ أَنْ يُهَانَا
وَأَنْتَ حَبَوْتَهُ النَّفْسَ الْحَصَانَا
وَلَوْ أَرَخْتُ لَهُ الدُّنْيَا الْعِنَانَا
تَحْرَى رُشْدَهُ يَهْوَى الْحِسَانَا
يَعُودُ يَلُودُ فَاْمِنْحُهُ الْأَمَانَا

إِلَى أَيْنَ؟ (١)

إِلَهِ قَدْ اسْتِيَأَسْتُ لَكِنَّ مَأْمَلِي
 بِنَصْرِكَ لَمْ يَفْثُرْ وَلَمْ يَتَبَدَّلِ
 فَمَا شَكَّ إِيمَانِي بِأَنَّكَ رَاحِمِي
 وَلَا ظَنُّ قَلْبِي قَطُّ أَنَّكَ خَاذِلِي
 عَلَى أَنِّي فِي الْكَوْنِ خَيْرَانُ سَادِرُ
 أَدُورُ عَلَى نَفْسِي بَعْزِمِ مَكْبَلِ
 وَفِي رُوحِي الْوَثَّابِ تَغْلِي صَبَابَتِي
 وَبِزْفُرِ تَوْقِي فِي صَمِيمِ تَبْثُلِي
 يَقُولُ رَفِيقِي لَيْسَ بَرًّا وَلَا تُقَى
 صِيَامَكَ فَاسْتَرْخِصْ بِحُكْمِ التَّرْحُلِ
 أَصُومُ وَجَاءَ لَيْسَ بَرًّا وَلَا تُقَى
 وَإِذْ بِي أَرَى صُومِي يَفُورُ مِرْجَلِي
 وَأَيْنَ التُّقَى مَنِّي وَقَدْ خَامَرْتُ دَمِي

(١) من ديوان: إشراق، للأُميري، (٥٧ - ٦٢).

لواعج تُضِنِّي وتُذَكِّي تَقْلِقُني
أُرْتَلُ قُرْآنَ الْبَيَانِ تَشَافِيَا
وَأَنْظُرُ فِيهِ نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ
فَأَغْبِطُ مُوسَى فِي «شَعِيبٍ» وَبَنِيهِ
وَأَسْرُحُ فِي الْأَحْلَامِ سَرِحَةَ مُجْتَلٍ
وَأَقْرَأُ فِي آيَاتِ «يُوسُفَ» عِبْرَةً
فَأُحَدِّثُ فِي الْآيَاتِ غَيْرَ مُرْتَلٍ
وَأُرْنُو إِلَى أَمْرِ «الْأَمَانَةِ» مَشْفَقًا
عَلَى كَاهِلِي لَوْ كَانَ يَصْلُحُ كَاهِلِي
وَأَلْبَثُ مَا بَيْنَ الْخُفَافَةِ وَالرَّجَا
وَأَذْكَرُ تَفْرِيطِي وَأُبْذِي تَذَلُّلِي
فَيَنْسَابُ مِنْ عَيْنِي دَمْعِي مُرْسَلًا
وَعَهْدِي بِدَمْعِي جَائِشًا غَيْرَ مُرْسَلٍ
إِلَهِي قَدْ اسْتَشْرَى وَطَالَ تَشْرُودِي
إِلَى أَيْنَ أَمْضِي أَنْتَ أَدْرِي بِمَنْزِلِي

لَقَدْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ بِرُحْبِهَا
فَلَسْتُ أَرَى فِيهَا غِنَاءَ الْمُؤْمِلِ
هَوَايَ هَوَى فِي الْعَقْلِ، يَرْنُو إِلَى الْعُلَا
بَعِيدًا بِوَجْدٍ فِي الْعُلَا مُتَأَصِّلِ
وَأَخْرُ فِي قَلْبِي يُوجِّجُهُ الصَّدَى
وَبُعْدُ الْمَدَى فِي لَهْفَةِ الْمُتَعَجِّلِ
وَمِلْءُ كِيَانِي ثَوْرَةٌ غَمْرِيَّةٌ
وَقَدْ قَصَّرْتُ عَمَّا أُرِيدُ وَسَائِلِي
تَوَلَّى شَبَابُ الْعُمْرِ وَالْمَجْدُ وَالْهَوَى
مُرَادٌ عَزِيزُ النَّيْلِ عَذْبُ التَّخِيلِ
وَمَاذَا حَيَاةُ الْمَرءِ فِي الْوَهْمِ وَالرُّؤَى
وَمَا مَوْرِدُ الْآلِ الْكَذُوبِ بِمَنْهَلِ
أَصُومُ وَفِي «بَارِيس» فِطْرٌ مُحَبَّبٌ
وَحُسْنُ «جَنِيْفَا» مُنِيَّةُ الْمُتَغَزِّلِ
تَخَلَّفَ عَنْ عَبَاءِ «الْخِلَافَةِ» أَهْلُهَا

وناءٍ بِحُرٍّ صادقِ العزمِ أعزَلِ
 وباتَ غريبَ الرُّوحِ مَنْ صَانَ نَفْسَهُ
 عن الرِّينِ والتَّهَجِّ الخسيسِ المُرْدَلِ
 أُلْزِمَ نَفْسِي بِالحَيَاةِ بِمَعْزَلِ
 عَنِ النَّاسِ ما جَدَوِي حَيَاتِي بِمَعْزَلِ
 وَفِي عُنْقِي مُذْ كُنْتُ لِلَّهِ بَيْعَةً
 أُجَاهِدُ هَلْ وَحْدِي أُجَاهِدُ «هَيْتَ لِي»
 فَلَسْتُ أَبَالِي - حِينَ أَلْقَاكَ ثَابِتًا
 عَلَى عَهْدِكَ الْقُدْسِيِّ - ما قالَ عُذْلِي
 إِلَهِي وَلَكِنْ لِلْجِهَادِ دُرُوبُهُ
 وَهَا أَنَذَا لَبَيْكَ هَيَّيْءَ وَذَلِّلِ
 إِذَا شِئْتَ أَصْلَحْتَ الوجودَ وَإِنْ تَشَأْ
 قَلَبْتَ الدُّنَا طُرًّا بِحَبَّةٍ خَرْدَلِ
 خَرِيطَةً حَالِي يَا إِلَهِي بَسْطَتَهَا
 كَمَا هِيَ فَارْحَمْ وَاهْدِ خَطْوَ تَحْوَلِي

وَهَذِي هُمُومِي كَاللَّطَى قَدْ تَسَرَّبَتْ
مِنَ الْقَلْبِ فِي أَرْجَاءِ جِسْمِي تَغْتَلِي
إِذَا لَمْ تَجُذْ رَبِّي عَلَيَّ بِنَفْحَةٍ
لِتَجْلُوهَا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ تَنْجَلِي

* * * * *

مُحَاسِبَةٌ وَضَرَاةٌ^(١)

أُحَاسِبُ نَفْسِي لَيْلَةً إِنْ لَيْلَةٍ وَأَنْظُرُ فِي يَوْمِي وَكَيْفَ تَصَرَّ مَا
أَدَّيْتُ حَقَّ اللَّهِ أَوْ بَعْضَ حَقِّهِ أَأَجِدْتُ هَلْ شَأْنُ الدُّنَا بِي تَقَدَّمَ

* * * * *

فِيَا بَهْجَتِي لَمَّا أَرَى أَنَّ حِقْبَةً مِنَ الْعُمْرِ كَانَتْ بِالْجِدَا الْحَقَّ عَامِرَةً
وَيَا حَسْرَتِي لَمَّا أَرَى هَزَجَهَا سُدًى غُثَاءً بَدِيدٌ وَالْحَصِيلَةُ خَاسِرَةٌ

* * * * *

يُطَالِبُ قَلْبِي الْعَقْلَ أَنْ يَزِنَ الْخَطَا وَأَنْ يَفْقَهَ الْقَصْدَ الَّذِي خُلِقَ لَهُ
وَأَنْ يَقْدَحَ الْعَزَمَ السَّدِيدَ مُضْمَمًا وَيَمْضِي إِلَى مَا الْقَلْبُ يَرْجُو مَنَالَهُ

* * * * *

وَإِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ فِي كُلِّ زَفْرَةٍ وَنَبْضَةٍ نَفْسٍ دَعْوَةَ الْمُتَضَرِّعِ
وَكُلِّي يَقِينٌ أَنَّهُ الْمُسْتَجِيبُ لِي فَأَيَّائِهِ تَحِيَا مَعِيَ مِلْءَ مَسْمَعِي

* * * * *

لَأَدْعُوهُ بِالرُّوحِ الَّذِي هُوَ رُوحُهُ وَرُوحِي وَلَوْلَا نَفْحُهُ بِي لَمْ أَكُنْ

(١) من ديوان: إشراف، للأُميري، (٢٣٤ - ٢٣٦).

لأَدْعُوهُ وَهُوَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الَّذِي إِذَا مَا أَرَادَ الْأَمْرَ حَقَّقَهُ بِـ « كُنْ »

* * * * *

لأَدْعُوهُ مِنْ أَعْمَاقِ كُنْهِي الَّذِي بِهِ تَجَشَّصْتُ حَمْلِي لِلْأَمَانَةِ مَاضِيَا
بِأَنْ يَتَوَلَّى نَجْدَتِي مَدَّ رِخْلَتِي إِلَيْهِ لِأَرْقَى حَيْثُ أَلْقَاهُ رَاضِيَا

* * * * *

فِي عَالَمِ الْأَنْوَارِ (١)

فِي كُلِّ خَطْوَةٍ شَوِطٍ كُنْتُ أُطْلِقُهَا قَدْ كُنْتُ أَشْعُرُ أَنِّي مُطْلِقٌ بَدَنِي
مِنْ الْكُثَافَةِ مِنْ أَسْدَافٍ حَلَكْتِهَا مِنْ الْكُدُورَةِ فِي جِسْمِي وَمِنْ عَفْنِي
وَأَنَّنِي كُلَّمَا اشْتَدَّ الْوَجِيبُ عَلَيَّ قَلْبِي وَفِي سَبَحَاتِ الْوَجْدِ قَلْبَنِي
سَمَا دُعَائِي بِرُوحِي فَارْتَقَى وَرَنَا وَزَادَ حَتَّى ادَّانِي فَاجْتَرَتْ مُرْتَهَنِي
وَهَمْتُ فِي عَالَمِ الْأَنْوَارِ مَنبَلَجًا مُحَرَّرًا مِنْ حُدُودِ الْأَرْضِ وَالزَّمَنِ

* * * * *

عَلَى مَذْهَبِ الْحُبِّ (١)

وَقَائِلَةٌ بَادِرُ صَلَاتِكَ مُسْرِعًا لَقَدْ كَادَ وَقْتُ الْفَجْرِ أَنْ يَتَسَرَّبَا
فَقُلْتُ صَلَاتِي وَقْتُهَا الْعُمُرُ كُلُّهُ وَمَشْرِقُهُ فِي الْحُبِّ عَانَقَ مَغْرِبَا
حَرِيصٌ عَلَيْهَا أَنْ أُقِيمَ أَدَاءُهَا وَلَا أَبْتَغِي مِنْهَا سِوَى اللَّهِ مَأْرَبَا
فَقُلْتُ وَهَذَا الْحُكْمُ فِي أَيِّ مَذْهَبٍ فَقُلْتُ كَفَى بِالْحُبِّ لِلصَّبِّ مَذْهَبَا
فَقَالَتْ أَلَسْتُمْ أَسْرَةً حَنْفِيَّةً فَقُلْتُ اعْتَنَاقِي لَيْسَ أُمًّا وَلَا أَبَا
مَذَاهِبُ دِينِ اللَّهِ شَتَّى وَكُلُّهَا لَهَا الْفَضْلُ مَا دَامَتْ عَلَى الْحَقِّ مُجْتَبَى
وَأَمَّا أَنَا فَالْحُبُّ فِي اللَّهِ مَشْرَبِي وَأَكْرَمُ بِهِ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ مَشْرَبَا
تُصَلِّي بِهِ ذَرَاتُ قَلْبِي خَافِقًا وَيَحْيَا جَنَانِي، بَلْ كَيْانِي مُؤَوَّبَا
أُنَاجِي بِهِ رَبِّي الْحَبِيبَ مُوَلَّهَا وَأَرْفَعُ رَأْسِي خَاشِعًا مُتَأَدَّبَا
وَأَشْعُرُ فِي أَجْوَائِهِ بِرِضَا التَّقَى بَرِيئًا بِلَا ذَنْبٍ وَلَوْ كُنْتُ مُذْنِبَا

* * * *

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ

لِلْحَافِظِ ابْنِ الْفَرُضِيِّ

هو: الإمام الشهيد أبو الوليد؛ عبد الله بن محمد الأزدي الفرضي، قتله البربر؛ وهو متعلق بأستار الكعبة، ومن شعره:

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ
 عَلَى وَجَلٍ مِّمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
 يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا
 وَيَرْجُوكَ فِيهَا وَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَقَى
 وَمَا لَكَ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ مُخَالَفُ
 فَيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي
 إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ
 وَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا
 يَصُدُّ ذَوُو الْقُرْبَى وَيَجْفُو الْمُؤَالِفُ^(١)
 لَكُنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي
 أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي تَالِفُ^(٢)

* * *

(١) المؤلف: المحبُّ والعشير.

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، (٣٧٥/١١).

بِمَوْقِفِ ذُلِّ دُونَ عِزَّتِكَ الْعُظْمَى

بِمَوْقِفِ ذُلِّ دُونَ عِزَّتِكَ الْعُظْمَى بِمَخْفِي سِرِّ لَا أُحِيطُ بِهِ عِلْمَا
بِاطْرَاقِ رَأْسِي بِاعْتِرَافِي بِذِلَّتِي بِمَدِّ يَدِي أَسْتَمِطِرُ الْجُودَ وَالرَّحْمَا
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى الَّتِي بَعْضُ وَصْفِهَا لِعِزَّتِهَا يَسْتَعْرِقُ النَّشْرُ وَالنَّظْمَا
بِعَهْدٍ قَدِيمٍ مِنْ «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» بِمَنْ كَانَ مَجْهُولًا فَعَرَفَتْهُ الْأَسْمَا
أَذِقْنَا شَرَابَ الْأَنْسِ يَا مَنْ إِذَا سَقَى مُحِبًّا شَرَابًا لَا يُضَامُ وَلَا يَظْمَا

* * * *

سُبْحَةُ^(١)

أَخَافُكَ حَتَّى لَا أَرَى فِيكَ مَطْمَعًا وَلَوْ كُنْتُ مِنْ كُلِّ الْمَثَالِبِ خَالِيَا
وَأَرْجُوكَ حَتَّى لَا أَرَكَ مُعَذِّبِي وَلَوْ كُنْتُ مُخْتَلًا وَفَظًّا وَعَاصِيَا
وَأَهْوَاكَ حَتَّى مَا أَبَالِي بِعَالَمِي وَإِنْ يَكُ جِسْمِي دَائِمًا فِيهِ غَادِيَا
وَهَبْتُكَ أَحِبَّابِي وَأَهْلِي وَرَغْبَتِي وَبِعْتُكَ أَنْفَاسِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا
وَأَرْضِي بِمَا تَقْضِي وَلَوْ كَانَ مَضْرَعِي وَلَسْتُ بِمَنَانٍ وَلَسْتُ مُغَالِيَا

* * *

(١) من ديوان: القادمون الخضر، لسليم عبد القادر، (٥١).

مُنَاجَاةُ أَسِيرٍ (١)

أَتَيْتُكَ أَغْلَنَ ذُلِّي وَفَقْرِي وَأَسْفَحَ فَوْقَ رِيَاضِكَ زَهْرِي
أَتَيْتُكَ أُنَاجِيكَ أَسْلُو وَجُودِي وَأَنْشُرُ كَالْفَجْرِ سَرِّي وَجَهْرِي
أَتَيْتُكَ أَنْتَ حَبِيبِي وَرَبِّي وَأَنْتَ مُحِيزُ قَلْبِي وَفَكْرِي
جَمَالُكَ أَيُّ جَمَالٍ عَجِيبٍ تَذُوبُ بِهِ مُهْجَتِي أَيُّ سِحْرِ
جَلَالُكَ أَيُّ جَلَالٍ مَهِيبٍ يُبَارِكُ خَيْرِي وَيُلْجِمُ شَرِّي
إِلَهِي إِذَا ضَاعَ عُمْرِي وَرُوحِي تُسَبِّحُ بِاسْمِكَ مَا ضَاعَ عُمْرِي
أَطِيرُ إِلَيْكَ هَزَارَ هِيَامٍ وَأَحْمِلُ صَوْتِي الْخُجُولَ وَطَهْرِي
أَسِيرُ إِلَيْكَ سَفِينَةَ شَوْقٍ يُدَافِعُهَا الْمَوْجُ فِي كُلِّ بَحْرِ
وَأَزْكُضُ نَحْوَكَ رَاهِبَ لَيْلٍ وَأَجْرِي وَحَوْلِي الْعَوَاصِفُ تَجْرِي
فَكُنْ لِي حِمَايَ وَكُنْ لِي هُدَايَ وَكُنْ لِي قَوَايَ وَزَادِي وَذُخْرِي

* * * * *

أَتَيْتُكَ وَالْحُزْنَ يَعْصِرُ قَلْبِي وَحَوْلِي الدُّجَى مُكْفِهَةٌ كَثِيرُ
أَتَيْتُكَ هَلْ مِنْ إِلَهٍ سِوَاكَ فَأَسْرِي إِلَيْهِ وَأَيَّانَ أَسْرِي
وَقَدْ أَثْقَلْتُ قَدَمَيَّ الْقَيْدُ وَأَمَّا الذُّنُوبُ فَأَثْقَلَنَ ظَهْرِي

وَمَا غَيْرُ ذَاتِكَ تُذَرِّكُ ذَاتِي وَلَا غَيْرُ عِلْمِكَ يَسْبِرُ غَوْرِي
أَتَيْتُكَ أَنْتَ الْقَدِيرُ الرَّحِيمُ أَلْ كَرِيمُ وَعِفتُ الْمُلُوكَ لِغَيْرِي

* * * * *

أَتَيْتُكَ وَالْحُبُّ يُحْرِقُ رُوحِي وَتَحْتَرِقُ الْكَلِمَاتُ بِشَغْرِي
فَلِي أَلْفُ نَجْوَى وَلِي أَلْفُ شَكْوَى وَعِنْدِي أَلْفُ قَصِيدَةٍ شِعْرِي
تَلَاشَتْ جَمِيعًا سِوَى خَاطِرِي شَرُودِ الْخَطَا فِي خَيَالِي الْأَغْرِي
يَجُوبُ حُقُولَ الرِّضَى وَالْأَمَانِ وَيُنْشِدُ كَالطَّيْرِ فِي كُلِّ بَرٍّ
إِلَهِي إِذَا كُنْتَ تَرْضَى بِأَسْرِي وَمَا يَغْتَرِنِي فَلَا فُكَّ أَسْرِي
فَكَمْ مِحْنَةٍ دُقْتُهَا فِي هَوَاكَ وَمَا ضَاقَ صَدْرِي وَلَا عِيلَ صَبْرِي
عَرَفْتُ الْحَيَاةَ مَمْرًا إِلَيْكَ وَلَيْسَتْ مُنَايَ وَلَا مُسْتَقَرِّي
وَأَفْرَحُ أَنِّي مِلْكُ يَدَيْكَ وَأَنِّي إِلَيْكَ أَفْوَضُ أَمْرِي

* * * * *

دُعَاءُ (١)

يَا رَبِّ هَذَا دُعَائِي كَيْفَ أَرْفَعُهُ إِلَيْكَ وَهُوَ عَلَى الْآثَامِ مَحْمُولُ
لَوْلَا التَّأَمُّلُ فِي رَحْمَاكَ مَا انْفَرَجَتْ نَفْسٌ وَلَا كَانَ لِلْمَلْهُوفِ تَجْمِيلُ
يَا رَبِّ! أَنْتَ وَلِيِّي فَاهْدِنِي سُبُلًا إِلَى الرَّشَادِ، دُعَائِي فِيكَ مَأْمُولُ
يَا رَبِّ! أَنْتَ الَّذِي أَرْجُو مَعُونَتَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ رَجَائِي فِيكَ مَوْصُولُ
كَمْ دَمْعَةٍ سُفِحتْ فِي اللَّيْلِ سَارِبَةً وَكَمْ تَرَدَّدَ فِي جَنْبِي تَغْلِيلُ
وَكَمْ تَنْفَسَ صُبْحُ مَا نَسَائِمُهُ إِلَّا ابْتِهَالٌ إِلَى الرَّحْمَنِ مَثْبُولُ
وَمَا نَدَاهُ سِوَى دَمْعٍ أَكْفِكْفُهُ يَا رَبِّ عَلِّ دُعَائِي مِنْكَ مَقْبُولُ
خَفَقُ الْقُلُوبِ دُعَاءُ أَنْتَ تَسْمَعُهُ وَلِلْجَوَارِحِ تَسْبِيحٌ وَتَهْلِيلُ

● وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ:

بِوَجْهِكَ لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي أُؤَمِّلُ أَنْ أَفُوزَ بِخَيْرِ دَارِ
وَأَنْتَ مُجَاوِزُ الْأَبْرَارِ فِيهَا وَلَوْلَا أَنْتَ مَا طَابَ الْمَزَارُ^(٢)

● وَمَا أَحْلَى قَوْلَ الشَّاعِرِ:

لَا تَأْتَسَنَّ بِمَنْ تُوَحِّشُكَ نَظَرُهُ فَتُثْمَنَنَّ مِنَ التَّذْكَارِ فِي الظَّلَمِ
وَاجْهَدْ وَكِدْ وَكُنْ فِي اللَّيْلِ ذَا شَجَنِ يَسْقِيكَ كَأْسَ وِدَادِ الْعِزِّ وَالْكَرَمِ

(١) من ديوان: الأرض المباركة، لعدنان النحوي، (٦١، ٦٢).

(٢) في الشعر إقواء؛ وهو: اختلاف حركة الروي بكسر وضم.

● قال الشاعر:

أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحَاكَ أَسْعِدِينِي بِطُولِ الدَّمْعِ فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي
لَعَلَّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَفُوزِي بِخَيْرِ الدَّهْرِ فِي تِلْكَ الْعَلَالِي

* * *

هَجَرْتُ الْوَرَى فِي حُبِّ مَنْ جَادَ بِالنَّعَمِ

هَجَرْتُ الْوَرَى فِي حُبِّ مَنْ جَادَ بِالنَّعَمِ
وَعَفْتُ الْكَرَى شَوْقًا إِلَيْهِ فَلَمْ أُنَمِ
وَمَوَّهْتُ دَهْرِي بِالْجُنُونِ عَنِ الْوَرَى
لَأُكْتَمَ مَا بِي مِنْ هَوَاهُ فَمَا انْكُتَمِ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّوْقَ وَالْحُبَّ بَائِحًا
كَشَفْتُ قِنَاعِي ثُمَّ قُلْتُ: نَعَمْ نَعَمْ
فَإِنْ قِيلَ مَجْنُونٌ فَقَدْ جَنَّنِي الْهَوَى
وَإِنْ قِيلَ مُسْقَامٌ فَمَا بِي مِنْ سَقَمِ
وَحَقُّ الْهَوَى وَالْحُبِّ وَالْعَهْدِ بَيْنَنَا
وَحُرْمَةُ رُوحِ الْأُنْسِ فِي حِنْدَسِ الظُّلَمِ
لَقَدْ لَامَنِي الرَّاشُونَ فِيكَ جَهَالَةً
فَقُلْتُ لِطَرْفِي أَفْصَحِ الْعُذْرَ فَاخْتَشَمِ
فِيَالْحِلْمِ يَا ذَا الْمُنِّ لَا تُبْعِدْنِي
وَقَرِّبْ مَزَارِي مِنْكَ يَا بَارِي النَّسَمِ^(١)

* * *

وَزَادِي قَلِيلٌ

وَزَادِي قَلِيلٌ مَا أَرَاهُ مُبْلَغِي أَلَزَّادِ أَبْكِي أَمْ لَطُولِ مَسَافَتِي
أَتَحْرَقَنِي بِالنَّارِ يَا غَايَةَ الْمُنَى فَأَيْنَ رَجَائِي فِيكَ أَيْنَ مُحَبَّتِي

● لِّلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ:

مَنْ شَاوَرُوهُ فَأَبْدَى السِّرَّ مُجْتَهِدًا لَمْ يَأْمَنُوهُ عَلَى الْأَسْرَارِ مَا عَاشَا
وَبَاعَدُوهُ فَلَمْ يَسْعَدْ بِقُرْبِهِمْ وَأَبْدَلُوهُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِيحَاشَا
لَا يَصْطَفُونَ مُذِيعًا بَعْضَ سِرِّهِمْ حَاشَا وَدَادَهُمْ مِنْ ذَالِكُمْ حَاشَا^(١)

● وَعَنِ الْحَمِينِ قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَهُ خَصَائِصُ مُصْطَفُونَ لِحُبِّهِ اخْتَارَهُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
اخْتَارَهُمْ مِنْ قَبْلِ فِطْرَةِ خَلْقِهِ فَهُمْ وَدَائِعُ حِكْمَةٍ وَبَيَانِ

● وَلِلَّهِ دُرُّ الشَّاعِرِ:

لَمْ يُبْقِ خَوْفُكَ لِي دَمْعًا وَلَا جَلْدًا لَا شَكَّ أَنِّي بِهَذَا مَيِّتٌ كَمَدَا
عَبْدٌ كَثِيبٌ أَتَى بِالْعَجْزِ مُعْتَرِفًا وَنَارُهُ تَحْرِقُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا
ضَاقَتْ مَسَاكِنُهُ فِي الْأَرْضِ مَنْ وَجَلِ فَهَبْ لَهُ مِنْكَ لُطْفًا إِنْ لَقِيكَ غَدَا

(١) صفة الصفوة، (٤/٢٧٦، ٣٠٢، ٣٢٤).

المُشْتَاقُ

وَمُشْتَاقٍ وَلَيْسَ لَهُ قَرَارٌ نَفَوْرٌ لَيْسَ يَمْلِكُهُ الْعِذَاؤُ
قَضَى وَطَرًا بِهِ فَأَفَادَ عِلْمًا فَنَهَمَتْهُ التَّعَبُّدُ وَالْفِرَاؤُ
أَلَا صَبْرًا عَلَى دُنْيَاكَ صَبْرًا فَكُلُّ أُمُورِهَا فِيهَا اِغْتِبَارُ^(١)

● مَا أَحْلَى قَوْلَ الْقَائِلِ:

فَلَا وَاللَّهِ مَا طَابَتْ حَيَاةٌ سِوَى بِالْقُرْبِ مِنْ كَنْفِ الْحَيِّبِ
فَلَا تَخْتَرُ سِوَى دَارٍ لِسُعْدَى وَعَدُّ عَنِ الْأَجَارِعِ وَالْكَيْبِ
وَمَا لَأَقَى الْأَحِبَّةُ مِثْلَ بُعْدٍ تَفَقَّتْ مِنْهُ حَبَّاتُ الْقُلُوبِ
وَمَنْ يَعْشَقُ مُعَزَّزَةً شَرُودًا فَلَا يَسْأَمُ مُقَاسَاةَ الْكُرُوبِ
وَدُونِكَ فَاسْتَبَقْ نَحْوَ الْمَعَالِي وَلَا تَرْضَى بِدُونِ مَنْ نَصِيبِ
وَلَا تَقْنَعْ بِغَيْرِ الْعِزِّ مَرْقَى وَسَدُّ نَحْوَهُ سَهْمَ الْمُصِيبِ
وَأَنْهَضْ هِمَّةً إِنْ لَمْ تُثِرْهَا أَقَمْتَ بِمَوْطِنِ النَّكْسِ الْكَيْبِ
وَلَا تَيَأَسْ وَإِنْ طَالَتْ لَيَالٍ فَكَمْ شَمْسٌ بَدَتْ بَعْدَ الْغُرُوبِ
وَلَا تَسْأَمِ مِنَ التَّدَابِ يَوْمًا فَإِنَّ الْعِزَّ فِي ذَاكَ الدُّؤُوبِ
وَلَا تَحْزَنْ إِذَا مَا فَاتَ فَإِنْ فَذَاكَ الْفَتْحُ فِي نَظَرِ الْأَرِيبِ

(١) صفة الصفوة، (٤/٣٦٠، ٣٦٧، ٣٧٣).

ولا تَرْضَى بِغَيْرِ اللَّهِ دُخْرًا فَنِعْمَ الرَّبُّ مِنْ مَوْلَى مُجِيبٍ
 ولا تَشْكُو لِغَيْرِ اللَّهِ ضُرًّا فَلَيْسَ لِغَيْرِهِ كَشْفُ الْكُرُوبِ
 ولا تَرْكُنْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَوْمًا فَتَقْطَعْ عَنْكَ نَفَحَاتِ الْغُيُوبِ
 فَكَمْ مِنْ كُزُوبَةٍ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ تَجَلَّتْ فِيكَ عَنْ فَرْجِ قَرِيبٍ
 ولا يَمْنَعُكَ ذَنْبٌ مِنْ رَجَاءٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفَّارُ الذُّنُوبِ
 ولا تَحْزَنْ إِذَا مَا ضَاقَ عَيْشُ فَتُحْرَمَ رُتَبَةُ الرَّجُلِ اللَّيِّبِ
 وَكَمْ لُطْفٍ خَفِيٍّ فِي كَفَافٍ وَكَمْ لِلَّهِ مِنْ سِرٍّ غَرِيبٍ
 وَكَمْ مِنْ مِخْنَةٍ فِي الْيُسْرِ تُرَدِّي وَتَمْنَعُ عَنْكَ مَوْفُورَ النَّصِيبِ
 وَلَا بَسَ حُلَّةٍ لِلْوَفْرِ يَزْهُو وَيَلْهُو عَنْ مُرَاقَبَةِ الرَّقِيبِ
 يُجْهَلُّهُ الْغِنَى وَصَفَ افْتِقَارٍ أَحَاطَ بِهِ فَعَجَبُكَ مِنْ عَجِيبِ
 أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ فَرَدُّ فَتَخْشَى قَهْرَ عِلَامِ الْغُيُوبِ
 أَلَمْ يَخْلُقْهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ مُهِينٍ إِنْ يَدْعُ نَهْجَ الْأَرِيبِ
 أَلَمْ يُودِعْهُ فِي الْأَرْحَامِ دَهْرًا أَلَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ غَمِّ الْكُرُوبِ
 أَلَمْ يُجْرِي لَهُ الشَّدَائِينَ رِزْقًا وَعَرَفَهُ التَّائُولَ لِلنَّصِيبِ
 أَلَمْ يُنْعِمْ عَلَيْهِ بِمَهْدٍ لُطْفٍ وَأَعْطَاهُ مَوَدَّاتِ الْقُلُوبِ
 وَهَذَا الْمَهْدُ لَيْسَ لَهُ بَرَاحٌ يُسَائِرُهُ إِلَى وَقْتِ الْمَشِيبِ

وَأَسْقَطَ عَنْهُ تَكْلِيفًا وَأَمْرًا
فَحِينَ أَتَى الْبُلُوغُ أَتَى بَلَغُ
رَضِيعِ اللَّطْفِ لَا تَنْسَى وَدَادِي
رَبِئَّةَ فَضْلِنَا وَالْجُودِ أَسْرِعُ
لَطِيفَةً كَوْنِنَا لَا تَنْسَ عَهْدِي
وَقَدْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَثِيقًا
أَلَمْ أَجْعَلْكَ سِرًّا فِي وُجُودِي
أَلَمْ أَظْهِرْ صِفَاتِي فِيكَ جَهْرًا
أَلَمْ يَأْتِيكَ إِزْسَالِي وَأَمْرِي
أَتَاكَ كَلَامُنَا لِتَجِدَّ سَيْرًا
كَلامَ لَيْسَ يُشْبِهُهُ كَلَامُ
لَطَائِفُهُ عَلَى الْأَسْرَارِ أَحْلَا
إِذَا ثَلَيْتَ مَثَانِيهِ أُدِيرَتْ
وَأَيَّةُ آيَةٍ ثَلَيْتَ تَرَاهَا
وَأَنْوَارَ وَأَسْرَارَ تَرَاهَا

إِلَى أَنْ يَزِيدِي ثَوْبَ الْأَرِيبِ^(١)
مِنَ الرَّحْمَنِ يُنْذِرُ مِنْ قَرِيبِ
وَدَادًا كَانَ فِي غَيْبِ الْغُيُوبِ^(٢)
وَلَا تَجْنَحْ إِلَى مَرَأَى قَشِيبِ
وَيَوْمَ «الْأَسْتُ» فَادْكُزِي يَا حَبِيبِي
وَحَفْظَ الْعَهْدِ مِنْ شَيْمِ اللَّيْبِ
وَنُقْطَةَ دَارَةِ الْأَمْرِ الْغَرِيبِ
وَأَسْتُزِي ذَاكَ بِالْأَمْرِ الْعَجِيبِ
فَلَيْتَكَ لَوْ أَجَبْتَ لِمُسْتَجِيبِ
لِحَضْرَتِنَا وَتَعْمَلْ فِي الدُّعُوبِ
وَهَيْبَتُهُ تُقْلِقُ لِلْقُلُوبِ
مِنَ الْعَذْبِ الْجَنِيِّ الْمُسْتَطِيبِ
كُثُوسُ اللَّطْفِ مِنْ كَنْفِ الْحَيْبِ
عُرُوسَ الْحُسْنِ تُجَلِّي لِلَّيْبِ
إِذَا أَلْقَيْتَ سَمْعَكَ مِنْ قَرِيبِ

(١) لَطَائِفُ الْمَيَّنِ، (٢٦٨).

(٢) لَطَائِفُ الْمَيَّنِ، (٢٦٩).

إِذَا نَادَيْتَ «كَلَّا يَا عِبَادِي» تَرَى الْأَسْرَارَ تُسْرِعُ لِلْقَرِيبِ
 وَلَيْسَ إِجَابَتِي قَوْلًا وَلَكِنْ وَقَدْ أَرْسَلْتَ خَيْرَ الْخَلْقِ طُرًّا
 أَتَى بِالْمُنْهَجِ الْخُتَارِ يَدْعُو أَتَى وَالْأَرْضُ قَدْ مُلِئَتْ ظَلَامًا
 وَخَصَّصَهُ إِلَهُهُ بِكُلِّ فَضْلٍ وَقَالَ وَمَنْ يُطِيعْ خَيْرَ الْبَرَايَا
 وَفِيمَا قَالَ لَمَّا بَايَعُوهُ أَزَالَ الْكَافَ كَافٍ ذَاكَ كَافٍ
 هُوَ السَّبَّاقُ غَايَاتِ الْمَعَالِي وَأَنَّ الْقَوْلَ يَقْصُرُ عَنْ غَلَاهُ
 فَصَلَّى رَبُّنَا أَبَدًا عَلَيْهِ عَلَى آلِ النَّبِيِّ وَكُلِّ صَحْبٍ
 تَرَى الْأَسْرَارَ تُسْرِعُ لِلْقَرِيبِ يَبْذُلُ الْجُهْدَ فِي طَوْعِ الْحَبِيبِ
 لِيَمْحُو نُورَهُ رَيْنَ الْقُلُوبِ إِلَى الرَّحْمَنِ بِالسِّرِّ الْغَرِيبِ
 بِشَمْسٍ هُدًى تَنْزَهُ عَنْ غُرُوبٍ وَأَعْطَاهُ مَوَدَّاتِ الْقُلُوبِ
 يُطِغْنِي هَكَذَا فِعْلُ الْحَبِيبِ فَخَارٌ بَانَ لِلْفِطَنِ الْأَرِيبِ
 وَحَسْبُكَ مِنْهُ مِنْ سِرٍّ عَجِيبٍ هُوَ الْكَشَافُ أَرْمَاتِ الْكُرُوبِ
 كَفَاهُ ثَنَاءُ عِلَامِ الْغُيُوبِ وَسَلَّمٌ فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْغُرُوبِ
 صَلَاةٌ لَا تَمَلُّ مِنَ الدُّعُوبِ

رحم الله المحبين ورحم أيامهم

وَقَفْتُ عَلَى التَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ فَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَيْتِي
فَقُلْتُ لَهُ أَتَيْنَ الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ حَوَالَيْكَ فِي أَمْنٍ وَحِفْظِ زَمَانٍ
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي دِيَارَهُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتَّقَى عَلَى الْحَدَثَانِ

* * * *

● قال الشاعر في كلام المحبين:

خُذْ مِنْ كَلَامِي مَا يَلِدُ جَنَاهُ وَيَنْتُمُ كَالْمِسْكِ الْعَبِيقِ شَذَاهُ
ذَكَرَ إِلَاهِ الزَّمِّ هُدَيْتَ لِدُكْرِهِ فِيهِ الْقُلُوبُ تَطِيبُ وَالْأَفْوَاهُ

* * * *

مَوْلَايَ اُنْسُكَ لَمْ يَدْعَ لِي وَحْشَةً

مَنْ كَانَ فِي الْمَلَكُوتِ يَسْرِي فِكْرُهُ فَالْفَوْزُ بِالْحُسْنَى ثَوَابُ سِرَاهُ
 سُبْحَانَ مَنْ خَرَقَ الْحِجَابَ لِعَبْدِهِ وَهَدَاهُ مِنْهَجَ قَصْدِهِ فَرَاهُ
 سُبْحَانَ مَنْ مَلَأَ الْوُجُودَ أدِلَّةً لِيَلُوحَ مَا أَخْفَى بِمَا أَبْدَاهُ
 سُبْحَانَ مَنْ لَوْ لَمْ تَلُحْ أَنْوَارُهُ لَمْ تُعْرِفِ الْأَضْدَادُ وَالْأَشْبَاهُ
 مَوْلَايَ أَنْتَ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الَّذِي فِي حَضْرَةِ الْمَلَكُوتِ شَاهِدُنَاهُ
 مَوْلَايَ اُنْسُكَ لَمْ يَدْعَ لِي وَحْشَةً إِلَّا مَحَا ظُلُمَاتِهَا بِسَنَاهُ
 مَوْلَايَ عَبْدُكَ لَا يَخَافُ تَعْطُشًا أَيْخَافُهُ وَالْحَقُّ قَدْ رَوَاهُ؟
 مَوْلَايَ لَا آوِي لِغَيْرِكَ أَنَّهُ حَرِمَ الْهُدَى مَنْ لَمْ تَكُنْ مَأْوَاهُ
 أَنْتَ الَّذِي خَصَّصْتَنَا بِوُجُودِنَا أَنْتَ الَّذِي عَرَّفْتَنَا مَعْنَاهُ
 لَمْ أَفْشِ مَا أَوْدَعْتَنِيهِ فَإِنَّهُ مَا ذَاقَ سِرَّ الْحَقِّ مَنْ أَفْشَاهُ^(١)

* * * * *

(١) لَطَائِفُ الْمَنَنِ، (٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦).

مَنْ فَاتَهُ مِنْكَ وَضَلَّ حَظُّهُ النَّدَمُ

مَنْ فَاتَهُ مِنْكَ وَضَلَّ حَظُّهُ النَّدَمُ وَمَنْ تَكُنْ هَمْسَهُ تَسْمُو بِهِ الْهِمَمُ
وَنَاطِظٌ فِي سَوَى مَعْنَاكَ حَقٌّ لَهُ يَقْتَصُّ مِنْ جَفْنِهِ بِالْدَّمْعِ وَهُوَ دَمُ
وَالسَّمْعُ إِنْ جَالَ فِيهِ مَنْ يُحَدِّثُهُ سَوَى حَدِيثِكَ أَمْسَى وَقَرَهُ الصَّمَمُ
فِي كُلِّ جَارِحَةٍ عَيْنٌ أَرَاكَ بِهَا مِنِّي وَفِي كُلِّ عُضْوٍ بِالثَّنَاءِ فَمُ
فَإِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ أَنْطِقْ بِغَيْرِكُمْ وَكُلُّ قَلْبِي مَشْغُوفٌ بِحُبِّكُمْ
أَخَذْتُمُ الرُّوحَ مِنِّي فِي مُلَاطَفَةٍ فَلَسْتُ أَعْرِفُ غَيْرًا مُذْ عَرَفْتُكُمْ
نَسِيتُ كُلَّ طَرِيقٍ كُنْتُ أَعْرِفُهَا إِلَّا طَرِيقًا تُؤَدِّيَنِي لِرَبِّكُمْ

* * * *

● ولله در القائل:

فَلَمْ يَتَّقَ إِلَّا اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ حَبِيبٌ لِقَلْبٍ غَابَ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ
هَنِيئًا لِمَنْ قَدْ نَالَ حُبَّ حَبِيبِهِ وَخَاضَ بِتَرْكِ الْغَيْرِ أَكْرَمَ مَوْرِدٍ
نَعِيمٌ بِلَا حَدٍّ لَدَيْهِ مُجَدَّدٌ عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

* * * *

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أَنْتَ

وَحَقُّكَ لَوْ أَفْنَيْتَ قَلْبِي صَبَابَةً لَكُنْتُ عَلَى هَذَا حَبِيبًا إِلَى قَلْبِي
أَزِيدُ عَلَى عَذْلِ الْعَذُولِ تَشَوُّقًا وَوَجْدًا عَلَى وَجْدٍ وَحُبًّا إِلَى حُبِّ
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أَنْتَ فِي كُلِّ حَالَةٍ حَبِيبًا وَلَوْ دَارَتْ عَلَيْهِ يَدُ الْكَرْبِ
فَلَا تَبْتَلِيهِ بِالْبَعَادِ فَإِنَّمَا تَلَذُّدُ أَنْفَاسِ الْمُحِبِّينَ بِالْقُرْبِ^(١)

* * *

ذِكْرُ اللَّهِ عَيْشُ الْمُحِبِّينَ

بِالْقُوتِ إِحْيَاءُ الْجُسُومِ وَذِكْرُهُ تَحْيَا بِهِ الْأَلْبَابُ وَالْأَرْوَاحُ
هُوَ عَيْشُهُمْ وَوُجُودُهُمْ وَحَيَاتُهُمْ حَقًّا وَرُوحُ نُفُوسِهِمْ وَالرَّاحُ

* * * * *

سَهَرُ الْعُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ بَاطِلٌ

سَهَرُ الْعُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ بَاطِلٌ وَبُكَاءُهُنَّ لِغَيْرِ فَقْدِكَ ضَائِعٌ
أُيْظَنُ أَنِّي فِيكَ مُشْتَرِكُ الْهَوَى هَيْهَاتَ قَدْ جَمَعَ الْهَوَى بِكَ جَامِعٌ
بَصْرِي وَسَمْعِي طَائِعَانٍ وَإِنَّمَا أَنَا مُبْصِرٌ بِكَ فِي الْحَيَاةِ وَسَامِعٌ

(١) إيقاظ الهمم في شعر الحكم، (٢٨٣، ٥١٥، ٣٢٥، ٤٢٥).

وما أطيب قول القائل:

سُورِي بِكُمْ أَضْحَى يَجِلُّ عَنِ الْوَضْفِ
 وَقُرْبِي مِنْكُمْ بِالْمَوَدَّةِ وَالْعَطْفِ
 وَأَنْتُمْ مَعِيَ حَيْثُ اسْتَقَلَّ بِي الْهَوَى
 فَلِي بِكُمْ شُغْلٌ عَنِ الدَّانِ وَالْإِلْفِ
 سُوَيْدَاءُ قَلْبِي أَصْبَحَتْ حَرَمًا لَكُمْ
 تَطُوفُ بِهَا الْأَسْرَارُ مِنْ عَالَمِ اللَّطْفِ
 رَسَائِلُ مَا بَيْنَ الْمُحِبِّينِ أَصْبَحَتْ
 تَجَلُّ عَنِ التَّعْرِيفِ وَالرَّسْمِ وَالْعُرْفِ
 رَسَائِلُ جَاءَتْنا بِرِيًّا جَنَابِكُمْ
 عَوَارِفُ عُزْفٍ فَاقَ كُلَّ شَذَا عَزْفٍ^(١)

* * *

(١) إيقاظ الهمم في شعر الحكم، (٢٨٣، ٥١٥، ٣٢٥، ٤٢٥).

سَبَحَاتُ فِكْرِي فِي عُلاكَ حَيَاةُ

سَبَحَاتُ فِكْرِي فِي عُلاكَ حَيَاةُ يَا مَنْ لَهُ التَّقْدِيسُ وَالصَّلَوَاتُ
وَحُضُورُكَ الْأَسْنَى بَعَيْنِ بَصِيرَتِي هُوَ مِنْ لَدُنْكَ تَفَضُّلٌ وَهَبَاتُ
وَتَأْمُلِي لِعَظِيمِ صُنْعِكَ قُدْرَةً وَجَلَالِ عِزِّكَ لِلْقُلُوبِ حَيَاةُ
وَلِيَأْذُ قَلْبِي فِي حِمَاكَ تَعُوذًا مِنْ كُلِّ زَيْغٍ قُرْبَةً وَنَجَاةُ
يَا مَنْ تَنْزَعُهُ أَنْ يَكُونَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ تَقَدَّسَ وَصْفُهُ وَالذَّاتُ
يَا مَنْ لَهُ تَعْنُو الْوُجُوهُ تَذَلُّلًا وَالخَلْقُ فِي مَلَكُوتِهِ إِخْبَاتُ
وَجَمِيعُ مَا فِي الْكَوْنِ قَبْضَةٌ كَفِّهِ وَالْكُلُّ فِي حُسْبَانِهِ ذَرَاتُ
أَنْتَ الْعَلِيِّ فَلَيْسَ فَوْقَكَ كَائِنٌ وَلَكَ الْكَمَالُ الْحَقُّ وَالْإِثْبَاتُ
أَنْتَ الْعَظِيمُ فَلَيْسَ مَلِكُكَ زَائِلًا وَلَكَ الْخَلَائِقُ أَعْبُدُ وَدَعَاةُ
أَنْتَ الْكَرِيمُ فَمَا التَّجَا لَكَ سَائِلٌ فَرَدَدْتَهُ أَوْ نَالَهُ إِعْنَاتُ
رَبُّ الْوُجُودِ وَمُنْشِئُ الْأَكْوَانِ مِنْ عَدَمٍ بِ«كُنْ» فَاَنْدَاخَتْ الْحَرَكَاتُ
وَتَوَاشَجَتْ بَيْنَ الْحَيَاةِ أَوَاصِرُ وَتَعَدَّدَتْ فِي كُنْهَيْهَا النُّظَرَاتُ
مَا بَيْنَ مَفْتُوحِ الْبَصِيرَةِ مُهْتَدٍ تَدْعُوهُ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ عِظَاتُ
أَوْ رَاكِبٍ مَتْنِ الضَّلَالِ مُهَوِّمٍ سَارَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَالنَّزَعَاتُ

لِلْكُلِّ مِيعَادٌ يَرِفُ مَعَ الْهَنَا أَوْ تَلْتَظِي فِي قَلْبِهِ الْحَسَرَاتُ

* * * * *

يَا رَبِّ مَنْ أَنَا فِي مَطَارِحٍ يَقْطِنِي وَرَوَى سُبَاتِي وَالْحَيَاةُ سُبَاتُ؟
أَمِنَ الْمَزُونِ الْوُطْفِ كُنْهُ تَفَكَّرِي مَاءٌ قَرَاخًا يَقْتَضِيهِ نَبَاتُ؟
وَمُرُونَقًا مِثْلَ الرَّبِيعِ نَضَارَةً وَعَلَيْهِ مِنْ هَزَجِ الطُّيُورِ شِيَاثُ!
أَمْ أَنَّنِي بِطَبِيعَتِي وَبَطِيبَتِي قَدْ كَانَ مِنِّي مَا عَسَاهُ هَنَاتُ؟
فَالْتَفُسُ دَوْمًا فِي صِرَاعِ حَيَاتِهَا تَجْتَاحُهَا الرَّغَبَاتُ وَالرَّهَبَاتُ

* * * * *

بَصَّرْتَنَا نَحْنُ الْعِبَادَ بِدَرْبِنَا وَجَزَاؤُنَا إِنْ نَهْتَدِ الْجَنَّاتُ
فَالْحَيَّرُونَ إِلَى نِدَائِكَ أَسْرَعُوا لَمْ يُعْمِهِمْ طَمَعٌ وَلَا شَهَوَاتُ
وَذَوُوا الضَّلَالَةِ أَدْلَجُوا فِي غَيِّهِمْ لَمْ تُثْنِهِمْ عَنْ غَيِّهِمْ مَثَلَاتُ
رُحْمَاكَ رَبِّي فَالْحَيَاةُ ذَمِيمَةٌ وَأَذَمُّ مِنْهَا أَنْ يَعَزَّ جُنَاةُ

* * * * *

عَفْوًا إِلَهِي إِنْ أَتَيْتُكَ رَاجِيًا وَأَنَا الَّذِي بِذُنُوبِهِ يَقْتَاتُ
غُفْرَانُ ذَنْبِي وَالذُّنُوبُ كَثِيرَةٌ أَنْتَ الْغُفُورُ إِذَا أَتَاكَ عُصَاةُ^(١)

(١) لعبد الله بن عبد العزيز بن إدريس، كتاب: من الشعر الإسلامي الحديث، (٥٦، ٦٦).

ما أرق قول القائل:

بَلَانِي الْحُبُّ فِيكَ بِمَا بَلَانِي فَشَأْنِي أَنْ تُفِيضَ غُرُوبَ سَآئِنِي
 أَيْتُ اللَّيْلَ مُرْتَفِقًا أَنَا جِي بِصِدْقِ الْوَجْدِ كَاذِبَةَ الْأَمَانِي
 فَتَشْهَدُ لِي عَلَى الْأَرْقِ الثَّرِيَّا وَيَعْلَمُ مَا أَجِنُ الْفَرْقَدَانِ
 فَيَا وَلَعَ الْعَوَازِلِ خَلَّ عَنِّي وَيَا كَفَّ الْغَرَامِ خُذِي عَنَّا نِي

* * * * *

مَنْ كَانَ يَخْشَى اللَّهَ

مَنْ كَانَ يَخْشَى اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ فَلْيُكْثِرِ الْعِبَرَاتِ فِي الْخَلَوَاتِ
 فَلَعَلَّهُ بَعْدَ التَّذَكُّرِ وَالْبُكَآ بُدِلَتْ لَهُ الْعِبَرَاتُ بِالْحَسَنَاتِ
 وَتُخَفَّفُ الْأَوْزَارُ عَنْ مَنْشُورِهِ وَيَوْمَ الْحِسَابِ وَمَوْقِفِ الْحَسَرَاتِ^(١)

لِلَّهِ أَجْفَانُ عَيْنٍ فِيكَ سَاهِرَةٌ

لِلَّهِ أَجْفَانُ عَيْنٍ فِيكَ سَاهِرَةٌ شَوْقًا إِلَيْكَ وَقَلْبٌ بِالْغَرَامِ شَجِ

* * *

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين، (٧١١).

هُمُ الرِّجَالُ

أرواحُهُمْ خَشَعَتْ لِلَّهِ فِي أَدَبٍ قلوبُهُمْ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ فِي وَجَلٍ
 نَجَّوَاهُهُمْ: رَبَّنَا جِئْنَاكَ طَائِعَةً نُفُوسُنَا وَعَصِيَّتَا خَادِعِ الْأَمَلِ
 إِذَا سَجَى اللَّيْلُ قَامُوهُ وَأَعْيُنُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ مِثْلُ الْجَائِدِ الْهَطَلِ
 هُمُ الرِّجَالُ فَلَا يُلْهِهِمْ لَعِبٌ عَنِ الصَّلَاةِ وَلَا أُكْذِبُهُ الْكَسَلُ^(١)

* * * *

إِنِّي فَرَعْتُ إِلَيْكَ فَارْحَمْ عِبْرَتِي

ذَكَرَ الْوَعِيدَ فَطَرَفُهُ لَا يَهْجَعُ وَجَفَا الرُّقَادَ فَبَانَ مِنْهُ الْمِضْجَعُ
لَمَّا تَيَقَّنَ صِدْقَ مَا جَاءَتْ بِهِ الْآيَاتُ صَادَ إِلَى الْإِنَابَةِ يُسْرِعُ
فَجَفَا الْأَحِبَّةَ فِي مَحَبَّةِ رَبِّهِ وَسَمَا إِلَيْهِ بِهَمَّةٍ مَا يُقْلَعُ
وَتَمَتَّعَتْ بِوِدَادِهِ أَعْضَاؤُهُ إِذْ خَصَّهَا مِنْهُ بِوَدٍ يَنْفَعُ
كَمْ فِي الظَّلَامِ لَهُ إِذَا نَامَ الْوَرَى مِنْ زَفَرَةٍ فِي إِثْرِهَا يَتَوَجَّعُ
وَيَقُولُ فِي دَعَوَاتِهِ: يَا سَيِّدِي أَلْعَيْنُ يُسْعِدُهَا دُمُوعُ رُجْعُ
إِنِّي فَرَعْتُ إِلَيْكَ فَارْحَمْ عِبْرَتِي وَإِلَيْكَ مِنْ ذُلِّ الْخَطِيئَةِ أَفْرَعُ
مَنْ ذَا سِوَاكَ يُجِيرُنِي مِنْ ذُلَّتِي يَا مَنْ لِعِزَّتِهِ أَذِلُّ وَأَخْضَعُ
فَامْنُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةِ أَحْيَا بِهَا إِنِّي بِمَا اجْتَرَأْتُ يَدَايَ مُرَوِّعُ
قَلَّ التَّصَبُّرُ عَنْكَ يَا مَنْ حُبُّهُ فِي الْجَارِحَاتِ سِقَامُهُ بِي يُسْرِعُ

مُتَيِّمٌ فِي حُبِّهِ

كَيْفَ اضْطَبَّارُ مُتَيِّمٍ فِي حُبِّهِ قَدَمَا لِكَاسَاتِ الْهَوَى يَتَجَرَّعُ
لَا حَتَّ وَعَنْ صِدْقِ الْحُبَّةِ مَا بَدَتْ لِلنَّاطِرِينَ نُجُومُ لَيْلٍ تَطْلُعُ^(١)

(١) بحر الدموع، لابن الجوزي، (٤٣١).

عَجَبًا أَنْ تَرَى مَعَ الْخَوْفِ أَمْنًا

عَجَبًا أَنْ تَرَى مَعَ الْخَوْفِ أَمْنًا وَمَعَ اللَّيْلِ شُعْلَةً مِنْ يَقِينٍ
 مَا قَسَا قَلْبُهُ وَلَكِنْ لَدَيْهِ دَمْعَةٌ لَمْ تَجِفَّ بَيْنَ الْجُفُونِ
 خَشْيَةً فِي الْفُؤَادِ تَغْصِرُ دَمْعًا ذَوَّبَتْهُ عَلَى مَطَافِ الْحَيْنِ
 رَقٌّ فِي خَشْيَةٍ فَفَاضَتْ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي حِمَى مَأْمُونٍ
 كُلَّمَا أَقْبَلَ الدُّجَى وَطَوَاهُ أَشْرَقَتْ مِنْهُ سَجْدَةٌ مِنْ جَبِينِ
 فِي خُشُوعِ الدُّجَى عَرَفْتُكَ يَا رَبِّ وَفِي نَجْمِهِ وَفَيْضِ السُّكُونِ
 جَلَّ فِي صَمْتِهِ فَكَانَ بَيَانًا فِي قُلُوبٍ وَعَتَهُ أَوْ فِي جُفُونِ
 هَدَأَ النَّاسَ غَيْرَ قَلْبٍ شَجِيٍّ هَبَّ مِنْ لَهْفَةٍ وَشَوْقٍ دَفِينِ
 مَدَّ كَفَّيْهِ فِي ثَنَائَا اللَّيَالِي رَعَشَاتٍ مُبَلَّلَاتِ الْحَيْنِ
 وَهَبَّتْ لِلنُّجُومِ رَعَشَةً شَوْقٍ وَأَعَادَتْ لَهَا انْفِلَاتِ الشُّجُونِ
 فِي شُعَاعٍ يَمُوجُ بَيْنَ ثَنَائِهِ دَفِيقٌ مِنَ الدُّعَاءِ الْحَزِينِ^(١)

* * * * *

(١) من قصيدة: موكب النور، من ديوان: موكب النور، للدكتور/ عدنان النحوي، (٥٥ - ٥٨).

هَبَّ مِنْ لَيْلِهِ جَفَّتُهُ الْمَضَاجِعُ

هَبَّ مِنْ لَيْلِهِ جَفَّتُهُ الْمَضَاجِعُ
وَدَعَاهُ نِدَاءُ قَلْبٍ خَاشِعٍ
وَطُيُوفٌ عَلَى الْجُفُونِ الدَّوَامِ
رَعَشَاتٌ مِنَ الْأَكُفِّ الصَّوَارِعِ

قَدْ صَفَا الْقَلْبُ مَا رَأَى فِيهِ حِقْدًا
وَحَلَا مِنْ هَوَى وَأَقْبَلَ زُهْدًا
تَرَكَ النَّاسَ كَيْ يَرَى مَا أَعْدَا
لِيَرَى نَفْسَهُ رَأَى الْأَمْرَ جَدًّا

غَنِيَتْ أَنْفُسٌ وَلَانَتْ قُلُوبُ
وَدُعَاءٌ مَعَ الضُّلُوعِ يَذُوبُ
وَأَكُفٌّ تَمُوجُ دَمْعٌ وَجِيبُ
وَطُيُوفٌ تَلْمُهَنَّ الْغُيُوبُ

رَبَّنَا ... سَبَّحْتَ لَكَ الْفَلَوَاتُ
 وَأَقَاصِي الْأَعْمَاقِ وَالظُّلُمَاتُ
 وَالْخَصَى وَالرِّمَالُ وَالرَّبَّوَاتُ
 وَرَفِيفُ الْغُصُونِ وَالزَّهْرَاتُ
 وَنِدَاءُ الطُّيُورِ وَالْوَكَنَاتُ
 وَهَدِيلُ الْحَمَامِ وَالْهَمَسَاتُ
 وَرَفِيفُ الضَّمِيرِ وَالنَّظَرَاتُ
 مَوْكِبٌ رَفَرَفَتْ بِهِ الْآيَاتُ

* * * * *

وَمَضَى اللَّيْلُ فِي صَدَى دَعْوَاتِهِ
 وَالنُّجُومُ الزَّهْرَاءُ رَعَشَتْ ذَاتَهُ
 وَنَسِيمٌ غَفَا عَلَى عِبْرَاتِهِ
 وَصَحَا يَنْثُرُ النَّدى فِي رُبَاتِهِ

* * * * *

تَلَمَسُ الْأَفُقَ فِي هَوَى وَحْنِهِ

يُوقِظُ النُّورَ مِنْ مَرَاقِدِ لَيْنٍ
يُوقِظُ العِطَرَ فِي مَرَايِعِ غَيْنٍ

* * * * *

مَوْكِبُ الفَجْرِ فَضٌّ مِنَ الْحَانَةِ
رَجَعَتْهَا الرُّبَى شَذَا أَلْوَانِهِ
حَائِرَاتٍ تَعَثَّرَتْ بِجَنَانِهِ
فَإِذَا هُنَّ عَبَقَرِي بَيَانِهِ^(١)

* * * * *

ولله در القائل:

أَلُوذُ بَبَابٍ مَنْ أَدْعُوهُ فَرَدًّا وَأَمْلُ أَنْ أَقْرَبَ مِنْ حَبِيبِي
إِذَا نَامَتْ عُيُونُ النَّاسِ طُرًّا قَرَعْتُ الْبَابَ بِالْقَلْبِ الْكَيْبِ

* * * * *

سبحانك أنت أنت، سبحانك قدّستك ألسن التماذيح، وأفواه التسايح

(١) للشاعر: عدنان النحوي.

رحلة في موكب الجلال

للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني

حفظه الله

المقدمة:

هذه معلقة ربانية، ومديحة إلهية، ومضات إيمانية، ولقد كانت أمنيّتي أن أعطر لساني بشيء من الثناء عليه، وأضمح بياني بعبير من عبق الانكسار بين يديه، وأتوّج شعري بيسير من المدح فيه؛ فهو نور الحياة، وضياء الوجود، ومعنى البيان، وفخر القوافي، وذكره عطر القصائد، وعنوان المحامد.

آمل أنني قد حزت قصب السبق، وأن يكون لي في مدحه لسان صدق؛ فهذه رسالة صادقة من قلب محب إلى حبيب العارفين، وأنيس المستوحشين، ورب العالمين، ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ۝ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨٥].

قرّبوا ريشتي وهاتوا دواتي واتركوني من التي واللواتي
لم يعد في فؤاد مثلي مكانٌ للتعني بالحب والغانيات
كم تأملت من أعاجيب حُبِّ وغرامٍ في الأغصُر الخاليات
لأناس ذابوا هيامًا وشوقًا وافتتانًا بروعة الفاتنات

كم فؤادٍ بلوعة الحب يُكوى وصريعٍ للأعين القاتلات
 فإذا بالغرام يغدو حديثًا والمحجَّبون كومةً من رفات
 قصص في مجالس الأنس تُروى ثم تُلقى في حيز المهملات
 فتعاليت عن غرامٍ بئيس دنيويٍّ مآله لانبتات
 وسقيت الفؤاد من نهر حُبٍّ يوقظ القلب من عميق الشبات
 كم شفى الحبُّ غلَّةً من نفوس وسقاها من سلسبيلِ فُرات
 فاستمع يا زمان هذا مُحب سوف يتلو أنشودة للرواة
 يا خلایا الفؤاد يا كل نبضٍ هات ما عندكم من الحب هاتِ
 حَدِّثِينَا عن الهوى حَدِّثِينَا وأبيني بأصدق البيئات
 أشعلي جذوة الهوى في نفوس عن مراقي سعودها لاهيات
 هذه نفحة من الطهر تسري في فضاء يعج بالمغريات
 ضَجَّ هذا الفضاء مما دهاه من جحيم الآثام والمنكرات
 وإذا بُتُّ في البرايا خطايا جاءك البثُّ عابقًا من قناتي
 هذه باقة من الورد نشوى من أزاهير قلبي العاطرات
 هذه قصة من الحب تُثلى في حروف فتانة ساحرات
 ومعان الجوى بمحراب روعي ذاكرات لربها ساجدات

هذه غرفة من الحب تسقي برواها ضمائرًا صاديات
 هذه نسمة شذاها تجلى في سماء الهوى بمسكٍ فتات
 وشلاف البيان يحلو مذاقًا لقلوب شفافية مرهفات
 بعث ذاتي على حبيب قريب من فؤادي ومنه حبي وذاتي
 تاه لُبِّي وذاب قلبي لربي فهو حبي وسلوتي في حياتي
 وله كل ذرة في كياني ومماتي ومنسكي وصلاتي
 يا مرادي هذي ترانيم حب من فيوض المشاعر الخاشعات
 أنت أهل الثناء والمجد فامن بجميل من الثناء المواتي
 ما ثنائي عليك إلا امتنان ومثال للأنعم الفائضات
 يا محب الثناء والمدح إني من حيائي خواطري في شتات
 ذابت النفس هيبَةً واحترامًا وتأبّت عن بلع ريقِي لهاتي
 حبنا وامتداحنا ليس إلا ومضة منك يا عظيم الهبات
 لو نظمنا قلائدًا من جمانٍ ومعانٍ خلاصة بالمئات
 لو برينا الأشجار أقلام شكرٍ بمداد من دجلة والفرات
 لو نقشنا ثناءنا من دمانا أو بذلنا أرواحنا الغاليات
 لو نُشِرنا في ذاته أو رُمينا برمّاح فتّاكة مشرعات

أَوْ جَهْدَنَا نَفُوسَنَا فِي قِيَامٍ وَصِيَامٍ حَتَّى غَدَتِ ذَاوِيَاتِ
أَوْ مَزَجْنَا نَهَارَنَا بِدَجَانَا فِي صَلَاةٍ وَالسَّنْ ذَاكِرَاتِ
أَوْ قَطَعْنَا مَفَاوِزًا مِنْ لَهِيْبٍ وَمَشِينَا بِأَرْجُلِ حَافِيَاتِ
أَوْ سَجَدْنَا عَلَى شَطَايَا رِصَاصٍ أَوْ زَحَفْنَا زَحْفًا عَلَى الْمَرْمُضَاتِ
أَوْ بَكَيْنَا دَمًّا وَفَاضَتْ عَيُونُ بِلَهِيْبِ الْمَدَامِعِ الْحَارِقَاتِ
مَا أَبْنَأَ عَنْ هَمْسَةٍ مِنْ مَعَانٍ فِي حَنَايَا نَفُوسِنَا مَا كُنَاتِ
أَوْ أَتَيْنَا لِيَذْرَةَ مِنْ جَلَالٍ أَوْ شَكْرْنَا آلَاءَكَ الْغَامِرَاتِ
أَيُّ شَيْءٍ يَقُولُهُ الشَّعْرُ لَمَّا يَتَغْنَى بِخَالِقِ الْكَائِنَاتِ
مَا نَسَجْنَاهُ مِنْ بَيَانٍ بَدِيعٍ لَيْسَ إِلَّا خَوَاطِرًا قَاصِرَاتِ
هُدْيِ الشَّعْرِ لِقِتْنَاصِ الْمَعَانِي إِنَّمَا الطَّيْبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ
أَيُّ شَيْءٍ أَتَقَى وَأَنْقَى وَأَرْقَى مِنْ حُرُوفٍ بِمَدْحِهِ مُتْرَعَاتِ
فَالِقُ الْحُبِّ وَالنَّوَى جَلَّ شَأْنَا وَضِيَاءُ الدَّجَى وَنُورُ الشُّرَاةِ
قَابِضٌ بِأَسْطٍ مَعَزٌّ مَذَلٌّ لَمْ يَزَلْ مُرَوِّعًا أَنْوَفَ الطَّغَاةِ
شَافِعٌ وَاسِعٌ حَكِيمٌ عَلِيمٌ بِالنَّوَايَا وَالْغَيْبِ وَالْخَاطِرَاتِ
خَافِضٌ رَافِعٌ بَصِيرٌ سَمِيعٌ لَدَيْبٍ لِلنَّمْلِ فَوْقَ الْحَصَاةِ
يَهْتَفُ الْعَابِدُونَ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ وَبِلَادٍ عَلَى اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ

لم يغب عنه همسة أو هتاف
 نافع مانع قوي شديد
 كم تألَّى ذوو عنادٍ وكفرٍ
 كم أتى بطشه فأردى شعوبًا
 ظاهرٌ باطنٌ حسيبٌ رقيبٌ
 أوَّلُ آخرٌ عليٌّ غنيٌّ
 باعثٌ وارثٌ كفيلٌ وكيلٌ
 وجميلٌ جماله فاض طهرًا
 بارئ حافِظٌ حميدٌ مجيدٌ
 الوليُّ المتين ما خاب ظنُّ
 مؤمنٌ محسنٌ شكورٌ صبورٌ
 خالقٌ رازقٌ سميعٌ مجيبٌ
 السلام القدوس كم من فيوضٍ
 وله الكبرياء هل من وليٍّ
 مستوٍ فوق عرشه في علوٍّ
 ليس شيءٌ كمثله فهو ربُّ
 للمنادين من جميع الفئات
 قاصمٌ ظهر كلِّ باغٍ وعات
 فاستحالت عروشهم خاويات
 لاهيات في دورها آمناات
 ليس يخفى عليه مثل القذاة
 كيف نحصي آلاءه الوافرات
 وأمانٌ للأنفس الخائفات
 وصفاءٌ يرف بالمبدعات
 فارج الهمم كاشف المعضلات
 لنفوس في فضله طامعات
 للأذى والجحود والافتئات
 ويداه تفيض بالأعطيات
 نتفياً ظلالها الوارفات
 غيره قد أباد كلَّ الولاة
 وقريبٌ بجوده للعُفاة
 من يضاهيه في صفات وذات

ما أتى من صفاته فهو حقٌّ وكمال برغم أنف النُّفَاةِ
 إنه الواحد الذي لا يُضَاهَى في معاني أسمائه والصفات
 ناصِرٌ قَادِرٌ على كل شيء وهو حيٌّ منزّه عن سبات
 قاهرٌ غالبٌ قويٌّ عزيزٌ ونصير للمهتدين الهداة
 غافرٌ راحمٌ حلیمٌ تجلّى حلمه في عطائه للجُنَاةِ
 تتألّى عليه بعض البرايا وتراها في فضله راتعات
 مرسل البرق منزل الغيث صفوًا وهو محيي العظام بعد الفترات
 صمد تصمد البرايا إليه وأنيس الضمائر الموحشات
 المليك القدير ذو الطول بُشْرَى لمحبي توحيده بالعدّات
 ما أتوا كاهنًا ولم يستغيثوا بقبور مطمورة في الكفات
 قَصْدُهُمْ أو دعاؤهم ليس إلا للكریم العظیم ذي المقدرات
 تلك فحوى العقيدة الحق تُتلى بوضوح في كُتُبِه المنزلات
 يا نبي الهدى ويا خير صوت حين يُتلى مُتَيِّمًا لِلْحُدَاةِ
 يا محبًّا تعلّم الحبّ منه ثم أتى ثماره الناضجات
 ما رأينا في دفتر المجد أسمى منك حبًّا برغم كيد الوشاة
 صُعَتَ للدهر قصة من نضالٍ وفعالٍ أبية ذائعات

وحروفٍ منسوجةٍ من ضياءٍ ما تُوارى عن شاشة الذاكرات:
 لو رميتم مفاتيح الأرض عندي وأتيتم بالشمس والمقمرات
 ليس في شِزعة الهوى من نكوصٍ أو عهودٍ مأجورة مُشتراة
 والأمورُ الصُّعابُ تبدو لِعَيْنِي في رضى من أُحِبُّه هَيَّات
 فإذا أظلم الدجى قام يدعو ويناجي بأدمع واكفات:
 يا إلهي إن كنتَ راضٍ فإنِّي لا أبالي بما أتو من أذاتي
 ومضى ثابت الخطى لا يبالي بالتحدي والمكر والشائعات
 أورق الحبِّ والرضى في قلوب بَثَّ فيها معنى التقى والأناة
 (أُحَدِّ) و(الأحزاب) و(الفتح) تروي أروع الحبِّ لِلأُبَّةِ الكُماة
 بسيوفٍ غيورة صارمات وخيولٍ إلى الوغى ضابحات
 كم رءوس تَعَجَّبُ الموتُ منها ودماءٍ منثورة عابقات
 أمهر الحبِّ جعفرٌ وُحْبِيبٌ بنفوس من أجله زاهقات
 يُبتلى آل ياسر ثم تُهدى للمنايا (سُمَيَّة) الساميات
 ضَمَّخت سِكة الهوى للصبايا بعبير من هِمة القانتات
 إنها دُرَّةٌ بعقدٍ مضيءٍ يتحلى بالكُمَلِ المحصنات
 وبلال في وَقْدَةِ الرمل يُلقَى لينادي بـ (لاتهم) أو (مناة)

كلما أمعنوا عذابًا ينادي: (أَحَدٌ) لم تُطَق سواها شفتاي
و(أبو جابر) يُنادى كفاحًا ومُئَنَّى بأحسن الأمنيات
و(حبيب) يُبَضِّع الجسم حيًّا بسيوف غدارة خائنات
لم يَلِنْ عزمه وما صاغ حرفًا من خضوعٍ أو ذلةٍ لِلْعَوَا
سَطَّروا قصة الهوى بحروف سوف تبقى عن البلى خالداً
هكذا الحب لوعة وامتنال واشتياق يُصاغ في تضحيات
مبدع الكون يا لها من عقول عن تملي آياته ذاهلات
واسع الفضل كيف تُرجى نِجاةً لنفوسٍ عن هديه معرضات
هائماتٍ في غفلةٍ عن هداه غارقاتٍ في حماة الموبقات
وقلوبٍ كئيبه كيف تسلو وَهَيَّ من فيض حبه مقفرات
كيف يسري معنى الرضى في نفوس من شذى طيف أنسه خاليات
كم بهذا الوجود مما نراه من صنوفٍ بفضله شاهدات
لو تأملت صفحة الكون مما بثَّ فيه من رائع المعجزات
أرسِلِ الفكرَ في فضاءٍ بعيد وسماءٍ تَعُجُّ بالنَّيِّرات
هل رأيت السماء والشمس تزهو في ضحاها والبدر في الحالكات
هل تأملت منظر النجم لما يسحر العين في دجى المظلمات

كلها الأرض والمجرات تبدو عند ربي كَحَلْقَةٍ في فلاة
هل تأملت روعة الروض لما يتبدى بأروع المزهرات
من غصون رِيَّانة وورود وفروع زكية مثمرات
وخرير المياه يُبدي لحوّنا يتهادى بين الربى والنبات
وغناءً يسري إلى كل قلب لطيور صدّاحة شاديّات
ورُخاءٌ مأمورةٌ من رياح حين تمضي إلى الربى لاقحات
كم ترى من حدائق مفعماتٍ بغصون قطوفها دانيات
وحقول جميلة لحبوب تتجلى في أبدع السنبلات
هل تأملت أنهرًا وبحورًا كم بها من عوالم سابحات
هذه الفلك آية هل تراها وهي تفري عبابه ماخرات
منظر مذهل فلول البرايا تمتطيه بأضخم الباخرات
رابط الجأش كم طوى في حشاه من ضحايا أمواجه العاتيات
لم تغيّزه حادثات الليالي والبرايا ما بين غاد وآت
هل تأملت أمة النحل تغدو لعبير من الشذى راشفات
ثم تُهدي بطونها من رضابٍ وشفاءٍ لأنفس مزمنات
في بناءٍ مُعَقَّدٍ هندسيٍّ يتحدّى خوارق الهندسات

هل تأملت عالم النمل فيه روعة في فلوله المنشرات
 في نظام ودقة لا تبارى وتفان في الكسب والاقتيات
 ليس للخامل الكسول احترام في قوانين عيشها الصارمات
 وألوف من الخلائق تمضي في دروب مرسومة واضحات
 من فراش وزاحف وطيور وأليف يُقنى ومن كاسرات
 وإذا جفت العيون السواقي واستحالت رياضنا مجدبات
 وبدا وجه أرضنا مكفهراً قابلتك الغيوم بالبشریات
 فإذا بالمغيث يزجي سحاباً ويفيض الثجاج من معصرات
 تكتسي الأرض حُلَّةً من نضارٍ في وجوه وضاعةٍ مبهجات
 لو تأملت أبدع الصنع فيما بين جنبيك من بديع العظات
 من فؤاد ومنطق واعتدال والنهى والدلائل الباهرات
 والبلايين من خلاياك تمضي والكُرَيَّاتِ أضخمِ الناقلات
 لو تأملت في كتاب كريم في معاني آياته المحكمات
 في الضحى والأنعام والنحل فينضُّ من ضياءٍ والنور والذاريات
 من يعيد الرّواء للأرض لما يطمس الجذبُ أوجهاً ضاحكات
 من يعافي المريض من بعد سُقْمٍ وقنوطٍ من طِبِّ مستشفيات

من يئُ السرور في كل بيتٍ بالبنين الأطهار أو بالبنات
 من يسلي النفوس بالصبر لما تُبتلى بالنوازل القاصمات
 من يغيث القلوب مما دهاها من هموم بئيسة جائمات
 من يوارى عيوبنا من حباننا بستورٍ من سِثره مُسدلات
 من هدى العقل لاكتشاف بديع لعلوم عجيبة مذهلات
 كلما زادت العقول اكتشافاً وابتكاراً تتيه في المهمات
 علمها واكتشافها ليس إلا قطرةً من بحوره الزاخرات
 إن في ساحة العلوم اهتداءً ودليلاً للأنفس الحائرات
 كم هدينا بفضله لعلوم بمزايا توحيده هاتفات
 إن في مسرح الحياة اعتباراً في ثنايا آياتها الماثلات
 يا جهولاً بربه يا غفولاً عن صريح الآيات والبينات
 كم ترى في حياتنا من فنون ورسوم خلاصة هائمات
 أين عينك عن تملّي جمال في أفانين فضله الناطقات
 في جمال الأكوان في كل همس في بديع المسموع والمُبصّرات
 في شروق للشمس أو في غروب في نجوم مطلّة آفلات
 في انبلاج الصباح في هدأة الليل في لحون الشُّداة

في سحاب مسخر في غمام في بروق بريقة ضاحكات
 في سكون الصحراء في رسد حمة الوادي وفي ذرى الراسيات
 في هتاف الطيور من كل فن في غناء الحمائم الساجعات
 في الشذى في الندى في الورود في بسملة الفجر في سكون البيات
 في الربا في الضحى في الأنهار في طلعة البدر في الزواهر الحلمات
 في التقاء البحرين ملحاً أجاجاً ليس يبغي على الزلال الفرات
 في رحيق الأزهار في نفحة الع طر في رياضها الناضرات
 في دلال الملاح في رِقْ حمة الحب في المحاجر الآسرات
 في قدود فتانة في حدود في ثغور وضأة باسمات
 في جمال الغزال في جف لمة الطَّبِي في عيون المهة
 في اختيال الطاووس في عا لم البحر في علو البزاة
 في هدير الجمال في سط حمة الأسد في انطلاقة الصافنات
 في خفاء الأرواح في قِصْ حمة النوم في حديثنا والسكات
 في بديع الألوان في نغم حمة الصوت في قلوبنا الخافقات
 في اختلاف الأذواق في بس حمة المرء في دموعه الذارفات
 في صنوف الأرزاق من كل طعم في فيوضات جوده المغدقات
 في مذاق الثمار في با سق النخل في الجنى في النواة

إِنَّهُ اللَّهُ سَلَوَةٌ وَضِيَاءٌ فِي سَمَاءِ الْعِبَادِ وَالْعَابِدَاتِ
 عَدَّ إِلَى ظِلَّةِ الظِّلِيلِ التَّمَاثَا لِلنَّدَى وَالرَّضَى وَحَسَنَ الصَّلَاةِ
 حَيْثُ يَكْسُوكَ حُلَّةً مِنْ حَنَانٍ وَأَمَانَ فِي هَجْمَةِ الْعَادِيَاتِ
 وَتَرْنَمُ بِذِكْرِهِ فَهُوَ غَرَسَ سَوْفَ تَجْنِي ثَمَارَهُ الْيَانَعَاتِ
 إِنَّ صِدْقَ الْحُبِّ يَبْدُو جَلِيًّا فِي عَيُونِ بِالْدمْعِ مَغْرُورِقَاتِ
 وَامْتِثَالًا لِأَمْرِهِ وَاحْتِرَامًا لِمَوَاقِفِ حُبِّهِ الْمُجَرَّمَاتِ
 وَقِيَامًا بِحَقِّهِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَمَنْسَكٍ وَزَكَاةٍ
 هَذِهِ هَمْسَتِي إِلَى كُلِّ قَلْبٍ عَاشِقٍ لِلرَّضَى وَهَازِي وَصَاتِي
 وَنِدَاءٌ مَضْمُوحٌ بِعَبِيرٍ لِأَنَاسٍ يَسْتَرْوِحُونَ الْعِظَاتِ
 فَاعْمُرِ الْوَقْتَ بِالْتَرَاتِيلِ وَانْصَبْ تَحْتَ جَنَحِ الدَّجَى وَحِينَ الْغَدَاةِ
 وَاعْنَمِ الْعَمْرَ فَالْمَنَايَا خَفَايَا كَمْ دَهَى الْخُطْبِ أَنْفُسًا غَافِلَاتِ
 لَيْسَ تُغْنِيكَ تَوْبَةٌ أَوْ بَكَاءٌ حِينَ تُنْمَنِي بِهَجْمَةِ النَّازِعَاتِ
 إِنَّهُ مَوْعِدٌ وَمَا عَنْهُ مَأْوَى لَوْ سَكَنْتِ الْبُرُوجَ وَالنَّاطِحَاتِ
 أَتَيْنَ أَهْلَ السُّلْطَانِ وَالْجَاهِ مِمَّنْ تَاهَ فَخْرًا فِي الْأَعْصَرِ الْمَاضِيَاتِ
 أَوْلَمْ يَفْتِكِ الرَّدَى بِقُصُورٍ وَدِيَارٍ بِأَهْلِهَا آهَلَاتِ
 كَدَّرَ الْمَوْتَ صَفْوَهُمْ ثُمَّ بَادُوا وَتَجَلَّتْ رُسُومُهُمْ دَارَسَاتِ

أَيْنَ مَنْ غَرَّهَ جَمَالُ وَمَالُ
سَكَنُوا بَاطِنَ الثَّرَى بَعْدَ عَزٍّ
أَكَلَ التُّرْبَ حَسَنَهُمْ وَتَمَشَّى الـ
إِنْ فِي سُرْعَةِ الزَّمَانِ اعْتِبَارًا
فَلْتَبَادِرْ إِلَى اغْتِنَامِ اللَّيَالِي
حِينَ تَمْضِي إِلَى إِلَهٍ عَظِيمٍ
جَامِعِ النَّاسِ فِي مَقَامٍ رَهيبٍ
فِي مَقَامٍ تَكُونُ فِيهِ الْبِرَايَا
فِيهِ تَجْثُو قَوَافِلُ النَّاسِ خَوْفًا
لَوْ رَأَيْتَ الْأَبْنَاءَ وَلَّوْا فِرَارًا
هَلَعُ يَمْطُرُ الْوَرَى فَاسْتَكَانُوا
وَبَكَاءٍ وَحَرْقَةٍ ثُمَّ يَدْنُو
لَيْسَ لِلْمَرْءِ مَلْجَأٌ فِيهِ إِلَّا
وَلَنْ وَاجِهُوا فُلُوقَ الْخَطَايَا
وَدَعَا لِهَدْيِهِ فِي الْبِرَايَا
يَقْطِفُ الْمُؤْمِنُونَ أَزْهَارَ أَمْنٍ

مِنْ كِبَارِ السَّادَاتِ وَالسَّيِّدَاتِ
فِي ظِلَالِ الْمَنَازِلِ الشَّامَخَاتِ
ذُودٍ يَرْعَى فِي أَعْظَمِ بَالِيَاتِ
كَيْفَ تَمْضِي أَيَّامَهُ خَاطِفَاتِ
وَلِحُوقِ بِالرَّكْبِ قَبْلَ الْفَوَاتِ
وَعَلِيمِ بِالْجَهْرِ وَالْخَافِيَاتِ
وَمَعِيدِ الْعِظَامِ بَعْدَ الشَّتَاتِ
خَاضِعَاتٍ لِرَبِّهَا مَهْطِعَاتِ
وَيَحُلُ الذَّهُولُ بِالْمَرْضِعَاتِ
عَنْ نِدَاءِ الْآبَاءِ وَالْأُمَهَاتِ
فِي وَجِيفٍ وَأَعْيُنِ شَاخِصَاتِ
كَوْكَبِ الشَّمْسِ مِنْ حَفَاةٍ عَرَاةِ
بِمَزَايَا أَعْمَالِهِ الصَّالِحَاتِ
بَدْرُوعٍ مِنَ التَّقَى سَابِغَاتِ
بِقُلُوبِ رَفِيقَةٍ رَاحِمَاتِ
وَيُرُونَ الْبَشَائِرَ الْمَرْضِيَّاتِ

حورُ عينٍ وسندسٌ وثمارُ
 في نعيمٍ لا ينقضي ومزيدُ
 يا إلهي إني مقرٌّ بذنبي
 ما جهلت المقام أو كان قلبي
 ضَعُفُ نفسي وحسن ظني بربي
 يا رحيمًا بعبده يا عفوًّا
 يا إلهي ومن إليه اتجاهي
 رَضُّني بالقضاء وامن بفضل
 يا مني خاطري وسلوى فؤادي
 منك حولي وقوتي واتكالي
 جُذْ على عبدك المُرجِّي نوالًا
 واهد قلبي يا خالقي وارض عني
 يَقْصُر اللفظ عن بيان لِحَبِّ
 أنت ألبستني من الفضل ثوبًا
 يا غياث الملهوف من كل كرب
 لا تدعني لحادثات الليالي
 وفيوض من أنهر جاريات
 لوجوه لربها ناظرات
 وخطايا جوارح مسرفات
 مشرئبًا إلى دروب العصاة
 جرّني للقصور في واجباتي
 يا محل الآمال والمكرمات
 يا ربيع الأفكار والذكريات
 وبردٍ للعيش بعد الوفاة
 ليس إلا إلى رضاك التفاتي
 يا نصيري فلا تكلني لذاتي
 من عطايا آلائك المشرقات
 فالرضى منك منتهى الأمنيات
 ومعان في مهجتي مُضَمَّرات
 بل ثيابًا فضفاضةً ضافيات
 يا معينًا للمرء في المعضلات
 وأجرني مما به الغيب آتٍ

وقني من لهيب نار تلظى بسياج من التقى والثبات
 يا جوادًا بلطفه يا عفواً لرزايا كبائرٍ أو هَنَات
 يا ملاذاً تهفو البرايا إليه والمرجى لِفَكٍّ أَسْرِ العُناةِ
 امح عني صحائفًا من ذنوب واعف عني يا غافر السيئات
 فاقتراف الذنوب عنوان ضعفي والتمادي في عَيْبِها من سماتي
 يا أنيسي وعُدتي واعتمادي وملاذي في ظلمة النائبات
 وسروري وبهجتي ورجائي وضيائي في مُدلجِ الحالكات
 هذه لوعتي وَهْذي دموعي واشتياقي وقصتي وشِكاتي
 أبتغيها ذخراً ليوم عظيم يا إلهي لعل فيها نجاتي
 وصلاةً زكيةً وسلاماً للنبي الكريم خير الدعاة



مُحِبُّ نَفْيِ مَا التَّدُّ مِنْ غَمَضِهِ الْفِكْرُ

مُحِبُّ نَفْيِ مَا التَّدُّ مِنْ غَمَضِهِ الْفِكْرُ وَأَعْقَبَهُ ضُرًّا وَأَنهَكَهُ الضُّرُّ
 وَبَاتَ يُرَاعِي أَنْجُمًا بَعْدَ أَنْجُمٍ وَيُزْعِدُ مِنْ خَوْفٍ إِلَى أَنْ بَدَا الْفَجْرُ
 وَيَخْدُمُ مَوْلَاهُ بِاللَّطْفِ خِدْمَةً وَيُسْعِدُهُ فِي حُسْنِ خِدْمَتِهِ الصَّبْرُ
 بِهِ وَبِمَنْ سَاوَاهُ فِي الزُّهْدِ وَالتَّقَى إِذَا الْجَدْبُ عَمَّ الْأَرْضَ يُسْتَنْزَلُ الْقَطْرُ
 مُحِبُّ خَلَا بِالْحُبِّ خِلْوَةً وَاجِدٍ خَلَا بِحَبِيبٍ وَالظَّلَامُ لَهُ سِتْرُ
 يَقُولُ بَذَلْتُ الْحُبَّ يَا مُنْتَهَى الْمُنَى وَيَا نُورَ قَلْبِي أَنْتَ لِي سَيِّدِي ذُخْرُ
 فَلَا تُخْزِنِي يَا رَبِّ وَارْحَمْ تَضَرُّعِي فَقَدْ - وَعَظِيمِ الْعَفْوِ - أَثْقَلَنِي الْوِزْرُ
 وَقَدْ خِفْتُ مِنْ يَوْمِ الْمَعَادِ مَخَافَةً تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَيْسَ لِي فِيهِمَا عُذْرُ
 بِفَضْلِكَ زِدْنِي مِنْكَ قُرْبًا وَأَذْنِي إِلَيْكَ دُنُوتًا لَا يُغَيِّرُهُ الدَّهْرُ
 شِفَائِي مَقَامِي فِي الْهَوَى وَهُوَ قَاتِلِي وَيَبِينُ سِقَامِي وَالشِّفَا يَنْقُذُ الْعُمُرُ
 وَفِي كَبْدِي مِمَّا أَقَاسِي مِنَ الْهَوَى وَمِنْ زَفَرَاتِ الْحُبِّ يَا وَاجِدِي جَمْرُ
 غَزَا الْحُبِّ قَلْبِي قَاصِدًا بِجُيُوشِهِ لِيَأْسِرَهُ قَسْرًا فَأَذْهَلَهُ الْأَسْرُ
 وَحَقِّكَ لَا أَنْسَاكَ مَا دُمْتُ بَاقِيًا وَهَلْ يُتَسَلَّى مَنْ مَحَبَّتُهُ فَخْرُ^(١)

* * *

(١) لأحمد زيد البحراني، انظر: استنشاق نسيم الأنس، لابن رجب الحنبلي، (١٠٤، ١٠٥).

دعاء المحبين القانتين

اللَّهُمَّ، اَحْمِلْنَا فِي سُنَنِ نَجَاتِكَ، وَمَتَّعْنَا بِلَذِيذِ مُنَاجَاتِكَ، وَأَوْرِدْنَا حِيَاضَ حُبِّكَ، وَأَذِقْنَا حَلَاوَةَ وَدِّكَ وَقُرْبِكَ، وَاجْعَلْ جِهَادَنَا فِيكَ، وَهَمَّنَا فِي طَاعَتِكَ، وَأَخْلِصْ نِيَّاتَنَا فِي مُعَامَلَتِكَ، فَإِنَّا بِكَ وَلَكَ، وَلَا وَسِيلَةَ لَنَا إِلَيْكَ إِلَّا أَنْتَ.

سُبْحَانَكَ، مَا أَضْيَقَ الطُّرُقَ عَلَى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَلِيلَهُ! وَمَا أَوْضَحَ الْحَقِّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبِيلَهُ!

انْقَطَعَتْ إِلَيْكَ هِمَّتِي، وَانْصَرَفَتْ نَحْوُكَ رَغْبَتِي، فَأَنْتَ - لَا غَيْرُكَ - مرادِي، وَلَكَ - لَا لِسْوَكَ - سَهْرِي وَشَهَادِي، وَلِقَاؤُكَ قُرَّةُ عَيْنِي، وَوَصْلُكَ مُنَى نَفْسِي، وَإِلَيْكَ شَوْقِي، وَفِي مَحَبَّتِكَ وَلَهْيِي، وَرِضَاكَ بُغْيَتِي، وَرُؤْيُكَ حَاجَتِي، وَجِوَادُكَ طَلْبِي، وَقُرْبُكَ غَايَةُ سُؤْلِي، وَفِي مُنَاجَاتِكَ رَوْحِي وَرَاحَتِي، وَعِنْدَكَ دَوَاءُ عَلَّتِي، وَشِفَاءُ غُلَّتِي، وَبَزْدُ لَوْعَتِي، وَكَشْفُ كُرْبَتِي، فَكُنْ أُنَيْسِي فِي وَحْشَتِي، وَمُقِيلَ عَذْرَتِي، وَغَافِرَ ذَلَّتِي، وَقَابِلَ تَوْبَتِي، وَمُجِيبَ دَعْوَتِي، وَوَلِيَّ عِصْمَتِي، وَمُغْنِي فَاقَتِي، وَلَا تَقْطَعْ عَنكَ، وَلَا تُبْعِدْنِي مِنْكَ، يَا نَعِيمِي وَجَنَّتِي.

إِلَهِي، مَنْ ذَا الَّذِي ذَاقَ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِكَ، فَرَامَ مِنْكَ بَدَلًا، وَمَنْ ذَا الَّذِي أُنْسَ بِقُرْبِكَ، فَأَبْتَغَى عَنكَ حَوْلًا.

إِلَهِي، فَاجْعَلْنَا مِنْ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ، وَوَلَايَتِكَ، وَأَخْلَصْتَهُ لِدُوكَ وَمَحَبَّتِكَ،

وَشَوْقُهُ إِلَى لِقَائِكَ، وَرَضِيَّتُهُ بِقَضَائِكَ، وَمَتَّعْتُهُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَحَبَوْتُهُ بِرِضَاكَ، وَبَوَّأْتُهُ مَقْعَدَ الصَّدَقِ فِي جِوَارِكَ، وَخَصَصْتُهُ بِمَعْرِفَتِكَ، وَأَهْلَيْتُهُ لِعِبَادَتِكَ، وَهَيَّيْتُ قَلْبَهُ لِإِرَادَتِكَ، وَاجْتَبَيْتُهُ لِمُشَاهَدَتِكَ، وَأَخْلَيْتَ وَجْهَهُ لَكَ، وَفَرَّغْتَ فُؤَادَهُ لِحُبِّكَ، وَرَغَّبْتَهُ فِيمَا عِنْدَكَ، وَأَلْهَمْتَهُ ذِكْرَكَ، وَأَوْزَعْتَهُ شُكْرَكَ، وَشَغَلْتَهُ بِطَاعَتِكَ، وَصَيَّرْتَهُ مِنْ صَالِحِي بَرِيَّتِكَ، وَاخْتَرْتَهُ لِمُنَاجَاتِكَ، وَقَطَعْتَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ يَقْطَعُهُ عَنْكَ.

اَللّٰهُمَّ، اجْعَلْنَا مِنْ دَابُّهُمْ الْاَزْتِيَاخِ اِلَيْكَ، وَالْحَيْنِ، وَدَهْرُهُمُ الزَّفَرَةُ وَالْاَيْنِ، جِبَاهُهُمْ سَاجِدَةٌ لِعَظَمَتِكَ، وَعَيْنُونُهُمْ سَاهِرَةٌ فِي خِدْمَتِكَ، وَدُمُوعُهُمْ سَائِلَةٌ مِنْ خَشْيَتِكَ، وَقُلُوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِكَ، وَأَفْعِدْتُهُمْ مُنْخَلَعَةً مِنْ مَهَابَتِكَ، يَا مَنْ اَنْوَارُ قُدْسِهِ لَا بُصَارَ مُحِبِّهِ رَائِقَةً، وَسُبُحَاتُ وَجْهِهِ لِقُلُوبٍ عَارِفِيهِ شَائِقَةً، يَا مُنَى قُلُوبِ الْمُشْتَاقِينَ وَيَا غَايَةَ آمَالِ الْحَيِّينَ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصِلُنِي إِلَى قُرْبِكَ، وَأَنْ تَجْعَلَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا سِوَاكَ، وَأَنْ تَجْعَلَ حُبِّي إِيَّاكَ قَائِدًا إِلَى رِضْوَانِكَ، وَشَوْقِي إِلَيْكَ ذَائِدًا عَنْ عِصْيَانِكَ، وَأَمْنُنْ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ عَلَيَّ، وَأَنْظُرْ بِعَيْنِ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ إِلَيَّ، وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي وَجْهَكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْإِسْعَادِ وَالْحُطُوةِ عِنْدَكَ، يَا مُجِيبُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

يَا مَنْ لَا يَفِدُ الْوَاغِدُونَ عَلَى أَكْرَمِ مِنْهُ، وَلَا يَجِدُ الْقَاصِدُونَ أَرْحَمَ مِنْهُ، يَا خَيْرَ مَنْ خَلَا بِهِ وَحِيدٌ، وَيَا أَرْحَمَ مَنْ أَوَى إِلَيْهِ طَرِيدٌ، إِلَى سَعَةِ عَفْوِكَ مَدَدْتُ يَدِي، وَبَذَلْتُ كَرَمَكَ أَغْلَقْتُ كَفِّي، فَلَا تُؤَلِّني الْحُزْمَانَ، وَلَا تُثَلِّني بِالْخَبِيَةِ

وَالْخُسْرَانِ، فَيَا مُنْتَهَى أَمَلِ الْآمِلِينَ، وَيَا غَايَةَ سُؤْلِ السَّائِلِينَ، وَيَا أَقْصَى طَلْبَةِ
الطَّالِبِينَ، وَيَا أَعْلَى رَغْبَةِ الرَّاغِبِينَ، وَيَا وَلِيَّ الصَّالِحِينَ، وَيَا أَمَانَ الْخَائِفِينَ، وَيَا
مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، وَيَا ذُخْرَ الْمُعْدِمِينَ، وَيَا كَنْزَ الْبَائِسِينَ، وَيَا غِيَاثَ
الْمُسْتَغِيثِينَ، وَيَا قَاضِيَ حَوَائِجِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، وَيَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، لَكَ تَخَضُّعِي وَسُؤَالِي، وَإِلَيْكَ تَضَرُّعِي وَابْتِهَالِي، أَسْأَلُكَ أَنْ
تُنِيلَنِي مِنْ رَوْحِ رِضْوَانِكَ، وَتُدِيمَ عَلَيَّ نِعَمَ امْتِنَانِكَ، وَهَذَا أَنَا بِبَابِ كَرَمِكَ
وَاقِفٌ، وَلِنَفَحَاتِ بَرِّكَ مُتَعَرِّضٌ، وَبِحَبْلِكَ الشَّدِيدِ مُعْتَصِمٌ، وَبِعِزَّتِكَ الْوُثْقَى
مُتَمَسِّكٌ.

إِلَهِي، ارْحَمْ عَبْدَكَ الدَّلِيلَ، ذَا اللِّسَانِ الْكَالِيلِ، وَالْعَمَلِ الْقَلِيلِ، وَامْنُنْ عَلَيْهِ
بَطَوْلِكَ الْجَزِيلِ، وَاكْنُفْهُ تَحْتَ ظِلِّكَ الظَّلِيلِ، يَا كَرِيمُ، يَا جَمِيلُ، يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

إِلَهِي :

مَا أَطْيَبَ طَعْمَ حُبِّكَ! وَمَا أَغْدَبَ شَرِبَ قُرْبِكَ، فَأَعِزَّنَا مِنْ طَرْدِكَ
وَابْعَادِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَحْصَى عَارِفِكَ، وَأَصْلَحِ عِبَادِكَ، وَأَصْدَقِ طَائِعِكَ،
وَأَخْلَصِ عِبَادِكَ، يَا عَظِيمُ، يَا جَلِيلُ، يَا كَرِيمُ، يَا مُنِيلُ، بِرَحْمَتِكَ وَمَنَّكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

سبحانك شاهد كل نجوى

- سُبْحَانَكَ - اللَّهُمَّ - وَحَنَانِيكَ.
- سُبْحَانَكَ - اللَّهُمَّ - وَتَعَالَيْتَ.
- سُبْحَانَكَ - اللَّهُمَّ - وَالْعِزُّ إِزَارُكَ.
- سُبْحَانَكَ - اللَّهُمَّ - وَالْعَظَمَةُ رِداؤُكَ.
- سُبْحَانَكَ - اللَّهُمَّ - وَالْكِبْرِيَاءُ سُلْطَانُكَ.
- سُبْحَانَكَ مِنْ عَظِيمٍ، مَا أَعْظَمَكَ!
- سُبْحَانَكَ، سُبِّحْتَ فِي الْأَعْلَى، تَسْمَعُ وَتَرَى مَا تَحْتَ الثَّرَى.
- سُبْحَانَكَ، أَنْتَ شَاهِدُ كُلِّ نَجْوَى.
- سُبْحَانَكَ، مَوْضِعُ كُلِّ شَكْوَى.
- سُبْحَانَكَ، حَاضِرُ كُلِّ مَلَأٍ.
- سُبْحَانَكَ، عَظِيمُ الرَّجَاءِ.

* * * * *

أحبابنا

أَحْبَابَنَا أَنَا ذَاكُمُ الْعَبْدُ الَّذِي رَاعَيْتُمُوهُ نَاشِئًا وَوَلِيدًا
حَالَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ فَرَمَى بِأُسْرَتِهِ وَجَاءَ فَرِيدًا

● أخِي: تب من غَدَرَاتِكَ؛ حتى لا يُقال لك يوماً: «هذا فراق بيني وبينك».

شَجَاكَ الْفِرَاقُ فَمَا تَصْنَعُ أَتَضْبِرُ لِلْبَيْنِ أَمْ تَجْزَعُ
إِذَا كُنْتَ تَبْكِي وَهُمْ جِيرَةٌ فَكَيْفَ تَكُونُ إِذَا وَدَّعُوا

● أخِي:

وَصَلُّوا إِلَى مَوْلَاهُمْ وَبَقِينَا وَتَنَعَّمُوا بِوَصَالِهِ وَشَقِينَا
فَتَجَمَّعُوا أَهْلَ الْقَطِيعَةِ وَالْجَفَا نَبْكِي شُهُورًا قَدْ مَضَتْ وَسِينَا

● أخِي:

مَا فِي الصُّحَابِ أَخُو وَجَدِ تَطَارِحُهُ حَدِيثَ حُبٍّ وَلَا صَبٍّ تُجَارِيهِ
إِلَيْكَ عَنْ كُلِّ قَلْبٍ فِي أَمَاكِينِهِ سَاهٍ، وَعَنْ كُلِّ دَمْعٍ فِي مَاقِيهِ

□ سيدي والهي:

فَرُوحِي وَرِيحَانِي إِذَا كُنْتَ حَاضِرًا وَإِنْ غَبْتَ فَالْدُّنْيَا عَلَيَّ مَحَابِسُ
إِذَا لَمْ أَتَأَنِّسْ فِي رِضَاكَ وَلَمْ أَغْزِ لِدِينِكَ فَيَمَنْ - لَيْتَ شِعْرِي - أَتَأَنِّسُ

□ ولله در القائل:

كَثُرَ فِيكَ الْيَوْمُ فَأَيْنَ سَمْعِي مِنْهُمْ قَالُوا: سَهَرْتَ وَالْعُيُودُ نُ السَّاهِرَاتِ نُومُ
وَلَيْسَ مِنْ جَسْمِكَ إِلَّا جِلْدَةٌ وَأَعْظُمُ وَمَا عَلَيْهِمْ سَهْرِي وَلَا زُقَادِي لَهُمْ
خُذْ أَنْتَ فِي شَأْنِكَ يَا دَمْعِي وَخَلْ عَنْهُمْ



وأخيراً

فَيَا حُبَّهُمْ زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلَوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرُ
 □ يَا عَجَباً مَنْ خَلِيَّ يَعْزِلُ الشَّجِي، وَيَحْكُ! خَلَّ شَانَهُ وَشَانَهُ:
 بِقَلْبِي مِنْهُمْ عَلِقُ وَدَمْعِي فِيهِمْ عَلِقُ
 وَبِي مِنْ حُبِّهِمْ حُرِقُ لَهَا الْأَحْشَاءُ تَحْتَرِقُ
 وَمَا تَرَكُوا سِوَى رَمَقِي فَلَيْتَهُمْ لَهُ رَمَقُوا

* * * * *

● أخي: قال عتبة الغلام:

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَحَبَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَطَاعَهُ، وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَكْرَمَهُ،
 وَمَنْ أَكْرَمَهُ أَسْكَنَهُ فِي جَوَارِهِ، وَمَنْ أَسْكَنَهُ فِي جَوَارِهِ، فَطُوبَاهُ
 وَطُوبَاهُ، وَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ.

● أخي:

«عَفْوُهُ يَسْتَعْرِقُ الذُّنُوبَ، فَكَيْفَ رِضْوَانُهُ؟! وَرِضْوَانُهُ يَسْتَعْرِقُ الْأَمَالَ
 فَكَيْفَ حُبُّهُ؟! وَحُبُّهُ يُدْهِشُ الْعُقُولَ فَكَيْفَ وَدُّهُ؟! وَوُدُّهُ يُنْسِي مَا دُونَهُ فَكَيْفَ
 لُطْفُهُ?!».

● إلهي:

«لِي مَا بَقِيَتْ حَوْلَكَ دَنْدَنَةٌ، وَبِالْضَّرَاعَةِ إِلَيْكَ هَمِّمَةٌ، لِأَنِّي مُحِبٌّ، وَكُلُّ
 مُحِبٍّ بِحَبِيبِهِ مَشْغُوفٌ، وَعَنْ غَيْرِ حَبِيبِهِ مَضْرُوفٌ».

إلهي

إِلَيْكَ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرِّكَائِبُ وَمِنْكَ وَإِلَّا فَالْمُؤْمِلُ خَائِبُ
وَفِيكَ وَإِلَّا فَالْغَرَامُ مُضَيِّعٌ وَعَنْكَ وَإِلَّا فَالْحُدُثُ كَاذِبُ

* * * * *

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه الفقير إلى عفو ربه المشتاق إلى جواره

سيد بن حسين العفاني

جمهورية مصر العربية

محافظة بني سويف

قرية بني عفان

ت: ٠٨٢٤٩٢٥٢٢

ص.ب: ١٢٣

* * * * *

فهرس المراجع

- ديوان «قلب و ربّ»، للشاعر عمر بهاء الدين الأميري.
- ديوان «إشراق»، للشاعر عمر الأميري.
- ديوان «مع الله»، للشاعر عمر الأميري.
- ديوان «أذان القرآن»، للشاعر عمر الأميري.
- ديوان «ملحمة الجهاد»، لعدنان النحوي، طبع. دار النحوي.
- ديوان «مواكب النور»، لعدنان النحوي، المكتب الإسلامي.
- ديوان «مهرجان القصيد»، لعدنان النحوي.
- ديوان «الأرض المباركة»، لعدنان النحوي.
- ديوان «جراح على الدرب»، لعدنان النحوي.
- ديوان «في رحاب الأقصى»، ليوسف العظم.
- ديوان «نداء الحق»، لأحمد محمد الصديق، دار الضياء.
- ديوان «يا إلهي»، لحمد التهامي، دار البشير.
- ديوان «قاب قوسين»، محمود حسن إسماعيل.
- ديوان «نفحات»، عبد الوهّاب عزّام.
- ديوان ابن الرومي.
- ديوان البرعي.
- ديوان أبي العتاهية.
- ديوان إسماعيل صبري.
- ديوان «آمنت بالله»، عبد الرحمن حبنكة، دار العلم.
- ديوان «النصر للإسلام»، خيرالدين وانلي.

- ديوان «خلق الله»، محمد عبد الله القولي، دار الأقصى، الكويت.
- ديوان «لحن الخلود»، عائض القرني.
- ديوان «قطوف إسلامية»، صلاح نصر حسين، مكتبة المعارف، الرياض.
- ديوان «هكذا علمتني الحياة».
- ديوان «القادمون الخضر»، سليم عبد القادر.
- «الأعمال الكاملة»، محمود حسن إسماعيل.
- «الشوقيات»، أحمد شوقي.
- «ابتهالات».
- «شعر الإمام الشافعي»، عبد العزيز سيد الأهل.
- «الرقائق»، محمد أحمد الراشد.
- «الروض الأنف»، السهيلي، دار الكتب الحديثة.
- «سلافة العصر».
- «من الشعر الإسلامي الحديث»، دار البشير.
- «البداية والنهاية»، لابن كثير.
- «استشاق نسيم الأنس»، لابن رجب الحنبلي، طبع المكتب الإسلامي، دار الخاني، الرياض.
- «إحياء علوم الدين»، للغزالي.
- «نفح الطيب»، المقري.
- «كشف الخفا»، العجلوني.
- «بستان الواعظين»، لابن الجوزي.
- «صفة الصفوة»، لابن الجوزي.
- «بحر الدموع»، لابن الجوزي.
- «بستان الواعظين ورياض السامعين»، لابن الجوزي.

- «إيقاظ الهمم في شعر الحكم».
- «لطائف المنن»، لابن عطاء الله السكندري، كتاب الشعب.
- «الكواكب السائرة»، لابن الغزي.
- «البدر الطالع»، للشوكاني.
- «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية»، لابن عبد الهادي.
- «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر»، للسخاوي.
- «تفسير الكشاف»، للزمخشري.
- مجلة «حضارة الإسلام».
- مجلة «الوعي الإسلامي».
- مجلة «الرسالة».
- ديوان «شموخ في زمن الانكسار»، لعبد الرحمن العشماوي، مكتبة الأديب.
- ديوان «إنها الصحوة، إنها الصحوة»، لمحمود مفلح، طبع. دار الوفاء.
- «مدائح إلهية»، لابن الصنعاني، طبعة السلفية.
- ديوان «جراح وكلمات»، لأحمد محمد الصديق.
- «التوبة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، لابن القيم، طبعة مكتبة ابن تيمية.
- «طريق الهجرتين»، لابن قيم الجوزية، طبعة السلفية.
- «أبو مَدين الغوث»، للدكتور عبد الحليم محمود باختصار، دار المعارف.
- «النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة»، للشيخ محمد إسماعيل المقدم، دار الإيمان.

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
□ إهداء	٥
□ تقديم د. فتحي جمعة	٧
□ مقدمة	١٧
□ الشُّعْرُ فِي الشُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ	٢١
□ الشُّعْرُ الْإِسْلَامِيّ	٢٥
□ شِعْرُ النَّائِهِيْنَ	٢٦
□ هَلْ يَسْتَوِي الشُّعْرَانِ؟	٢٧
□ الشعر - «مع الله»	٢٩
□ خُلِقَ الْقَلْبُ أَدِيًّا	٣٠
□ مع الله	٣١
□ مَعَ اللَّهِ	٣٣
□ مَعَشَرَ الْمُتَوَجِّهِينَ إِلَى اللَّهِ	٣٥
□ «إِلَى اللَّهِ أَهْدِي مِذْحَتِي وَتَنَائِيَا»	٤١
□ الإمام محمد بن إبراهيم الوزير إمام اليمن من سادات المحبين	٤٤
□ حَدِيثُ الرُّوح	٥٨
□ عَبِيرُ الْحَيِّينَ لِلَّهِ	٦٧
□ يَا لَيْلُ الصَّبِّ مَتَى عَدُهُ	٧٧
□ رَبِّ رُحْمَاكَ!	٧٨
□ الْحُبُّ الْبَاقِي	٧٩
□ حَادِي الْأَزْوَاجِ وَالشَّاءِ عَلَى اللَّهِ	٨٠
□ مَعَ اللَّهِ	٩١

- ٩٤ سُبْحَانَ اللَّهِ □
 ٩٥ قِفْ بِالْخُضُوعِ □
 ٩٨ لَكَ الْحَمْدُ □
 ١١٢ أَبَدًا نَحْنُ إِلَيْكُمْ الْأَزْوَاجُ □
 ١١٤ ذُو الثُّونِ الْمِصْرِيُّ الْحُبُّ لِرَبِّهِ الْمُشِيِّ عَلَيْهِ □
 ١١٩ وَيَقُولُونَ فِي الشَّأِ عَلَى اللَّهِ □
 ١٢٤ يَحْيَى بْنُ مُعَاذِ الرَّازِيِّ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْحَيِّينَ □
 ١٢٦ لَا شَرِيكَ لَهُ □
 ١٢٧ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى □
 ١٤٧ لَكَ الْحَمْدُ □
 ١٥٠ قَصِيدَةُ أَنَا الْعَبْدُ □
 ١٥٢ مُنَاجَاةٌ □
 ١٥٥ مُنَى الْقَلْبِ □
 ١٥٦ حَتَّى تَرْضَى □
 ١٥٦ شَفَاعَةُ الْحُبِّ □
 ١٥٧ زِدْنِي هَيَامًا □
 ١٥٨ عِزَّةَ التَّذَلُّلِ □
 ١٥٩ إِلَهِي ... □
 ١٧٨ الشَّأِ عَلَى اللَّهِ □
 ١٨٤ وَكُلِّي مُحْتَاجٌ وَأَنْتَ لَكَ الْغَنَى □
 ١٨٦ غَرِيبٌ عَلَى بَابِ الرَّجَاءِ طَرِيحٌ □
 ١٨٧ عَرَفْتُ الْهَوَى مُذْ عَرَفْتُ هَوَاكَ □
 ١٨٨ عَلَى قَلْبِي وَضَعْتُ يَدِي □
 ١٩٠ مُنَاجَاةٌ مِنْ نُورِيَّةِ الْقَحْطَانِيِّ □
 ١٩٣ فَقَرَأْتُ إِلَى اللَّهِ □

- ١٩٥ يَا إِلَهِي □
 ١٩٧ رَبِّ إِنِّي لَكَ غَدْتُ □
 ٢٠١ مُنَاجَاةٌ □
 ٢٠٣ رَحْمَنٌ .. وَانْسَانٌ □
 ٢٠٣ فِي الْأَعَالِي □
 ٢٠٤ خَلَايَا تُسَبِّحُ اللَّهَ □
 ٢٠٥ نَلُودُ بِاللَّهِ □
 ٢٠٥ بَيْنَ الثَّرَى وَالثَّرِيَّا □
 ٢٠٦ مِنْكَ إِلَيْكَ □
 ٢٠٦ لَا نِهَاتَاتُ الثَّور □
 ٢٠٧ اخْتِلَاجَةُ نُورٍ □
 ٢٠٧ إِشْرَاقٌ □
 ٢٠٩ تَسْلِيمٌ .. وَضَرَاةٌ □
 ٢١١ اللَّهُ ... وَالتَّوْبَةُ □
 ٢١٤ تَاهَتْ فِي الْعَبِيرِ □
 ٢١٧ الْمَلِكُ لِلَّهِ □
 ٢٢٠ الْحَمْدُ لِلَّهِ □
 ٢٢١ سُبْحَانَ اللَّهِ □
 ٢٢٤ رَبِّ إِنْ شِئْتَ فَالْفَضَاءُ مَضِيقٌ □
 ٢٢٤ إِلَيْكَ دُعَائِي خُفِيَّةٌ وَتَضَرُّعًا □
 ٢٢٦ عَلَى الْوَرَى لَكَ فَضْلٌ □
 ٢٢٨ مَنْ لِي بِسْتَارٍ □
 ٢٢٩ تَبَارَكَ ذُو الْجَلَالِ وَذُو الْحَالِ □
 ٢٣٠ يَا أَرْحَمَ الرَّحْمَاءِ مَا لِي حِيلَةٌ □
 ٢٣١ يَا وَاحِدًا صَمَدًا بَغَيْرِ قَرِينٍ □

- ٢٣٢ □ يَا مُنْتَهَى أَمَلِي
- ٢٣٣ □ إِلَيْكَ أَفْرُ مِنْ زَلَلِي
- ٢٣٤ □ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا هَادِيًا وَمُؤَفِّقًا
- ٢٣٥ □ يَا رَبِّ إِنِّي تَائِبٌ
- ٢٣٦ □ وَبِاسْمِكَ أَحْبَبْنَا نَبِيَّكَ أَحْمَدًا
- ٢٣٨ □ يَا رَبِّ هَذَا الْكَوْنُ يَنَالُهُ
- ٢٣٩ □ هَبْ دُنُوبِي لِتُزْجِدِي
- ٢٤١ □ أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ
- ٢٤٢ □ فَطَرْتَ حَيَاتِي عَلَى الْفَقْرِ لَكَ
- ٢٤٤ □ اسْمَحْ لَدَمْعِكَ أَنْ يَذِلَّ لِرَبِّهِ
- ٢٤٥ □ سُبْحَانَكَ
- ٢٤٦ □ مُقِيلَ الْعَاثِرِينَ أَقْلَ عَثَارِي
- ٢٤٧ □ يَا بَارِي الْخَلْقِ إِيجَادًا مِنَ الْعَدَمِ
- ٢٤٩ □ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
- ٢٥٠ □ يَا جَلَالًا عَمَّ الْوُجُودُ بِلُطْفٍ
- ٢٥٢ □ أَتَيْتُ إِلَيْكَ يَا رَبَّ الْعِبَادِ
- ٢٥٦ □ إِلَهِي مَنْ أَدْعُو سِوَاكَ
- ٢٧٢ □ الْمُحِبُّونَ لِلَّهِ
- ٢٧٤ □ لَا تَخْذَعَنَّ فَلِلْحَبِيبِ دَلَائِلُ
- ٢٧٦ □ مُحِبُّ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا عَلِيلٌ
- ٢٧٧ □ الْمُحِبُّ الْمُتَهَجِّدُ
- ٢٧٩ □ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ عِينٍ
- ٢٨٠ □ عِرَاصًا بِقَرَبِ اللَّهِ فِي ظِلِّ قُدْسِهِ
- ٢٨١ □ نَعْمُ يَا سَيِّدِي
- ٢٨٣ □ الْمُخِيرُونَ لِلَّهِ

- ٢٨٥ كُلِّى قُلُوبَ □
 ٢٨٦ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ □
 ٢٨٩ بِنُورِ قُودِي قَصَدْتُ حِمَاكَ □
 ٢٩٠ مَعَ اللّٰهِ الَّذِي مَا لِي سِوَاهُ □
 ٢٩٢ رَبِّ ضَاقَتْ بِي السَّيْلُ □
 ٢٩٤ نَعْمِ الْمَثَلِ الْعُلْيَا □
 ٢٩٥ قَلْبٌ مُّجَنِّحٌ فَوْقَ السَّمَاءِ □
 ٢٩٦ سَخِذَةً □
 ٢٩٧ غَرِيبٌ □
 ٣٠٦ الْمُجْبُوتُونَ لِلّٰهِ □
 ٣١١ أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَنْهُمْ □
 ٣١٢ أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَنِ الْمَلِكِ الْوَدُودِ □
 ٣١٢ كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْحَيِّينَ □
 ٣١٣ انْظُرْ إِلَى قَوْلِ مَخْلُوقٍ لِمَخْلُوقٍ □
 ٣١٣ لَا أَوْفَى الْقَلْبِ حَقَّهُ □
 ٣١٦ قُطَيْرَةً □
 ٣٢٥ سُبْحَانَ اللّٰهِ □
 ٣٢٨ سُبْحَانَ اللّٰهِ □
 ٣٣٢ آيَاتٍ مِنَ الدَّرَرِ □
 ٣٣٤ زَهْرَةً □
 ٣٣٥ هَذِي السَّمَاءَاتُ □
 ٣٣٧ كِتَابُ الْكَوْنِ □
 ٣٣٨ تَبَارَكَ اللّٰهُ □
 ٣٤٠ الْكَوْنُ الْبَدِيعُ □
 ٣٤١ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ □

- ٣٤٢ □ يَدُ الْإِبْدَاعِ
 ٣٤٥ □ عَظْمَةُ الْكَوْنِ
 ٣٤٦ □ طِفْلٌ
 ٣٤٩ □ مُسْلِمٌ يَخَاطِبُ الْكَوْنَ
 ٣٥١ □ رَأَيْتُ اللَّهَ
 ٣٥٤ □ تَأْمُلَاتُ فِي صَفْحَةِ الْكَوْنِ
 ٣٥٦ □ غَسَلَ الْمَوْجَ لِلصُّخُورِ خُطَاهَا
 ٣٥٧ □ أَنْتَ أَنْتَ اللَّهُ
 ٣٥٩ □ آيَاتُ رَبِّكَ أَصْفَرَتْ
 ٣٦٠ □ مَا أَكْفَرَ الْإِنْسَانَ يَجْحَدُ رَبَّهُ
 ٣٦٣ □ تَفَكَّرْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ
 ٣٦٣ □ مَنْ عَلَّمَ الْوَرَقَاءَ أَنْ تَتَرَنَّمَا
 ٣٦٤ □ تِلْكَ الطَّيْعَةُ قِفَ بِنَا يَا سَارِي
 ٣٦٤ □ مَنْ ذَا الَّذِي بَسَكَ الْبَسِيطَةَ لِلْوَرَى
 ٣٦٥ □ عَنْ كُنْهِكَ ارْتَدَّتِ الْأَوْهَامُ وَالْفَهْمُ
 ٣٦٦ □ ابْتِهَالَاتُ
 ٣٦٦ □ تُسَبِّحُ ذَرَّاتُ الْوُجُودِ بِحَمْدِهِ
 ٣٦٨ □ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾
 ٣٦٩ □ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾
 ٣٧١ □ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾
 ٣٧٣ □ الْحَوَاسِ
 ٣٧٧ □ أَعْجُوبَةُ الْخَلْقِ
 ٣٨٢ □ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾
 ٣٨٣ □ يَا لَيْلِ يَا آيَةَ خَالِقِ
 ٣٨٥ □ الْقَمَرُ

- ٣٨٦ ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا﴾ □
 ٣٨٧ الْمَاء □
 ٣٨٨ الْأَفْوَات □
 ٣٨٩ «الْعَنْكَبُوتُ» □
 ٣٩٠ يُدَوِّرُ النَّبَات □
 ٣٩١ الْأَشْجَار □
 ٣٩٣ النَّبَات □
 ٣٩٦ الْغَزَالُ رَمَزُ الْجَمَال □
 ٣٩٩ الْبِحَارُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ □
 ٣٩٩ بَدَائِعُ الْبَحْرِ □
 ٤٠٠ حِكَايَةُ النَّبْع □
 ٤٠٢ مَمْلِكُ الثَّلَج !! □
 ٤٠٨ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ □
 ٤١٠ مُوَكِّبُ النُّور □
 ٤١٤ آفَاق □
 ٤١٨ ﴿وَالضُّحَى إِذَا نَفَسَ﴾ □
 ٤١٨ ﴿وَالضُّحَى إِذَا أَسْفَرَ﴾ □
 ٤١٨ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾ □
 ٤١٩ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ □
 ٤٢٠ يَقْظَةُ الْفَجْرِ □
 ٤٢٢ أَذَان □
 ٤٢٢ إِلَهِي □
 ٤٢٦ أَنْتَ أَنْتَ اللَّهُ □
 ٤٢٩ رُؤْيَى فِي الْجَمَال □
 ٤٣٠ الْجَمَال □

- ٤٣٣ أنا الفقيرُ إلى ربِّ السَّمَاوَاتِ □
 ٤٣٤ قَصِيدَةٌ فِي التَّدْلِيلِ وَالتَّضَرُّعِ □
 ٤٣٥ الْمُوقِظَةُ □
 ٤٣٧ «إِلَهِي سَيِّدِي» □
 ٤٣٩ دُعَاءٌ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَدَمْعَةٍ □
 ٤٤١ بَرَقَ فِي مَنَامِ لَيْلَةٍ قَدَرٍ □
 ٤٤٣ دُعَائِي فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ □
 ٤٤٥ إِنَّهُ اللَّهُ □
 ٤٤٦ سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى □
 ٤٤٦ سَجَدْتُ فَأَنْكَشَفْتُ □
 ٤٤٧ دُرَى □
 ٤٤٧ سَبْحَةٌ فِي الْمَقَامِ □
 ٤٤٨ إِلَّا اللَّهُ □
 ٤٤٩ تَوْحِيدٌ وَتَجْرِيدٌ □
 ٤٥٠ مِلْءُ الْيَقِينِ □
 ٤٥١ أَرَاكَ جَمِيلاً فِي فِعَالِكَ كُلِّهَا □
 ٤٥٢ وَذَكَرْتُ رَبِّي □
 ٤٥٢ ثَوَابٌ كَرِيمٌ □
 ٤٥٣ وَكَانَ التَّجَلِّي □
 ٤٥٤ مُنَاجَاةٌ وَتَجَلِّيَّاتٌ □
 ٤٥٨ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ □
 ٤٦٠ إِلَى أَيْنَ ؟ □
 ٤٦٥ مُحَاسَبَةٌ وَضَرَاةٌ □
 ٤٦٦ فِي عَالَمِ الْأَنْوَارِ □
 ٤٦٧ عَلَى مَذْهَبِ الْحُبِّ □

- ٤٦٨ □ أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ
 ٤٦٩ □ سُبْحَةُ
 ٤٧٠ □ مُنَاجَاةُ أَسِيرٍ
 ٤٧٢ □ دُعَاءُ
 ٤٧٤ □ هَجَرْتُ الْوَرَى فِي حُبِّ مَنْ جَادَ بِالنِّعَمِ
 ٤٧٥ □ وَرَادِي قَلِيلٍ
 ٤٧٦ □ الْمُشْتَاقُ
 ٤٨٣ □ أَبِي الْقَلْبِ إِلَّا أَنْتَ
 ٤٨٣ □ ذِكْرُ اللَّهِ عَيْشُ الْحَيِّينَ
 ٤٨٥ □ سَبَحَاتُ فِكْرِي فِي غَلَاكَ حَيَاةُ
 ٤٨٧ □ مَنْ كَانَ يَخْشَى اللَّهَ
 ٤٨٨ □ هُمُ الرِّجَالُ
 ٤٨٩ □ إِنِّي فَرَعْتُ إِلَيْكَ فَارَحِمْ عِبْرَتِي
 ٤٨٩ □ مُتَيِّمٌ فِي حُبِّهِ
 ٤٩٠ □ عَجَبًا أَنْ تَرَى مَعَ الْخَوْفِ أَمْنًا
 ٤٩١ □ هَبَّ مِنْ لَيْلِهِ جَفْتُهُ الْمُضَاجِعِ
 ٤٩٤ □ رِحْلَةً فِي مَوَكِبِ الْجَلَالِ
 ٥١٠ □ مُحِبٌّ نَفَى مَا التَّدُّ مِنْ غَمَضِهِ الْفِكْرُ
 ٥١١ □ دُعَاءُ الْحَبِيبِ الْقَانَتِينَ
 ٥١٤ □ سُبْحَانَكَ شَاهِدُ كُلِّ نَجْوَى
 ٥١٤ □ أَحِبَابِنَا
 ٥١٧ □ إِلَهِي
 ٥١٩ □ فَهْرَسُ الْمَرَاجِعِ
 ٥٢٣ □ فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

* تحت الطبع للمؤلف:

- ١ - رائق الشهد من شعر الدعوة والزهد، الجزء الثاني.
- ٢ - حسن الطلب في بيان الأدب.
- ٣ - شذا الريحان، ذكر جنة الرحمن.
- ٤ - بكاء الأفئدة، من نار الله الموقدة.
- ٥ - عيش السعداء بين الخوف والرجاء.
- ٦ - تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص.
- ٧ - الثمار الباسقات من حديث الصالحات.
- ٨ - نسائم الأسحار من فضائل الصحابة الأبرار.
- ٩ - فرسان النهار.
- ١٠ - زهر الجنان من حياة شيوخ الإسلام.
- ١١ - عبق النسرين من حياة المجددين.
- ١٢ - البدر المنير في الأحاديث التي حكم عليها الحافظ ابن كثير.
- ١٣ - الثمر الداني من تصحيح وتضعيف ابن حجر العسقلاني.